

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٨ ـ اللاهوت العقيدى «الجزء الثالث»
فى أسرار الكنيسة السبعة (١)

للمتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موســوعة الأنبا غريغوريوس

٨ - اللاهوت العقيدى «الجزء الثالث»

فى أسرار الكنيسة السبعة

(١)

للمتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ٨ ـ القيم الروحية فى أسرار الكنيسة السبعة .

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية .

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢ .

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: العبور ٦١٠٠٥٨٩ .

الجمع والغلاف: شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ٣٣٤٢ / ٢٠٠٥



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقـــدمة

هذا هو الجزء الثامن من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وقد سبقه سبعة أجزاء، الجزء الأول في اللاهوت المقارن، والثانى فى اللاهوت الأدبى، والثالث فى الرهبنة، والرابع فى الدراسات الكتابية، والخامس فى اللاهوت الطقسى، والسادس فى لاهوت السيد المسيح، والسابع فى سرى التجسد والفداء.

أما هذا الجزء الثامن فيعد الجزء الأول عن القيم الروحية فى خمسة من أسرار كنيستنا القبطية وهى المعمودية والميرون والقربان والتوبة ومسحة المرضى.

هذه هى الثمرة الثامنة وهى من نتاج العالم والمعلم الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس الذى قال عنه قداسة البابا شنوده الثالث.

«حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين «التكريس والعلم» ... وكان العلم يشغل كل وقته.. بهذا التكريس للخدمة، وبهذا العلم كان بإستمرار معتكفاً فى مسكنه، يقابله الناس وهو مشغول بين الكتب والكتابة..

«كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم.. كان فى أساتذة الإكليريكية من هو متخصص بالكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون. أو فى الطقس إلى آخره..، ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معاً.. وفى الواقع كان معلماً قديراً.. له معلومات كثيرة.. هو موسوعة من المعلومات... كان مثلاً من الأمثلة التى لا تتكرر كثيراً فى العدد الكبير..».

وستفرد أجزاء من هذه الموسوعة لتشمل كل ما كتبه فى اللاهوت العقيدي، وسير من شخصيات الكتاب المقدس ومن القديسين، وستكون هناك أجزاء أخرى للموضوعات الكنسية والروحية والموضوعات العامة، بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

والرب وحده قادر أن يكمل مشروعنا هذا ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكى

منير عطية

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً ... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك ... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريـــغوريـــوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

فهرس الموضوعات (١)

صفحة

---

(١) فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس لجميع الأسرار سينشر فى الجزء الثانى من الأسرار السبعة.

القيم الروحية فى سر المسحة (الميرون)

القيم الروحية فى سر القربان المقدس

القيم الروحية فى سر مسحة المرضى

فهرس الموضوعات (٢)

صفحة

القيم الروحية

فى سرّ المعمودية

فهرس الموضوعات (١)

صفحة

القيم الروحية فى سر المعمودية

مقدمـة

لم تُمنح الديانة المسيحية للإنسان إلا لنفعه وخيره، وليصير بها أفضل مما يكون بدونها.

وإذا كان للمسيحية عقائدها، فهذه العقائد هى مجموعة الحقائق التى يدين بها المسيحى وتنعقد عليها نفسه، من أجل أن يحيا بها حياة مثمرة سعيدة، فى الحياة الحاضرة والحياة الآخرة.

وقد أوضح السيد المسيح الهدف من رسالة المسيحية بالنسبة إلى من يدين بها، عندما حدد الغرض من مجيئه الأول فى قوله «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل» (يوحنا ١٠ : ١٠). وهو بعينه المعنى الذى عبر عنه الرسول القديس يوحنا فى ختام إنجيله «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة، لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه» (يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١).

وفحوى هذا كله أن المسيح قد أتى ليمنحنا بمجيئه حياة أبدية بعد أن كان محكوماً علينا بالموت الأبدى، ولكى يجعل حياتنا أفضل مما كانت، ولكى يصيّرها حياة موفورة الكرامة، حياة سامية نبيلة مثمرة نافعة صالحة، ذات قيمة وذات معنى. بل والهدف من رسالة المسيحية والهدف من الكرازة والتعليم المسيحى، ومن التبشير بأعمال المسيح ومعجزاته وأقواله، أن يؤمن الإنسان بالمسيح الرب فيتحقق له بهذا الإيمان وكل متعلقاته الحياة الأبدية السعيدة، وهذه الحياة الفضلى التى تبدأ منذ عمل التجديد الذى يتم فى المعمودية وتتصل بالحياة الأخرى بعد الموت، التى لا تضمحل ولا تفنى، لأنها حياة الأبد فى ملكوت السماوات.

وعلى هذا الأساس يظهر أن الهدف من كل عقيدة من عقائد ديانتنا هو الخير لنفوسنا فى الحياتين الحاضرة والعتيدة. ولن تجد عقيدة فى الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة تشذ عن هذه القاعدة، وإلا كانت هذه العقيدة عبثاً لا طائل تحته ولا غناء فيه، وحاشا لله أن يجعل فى ديانته حقيقة من غير فائدة.

لكل عقيدة فى ديانتنا، إذن، فائدة روحية. وإذا تناولت العقائد فى عمق تبين لك نفعها وخيرها للنفس الباطنية، وهو ما تؤيده النصوص الكتابية من جهة، والخبرات الروحية العملية من جهة أخرى. فإذا خيل إليك أن هناك عقيدة فى الكنيسة من غير فائدة روحية، فإما أن لا

تكون هذه عقيدة حقيقية من عقائد الإيمان، أو تكون أنت جاهلاً بأثر هذه العقيدة فى الحياة الروحية وهو ما يقتضيك الفحص والبحث والإمتحان، والتأمل الملى، والتمعن العميق الدقيق.

ليست إذن عقيدة من عقائد الإيمان بلا عمل للإيمان. إنها لم تصبح عقيدة لتؤلف بنداً من بنود الدين، ولم تصبح عقيدة لتصير موضوعاً من موضوعات الجدل بين أصحاب العقائد المتفرقين. ولم تصبح عقيدة لكى تصير نظرية ذهنية نناقشها بعقولنا وأذهاننا. كلا، ليست العقائد فى ديانتنا المسيحية لشىء من هذا كله. إنها وجدت فى ديانتنا من أجل أن تصبح أساساً لسلوكنا فى الحياة. فهى تلهم السلوك وتبعث على التصرف الملائم لها. إنها تبصر العقل، وتلهب القلب، وتثيرنا على العمل. إنها دائماً تتحول إلى نشاط وإلى تعبير فى الواقع الخارجى. إنها لا تكمن فى الذهن، وإنما تتحول إلى تعبيرات وإلى ممارسات ومباشرات عملية.

نعم إن العقائد لم تنشأ للنقاش والجدل النظرى، بل لتكون باعثاً على النشاط والعمل. وقبل أن يخرج الهراطقة على الكنيسة ويتشيعوا إلى مذاهب كان لديانتنا عقائدها وطقوسها.

وها نحن أولاء نقدم فى سبيل إثبات هذه القضية الكبرى بعض الأمثلة، لندلل على حكمة ديانتنا فى كل عقيدة من عقائدها، ومهما بدت هذه العقيدة فى درجة أهميتها بالنسبة لنا.

القيم الروحية
فى سرّ المعمودية

المعمودية من حيث مباشرتها **طقس**، ولكن من حيث الإيمان بمعناها وأهميتها وضرورتها وفعالياتها، **عقيدة**.

وهى (سر مقدس) لأنّ فعالياتها باطنية وغير منظورة، ولا تقع تحت الحواس الظاهرة.

وبالمعمودية يُولد المؤمن **(من جديد)** (يوحنا ٣: ٣)، ميلاداً **(من فوق)** (يعقوب ١: ١٧)، **(من الله)** (يوحنا ١: ١٣) **(ميلاداً ثانيا)** (تيطس ٣: ٥)، (١. بطرس ١: ٣، ٢٣)، (يعقوب ١: ١٨) **(ميلاداً من الماء والروح)** (يوحنا ٣: ٥)، (٣: ٦، ٨) (أفسس ٥: ٢٦)، (تيطس ٣: ٥).

وفى المعمودية المسيحية يحل الروح القدس على الماء ليخلق المؤمن من جديد خليقةً أخرى، خليقةً ثانية. وكما أن **الخليقة الأولى كانت من الماء والروح** (سفر التكوين ١: ١، ٢) (١). كذلك تُصنع **الخليقة الثانية من الماء والروح - والماء هو ماء المعمودية، والروح هو روح القدس الذى ينحدر من السماء** على المياه ليخلق منها الإنسان **من جديد**.

يقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول (وإذا كان أحد فى المسيح، **فإنه خلق جديد**) (٢. كورنثوس ٥: ١٧). (لأنه فى المسيح يسوع، لا الختان ولا عدم الختان ينفع الإنسان، بل الذى ينفعه، **الخليقة الجديدة**) (غلاطية ٦: ١٥).

والروح القدس يحل بنعمته على مياه المعمودية التى يغطس فيها المؤمن **ثلاث غطسات، على اسم الثالوث القدوس**: الآب والابن والروح القدس. يقول المسيح له المجد **(وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)** (متى ٢٨: ١٩).

ولما كانت المعمودية للمؤمن، موتا مع المسيح، وعن طريقها يحصل المؤمن على بركات الخلاص الذى تم بموت المسيح على الصليب فداء للإنسان، إذ ينقل إليه الروح القدس فى المعمودية استحقاقات المسيح الفادى...

---

(١) (فى البدء خلق الله السماوات والأرض... وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يُرِف على وجه المياه) (التكوين ١: ١، ٢).

ولما كان السيد المسيح قد مات كإنسان، ودفن فى القبر لثلاثة أيام...

فإن المؤمن يغطس فى مياه المعمودية **ثلاث غطسات بعدد الأيام التى قضاها السيد المسيح فى القبر مدفوناً كإنسان** (مرقس ٨: ٣١)، (متى ١٦: ٢١)، (١٧: ٢٣)، (٢٠: ١٩)، (لوقا ٩: ٢٢).

يقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول: (وفيه خُتنتم ختاناً، لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى، إنه ختان المسيح، ذلك أنكم **دُفنتم معه فى المعمودية، وأقمتم معه أيضاً**، لأنكم آمنتم بقدرة الله الذى أقامه من بين الأموات. كنتم أمواتا بخطاياكم... فأحياكم الله معه، وصفح لنا عن جميع خطايانا، ومحا الصكّ الذى علينا، وكان ضداً لنا، وأزاله، مسمرا إياه على الصليب) (كولوسى ٢: ١١– ١٤).

وإذن ففى سر العماد يتم بفاعلية الروح القدس **خلع جسم الخطايا البشرى، ونزعه، ومنح المؤمن طبيعة جديدة**، طبيعة الرب يسوع التى قام بها من بين الأموات.

وإذن ففى المعمودية المسيحية **ختان جديد**، ولكن لا بفعل الأيدى، **بل بفعل الروح القدس** الذى ينزع من المؤمن طبيعته التى ولد بها من أبويه، وهى الطبيعة الملوثة بالخطيئة الأصلية ونتائجها، التى انتقلت إليه بالتوالد (مزمور٥٠: ٥)، (٥٧: ٣)، (إشعياء ٤٨: ٨) وسرت إليه مع الدم الملوث بالفساد الواصل إليه من آدم الإنسان الأول الذى أخطأ وعصى الله وأكل من الشجرة المنهى عنها. (فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، **فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس**) (رومية ٥: ١٢).

وهذا هو **ختان المسيح**، أو **ختاننا فى المسيح**. ففى المعمودية يتم بعمل الروح القدس الذى ينحدر على مياه المعمودية ويرف عليها، **يتم موت وإحياء... خلع ونزع للطبيعة القديمة الفاسدة الملوثة بالخطيئة الأصلية، ثم زرع أو خلق لطبيعة جديدة، وهذه هى الخليقة الجديدة، أو الخلق من جديد**. والطبيعة المخلوعة المنزوعة هى الطبيعة القديمة الموروثة بالتوالد من الأب والأم، وأما الطبيعة الجديدة فهى طبيعة المسيح يسوع الذى بلا خطيئة وحده (يوحنا ٨: ٤٦)، (٢. كورنثوس ٥: ٢١)، (العبرانيين ٤: ١٥)، (٧: ٢٦)، (١. بطرس ٢: ٢٢)، (١. يوحنا ٣: ٥).

فى المعمودية المسيحية إذن **خلع للإنسان القديم** الملوث بالفساد عن طريق الوراثة بالتوالد ثم **إرتداء وإكتساء بطبيعة المسيح** فى بر كامل وطهارة من لوثة الخطيئة الأصلية ومن كل خطيئة فعلية.

ولهذا السبب، وتوكيدا لهذا المعنى، فى الخلع للإنسان القديم والاكتساء بالإنسان الجديد، المسيح يسوع، آدم الثانى، رسمت الكنيسة **أن يخلع المؤمن قبل نزوله إلى مياه المعمودية كل شيء عليه** (١) ... **فإذا صعد من الماء بعد العماد يرتدى حلة جديدة بيضاء**، ويكتسى بملابس البهاء، توكيدا على ما يقوله الوحى الإلهى (فإنكم، وقد اعتمدتم جميعا فى المسيح، **قد لبستم المسيح**) (غلاطية ٣ : ٢٧) . هذا هو بر المسيح الذى يكتسى به المؤمن فى المعمودية والذى رمز إليه الرب قديماً بالقميص من الجلد الذى ألبسه الرب لكل من آدم وحواء بعد أن تعريا بالخطيئة (وصنع الرب الإله لآدم وامرأته **أقمصة من جلد وألبسهما**) (سفر التكوين ٣ : ٢١) . قارن (التكوين ٣ : ٧) .

لهذا كله كان للمعمودية، من حيث هى عقيدة، ومن حيث هى طقس أيضاً عمل كبير وخطير فى حياتنا الروحية.

فالمعمودية ليست نظرية للمتعة الفكرية، ولكنها **عمل مقدس، ذو فعالية سرّية قوية فى حياة المؤمنين بالمسيح، الذين يقبلونه ويمارسونه.**

---

(١) (ولا ينزل أحد بشيء غريب معه إلى الماء) (قوانين هيبوليتوس - قانون ١٩) .
وجاء فى كتاب ترتيب المعمودية المقدسة: (ويأمر الكاهن «الذين يتعمدون» بخلع كل شيء من آذانهم وأرجلهم وأياديهم) .

أولاً ـ فى المعمودية المسيحية يُعتق المؤمن من الخطيئة الجدّية

والخطيئة الجدّية هى الخطيئة الأصلية القديمة التى ارتكبها أبونا آدم بالفعل، بأن أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عن أن يأكل منها (سفر التكوين ٢: ١٦، ١٧)، (٣: ١، ٣، ٦، ١١، ١٧).

هذه الخطيئة الأصلية تلوثت بها كل ذرية آدم من بعده، لأنهم ولدوا منه وهو فى حال الخطيئة، فورثوا منه حالته تبعا لقانون الوراثة.

يقول الوحى الإلهى (**فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم** على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، **فكذلك** سرى الموت **إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه**) (رومية ٥: ١٢)، (٥: ١٥، ١٧، ١٨).

ولقد مات آدم طبقاً لحكم الله عليه (التكوين ٢: ١٧)، (٣: ٣، ١٩)، (رومية ٦: ٢٣)، (١ . كورنثوس ١٥: ٢١)، (يعقوب ١: ١٥).

كذلك وبالتبعية **ماتت فى آدم ومعه، كل ذريته، وطُردت معه من فردوس النعيم.**

يقول الكتاب المقدس (**فى آدم يموت جميع الناس**) (١ . كورنثوس ١٥: ٢٢) (فأخرجه الرب الإله من جنة عدن... فطرد الإنسان) (التكوين ٣: ٢٤).

ومن ثم كانت **الضرورة ماسة إلى الفداء، والحاجة الملحة إلى الفادى الذى يموت فداء عن آدم وذريته،** لأن حكم الله لا يزول، وقضاءه لا يسقط أبداً (متى ٥: ١٨)، (٢٤: ٣٥)، (مرقس ١٣: ٣١)، (لوقا ٢١: ٣٣).

قال أبونا يعقوب أبو أسباط بنى إسرائيل (**لخلاصك انتظرتُ ياربِ**) (التكوين ٤٩: ١٨).

وكذلك قال مرتل المزامير (**انتظرتُ خلاصك يارب**) (مزمور ١١٨: ١١٦) (**اشتقتُ إلى خلاصك يارب**) (مزمور ١١٨: ١٧٤).

وقال سمعان الشيخ، عندما حمل المسيح يسوع على ذراعيه، فى يوم الأربعين للتجسد الإلهى (الآن أطلق ياسيدى عبدك بسلام وفقا لكلمتك. فإن عينى قد أبصرتا **خلاصك، الذى أعددته أمام كل الشعوب**) (لوقا ٢: ٢٧- ٣١).

وغيـر أولئك كـثيـرون ممن كـانوا ينتظرون الفـداء والخـلاص فى أورشليم (لوقـا ٢ : ٣٨)، (مرقس ١٥ : ٤٣)، (لوقا ٢ : ٢٥)، (٢٤ : ٢١)، (١ : ٦٨)، (مزمور١١٠ : ٩).

وكان العدل الإلهى يتطلب ترضية كافية. وقد تمت هذه الترضية المناسبة فى موت المسيح الفادى على الصليب، وذلك فداءً عن آدم وذريته من البشر.

جاء على لسان النبى إشعياء عن المسيح فادينا (لكـن أحزاننـا حمـلها، وأوجاعنا تحملها... **وهو مـجـروح لأجل مـعـاصـينا، مـسـحـوق لأجل آثـامنا**، تأديب سـلامنا عليـه، **ويحبره شفينا**. كلنا كغنم ضللنا... والرب وضع عليه إثم جميعنا... سيق إلى الذبح... فلم يفتح فاه... **إنه ضرب من أجل ذنب شعبى**... لم يصنع جوراً، ولم يكن فى فمه غش... **جعل نفسه ذبيحـة إثم**... ومسرة الرب تنجح على يده... **يبـرر كثيـرين، وهـو يحمل آثامـهم**... أفاض للموت نفسه، وأحصى مـع أثمـة، **وهو حمل خطايا كثيرين، وشفع فى المذنبين)** (إشعياء ٥٣ : ٤- ١٢).

وعلى فم القديس بولس الرسول (**فـدخل قـدس الأقداس مـرة واحـدة**، ولم يدخله بدم التـيـوس والعـجـول، **بل بدمـه هو، فكسب لنـا الخـلاص الأبدى**) (العبـرانيين ٩ : ١٢)، (دانيـال ٩ : ٢٤) **(وأمـا المسـيح، فـقـدّم إلى الأبد، ذبيحـة واحـدة كـفـارة للخطايا)** (العبرانيين١٠ : ١٢)، (٩ : ١٤)، (١٠ : ١٤).

ولما كان المسيح يسوع هو الإله المتأنس، وقد جمع بين كونه إلها وكونه إنساناً، فإن فى دمه الثمين قيمـة لا نـهائيـة، بقيمـة اللاهوت المتحـد بناسوتـه. ففى موت وسفك دمـه علـى الصليب **كفاية غير محدودة لخلاص جميع من يؤمنون به، ويحتمون فيه وينضوون تحت لواء صليبه، فى الماضى والحاضر والمستقبل. إن فيه الخلاص التام بالكفاية والعدل.**

على أنَّ هذا الخلاص مـع غـناه وكماله وكفايتـه لجميع النـاس فـى كـل الأزمنة والعصور، **لا ينالـه إلا الراغبون فيـه، الساعون إليـه**. إنه لا يمنح لهم على الرغم منهم، ولا يُفيد منه غير الذين يطلبونه ويرغبون فيه، ويسألونه مؤمنين (متى ٧ : ١١).

قال المسيح له المجد لتلاميذه (اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا بـالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمـد خلص) (مرقس ١٦ : ١٥، ١٦). فلا يخلص إلا من يعتمد، ولا يعتمد إلا من يؤمن. والإيمان فعل الإرادة، فلا قهر فيه ولا إلزام.

وقد شاء الرب أن يتم **الخلاص من الخطيئة الجدية، في المعمودية** التي رسمها - له المجد - بشخصه المبارك لتكون واسطة الروح القدس لمنح الخلاص للذين يطلبونه. انظر (متى ٣: ١٣-١٥)، (يوحنا ٣: ٢٢)، (٤: ١، ٢).

وإذا كان الحكم قد صار قديما على آدم وذريته بالموت (التكوين ٣: ١٩، ٣)، (٢: ١٧)، فلا مفرّ من الموت، ولكن المسيح يسوع مات بدلاً من المحكوم عليهم بالموت، وعوضاً عنهم، **ففداهم بموته، وصار هو الفادى والمخلّص** (ولكن الله برهن على محبته لنا **بأن المسيح قد مات من أجلنا**) (رومية ٥: ٨)، (**بذل نفسه فى سبيلنا**) (١. يوحنا ٣:١٦)، (رومية ٥: ٦، ١٠)، (١٤: ١٥)، (١. كورنثوس ٨: ١١)، (يوحنا ١٥: ١٣)، (١. بطرس ٣: ١٨)، (٤: ٩، ١٠).

فالمعمودية هى الطريق البديل الذى رسمه المسيح له المجد ليتم به الحكم علينا بالموت. إن الموت يتم فعلاً فى المعمودية بطريقة سرية روحانية غير منظورة، بفعل روح القدس الذى ينحدر على مياه المعمودية.

وعلى ذلك فالمعمودية هى الواسطة التى رسمها الرب فى كنيسته المقدسة **لينال بها المؤمنون باسمه والراغبون فى الخلاص، استحقاقات المسيح الفادى الكفارية.**

فالمؤمنون بالمسيح يموتون مع المسيح فى المعمودية، وفيه يقومون.

أما كيف يموتون ويقومون، فهذا هو عمل **(الروح القدس الذى يأخذ مما للمسيح ويعطيهم)** (يوحنا ١٦: ١٥).

إن **الروح القدس ينزع من المؤمن طبيعته الأولى** التى ينزل بها إلى المعمودية - وهذا هو معنى الموت فى المعمودية - **ويمنحه طبيعة جديدة**، هى طبيعة المسيح، آدم الثانى، وهذا هو معنى القيامة فى المسيح، والحياة الجديدة فى المسيح.

ومن هنا كان اليوم الأفضل والأنسب للتعميد هو يوم الأحد، اليوم الذى قام فيه المسيح من بين الأموات (متى ٢٨: ١)، (مرقس ١٦: ٩)، (لوقا ٢٤: ١)، (يوحنا ٢٠: ١).

جاء فى الكتاب المقدس: **(إنكم دُفنتم معه (مع المسيح) فى المعمودية، وأقمتم معه أيضا... كنتم أمواتا بخطاياكم... فأحياكم الله معه)** (كولوسى ٢: ١٢، ١٣).

(ألا تعلمون أننا حين تعمّدنا لنتحد بيسوع المسيح، إنما **تعمدنا لنموت معه، فدُفنا معه فى المعمودية، وشاركناه فى موته، حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب، كذلك نسلك نحن أيضا فى حياة جديدة؟ فإذا كنا اتحدنا به فى موت يشبه موته، فكذلك نتحد به فى قيامته.**

ونحن نعلم أن الإنسان القديم فينا صُلب مع المسيح حتى يزول سلطان الخطيئة فى جسدنا، فلا نبقى عبيدا للخطيئة، لأن الذى مات تحرر من الخطيئة **فإذا كنا قد متنا مع المسيح، فنحن نؤمن بأننا سنحيا معه)** (رومية ٦: ٣-٨).

فالمعمودية المسيحية إذن موت مع المسيح ودفن معه، فى الماء بدلاً من القبر، وقيامة معه. هى موت حقيقى لطبيعتنا الأولى أو إنساننا القديم، وقيامة حقيقية بطبيعة جديدة. وكل من الموت والقيامة، يتم بطريقة روحانية خفية غير خاضعة لحواسنا الظاهرة، يتم بعمل نعمة الروح القدس التى تنحدر من السماء، باستدعاء الكاهن المعمِّد، وفقا لما رسم المسيح له المجد فى كنيسته المقدسة.

ليست المعمودية إذن ماء على بسيط الحال يغطس فيه المؤمن، أو يُبلل به جسده من الظاهر. إنها ماء يرف عليها الروح القدس (التكوين ١: ٢) الذى يُستدعى بالصلوات فيتقدس الماء به ويتدشّن (١. تيموثيئوس ٤: ٥).

* * *

يقول القديس كيرلس الأورشليمى (٣١٥ – ٣٨٦)م: (الماء يغمر المُعمَدَّ من الخارج، **وأما الروح فإنه يعمِّد النفس داخليا بلا انقطاع)**(١).

ويقول القديس غريغوريوس النيسى (٣٣٥ – ٣٩٤)م: (حينما تدخلون فى الماء، **لاتجدون بعدُ ماءً بسيطا، بل تنتظرون خلاصاً بالروح القدس،** لأنكم تستطيعون بلا مانع أن **تصلوا إلى الكمال.** وهذا الكلام ليس كلامى، بل كلام الرب يسوع نفسه الذى له السلطة التامة فى هذا السر، كما فى كل سر غيره، وهو (إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله)، الذى معناه أن **لاتكون المعمودية بماء فقط،** لأن الذى يتعمَّد بالماء فقط لايستحق نعمة الله ولا ينالها كاملة، كما أن الذى لم ينَل ختم الماء، مهما كان صالحا

---

(١) عظة ٣: ٢.

بأعماله، لايستطيع أن يدخل ملكوت السماوات. هذا الكلام صعب، ولكنه ليس كلامى لأن الرب يسوع هكذا تكلّم) (١).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ - ٤٠٧)م: (لأن الحمامة ظهرت وقتئذ (عند عماد المسيح) لهذه الغاية، أعنى لتكون بمثابة إصبع، تشير للحاضرين وليوحنا المعمدان، عن ابن الله... وليس لتلك الغاية وحدها فقط، بل لكى **تتعلّم أنت أيضا أن الروح القدس يأتى عليك عندما تُعمّد**) (٢).

ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه: (حين نُغطّس الرأس تحت الماء كأنه قبر، **تُدفن وتغطس كل إنسانيتنا القديمة**.. وإذ نخرج بعدئذ، فإنما يطفو **ويخرج إنسان جديد**. وكما أنه يسهل علينا أن نغطس ذواتنا ثُمَّ نطفو، هكذا يسهل على الله **أن يدفن الإنسانية القديمة، ويلبسنا الإنسان الجديد**) (٣).

* * *

أما عن غفران الخطيئة الجدية **بفعل المعمودية**، وبالتالى كل خطيئة أخرى صنعها الإنسان قبل التعميد، فيقول القديس امبروسيوس (٣٤٠ - ٣٩٧)م: (**كل خطيئة تُغفر فى المعمودية**) (٤). ويقول هو نفسه أيضا (إن لم يتعمد الموعوظ باسم الآب والابن والروح القدس، فلا يستطيع أن **ينال غفران الخطايا**، ولامنحة النعمة الروحية) (٥).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠)م: (من يترك هذه الحياة حالاً بعد المعمودية، لم يبق عليه شئ يكفر عنه، **لأن كل شئ غُفر له**) (٦).

ويقول القديس الأنبا ساويرس أسقف الأُشمونين (من آباء القرن العاشر الميلادى).

(فبالمعمودية المقدسة ينعتق الإنسان من سلطان إبليس، ويصير مولودا من غير نُطفة مثل ناسوت المسيح، لأنّ الروح القدس يقدّسه من ميلاد النُطفة، فلا يبقى للشيطان عليه سلطان، مادام روح المسيح فيه) (٧).

---

(١) عظة ٣: ٢.   (٢) فى تفسيره للإنجيل للقديس متى، مقالة ١٢: ٢ (٣).

(٣) الميمر ٢٥ على الإنجيل للقديس يوحنا، الرقم ٢.   (٤) فى الأسرار ٣: ١٧.

(٥) فى الأسرار، فصل ٤.   (٦) عظة فى قانون الرسل، فصل ١٠.

(٧) كتاب (الدر الثمين فى إيضاح الدين)، طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥، المقالة الثالثة صفحة ١٢١.

ثانيا : فى المعمودية المسيحية
غسل ومحو للخطايا وتطهير بالروح القدس
من جميع الأدناس والنجاسات

إن **من أفاعيل المعمودية غفران جميع خطايا المعتمِد، الأصلية الجدية، ثم الخطايا الفعلية** التى صنعها الإنسان بنفسه قبل التعميد. هذه وتلك جميعها تغفر بالمعمودية، وتغسل فى مياه المعمودية، بحيث يخرج المؤمن من جرن المعمودية معتقاً من جميع خطاياه السابقة على زمن التعميد، ومعفياً من القصاص الأبدى(١) الذى كانت تستوجبه خطاياه فى الحياة الأخرى لو أنه لم ينل العماد (**فلا إدانة بعد الآن على الذين هم فى المسيح يسوع،** السالكين سبيل الروح لاسبيل الجسد) (رومية ٨ : ١).

يقول الوحى الإلهى على فم القديس بطرس الرسول: (توبوا وليتعمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح، **فتغفر خطاياكم**) (أعمال الرسل ٢ : ٣٨)، ويقول القديس يوحنا المعمدان يصف معمودية المسيح له المجد (أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، أما الذى يأتى بعدى، فهو أقوى منى وأنا لست مستحقاً أن أحمل حذاءه. **إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار**) (متى ٣ : ١١)، (لوقا ٣ : ١٦)، (مرقس ١ : ٨)، (يوحنا ١ : ٢٣)، (أعمال الرسل ١ : ٥).

وهذا معناه أن **المعمودية تُطهر المؤمن المعمد من خطاياه وتحرقها بنار إلهية**، فيخرج المؤمن المعتمد من جرن المعمودية **نقياً وطاهراً ومصفى بالنار**. وليس هناك تعبير آخر أكثر دلالة على فاعلية المعمودية المسيحية فى تطهير المؤمن المعتمد من خطاياه السالفة، لأن النار تأكل وتحرق وتطهر.

---

(١) على أنه **لايُعفى المعتمد من القصاص المترتب على الخطيئة فى الحياة الدنيا**. فما زال المرض والموت ببشاعته، والأتعاب والأوجاع (التكوين ٣ : ١٩) والشهوة والتجارب والآلام وما إليها من نتائج الخطيئة الأصلية، وأتعاب المرأة فى الحمل والوضع وولادة الأولاد.... هذه الأتعاب والآلام مازالت من نصيب الإنسان فى الحياة الحاضرة، ولايتخلص منها بالمعمودية. ولعل فى هذا القصاص الزمنى للإنسان تذكيراً له بالخطيئة التى جلبت عليه المتاعب والآلام، وتنبيهاً له وتحذيراً من عملها حتى يبتعد عنها، وحتى لايجلب على نفسه من جديد نتائج خطيئة آدم الأولى بخطاياه الفعليّة. ثم إن فى القصاص الزمنى للإنسان محكاً للفضيلة فيه، وامتحانا لصموده وصبره، فإذا احتمل وثبت أمام الإغراءات، ولم يفشل بسبب ما يلاقيه فى الدنيا من أتعاب وأحزان، نجح وصار خليقاً بفردوس النعيم وملكوت السماوات، (لأن ضيقنا الحالى الخفيف ينشئ لنا ثقل مجد أبديا لا حد له) (٢. كورنثوس ٤ : ١٧) و (إن آلام الزمان الحاضر لاتقاس بالمجد الذى سيتجلى فينا) (رومية ٨ : ١٨). انظر أيضا (متى ٥ : ١٢)، (١. بطرس ١ : ٦)، (٥ : ١٠).

وفى موضع آخر يقارن الوحى الإلهى بين فلك نوح الذى خلص فيه ثمان أنفس بالماء، وبين المعمودية التى يتم فيها خلاص نفس المؤمن من أدناس خطاياه، بما يشهد بأن ما تم فى العهد القديم بفلك نوح كان رمزا لما يتم فى المعمودية المسيحية فى العهد الجديد. يقول الوحى الإلهى على فم القديس بطرس: (كانت أناة الله تنتظر مرة، وذلك أيام بنى نوح الفلك فنجا فيه بالماء عدد قليل، أى ثمانية أشخاص. **وكان هذا رمزاً للمعمودية التى تخلّصكم الآن أنتم أيضا، لا بإزالة وسخ الجسد، بل بعهد صادق النّية مع الله بقيامة يسوع المسيح**) (١. بطرس ٣: ٢٠، ٢١).

ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى نفس المعنى: (أيها الرجال، أحبّوا نساءكم مثلما أحب المسيح الكنيسة وضحى بنفسه من أجلها، **ليقدّسها ويطهّرها بماء الاغتسال وبالكلمة**) (أفسس ٥: ٢٥، ٢٦)، أى أن **التطهير من الخطايا السالفة يتم بالاغتسال بالماء** الذى يكتسب القدرة على التطهير عندما **يحل عليه روح القدس** بتلاوة الكلمة الإلهية والصلوات (لأن كلام الله والصلاة **يُقدّسانه**) (١. تيموثيئوس ٤: ٥). وهذا كله يتم فى المعمودية المسيحية.

وجاء فى سفر أعمال الرسل أن حنانيا الرسول أحد السبعين ذهب بتكليف من الرب يسوع إلى شاول الذى هو بولس بعد أن تراءى له الرب يسوع المسيح وهو فى طريقه إلى دمشق وقال له: (والآن، ماذا انتويتَ أن تعمل؟ **قم تعمد واغسل خطاياك**، داعيا باسم الرب) (أعمال الرسل ٢٢: ١٦). **ففى المعمودية غسل للخطايا السالفة، وتطهير منها** (أعمال ٩: ١٨).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل كورنثوس من المؤمنين المعمدين، قوله (ولقد كان بعضكم على هذه الحال (فاعلى شر)، ولكنكم **اغتسلتم**، بل تقدّستم، بل تبررتم باسم ربنا يسوع المسيح وبروح إلهنا) (١. كورنثوس ٦: ١١)، (١. كورنثوس ١: ٣٠).

وجاء أيضا فى رسالة القديس بولس إلى العبرانيين (فلَندنُ بقلب صادق وإيمان كامل، وقلوبنا مُطَهَّرةُ من سوء النِية **وأجسادنا مغسولة بماء طاهر**) (العبرانيين ١٠: ٢٢). **والماء المطهر هو ماء المعمودية.**

وجاء كذلك فى رسالة القديس بولس الرسول إلى الأسقف تيطس عن المسيح له المجد، أنه (لااعتباراً لأعمال بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته **خلَّصنا بغُسلِ الميلاد الثانى، لحياة جديدة بالروح القدس)** (تيطس ٣: ٥) مبيِّنا بهذا أنه **بهذا الغُسل، وهو غُسل المعمودية، تم لنا الخلاص من خطايانا والتطهير من آثامنا**، كما تحقق لنا الميلاد الثانى لحياة جديدةٍ وذلك بفعل الروح القدس الذى انحدر من السماء على مياه المعمودية فحولها إلى **ماء نارى يُطهر ويغسل المعتمدين من خطاياهم وينقيهم من دنس آثامهم السالفة**، فيولدون بالروح القدس ميلاداً ثانياً، ويتجددون فيصيرون به أطهاراً فى حياة جديدة (٢. تيموثيئوس ١: ٩).

* * *

يقول القديس الفيلسوف **يوستينوس** الشهيد (١١٠ – ١٦٥)م: (يجب أن نُفتِّش ونعرف من أى طريق يمكننا أن ننال صفح الخطايا ونمتلك رجاء ميراث الخيرات الموعود بها. ولنا فى ذلك **طريق واحدة** وهى: **أن نعرف يسوع، ونغتسل بالمعموديّة لغفران الخطايا**. وهكذا نبتدئ أن نعيش بالقداسة) (١).

ويقول القديس **يوستينوس** أيضاً: (**إننا نحصل بالماء على مغفرة الخطايا السالفة**) (٢).

ويقول العلامة الفيلسوف **أكليمنضس الأسكندرى** (١٥٠ – ٢١٥/٢١٦)م: (ويدعى فعل المعمودية بأسماء كثيرة، أعنى: نعمة، واستنارة، **وكمالاً وحميما، فهو حميم** *λουτρόν* (LOYTRON) لأننا **به نغسل خطايانا**، ونعمة إذ **به نترك عقوبات خطايانا**) (٣).

ويقول القديس برنابا (نحو سنة ١٠٠)م: **تتمم المعمودية لغفران الخطايا**، فننزل فى الماء ممتلئين من الخطايا والرجاسات، ونخرج منها مثقلين بالثمار وفى قلوبنا الخشية ومالكين الرجاء بيسوع المسيح فى روحنا) (٤).

ويقول القديس **غريغوريوس الثيئولوغوس** المعروف **بالنازيانزى** (نحو ٣٢٩ – ٣٩٠)م: (**إن نعمة المعمودية تنقى الإنسان من كل خطيئة، وتغسله غسلاً كاملاً من الأوساخ والأقذار اللاحقة به من الرذيلة**... وهى من حيث أنها نجدة للولادة الأولى **تجعلنا جدداً من عتق**، وإلهيين بدلاً مما نحن عليه) (٥).

---

(١) فى خطاب يوستينوس إلى تريفون، فصل ٤٤.
(٢) كتاب الدفاع ليوستينوس، كتاب ١، فصل ٦١.
(٣) كتاب (المربى) لإكليمنضس الأسكندرى كتاب ١، فصل ٦: ٢٦.
(٤) رسالة القديس برنابا، فصل ١١.
(٥) خطبة له فى المعمودية المقدسة ف ٧، ٨.

ويقول القديس **يوحنا ذهبى الفم**(٣٤٧ - ٤٠٧م): **(إن معمودية النعمة تُطهر كل إنسان سواء كان فاسداً أو زانيا، عابداً للأصنام أو غير ذلك، لأنه مهما كان غارقا فى الخطيئة، فحالما يدخل مياه المعمودّية يخرج من هذه المياه الإلهية أنقى من أشعة الشمس عينها، وليس نقياً فقط، بل قديساً، بل باراً أيضا،** لأن الرسول (بولس) لم يقل (واغتسلتم) فقط، بل قال (**بل تقدّستم، بل تبررتم** باسم ربنا يسوع المسيح وبروح إلهنا) (١) ثم إنه **فضلاً عن نيلنا بالمعمودية صفح الخطايا والتنقية من الآثام والمظالم،** فإننا نولد بعد المعمودية ولادة ثانية ونُخلق ونصور بها) (٢).

ويقول القديس **أوغسطينوس** (٣٥٤ – ٤٣٠م): **(إن المعمودية تمحو جميع الخطايا: الخطيئة الأصلية، والخطايا الفعلية، خطايا الفكر والقول والعمل، الخطايا التى يتذكرها الإنسان. والخطايا المنسية.** فالذى صنع الإنسان يجدد الإنسان. **من ترك هذه الحياة حالاً بعد المعمودية لم يبق عليه شئ ليكفر عنه، فكل شئ غفر له)** (٣).

ويقول القديس **أوغسطينوس أيضا: (إننا بميلادنا من الماء والروح القدس نتطهر من كل خطيئة، سواء كانت من آدم الذى به خطئ الجميع أو بفعلنا وقولنا، لأننا نُغسل منها بالمعمودية)** (٤).

---

(١) ١. كورنثوس ٦: ١١.

(٢) العظة الثالثة.

(٣) عظة فى قانون الرسل، فصل ١٠.

(٤) رسالة ١٧٨: ٢٨.

ثالثا: فى المعمودية المسيحية صِبغة باطنية

وهذا يتضح من لفظها اليونانى βάπτισμα (BAPTISMA) المشتق كصيغة مبالغة من الفعل βάπτω (BAPTO) بمعنى (صبغ ـ (يَصبَغُ ـ يصبِغُ ـ يَصبُغُ) صبغاً. ومنها أيضا اشتق الفعل βαπτίζω (BAPTIZO) بمعنى (غطَّس، غرّقَ، أغرقَ، غسَلَ) ذلك أن صبغَ الثوب يصير بتغطيسه فى السيّال المراد الاصطباغ به وإغراقه فيه جيداً وكبسه حتى يكتسب اللون المطلوب. ولن يتم صبغ الثوب جيداً ما لم يتشبع تماماً بالسيال وينفذ السيّال نفاذا تاماً إلى نسيجه.

وفى اللغة اللاتينية BAPTISMA بنفس المعنى. وفى اللغة الإنجليزية BAPTISM، وفى الفرنسية BAPTÉME وفى الإيطالية BATTESIMO.

أما فى اللغة القبطية، فتستخدم عادة الكلمة القبطية المصرية (ⲱⲙⲥ) (OMS) وهى أيضا كالكلمة اليونانية بمعنى واحد: الصِبْغة ـ التغطيس ـ الغَسل ـ الحميم.

أما فى اللغة العربية فقد اصطلح على تسمية هذا السرّ بـ (المعمودية) أو بـ (العماد) أو بـ (الاعتماد) وهو (الغسل بالماء). واللفظة سريانية الأصل أو مولدة مأخوذة من (العَمَد) أى البلل (١).

والمعمودية صِبغَةُ، لا بالنظر إلى طريقة ممارستها فقط، بل نظراً بالأحرى إلى فعلها وعملها السرِّى الذى يجرى ويسرى فى طبيعة الإنسان المؤمن الذى يقبل المعمودية. وكما أن الصبغة تُلوِّن الثوب وتُغيِّره من صورة إلى أخرى، كذلك تصنع المعمودية فى قابلها، إنها تُلوِّن من يقبلها بلون باطنى جديد، وتُغيِّر من طبيعته.

---

(١) على أنه يمكن أن يُقال إنّ (العماد) كلمة من أصل عربى، (فعمادُ) الشئ سنده الذى يُرفَعُ به ويقوم عليه، ومنه أيضا (العمود) و(العمْدة) و(العميد) وما إلى ذلك من مشتقات. ولما كان سر الصبغة المقدسة هو الباب الذى يدخل منه المؤمن بالمسيح إلى مملكة المسيح ويصبح به من المنضوين تحت لوائه. لذلك فإن (العماد) كلمة مشتقة من (عمد ـ يعمد ـ عمدا)، وذلك لبيان أهمية المعمودية للخلاص، وأنها باب النصرانية وعمودها الذى يستند إليه بنيانها، وبدونها لايكون دخول إلى مملكة المسيح.

وفى اللغة العبرانية أيضا עָמַד (AMAD) (عَمَد) بمعنى (وقَفَ) أو (أقامَ). فالمعمودية يقوم عليها كيان النصرانية.

يقال فى كتب اللغة العربية (صبغونى فى عينيك) أى غيّرونى عندك بإساءة قولهم فىّ(١).

وكما يختفى فى الصبغة، اللون الأول، ويظهر الثوب فى لون جديد، هكذا فى المعمودية يختفى الإنسان العتيق المولود بالطبيعة من الأبوين بالولادة الأولى، ويتخذ طبيعة جديدة ولوناً جديداً.

لذلك تأمر الكنيسة بأن يلبس المُعَمَّد، بعد خروجه من جُرن المعمودية ثوباً جديداً أبيض، تحريكا للمشاعر وتنبيهاً إلى الطبيعة الجديدة والصبغة الجديدة النقية التى صار يصطبغ بها المعمَّدون. أمّا ثيابهم الأولى فقد نزعوها عند جرن المعمودية، وغسلوها (وبيضوها فى دم الحمل) (سفر الرؤيا ٧: ١٤)، (٢٢ : ١٤) إنهم (اكتسوا برداء البرّ ولبسوا ثياب الخلاص) (إشعياء ٦١ : ١٠) الذى اشتهاه القدماء، حتى صرخ واحد بلسانهم (إغسلنى، فأبيض أكثر من الثلج) (مزمور ٥٠: ٧)، (إشعياء ١ :١٨)، بل هو أيضا ثوب المخلصين المطهرين فى السماء، كما وعد الرب قائلاً: (وسيمشون معى فى ثياب بيضاء لأنهم مستحِقون)، (سفر الرؤيا ٣: ٤)، (٣: ٥، ١٨)، (٧: ٩، ١٣)، (١٩: ٨)، (دانيال ١٢: ١٠).

---

(١) انظر (أساس البلاغة) للزمخشرى، تحت كلمة (صَبَغَ) - و(المنجد فى اللغة والأدب والعلوم) تحت نفس الكلمة (صبغ).

رابعا : فى المعمودية المسيحية

عمليةختان روحّية، بفاعلية الروح القدس

إنَّ **فى المعمودية المسيحية عملية ختان روحية لا جسدية**. وإذا كان الختان فى مفهومه اللفظى والمادى والجسدى هو (قطع قُلفَة الصبى)، فإنّ المعمودية ختان لا للجسم كما كان الحال فى العهد القديم (التكوين ١٧: ١٠ – ١٤)، عهد الرموز والظلال (كولوسى ٢ : ١٧)، (العبرانيين ٨: ٥)، (١٠ : ١)، وإنما **المعمودية** فى العهد الجديد **هى ختان للقلب بالروح** (رومية ٢ : ٢٩)، (٧ : ٦)، (٢ . كورنثوس ٣ : ٦)، (فيلبى ٣ : ٣) (١).

فى المعمودية المسيحية **يتم خلع ونزع وقطع** لا لجزء من الجسم كما كان ختان العهد القديم، **بل هو نزع وخلع وقطع للطبيعة القديمة التى يُولد بها الإنسان ملوَّثة بوصمة الخطيئة الأصلية** (مزمور ٥٠: ٥).

يقول الوحى الإلهى:

(وفيه (فى المسيح) خُتنتم ختانا، لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى. إنّه ختان المسيح، ذلك أنكم دُفنتم معه فى المعمودية وأقمتم معه أيضا، لأنكم آمنتم بقدرة الله الذى أقامه من بين الأموات **كنتم أمواتاً بخطاياكم وبكونكم غير مختونين فى أجسادكم فأحياكم** الله معه (= مع المسيح) وصفح لنا عن جميع خطايانا، ومحا الصك الذى علينا، **وكان ضداً لنا، وأزاله مُسمَراً إياه على الصليب) (كولوسى ٢ : ١١–١٤)**.

كما يقول فى موضع آخر مؤكداً على عملية الخلع التى تتم بفاعلية الروح القدس فى سر المعمودية (لأنكم **خلعتم الإنسان القديم، وخلعتم معه كل أعماله**، ولبستم الإنسان الجديد، ذاك الذى يتجّدد فى المعرفة على صورة خالقه) (كولوسى ٣ : ٩، ١٠). انظر أيضا (رومية ٦ : ٦)، (أفسس ٤ : ٢٢–٢٤).

وبعبارة أخرى إننا بالمعمودية **ننزع ونقطع من الزيتونة البرية**، ونُطَعَّم فى الزيتونة الجيدة (رومية ١١ : ٢٤).

---

(١) قارن (سفر التثنية ١٠: ١٦)، (٣٠ : ٦)، (إرميا ٤ : ٤)، (٩ : ٢٥، ٢٦).

هذا الخلع للطبيعة القديمة، والاكتساء بالطبيعة الجديدة، أو ببر المسيح (رومية ٥ : ١٨)، (٣: ٢٥، ٢٦)، (١٠ : ٤)، (غلاطية ٥ : ٥)، (فيلبى ٣ : ٩) **يتم بفعل الروح القدس فى المعمودية بطريقة سرية غير منظورة**، ولذلك **فقد أمرت الكنيسة أن يَخلع المؤمن عند جرن المعمودية كل ملابسه**، وبعد أن يغطس فى المعمودية ويخرج منها بعد تعميده، **يلبس ملابس جديدة بيضاء، لتكون رمزاً ظاهريا للاكتساء الباطنى الذى اكتسى به المعمد ببر المسيح**، وللطبيعة الجديدة التى لبسها بالمسيح، حتى يمكنه أن يهتف بهتاف الفرح الذى أشار إليه الوحى الإلهى بروح النبوءة على فم النبى إشعياء (فرحا أفرح فى الرب، وتبتهج نفسى بإلهى، لأنه قد **ألبسنى ثياب الخلاص، وكسانى رداء البر**) (إشعياء ٦١ : ١٠). ويتم للمسيحى المعمد قول الرب للنفس الإنسانية (**كنت عريانة ومتجردة.... فبسطت ذيل ثوبى عليك وسترت عورتك**... ودخلت معك فى عهد، يقول السيد الرب، فصرت لى. **فحممتك بالماء، وغسلت عنك دماءك، ثم مسحتُك بالدهن وألبستُك مطرزة، ونَعَلْتُك بجلد سمنجونى، وحزمتك بالبز، وكسوتك بالحرير، وحليتك بالحلى**، وجعلت أسورة فى يديك، وطوقاً فى عنقك... وإكليل فخر على رأسك... **وكان ملبوسك البزّ والحرير والمطرز**... وتناهيت فى الجمال حتى صلحت للملك. **فذاع اسمك فى الأمم لجمالك، لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك**، يقول السّيد الرب) (حزقيال ١٦ : ٧ – ١٤).

هذه الطبيعة الجديدة هى (**الحلَّة الأولى**) (لوقا ١٥ : ٢٢) التى تلبسها النفس الباطنة بالمعمودية، وتكتسى بها لأنها بر المسيح، فلا يظهر خزى عريها) (الرؤيا ٣ : ١٨)، بعد أن عادت إلى أحضان الآب السماوى (لوقا ١٥ : ٢٠)، ورد إليها بنوتها (لوقا ١٥ : ٢٢، ٢٤) التى كانت قد فقدتها بالخطيئة الأصلية.

كذلك المعمودية هى (**ثوب العُرس**) (متى ٢٢ : ١١، ١٢) التى بها يستحق الإنسان المؤمن أن يحضر عرس ابن الملك (متى ٢٢ : ٢، ١٢)، وأن (يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣ : ٥).

إن من ليس له (**ثوب العرس**) (يطرد من حضرة الملك، ويُحرم من مشاهدة (عرس ابن الملك) (متى ٢٢ : ١٣). وليس (ثوب العرس) إلا (**الحلُة الأولى**) بعينها. لأن الحلة الأولى) تسمى (الأولى **من حيث أولويتها لا من حيث أوليتها فقط**، أى من حيث مكانتها ومقامها وجمالها وقيمتها، لا من حيث أن هناك حلة أخرى غيرها.

فالمعمودية المسيحية (**معمودية واحدة**) (أفسس ٤ : ٥) لاتتكرر. فإذا اتسخت الحلة الأولى بالخطايا الفعلية، فليس لنا حلة غيرها، وإنما منح لنا أن **نغسلها بدموع (التوبة)**، فيعود إليها بياضها (مزمور ٥٠ : ٧)، (إشعياء ١ : ١٨) ناصعاً كما كان. ولذلك قال الآباء إن **المعمودية (توبة ثانية)** لأنها ترد إلينا الحالة الأولى التى كسبناها بالمعمودية.

* * *

يقول القديس **افرآم السرياني** الملقب بكنارة الروح القدس، وهو من آباء القرن الرابع (٣٠٦ - ٣٧٣م):

(إنّ الرب وصى تلاميذه أن **ينقوا بمياه المعمودية خطايا الطبيعة** البشرية، مرة واحدة) (١).

ويقول العلامة **يوحنا الدمشقى**، (نحو ٦٧٥ - ٧٤٩م): (إن الرب أمرنا أن نُعيد ولادتنا بالماء والروح، إذ يحل الروح القدس على الماء بعد التضرع والدعاء... أما الروح فليجدد الصورة التى فينا، والمثال الذى عليه خلقنا. **وأما الماء فلينقى الجسد من الخطيئة بنعمة الروح القدس، وينقذه من الهلاك**) (٢).

---

(١) كتاب الإيمان ٤ : ٩ (صفحة ٢٢٦).

(٢) كتاب الإيمان ٤ : ٩.

خامسا: المعمودية المسيحية ختم لاينفك وسمة(١) لاتمحى

المعمودية تطبع النفس باطنيا وروحيا بسمة لاتُمحىَ، ومن ثم فتسمى أيضا وَسْماً للنفس أبديا.

يقول الوحى الإلهى عن إبراهيم الخليل (وقبل سمة الختان خاتماً للبر الذى حصل عليه بالإيمان) (رومية ٤: ١١) (٢).

فإذا كان الختان فى العهد القديم سمَة σημεῖον وخاتماً σφραγίς للبر لأنه يترك فى الجسد علامةً وأثراً، فالمعمودية سمة وخاتم وختم ثابت للروح تعرف به فى عالم الروح، علامة تمّيزها وتتميز بها إلى الأبد.

ولما كان **الختان فى العهد القديم يرمز إلى المعمودية فى العهد الجديد** (وفيه (= فى المسيح) **خُتِنتم ختانا لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى. إنه ختان المسيح**، ذلك أنكم دفِنتم معه فى المعمودية...) (كولوسى ٢: ١١، ١٢)....

فإن الختان، هو سمة فى الجسد، وختم يترك أثراً فانيا، **أما المعمودية فإنها سمة أبدية، وختم ثابت قائم لاينفك ولن يمحى.**

ليست المعمودية إذن مجرد رسوم وعلامات ظاهرية للمواعد أو الوعود الإلهية لإنهاض الإيمان كما ذهب مارتين لوثير M. LUTHER (١٤٨٣ – ١٥٤٦م) مؤسس المذهب البروتستانتى، وليست مجرد إشارات ورموز للنعمة والحياة الروحية كما قال كلفين J. CAL-VIN (١٥٠٩ – ١٥٦٤م). وليست المعمودية مجرد طقوس خارجية للحياة الروحية.

إن المعمودية سر عظيم ذو فاعلية روحية حقيقية لا اسمية فى النفس الباطنية، وهى تطبع فى النفس أثرا روحيا سريا باطنيا - يبقى ويظل مطبوعا فى أعماقها، فى الحياتين الحاضرة والآخرة.

ومعنى أن المعمودية سمة لاتمحى وختم لاينفك ولايمحى ولا يزول، أنها تظل مع الإنسان الذى قبلها وتبقى فيه دائما منذ أن تختم بها نفسه وروحه إلى مالا نهاية. فإذا دخلت النفس إلى فردوس النعيم وإلى ملكوت السماوات، لازمتها سمة المعمودية هناك، وبها يتميز المعمد كابن لله

---

(١) فى اللغة: وسم يسِم وَسماً وسمة، ووسمَة أى كواه وأثر فيه بِسِمةٍ، أى جعل له علامة يعرف بها. فالسمة هى العلامة أو أثر الكى - العلامة التى تترك أثراً.

(٢) انظر أيضا (٢ - تيموثيئوس ٢: ١٩).

قد ولد منه بالنعمة، لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان) (يوحنا ١ : ١٣) وبها يعرف أمام ملائكة السماء وجمهور القديسين، ويصير وارثا لملكوت الله، لأنها علامة الملك الذى ينضوى المؤمنون المخلصون تحت لوائه.

فإذا أقصى المعمد من حضرة الله الديان، وأُبعد إلى جهنم النار الأبدية تبقى معه سمة المعمودية لخزيه وتخجيله، علامة على خيانته العظمى لسيده الذى فتح له بابه ليقبله بالإيمان. وهى خيانة أعظم من خيانة الغريب وأفدح شراً (٢ . صموئيل ١٦ : ١١).

* * *

يقول الفيلسوف العلامة **أكليمنضس الأسكندرى** (نحو ١٥٠ ـ ٢١٥/٢١٦م): (إن المعمودية خَتْم مبارك) (*μακαρία σφραγίς*) (١).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ – نحو ٣٨٦م) (عظيمة هى المعمودية، المعدة فداءً عن المأسورين و............ **وختماً مقدساً لاينفك**) (٢) (*σφραγίς ἁγία ἀκατάλυτος*) (٣).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** أيضا (إن الروح القدس فى المعمودية **يسم النفس ويمنحها ختماً** ترتجف منه الشياطين خوفاً، **ختماً سماويا وإلهيا**).

ويقول القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ ـ ٣٧٩م): (المعمودية فدية المأسورين.. **وختم لاينفك**) (٤).

كذلك القديس **امبروسيوس** (AMBROSIUS) (٣٣٩ – ٣٩٧م)، يدعو المعمودية (**ختماً روحيا**) (٥).

---

(1) KAYE'S WRITINGS OF CLEMENT OF ALEXANDRIA, London, 1835, P. 439.

(٢) لاينفك، أو لاينحل، أو لاينكسر أو لايفض، أو لايزول. والكلمة اليونانية *ἀκατάλυτος* استخدمت فى (العبرانيين ٧ : ١٦) بمعنى حياة (لاتزول ـ أو ليس لها زوال).

(٣) تعليم ابتدائى للموعوظين. (PROCATECHESIS) فصل ١٦

ST. CYRIL OF JERUSALEM'S LECTURES ON THE CHRISTIAN SACRAMENTS, edited by F.L. CROSS, London, 1951, P. 10.

PATROLOGY, by J. QUASTEN, 1960 P. 374.

(٤) مقالة ١٣.

(٥) كتاب فى الروح القدس، رأس ٦ : ٧٨.

ويقول القديس **ديديموس الضرير** (٣١١ – ٣٩٦م) رئيس مدرسة الأسكندرية اللاهوتية: (عندما نغطس فى جرن المعمودية، فبفضل صلاح الله الآب وبنعمة روحه القدوس، نتعرى من خطايانا إذ نتخلص من الإنسان العتيق، ونتجدد، **ونختم** بقوته (بقوة الله) لملكيته الخاصة. ولكن عندما نخرج من جرن المعمودية نلبس المسيح مخلصنا كثوب لا يبلى، مستحقا لكرامة الروح القدس عينها، الروح القدس الذى جددنا، ودمغنا بختمه) (١).

ويقول القديس **ديديموس** أيضا: (لا أحد يمكنه أن يحصل على المواهب السماوية ما لم يتجدد بروح الله القدوس، **ويختم بختم قداسته، ولو كان كاملاً** فى حياة بلا عيب فى كل شئ آخر) (٢).

ويقول القديس **ايرونيموس** (JEROME - HIERONYMUS) (٣٤٢ – ٤٢٠م): **(إن المعمودية هى ختم الله**. وكما خلق الإنسان الأول على صورة الله ومثاله، هكذا الذى يتبع الروح القدس يختم منه، ويأخذ صورة الخالق)(٣).

ويقول القديس أوغسطينوس AUGUSTIN (٣٥٤ – ٤٣٠م): (تمسك بما نلته، فإنه لايتغير، **فهو وسم ملكى**) (٤).

ويقول القديس **أوغسطينوس** أيضا: (إن المعمد فى الكنيسة إذا ترك الكنيسة يحرم قداسة الحياة، ولكنه لايحرم **وسم السر**) (٥).

ويقول القديس **أوغسطينوس** كذلك: **(فالسمة السيدية لاتمحى البتة** عن الذين نتقبلهم، ولا نعمدهم ثانية) (٦).

وهكذا عبر كثير من آباء الكنيسة الأولى فى كتاباتهم (٧).

---

(١) فى الثالوث ٢: ١٢.
(٢) فى الثالوث ٢: ١٢.
(٣) على رسالة أفسس ١: ١٣.
(٤) مقالة فى يوحنا عدد ١٦.
(٥) عظة ٨.
(٦) رسال ١٨٥ إلى بونيفاتيوس (BONIFATIUS): فصل ٢٣.
(٧) انظر كتاب (الرّاعى) لهرماس (HERMAS): ٣: ٩: ١٦ وكتاب (من هو الغنى الذى يَخْلُص) أكليمنضس الأسكندرى: ٤٢ ومقالة ٣: ٧ للقديس يوحنا ذهبى الفم، على رسالة بولس الرسول الثانية إلى كنيسة كورنثوس.

سادسا: فى المعمودية المقدسة يولد المؤمن من جديد ولادة من فوق

من أفاعيل المعمودية المسيحية أنه فيها وبها يولد المؤمن ولادة ثانية، غير ولادته الأولى من أبيه وأمه، يولد ولادة روحانية حقيقية جديدة، ولادة من فوق، من السماء، من الله، فيصير بها ابنا لله بالتبنى، وذلك بفعل الروح القدس الذى ينحدر بنعمته على مياه المعمودية فيكسبها هذه الفاعلية الوالدية، حتى إن المعمودية تصير للمؤمن أما ثانية، بالإضافة إلى أمه الطبيعية التى ولدته بالجسد. **ثم إنه لهذه الصفة يصير الكاهن المعمد أبا روحيا(١) للمولود بالروح من الله بالإضافة إلى الأب الطبيعى الذى ولده بالجسد، يحق للمعمد بواسطته أن يدعوه (أبى).**

يقول السيد المسيح له المجد فى حديثه إلى نيقوديموس معلم الناموس (الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله. فقال له نيقوديموس: كيف يمكن أن يولد إنسان وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل مرة أخرى فى بطن أمه ثم يولد؟ أجاب يسوع: الحق الحق أقول لك إن الإنسان **مالم يولد من الماء والروح** لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله. فالمولود من الجسد هو جسد، والمولود من الروح هو روح. لاتعجب إذا قلت لك إنكم **ينبغى أن تولدوا ثانية من فوق**) (يوحنا ٣: ٣ - ٧).

ومن تصريح الرب يسوع المسيح يتضح أن الميلاد الذى من فوق، هو الميلاد الثانى، وهو الميلاد الذى من الماء والروح. والماء هو ماء المعمودية، والروح هو الروح القدس الذى ينحدر بنعمته على مياه المعمودية.

وهذا هو الميلاد الذى تحدث عنه الإنجيل بقوله: (وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم السلطان لأن يكونوا **أبناء الله**، أولئك هم المؤمنون باسمه. الذين ولدوا لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما **من الله ولدوا**) (يوحنا ١: ١٢، ١٣).

وفى هذا النص الإلهى يشرح الإنجيل حقيقة هذه البنوة التى ينعم بها على من يقبلون المسيح بالإيمان، وأنها بنوة بالإنعام لا بالطبع، وهذا هو التبنى - وهى تفترق عن البنوة الطبيعية للأب والأم بالجسد - هذه تتم بمشيئة الجسد بالزواج بين الرجل والمرأة، وبالتالى فهى مشيئة

---

(١) (غلاطية ٤: ١٩)، (١. تيموثيئوس ١: ٢)، (٢. تيموثيئوس ١: ٢)، (٢: ١)، (تيطس ١: ٤)، (فليمون: ١٠)، (١. بطرس ٥: ١٣)، (١. يوحنا ٢: ١، ١٢، ٢٨)، (٣: ٧، ١٨)، (٤: ٤)، (٥: ٢١)، (٣. يوحنا : ٤)، (يوحنا ١٣: ٣٣).

إنسان هو الرجل والمرأة. أما تلك البنوة الروحية التى يحصل عليها الذين قبلوا المسيح بالإيمان فهى بنوة حقيقية لكنها روحية، يصير بها المؤمن ابنا لله بالتبنى، ويكتسب بها هذا الحق، وهذا السلطان، حق البنوة لله، وسلطان البنوة لله، فتصير بنوته لله حقاً مكتسبا له، ويصير بها صاحب حق وسلطان فى أن يرث ملكوت الله، وامتيازات العهد الجديد الذى أنعم بها المسيح على المؤمنين به.

ويقول الوحى الإلهى مؤكدا على نفس الحقيقة، على فم القديس بولس الرسول شارحاً للخلاص الذى يناله المؤمنون بالمسيح فى المعمودية المقدسة وأنه بالإنعام والفضل لا بالاستحقاق: (لا اعتباراً لأعمال بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته **خلصنا بغسل**(١) **الميلاد الثانى** لحياة جديدة بالروح القدس) (تيطس ٣: ٥).

ويقول الوحى الإلهى على لسان القديس بطرس الرسول: (فأنتم وُلدتم ولادةً ثانيةً، لا من زرع فاسد، بل من زرع غير فاسد، وهو كلمة الله الحىّ الباقى) (١بطرس ١: ٢٣). وهنا أيضا الإشارة واضحة إلى حقيقة **الميلاد الثانى** التى يحصل عليها المؤمنون فى المعمودية المقدسة بالروح القدس الذى ينحدر على المياه بالصلوات وتلاوة الكلمة المقدسة. **هذا الميلاد الثانى من الماء والروح القدس** هو متميز عن الميلاد الأول من الأب والأم، فإن هذا الأخير هو ثمرة التزاوج بين الرجل والمرأة: الرجل زارع، والمرأة هى الحقل الذى يقبل الزرع ويحمله ليثمر جنيناً، ومع ذلك فهو بالقياس إلى فعل الروح القدس فى مياه المعمودية زرع فاسد، وقابل للفساد، أما الزرع الذى يزرعه الروح القدس فى المؤمنين، بحلول الروح القدس على مياه المعمودية فليس بفاسد، ولا يقبل الفساد، لأنه به يرث المؤمن ملكوت الله، فيحيا مع المسيح إلى الأبد.

وإذن فالميلاد الثانى بالمعمودية ليس فقط يتميز عن الميلاد الأول من الأب والأم ولكنه يعظم عنه شرفاً ومجداً، لأن الميلاد الأول مآله إلى فساد وفناء وزوال بالموت. **أما الميلاد الثانى فيهب حياة أبدية لاتزول.**

ويقول أيضا الوحى الإلهى على فم القديس بطرس الرسول (تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذى شملنا بوافر رحمته، **فولدنا** بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات، **ولادة ثانية** لرجاء حى ولميراث لايفسد ولا يتدنس ولايضمحل، محفوظ لكم فى السماوات) (١. بطرس ١: ٣، ٤) مبينا الروح القدس بهذا النص المقدس أننا باستحقاقات المسيح خلصنا

(١) الغسل: الاسم من غسل (القواميس العربية).

فنلنا بتغطيسنا فى المعمودية **الميلاد الثانى** ولما كنا فى المعمودية ندفن الطبيعة القديمة ونلبس طبيعة المسيح ونكتسى ببره، وبعد الدفن والموت قيامة، فنحن بالمعمودية أيضا نقوم مع المسيح. ولذلك كان اليوم الأنسب والأفضل للتعميد **هو يوم الأحد، يوم القيامة**، وإذ نموت ثم نقوم، فنولد من جديد **الولادة الثانية من الماء والروح**، وبحقّ هذه الولادة الثانية يصير لنا حق الوارثين لملكوت السماوات، وهو ميراث لايفسد ولا يفنى، ولايتدنس، ولايضمحل، كما هو الحال بالنسبة لميراث الأرض الذى يحصل عليه الإنسان بحق الميلاد الأول من أبويه بالجسد. إنما الميراث الذى يناله المخلصون بالمعمودية، ميراث ثابت خالد باق محفوظ لهم فى السماوات.

ويقول الكتاب المقدس فى رسالة القديس يعقوب الرسول: (شاء (الله) **فولدنا بكلمة الحق** لنكون باكورة لخلائقه) (يعقوب ١ : ١٨) . وهذا توكيد لحقيقة الميلاد الثانى الذى نلناه من الله بعمل الروح القدس الذى انحدر بنعمته من فوق على ماء المعمودية، بعد استدعائه **بالصلوات وتلاوة الكلمة المقدسة** (أفسس ٥ : ٢٦)، **فصرنا بحق هذه الولادة الجديدة أبناء لله، لا بالطبيعة بل بالإنعام والتبنّى** (رومية ٨ : ١٥)، (غلاطية ٤ : ٥)، (أفسس ١ : ٥) وبهذا صار لنا بالمعمودية وبالميلاد الثانى **التقدُّم** على جميع الخلائق الأخرى، لأننا قد صرنا له أبناء، وحسب الموعد ورثة، وللابن الوارث حقوق تفوق جميع العبيد والخدم، فهو المقدّم على الجميع لأنه **البكر والباكورة** والأول والأولَى بالميراث الأبدى.

وجاء فى الكتاب المقدس، فى الرسالة إلى كنيسة غلاطية: (فأنتم كلكم **أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأنكم تعمَّدتم جميعاً فى المسيح فلبستم المسيح**، ولا فرق الآن بين يهودى وغير يهودى، بين عبد وحر، بين رجل وامرأة، فأنتم كلكم واحد فى المسيح يسوع. فإذا كنتم للمسيح فأنتم، إذن، نسل إبراهيم ولكم الميراث حسب الوعد) (غلاطية ٣ : ٢٦-٢٩) .

انظر (رومية ٨ : ١٤، ١٦، ١٧، ١٩) (٩ : ٨)، (١ . كورنثوس ١٢ : ١٣)، (٢ . كورنثوس ٦ : ١٨)، (١ . يوحنا ٣ : ١، ٢، ١٠)، (الرؤيا ٢١ : ٧) .

* * *

يقول العلامة الفيلسوف **اكليمنضس الأسكندرى** (نحو ١٥٠ – ٢١٥/٢١٦م): (هذا الأمر عينه يحصل لنا أيضا نحن الذين قد صار لنا المسيح مثالاً. **فإذ نعتمد نستنير، وإذ نستنير نُتبنَّى. وإذ نُتبنىّ نكمل)** (١) .

---

(١) كتاب (المربى)، كتاب ١، فصل ٦ : ٢٦ .

ويقول العلامة ترتوليانوس TERTULLIANUS (حوالى ١٦٠ - نحو ٢٢٠م) (لقد تقرر بشريعة ان لا خلاص لأحد بدون العماد).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - نحو ٣٨٦م): (عظيمة هى المعمودية، المعدة فداء عن المأسورين، وصفحاً للأوزار، وموتا للخطيئة، **وولادة ثانية للنفس**، وثوبا نيراً، وخَتماً مقدساً لا ينفك، ومركبة إلى السماء، ونعيم الفردوس، وسبباً للملكوت، ومنحة التبنى)(١).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى أيضا: (حينما تدخلون فى الماء (ماء المعمودية)، لاتجدون بعد ماء بسيطاً، بل تنتظرون خلاصاً بالروح القدس.. فيقول الكتاب إن بطرس بعد هذه النعم الروحية كلها، عمدهم (عمد كورنيليوس وأهل بيته)(٢) باسم يسوع المسيح لكى تعاد ولادة النفس) (٣).

ويقول القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ - ٣٧٩م): (يوحنا كان ينادى بمعمودية التوبة... **والرب ينادى بمعمودية التبنى**) (٤).

ويقول القديس باسيليوس فى موضع آخر (من أين نحن مسيحيون؟ فكل يجيب أننا بالإيمان مسيحيون. وبأى وجه نخلص؟ أمر واضح **أننا بولادتنا بنعمة المعمودية نخلص**)(٥).

ثم يقول القديس باسيليوس أيضا: (المعمودية فدية للمأسورين، وصفح للأوزار، وموت الخطيئة، **وإعادة ولادة النفس**، و... وختم لا ينفك، ومركبة إلى السماء تؤدى إلى الملكوت، **ومنحة التبنى**) (٦).

ويقول القديس **غريغوريوس النيصى** (نحو ٣٣٥ - ٣٩٤م): (فالمعمودية إذن هى تنقية من الخطايا، وترك المآثم، وعلة التجديد **والولادة الثانية**) (٧).

ويقول القديس **يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ - ٤٠٧م): (إن الذين كانوا قبل عمادهم أسرى فإنهم يتمتعون الآن ببهاء الحرية، وصاروا أعضاء الكنيسة سالكين فى نور البر البهى، بعد ما كانوا سائرين فى فيافى الضلال الحالك وظلام الخطيئة القاتم. حقا إنهم الآن محررون، وليس

---

(١) تعليم ابتدائى للموعوظين، فصل ١٦.

(٢) أعمال الرسل ١٠: ٤٧، ٤٨.

(٣) عظة ٣: ٢.

(٤) مقالة للقديس باسيليوس على المعمودية: ١.

(٥) فى الروح القدس، فصل ١٠.

(٦) مقالة ١٣.

(٧) فى معمودية المسيح.

ذلك فقط بل قديسون، فأبرار، **فأبناء، فورثة**، فإخوة المسيح وارثون معه، فأعضاء جسده الطاهر، فهياكل الروح القدس. فتأمل فى العطايا الجزيلة والمواهب الثمينة التى يمنحها سر العماد. إن كثيرين يظنون أنه يغفر الخطيئة فقط، وأما نحن فقد أحصينا له عشرة أفاعيل تجعل النفس فى مركز سام ومقام جليل لايوصف) (١).

ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه أيضا: (على ذلك المنوال، فى العماد بواسطة الماء، وهو حقيقة حسية، تعطى وتخول النعمة، ويتم على وجه روحى **الميلاد الجديد، تجديد طبيعتنا**) (٢).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠م): (**إن لنا ميلادين: أحدهما** أرضى، **والآخر سماوى**. الأول من الجسد، **والثانى من الروح**. الأول صادر عن مبدأ قابل للفناء، **والثانى عن مبدأ أبدى**، الأول عن الرجل والمرأة، **والثانى من الله والكنيسة**، الأول يجعلنا أبناء الجسد، والثانى أبناء الروح. الأول يصيرنا أبناء الموت، **والثانى أبناء القيامة**. الأول يجعلنا أبناء الدهر، **والثانى أبناء الله**. الأول يجعلنا أبناء اللعنة والغضب، **والثانى أبناء البركة والمحبة**. الأول يقيدنا بأغلال الخطيئة الأصلية، **والثانى يَحلنا من رباطات كل خطيئة**)(٣)

* * *

وإذن **فالمعمودية المسيحية هى سر التجديد فى العهد الجديد**، بها وفيها يولد المؤمنون بالمسيح ولادة ثانية، **ويخلقون من جديد خلقاً روحيا، بتجديد الطبيعة البشرية التى فسدت بالخطيئة الأصلية**، وهذا هو معنى (الخليقة الجديدة) بالقياس إلى الخليقة الأولى.

جاء فى الكتاب المقدس، فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (إذا كان أحد فى المسيح، **فهو خليقة جديدة**، قد زال القديم. **ها هوذا كل شئ جديد**) (٢ . كورنثوس ٥ : ١٧) . وفى رسالته إلى أهل غلاطية: (لأنه فى المسيح يسوع، لا الختان ولا عدم الختان ينفع الإنسان، وإنما الذى ينفعه أن يكون **خليقة جديدة**) (غلاطية ٦ : ١٥) .

---

(١) فى خطاب له إلى الموعوظين المرشحين للعماد. (٢) الميمر ٨٢ على الإنجيل للقديس متى، الرقم ٤ .

(٣) تفسير الإنجيل للقديس يوحنا، فصل ١٩ .

هنا يجدر بنا أن نميز ولا نخلط بين **التجديد الكامل الشامل للطبيعة البشرية الذى يتم مرة، وإلى الأبد، فى سر المعمودية**، وبين **التجديد الذهنى** الذى **يحدث بسر التوبة**، والذى تلزم ممارسته مراراً فى حياة القديسين السائرين فى طريق السماء، السالكين فى مدارج الكمال.

ففى المعمودية يتم دفن الطبيعة القديمة الواصلة إلى الإنسان بالولادة الأولى من الأب والأم (**مدفونين معه «=مع المسيح» فى المعمودية**) (رومية ٦: ٤)، (كولوسى ٢: ١٢)، **وخلق الطبيعة الجديدة (بالماء والروح)** (يوحنا ٣: ٣، ٥)، ويصعد الإنسان من الماء، مولودا جديداً (تيطس ٣: ٥) لابساً المسيح (غلاطية ٣: ٢٧).

ذاك هو التجديد الشامل الكامل للطبيعة البشرية فى المعمودية. أما التجديد الذهنى فهو ما يتم فى التوبة اليومية، والذى يباشر بفعل الإرادة والنية والقصد. ويقول فيه الوحى الإلهى: (ولا تتشبهوا بما فى هذه الدنيا، بل تغيروا عن شكلكم **بتجديد أذهانكم**، لتختبروا ما هى مشيئة الله، وما هو صالح، وما هو مرضى، وماهو كامل) (رومية ١٢: ٣)، ويقول (**وتجددوا روحا وذهنا، والبسوا الإنسان الجديد** الذى خلقه الله على صورته فى البر وقداسة الحق) (أفسس ٤: ٢٤). انظر (٢. كورنثوس ٣: ١٨).

والتوبة فى حقيقتها هى تغيير النية والقصد.

ويلاحظ أن (التوبة) باللغة اليونانية هى μετάνοια وهى تتألف من مقطعين: الأول (μετά) بمعنى (بعد) والثانى (νοῦς) بمعنى (العقل ـ الفكر ـ الغرض ـ القصد ـ النية). فالتوبة μετάνοια هى إعادة الفكر ـ تصحيح الفكر ـ تغيير العقل والفكر أو النية أو القصد. أى أن التوبة هى والتجديد الذهنى، بمعنى واحد.

كذلك (التوبة) فى اللغة العربية فهى الرجوع، والعدول عن المعصية وتغيير المسار، والاعتراف والندم والإقلاع، والعزم على ألا يعاود الإنسان ما اقترفه. والفعل: هو تاب ـ يتوب بمعنى رجع عن المعصية.

* * *

يقول الفيلسوف العلامة **أكليمنضس** الأسكندرى (١٥٠ - ٢١٥/٢١٦م): (إن المربى يَخلقُ الإنسان من تراب، **ويُجدده بالماء**، وينميه بالروح) (١).

ويعقد القديس **أكليمنضس** الأسكندرى مقارنة بين عمل الخليقة فى العهد القديم، وبين التجديد بالمعمودية فى العهد الجديد ثم يقول: (إن الرب الذى أخرجنا من الاضطراب، ينيرنا ويقتادنا إلى النور الذى ليس له ظلال، لا إلى النور المادى. وكما أن **كل تولّد يصير بالماء والروح، هكذا التجديد**) (٢).

وفى موضع آخر يقول العلامة **أكليمنضس** الأسكندرى أيضا: (فلنسرع إلى الخلاص، إلى **التجديد** (*ἐπὶ τὴν παλιγγενεσίαν*) إلى الاتحاد بالجوهر الفرد (*τῆς μοναδικῆς οὐσίας*) (٣).

ويقول القديس **باسيليوس** الكبير (نحو ٣٣٠ - ٣٧٩م): (إن النفس **تتجدد بالمعمودية**) (٤).

ويقول القديس **غريغوريوس النازيانزى** الشهير **بالثيئولوغوس** (نحو ٣٢٩ - ٣٩٠م): (المعمودية تطهير الخطايا، وغفران الذنوب، **وعِلّة التجديد والميلاد الثانى**)(٥).

---

(1) KAYE'S Writings of Clement of Alexandria, London, 1835, P. 437.

(٢) عن كتاب أكليمنضس الأسكندرى (شواهد من كتابات الأنبياء)، نفس المرجع صفحة ٤٤٣.

(٣) نفس المرجع صفحة ٤٣٩. (٤) ميمر ١٣: ٥. (٥) فى خطابه على معمودية المسيح.

سابعاً: فى المعمودية المسيحية ينال المعمد إنارة روحية

يقول الوحي الإلهي علي لسان القديس بولس الرسول في رسالته إلي العبرانين : (**فالذين أُنيروا مرة وذاقوا الهبة السماوية وصاروا مُشاركين في الروح القدس واستطابوا كلمة الله الصالحة ومعجزات العالم المُقبل**، ثم سقطوا ، يستحيل تجديدهم وإعادتهم إلى التوبة لأنهم يصلبون ابن الله ثانية لخسرانهم ويشهرونه) (العبرانيين ٦ : ٤-٦).

والإنارة هنا في هذا النص القدسى هي الإنارة التى ينالها المعمدون في سر العماد (العبرانيين ١٠ : ٣٢) **وهى الهبة السماوية** (يوحنا ٤ : ١٠)، (٦ : ٣٢)، (أفسس ٢ : ٨)، **وبها صاروا مشاركين فى الروح القدس** (العبرانيين ٢ : ٤)، (غلاطية ٣ : ٢، ٥)، **واستطابوا كلمة الله الصالحة ومعجزات العالم المقبل** (العبرانيين ٦ : ٥).. فإذا سقطوا باختيارهم، لا عن خوف بل عن إنطفاء نور الروح القدس في قلوبهم بعد حصولهم على الإنارة الباطنية الروحية يستحيل تجديدهم وإعادتهم إلى التوبة، ذلك **التجديد الكامل الشامل الذى يتم مرة فى المعمودية بالروح القدس** (تيطس ٣ : ٥). فإن هذا التجديد لا يتكرر، وإنما يناله المؤمن مرة وإلى الأبد، ولما كانت المعمودية فى حقيقتها صلبا وموتا للإنسان القديم، مع المسيح وقيامة معه (رومية ٦ : ٤، ٦)، والمسيح مات مرة واحدة وقام (رومية ١٤ : ٩)، (٦ : ٩)، (١ . تسالونيكى ٤ : ١٤)، فالذين يسقطون باختيارهم عن نعمة الله بعد حصولهم على الإنارة الأولى، يستحيل تجديدهم وأعادتهم إلى التوبة، (ولا مغفرة لهم لا فى هذا الدهر ولا فى الآتى) (متى ١٢ : ١٣، ٣٢)، (فلا مغفرة له إلى الأبد ، وإنما يستوجب دينونة أبدية) (مرقس ٣ : ٢٩)، (لوقا ١٢ : ١٠)، (العبرانيين ١٠ : ٢٦)، (٢. بطرس ٢ : ٢٠، ٢١)، (١ يوحنا ٥ : ١٦).

ومن هنا كانت **المعمودية المسيحية واحدة، ولاتتكرر. ولاتجوز إعادتها طالما أنها قائمة على إيمان سليم ومستقيم بالمسيح** (غلاطية ٣ : ٢٦، ٢٧)، (مرقس ١٦ : ١٦)، **وبالثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس** (متى ٢٨ : ١٩). يقول الوحى الإلهى (رب واحد، وإيمان واحد، **ومعمودية واحدة**) (أفسس ٤ : ٥).

ولعل السبب فى قول الوحى الإلهى عن المعمدين إذا سقطوا أنه (يستحيل تجديدهم وإعادتهم إلى التوبة) أنهم (**سقطوا**) باختيارهم بعد إنارتهم. والسقوط ليس هو مجرد الزلل، وإنما هو إستمراء السقوط وانطفاء الرغبة فى القيام، حباً فى الخطيئة. فهم لايجدون للتوبة مكاناً لأنهم

بعد أن عرفوا طريق البر والصلاح، ارتدوا باختيارهم عن الوصية المقدسة التى سُلِّمت إليهم. (لقد صدق فيهم المثل القائل: عاد الكلب إلى قيئه يلحسه. والخنزيرة التى اغتسلت عادت إلى التمرغ فى الوحل) (٢ . بطرس ٢ : ٢١ ، ٢٢).

وليس معنى هذا أن باب التوبة مغلق من جانب الله، لكن الذين أُنيروا ثم سقطوا لا يطلبون التوبة ولا يسعون إليها.

أما لو أنهم تابوا حقاً توبة صادقة فإن الله لايرفضهم، فقد وعد المسيح له المجد قائلاً: (ومن يقبل إلى لا أُلقى به خارجا) (يوحنا ٦ : ٣٧).

فإذا تابوا توبة صادقة فلا حاجة لهم إلى العماد مرة أخرى، فإنهم لو فعلوا (يصلبون ابن الله ثانية لخسرانهم ويُشهرونه).

* * *

يقول القديس **يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ – ٤٠٧م) فى تعليقه على هذا الفصل من الرسالة إلى العبرانيين: (ولم يقُل (الرسول) إنه غير لائق أو غير ملائم، بل **غير ممكن (أو يستحيل)** ... فإن نقض مناقض قائلا: ماذا نقول؟ أننبذ التوبة ونطرحها؟ أجيبه: كلا، لا أن **نرفض التوبة بل نرفض معاودة التجديد بالحميم** (أى المعمودية). والدليل على ذلك أنه ما قال لأنه غير ممكن أن تتجددوا بالتوبة أيضاً وصمت، بل أتبع ذلك بما دل على وجه الامتناع من أين هو، وهو قوله: (لأنهم يصلبون ابن الله ثانية لخسرانهم ويُشهرونه) لأن تجديدهم مردود إلى الحميم (المعمودية) وحده.. فأما مايختص بالتوبة، فبعد أن يكونوا قد تجددوا ثم يستعبدون للذنوب، فالتوبة تنقذهم من هذه العبودية وتحررهم وتقويهم. أما أن ترقيهم إلى درجة الحميم، فلا يمكن. لأن كل ما هو للتوبة هو للنعمة. وقال (لأنهم يصلبون ابن الله ثانية لخسرانهم ويشهرونه). إن العماد هو صلب. وفى هذا المعنى قال: (ونحن نعلم أن إنساننا القديم قد صلب مع المسيح (رومية ٦ : ٦)، وقوله (فدفنا معه بالمعمودية وشاركناه فى موته) (رومية٦ : ٤)... فإذن المعتمد ثانية **إنما يُعيد إليه الصلب**. وكما أن السيد المسيح جل وعز مات بالصليب هكذا نحن بالعماد) (١).

---

(١) فى تفسير رسالة العبرانيين للقديس الجليل يوحنا ذهبى الفم، المقالة التاسعة على (العبرانيين ٦ : ١–٦) من نسخة خطية نشرها القمص إبراهيم إبراهيم.

ويقول القديس **يوستينوس الشهيد** (نحو ١١٠ – ١٦٣) م: (**وهذا الاغتسال**، أى المعمودية، يسمى تنويرا، لأن الذين يتعلمون هذه الأمور **ينالون الإنارة فى أفهامهم**) (١).

ويقول الفيلسوف **أكليمنضس الأسكندرى** (نحو ١٥٠ – ٢١٥/٢١٦م): (هذا الأمر عينه يحصل لنا نحن الذين قد صار المسيح لنا مثالاً. فإذ نعتمد **نستنير**... ويدعى هذا الفعل - العماد - بأسماء كثيرة، فيسمى نعمة - **أو استنارة** *φώτισμα* وكمالاً، وحميما. فهو حميم لأننا به نغسل خطايانا، ونعمة إذ به نترك عقوبات خطايانا، واستنارة *φώτισμα* إذ به **نرى ذلك النور المقدس الخلاصى**. أعنى أننا به نشخص (أو إنّ نظرنا يقوى للإحداق فى الطبيعة الإلهية) إلى اللاهوت) (٢).

ويقول القديس **اكليمنضس الأسكندرى** أيضاً (إن خطايانا تغفر بدواء واحد عظيم، بمعمودية الكلمة (*λογικῷ βαπτίσματι*). إننا بالمعمودية نتطهر من جميع خطايانا، ونصير فى الحال مبرئين من الشر، وهى بعينها نعمة الإنارة حتى إننا لانبقى بعد إهتدائنا (*τὸν τρόπον*) (٣) كما كنا قبل أن نغتسل، نظراً إلى أن المعرفة تبزغ مع الإستنارة، وتضئ حول العقل. ونحن الذين كنا بلا معرفة (*ἀμαθεῖς*) أصبحنا على التو متعلمين *μαθηταί* هذه المعرفة قد أُنعم علينا بها.... لأن التعليم التهذيبى يقود إلى الإيمان، والإيمان يلقن لنا بالروح القدس فى المعمودية) (٤).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ – نحو ٣٨٦م): (**عظيمة هى المعمودية** المعدة فداء عن المأسورين، وصفحا للأوزار، وموتا للخطيئة، وولادة ثانية للنفس، وثوباً نيراً (*ἔνδυμα φωτεινόν*) (٥) (أو ثوبا منيراً أو حلة نورانية) (٦).

ويقول القديس **باسيليوس الكبير** (نحو ٣٣٠– ٣٧٩م): (فبثلاث غطسات، ودعاء مساو لها فى العدد، يتم سر المعمودية العظيم، لكى يتصور رسم الموت، **وتستنير نفوس المعتمدين** بتسليم معرفة الله) (٧).

---

(١) الدفاع (الاحتجاج) كتاب ١ فصل ٦١.

(٢) كتاب المربى لأكليمنضس الأسكندرى، كتاب ١ فصل ٦: ٢٦.

(٣) حرفيا: نغير طريقنا.

(4) KAYE'S Writings of Clement of Alexandria, London, 1835, P. 437.

(٥) يلاحظ أن الكلمة اليونانية *φωτεινή* استخدمت فى الإنجيل فى وصف السحابة التى شاهدها تلاميذ المسيح على جبل التجلى (إذا سحابة «من نور *φωτεινή* » غمرتهم) (متى ١٧: ٥).

(٦) تعليم ابتدائى للموعوظين، فصل ١٦، مقالة ١٣.

(٧) فى الروح القدس لامفيلوشيوس، فصل ١٥.

ثامناً: المعمودية المسيحية تفتح لنا أبواب فـردوس النعيـم، وتؤهلـنـا لملكـوت السمـاوات

ولما كانت المعمودية ننال عن طريقها استحقاقات ربنا يسوع المسيح الفادى الخلاصية، **ويها نتطهر من الخطيئة الأصلية ومن الخطايا الفعلية السابقة على المعمودية، إن وجدت**، وذلك بالنسبة إلى الكبار البالغـين. أما الأطفال الصغار فليست لهم خطـايا فعــلية، لكنهم يولدون ملـوثين بالخـطيئـة الأصليـة (مـزمـور ٥٠: ٥)، (٥٧: ٣)، (أيـوب ١٤: ٤)، (إشعياء ٤٨: ٨)، (يوحنا ٣: ٦)، (رومية ٥: ١٢)، (١ . كورنثوس ١٥: ٢١)، (أفسس ٢: ٣).

فـالمعمـوديـة هى التى تؤهلنا الآن للدخـول إلى فـردوس النعيم الذى فـتحـه المسيح مخلصنا، بموته على الصليب فداء عنا (لوقا ٢٣: ٤٣). ومن ثم تؤهلنا المعمودية، بعد يوم الدينونة العامة **لملكوت السماوات** حسب قول فادينا له المجد: **(إن الإنسان مالم يُولد ثانية من فوق لايمكنه أن يرى ملكوت الله... إن الإنسان ما لم يُولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله)** (يوحنا ٣: ٣، ٥).

وعلى ذلك فكل من مات بعد عماده مباشرة يحظى بفردوس النعيم، وبعد الدينونة العامـة، يدخل ملكوت الله. أما من يموت بغير عماد فلا يمكنه أن يحظى بفردوس النعيم ولايمكنه أن يدخل ملكوت الله، ولو كان من الأتقياء الصالحين.

معمودية الدم أو الشهادة

والمعمودية سر الخليقة الجديدة. وكما كانت الخليقة الأولى من الماء والروح (التكوين ١: ٢، ٢٠-٢٢) هكذا تتم الخليقة الجديدة بالماء والروح (يوحنا ٣: ٥). والبديل عن معمودية الماء والروح هى **معمودية الدم أو الشهادة** (الإستشهاد). فإن المعمودية فى حقيقتها موت مع المسيح (**فدفنا معه بالمعمودية**) (رومية ٦: ٤)، (كولوسى ٢: ١٢).

وفى هذا المعنى يقول القديس **غريغوريوس النازيانزى الشهير بالثيئولوغوس** (٣٢٩- ٣٩٠)م فى خطاب له فى عيد الظهور الإلهى أو الغطاس: (إننى أعرف معمودية أخرى، وهى **معمودية الشهادة والدم**، المعمودية التى تعمدها مخلصنا نفسه (متى ٢٠: ٢٢)، (مرقس ١٠: ٣٨، ٣٩)، هذه المعمودية هى أكثر مجداً من غيرها) (١).

ويقول **القديس قبريانوس** (حوالى ٢١٠- ٢٥٨)م (لا يجهل أحد أن الموعوظين بعد استشهادهم لا يكونوا غير معمدين، **لأنهم اصطبغوا أعظم صبغة وأشرفها، أى صبغة الدم الذى تكلم عنها المخلص. والرب يؤكد أيضا أن المعتمدين بدمهم والمقدسين بالتعذيبات يضحون كاملين، ويأخذون نعمة الموعد الإلهى(٢)**

ويقول العلامة ترتوليانوس TERTULLIANUS (حوالى ١٦٠- نحو ٢٢٠م) (إن عماد الدم بمفعوله يقوم مقام عماد الماء، إذا فات عماد الماء، ويعيده إذا فقد)(٣).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى (٣١٥ - ٣٨٦م) (من لايقبل المعمودية فلا خلاص له، **ماعدا الشهداء وحدهم الذين بدون الماء ينالون الخلاص**، لأن المخلص لما كان يفتدى العالم كله بالصلب نُخس فى جنبه، فخرج منه دم وماء، ليعتمد البعض بالماء فى أوقات السلام، **والبعض الآخر بدمهم فى أوقات الإضطهادات. إن المخلص نفسه دعا الشهادة صبغة** بقوله: (أفتستطيعان أن تشربا الكأس التى سأشربها أنا، وأن تصطبغا بالصبغة التى سأصطبغ أنا بها) (٤).

ويقول القديس باسيليوس (٣٢٩ - ٣٧٩م) (إن بعضا نالوا الموت بالجهاد الذى هو عن حسن العبادة لأجل المسيح **حقيقة**، لا اقتداء، **ولم يحتاجوا إلى شئ من الرسوم التى من الماء لخلاصهم، لأنهم تعمدوا بدمهم)(٥)**.

---

(١) خطاب فى عيد الظهور الإلهى ٣٩: ١٧.
(٢) انظر ترتوليانوس - المعمودية ١٦: ١.
(٣) الرسالة ٧٣: ٢٢.
(٤) عظة ٣: ٨.
(٥) لامفيلوشيوس فى الروح القدس رأس ١٥.

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠م). عن أطفال بيت لحم: (الطوبى لكم، لأنكم بعد الولادة وقبل المحاربة قد تكللتم بالظفر. وإنى لا أرتاب فى **أن استشهادكم قد استحق لكم إكليل عدم الموت**، كما لا أرتاب فى أن المعمودية مفيدة للأطفال)(١).

* * *

وتدليلاً على هذه الحقيقة الخلاصية الأساسية رتبت الكنيسة الأرثوذكسية أن يتلى فصل إنجيل **المولود أعمى** (يوحنا ٩: ١ - ٤١) فى يوم الأحد المعروف بـ (أحد التناصير) فقد كان هذا الأحد، مخصصاً منذ البدء، لتعميد الموعوظين غير المتنصرين. **فالإنسان، كل إنسان، يولد من بطن أمه (أعمى) بسبب الخطيئة الأصلية** التى يولد ملوثاً بها، وبالتالى فلا يمكنه أن يدخل ملكوت الله أو يراه مالم يولد من الماء والروح، أى مالم يغتسل أولاً فى جرن المعمودية المرموز إليها فى قصة المولود أعمى ببركة سلوام (يوحنا ٩: ٧، ١١).

* * *

يقول القديس **ديديموس** الضرير (٣١١ - ٣٩٦م): (إن الروح القدس، من حيث هو الله، يجددنا فى المعمودية... ويوائم بيننا وبين صورة ابن الله، **ويجعلنا وارثين معه**، وإخوة له، نحن الذين سنمجد معه، وسنملك معه، **وهو يعطينا السماء** فى مقابل الأرض، **ويمنحنا الفردوس** بيد سخية ويجعلنا أكثر كرامة من الملائكة. وهو يطفئ نار جهنم التى لاتطفأ، فى المياه المقدسة، مياه جرن **المعمودية**)(٢).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - ٣٨٦م): (عظيمة هى المعمودية، المعدة فداء عن المأسورين، و..... **مركبة إلى السماء، ونعيم الفردوس، وسببا للملكوت**) (٣).

Μέγα, τὸ προκειμένον βάπτισμα ὄχημα πρὸς οὐρανὸν παραδείσου τρυφή βασιλείας πρόξενον

(١) انظر عظة ١٥٩: ١ ـ مدينة الله ١٣: ٧.

(٢) فى الثالوث ٢: ١٢.

(٣) تعليم ابتدائى للموعوظين فصل ١٦ (PROCATECHESIS)

أهمية المعمودية للأطفال ومصير الأطفال غير المعمدين

لما كانت المعمودية ضرورية للخلاص، ونظراً لما لها من فعاليات حيوية قوية فى أعماق نفس البشرية، أمرت الكنيسة بتعميد الأطفال، وشددت على الوالدين حتى لا يهملوا تعميد أطفالهم، فلا يحرموهم من فاعليات هذا السر المقدس فى حياتهم، وحتى ينشأ الأطفال منذ صغرهم فى حياة النعمة، ولكى ينموا أيضا فى التقوى المسيحية مع نمو أجسامهم وأذهانهم.

وقد أمرت الكنيسة الوالدين أن لايتأخر تعميد الطفل السليم صحيا عن أربعين يوما إذا كان ذكرا، أو عن ثمانين يوما إذا كان أنثى. **أما إذا كان الطفل فى خطر الموت قبل أن يبلغ تلك السن، وجب على الأم فى هذه الحالة أن ترسل بطفلها مع غيرها أى والده وإشبينه، (١) إلى الكنيسة فيعمده الكاهن من غير إبطاء حتى لايحرم من العماد وهو فى خطر الموت، فلا يحرم بالتالى من دخول ملكوت السماوات لو أنه مات من غير عماد. (على أن ترضعه غير أمه ثلاثة أيام) (٢).**

---

(١) الإشبين أو الشبين هو بالسريانية، الحارس أو الوصى، أو الوكيل أو العراف أو القيم الذى أمرت به الكنيسة أن يتسلم الطفل مع والديه عند عماده ليكون له بمثابة أب روحى يرعى حياته روحيا، ويكون مسئولا مع والديه عن تربيته التربية المسيحية وتقويمه فى مخافة الله وتعليمه حقائق الإيمان إلى أن يبلغ الطفل الثانية عشرة من عمره، ويتعهد بذلك أمام الكنيسة. وتقديساً لهذه العلاقة يصير الإشبين فى حكم الأب وتصبح هذه الرابطة الروحية من المحارم فى الزيجة، حكمها فى الزيجة حكم الأب، فلا يتزوج أحدهما بالآخر إذا كان الطفل أنثى والإشبين ذكراً (المجموع الصفوى، الجزء الثانى، الباب ٢٤، الفصل ٢ فقرة ٣٢).

قال القديس ديونيسيوس الأريوباغى وهو تلميذ القديس بولس الرسول «إن هذا الأمر، افتكر به معلمونا الإلهيون (- الرسل) ورأوه موافقاً، أن يقبل الأطفال على هذا الوجه الشريف، أعنى أن يسلم الوالدان الطبيعيان ولدهما لمرب صالح من المسارين للإلهيات، وأن يبقى الولد فيما بعد تحت إدارته كأنه تحت عناية أب إلهى وكفيل لخلاص مقدس، فمتمم السر يرفعه وهو معترف إلى الحياة المقدسة طالبا رفض الشيطان والإقرار الشريف) (فى رئاسة الكهنوت ٧: ١١).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم: (وإن كان المعمدون أطفالاً أو طرشا لايستطيعون استماع التعليم، فليجاوب أشابينهم عنهم، وهكذا يعمدون حسب العادة) (على مزمور ١٤). (جناديوس فى العقائد الكنسية فصل ٥٢). ويقول القديس أوغسطينوس: (إننا نؤمن ونصدق بتقوى وصواب أن إيمان الوالدين والأشابين يفيد الأطفال، وعلى هذا الإيمان يعمدون) (فى السلطة الذاتية ٣: ٢٢: ٦٧ ورسالة ١٩٣: ٣).

(٢) يقول الأنبا اثناسيوس أسقف قوص فى القرن الثانى عشر فى مقال له عن التعاليم التى يحتاجها الكاهن فى ظروف خصوصية (وإن لم يجدوا مرضعا ترضعه غير ذلك اليوم، فحل زناره آخر النهار ودع أمه ترضعه، وليس عليها لوم (ملام) (انظر المجموع الصفوى طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض) - الباب الثالث الحاشية صفحة ١٧.

فإذا أهمل الوالدان فى تعميد طفلهما، وهو فى خطر الموت، ثم مات الطفل من غير عماد، **فرضت الكنيسة تأديبا كنسيا على الوالدين**، قوامه الصوم لمدة عام كامل مع الحرمان من شركة الأسرار المقدسة.

وبيان ذلك أن مخلصنا الرب يسوع المسيح **لم يستثن الأطفال عندما قرر المعمودية شرطا لدخول ملكوت الله**. فقد قال قولا حازما قاطعا يشمل الجميع، كبارا وصغارا (الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يُولد ثانية، من فوق، لايمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك **إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله**) (يوحنا ٣: ٣، ٥).

فالأطفال يُولدون من أب وأم، فيولدون ملوثين بوصمة الخطيئة الأصلية التى يحملها إليهم الدم الواصل إليهم من آدم بالتوالد، وهو ما يعبر عنه قول النبى فى المزمور (**إنى فى الإثم ولدت** (١)، **وفى الخطيئة حبلت** (٢) **بى أمى**) (مزمور ٥٠: ٥). وقوله (من يأتى بطاهر من نجس؟ لا أحد) (أيوب ١٤: ٤) وقوله (زاغ الأشرار من **الرحم**، ضلوا من البطن) (مزمور ٥٧: ٣)، وقوله (**ومن البطن سُميت عاصيا**) (إشعياء ٤٨: ٨). ولقد قال الوحى الإلهى على لسان القديس بولس الرسول فى رسالته إلى روما (رومية): «فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك **سرى الموت إلى جميع الناس** بالذى جميعهم خطئوا فيه» (رومية ٥: ١٢) وأيضا (**كنا بطبيعتنا أبناء الغضب**، كسائر الناس) (أفسس ٢: ٣). انظر أيضا (يوحنا ٩: ٣٤).

فكيف إذن يمكن للأطفال من غير عماد أن يروا ملكوت الله. أو يدخلوا إليه؟

إن من يُعلّم بعدم حاجة الأطفال إلى المعمودية بحجة أن الأطفال الصغار أبرياء وأنهم لم يخطأوا خطيئة فعلية، يهدم عمل الفداء الذى قام به المسيح الفادى، وينكر ضرورته لخلاص الإنسان، وفى آن واحد ينكر حقيقة سريان وصمة الخطيئة الأصلية وانتشارها فى الجنس البشرى كله من آدم، وهى الحقيقة التى قام عليها عمل الفداء بصلب المسيح وموته فداء عن جنس البشر، وبسببها نزل الله الكلمة، من السماء واتخذ له جسداً. فالفداء هو سبب التجسد. ألم يقل المسيح له المجد (**من أجل هذا أتيت** إلى هذه الساعة؟) (يوحنا ١٢: ٢٧).

---

(١) ولدت أو صورت، أو كونت أو شكلت، أو أصغت - حرفيا: تجمعت أو تألفت.

(٢) حبلت، أو اشتهتنى أو تمنتنى.

فلو أن الأطفال غير المعمدين كانوا فى غير حاجة إلى عماد ليدخلوا إلى ملكوت الله، لكان عمل الفداء عبثا لاطائل تحته ولا غناء فيه، ولأمسى باطلاً تعليم الكتاب المقدس بعهديه، فى سريان وصمة الخطيئة الأصلية إلى كل الناس.

إن الكنيسة الأرثوذكسية علمت دائماً بأن **المعمودية ضرورية لخلاص الناس جميعا، كبارا كانوا أو أطفالاً**. وتنادى بصوت مخلصها وفاديها (دعوا الأطفال يأتون إلى ولاتمنعوهم) (متى ١٩ : ١٤)، (مرقس ١٠ : ١٤)، (لوقا ١٨ : ١٦) (الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لايمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣ : ٣، ٥).

* * *

يقول العلامة ترتوليانوس (TERTULLIANUS) (حول ١٦٠ - نحو ٢٢٠م) (لقد تقرر بشريعة أن لاخلاص لأحد بدون عماد) (١).

ويقول القديس غريغوريوس:

(فيلزم المؤمنين المبادرة **بعماد أولادهم لئلا يدهمهم الموت** ويهلكهم الرب بسببهم... من توانى فى عماد ولده إلى أن منعه الدخول إلى ملكوت السماوات **يجب أن يمنع من تناول القربان المقدس** الذى هو عربون الحياة الأبدية) (٢).

ويقول الأنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج فى كتاب (الطب الروحانى): (المعمودية واجبة على كل أحد.... ولو أطلق لنا من المهلة للأولاد المعافين الذين لم يظهر لنا من مرضهم إشارة ولا علامة بل فى غاية الصحة الجارى بها عادتهم، **فينتظر الذكر إلى أربعين يوما، والأنثى إلى ثمانين يوما. وإن حصل ثم مرض أو علامات مرض، فلنبادر إلى العماد قبل ذلك. لأن القانون يقول إن المولود ينتظر إلى أن تطهر أمه من دم الولادة. فإن خيف عليه من الموت فليدخل به إلى الكنيسة من غير والدته، ويعمد ولو قبل الموت بساعة واحدة**)(٣). فإن مات الطفل الذكر قبل الأربعين أو الأنثى قبل الثمانين بغير مرض ولم يظهر فيه شئ من آثار المرض ولا الأسباب الدالة عليه، فقد تبرأ

(١) فى المعمودية فصل ١٢.

(٢) عن كتاب (الطب الروحانى، للأنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج، نشره الشماس ميخائيل شحاته فى كتابه (سر التوبة) القاهرة سنة ١٩٠٥) الباب السابع والعشرين صفحة ٣٦١.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة.

والداه من خطيئته، ولا يلزمهما عن موته بلا عماد، قانون، بل يلزمهما أن يتوبا عن خطيئتهما لذاتهما، لأنه لو لم تكن لهم خطايا لما تخلى الله عنهما إلى أن مات ولدهما بغير عماد... **وإن كان قد زاد عن الأربعين، ولو بيوم واحد، ثم مات بغير عماد، فلابد لوالديه من القانون**(١) .

ويقول الأنبا أثناسيوس أسقف قوص، فى مقالة له يجيب فيها على أسئلة مختلفة، وهو يوجه الخطاب إلى الكاهن:

سؤال ٢١ :

(ماذا يلزم من أَخَّر عماد ولده بعد الأربعين (يوما إلى سنة ؟)

الجواب :

(قانونه الصوم والصلاة، والامتناع من السرائر (الأسرار) المقدسة مدة سنة) .

سؤال ٢٢ :

(فإن أَخَّره لملبوس أو لأمر دنيوى ؟) .

الجواب :

(ضاعف عليه القانون ليرتدع غيره ويرعوى ؟) .

سؤال ٢٣ :

(فإن أَخَّره لإنتظار كاهن ملائكى السيرة ؟) .

الجواب :

(زده قانوناً، ليحسن هو وغيره الظن فى الكهنة والسريرة) .

سؤال ٢٤ :

(فإن أَخَّره ليتوجه به إلى بيعة معينة مفردة ؟)

الجواب :

(شدِّد عليه القانون، ليتضح للكل أن البيعة والمعمودية واحدة موحدة)(٢) .

---

(١) عن كتاب (الطب الروحانى) للأنبا ميخائيل أسقف اتريب ومليج، الباب ٢٧ (فى المعمودية) صفحة ٣٦١، ٣٦٢ .

(٢) عن المجموع الصفوى لابن العسال، لناشره جرجس فيلوثاوس عوض، الطبعة الأولى سنة ١٦٢٤ للشهداء، الباب الثالث، صفحة ١٦، ١٧ ـ حاشية (١) .

وجاء فى كتاب (مجموع القوانين) للصفى ابن العسال: (**إن المولود إذا خيف عليه من الموت قبل طهر أمه من دم نفاسها، فيدخل الكنيسة مع غيرها ويُعمد**. لأن المرأة التى تلد تبقى بعيدة عن الموضع المقدس أربعين يوما إن ولدت ذكرا، وثمانين يوما إن ولدت أنثى... كما يقول هيبوليطوس فى قانونه الثامن عشر) (١).

ويقول العلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع: (رتبت الآباء **أن كل طفل ذكر يولد**، فبعد تطهير والدته من أيام نفاسها أى بعد مدة أربعين يوما، **يعمد بلا تأخير، وكل طفلة** أنثى بعد ثمانين يوما مدة تطهير والدتها **تعمد أيضا. وهذا لئلا يفوتهم ملكوت الله**) (٢).

وحتى الأطفال اللقطاء يجب تعميدهم. وقد جاء فى القانون ٨٠ من قوانين مجمع قرطاجنة سنة ٤١٩م.

(قد استحسن المجمع أنه حيث لايوجد شهود ثقة يشهدون بأن الأطفال قد عمدوا، وهؤلاء لصغر سنهم لايدركون أن يعطوا جوابا عن أنفسهم إذا كانوا قد نالوا هذا السر، فيجب أن يعمدوا بدون تردد لئلا يحرموا لهذا السبب من نعمة التطهير والتقديس) (٣).

---

(١) القوانين للشيخ الصفى ابن العسال، لناشره جرجس فيلوثاوس عوض، القاهرة ١٦٢٤ للشهداء - الباب الثالث صفحة ١٦ حاشية(١).

(٢) + الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة صفحة ٥٠.

+ اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة - للقمص يوحنا سلامة - الجزء الثانى الفصل السادس صفحة ٤٧ - ٥٣.

+ الخلاصة القانونية فى الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين للايغومانس فيلوثاوس إبراهيم، طبعة ١٩٣٣ - الفصل الأول، المسألة العشرون، صفحة ٢٧.

+ مقال للمؤلف بمجلة مدارس الأحد السنة السادسة - أبريل لسنة ١٩٥٢ صفحة ٣١ وآخر بنفس المجلة عدد مايو لسنة ١٩٥٢ صفحة ٢٠، ٢١.

(3) THE RUDDER, OF THE ORTHODOX CHRISTIANS OR ALL THE SACRED AND DIVINE CANONS, by D. CUMMINGS, chicago, 1957, P. 652.

مجموع الشرع الكنسى صفحة ٧٠٧.

ويقول القديس امبروسيوس AMBROSIUS (٣٣٩ – ٣٩٧م): (إنه «المسيح له المجد» لم يستثن أحداً حتى ولا الأطفال فى أية حالة وجدوا) (١).

وجاء فى قوانين المجمع الإكليريكى العام فى عهد البابا كيرلس الثالث: (١٢٣٥ – ١٢٤٣م).

(ومن كان له ولد ابن سنة فصاعدا ولم يعمده، إن كان كاهنا يمنع من التصرف، وإن كان علمانيا يمنع من التقريب (٢)، ولا يحل (لا يُقبل) لمن هذه حاله، قربان إلى أن يعمد ولده، اللهم إلا إن كانت له ضرورة قاطعة، مثل سفر أو مرض. ومن يتهاون إلى أن يموت له ولد بلا معمودية، فهو آثم ممنوع مدة طويلة. وعلى رأى الحاكم تكون طولة مدته، لأنه كان سببا فى منعه الدخول ملكوت الله) (٣).

---

(١) كتاب ٢ على إبراهيم فصل ١١.

(٢) أى التقرب إلى الأسرار المقدسة.

(٣) المجموع الصفوى لابن العسال ـ طبعة الأسقف ايسيذوروس سنة ١٩٢٧ ـ الملحق صفحتى ١٦، ١٧.

عماد الأبوين لايغنى عن تعميد الطفل

ولقد علمت الكنيسة الأرثوذكسية دائما وتعلم أن **معمودية الأب والأم لاتغنى عن تعميد الطفل بعد ولادته، فإن الطفل الوليد كائن آخر مستقل له شخصيته، وهو يحتاج إلى المعمودية، وهى ضرورية له للخلاص**، لأنه كائن له نفس وروح وجسد، **وقد ولد من رجل وامرأة، ملوثاً بوصمة الخطيئة الأصلية التى حملها إليه الدم الواصل إليه من أدم بالتوالد** (فالمولود من الجسد هو جسد) (يوحنا ٣: ٦).

وقد أصدر (مجمع قيصرية الجديدة) المنعقد سنة ٣١٥م قراراً واضحاً وحاسماً فى هذه القضية.

ذلك أن بعض الناس فى ذلك الزمان كانوا يقولون بأن المرأة غير المسيحية إذا رغبت فى اعتناق المسيحية وقبول سر العماد، وكانت حاملاً بجنين، عليها أن تؤجل عمادها إلى أن تضع ولدها حتى لايعمد طفلها مرتين: المرة الأولى مع أمه عندما كان فى داخلها، والثانية بعد أن يولد ويخرج إلى الحياة. فمجمع قيصرية الجديدة حسم هذا الأمر مبينا أن **عماد المرأة لايعد عمادا لجنينها** مع أنه كان فى رحمها عند عمادها، ذلك **لأن للجنين كياناً مستقلاً عن كيان أمه، ولذلك يجب تعميده بعد ولادته من أمه.**

جاء فى **القانون السادس** من قوانين مجمع قيصرية الجديدة الخمسة عشرة مانصه: (فيما يختص بالمرأة الحبلى، تقرر بأنه **يجب عليها أن تستنير بالمعمودية متى أرادت، لأن الأم لا تشارك الطفل فى هذا الأمر، ذلك لأن لكل شخص إرادته الخاصة،** وهى تظهر فى إعترافه بالإيمان) (١).

وجاء فى قوانين المجمع الإكليريكى العام فى عهد البابا كيرلس الثالث (١٢٣٥ - ١٢٤٣م).

(ولا تمنع الحبالى من المعمودية. **ولا تحسب معمودية الحامل معمودية لحملها، بل يعمد بمفرده.** والحائض تتأخر عن التعميد إلى أن تطهر) (٢).

وظهر بيلاجيوس PELAGIUS الهيراطيقى (٣٦٠ - نحو ٤٣٠م) فأنكر عقيدة الخطيئة الأصلية وضرورة النعمة، وزعم أن خطيئة آدم أضرته هو وحده ولم تنتقل إلى الجنس البشرى،

---

(1) The RUDDER, by D. CUMMINGS, chicago, 1957, P. 511 - 513.

(٢) المجموع الصفوى لابن العسال ـ طبعة الأنبا ايسيذوروس ـ القاهرة ١٩٢٧ ـ الملحق صفحة ١٦.

وعلى ذلك فالأطفال الصغار لا حاجة لهم إلى العماد لأنهم على قوله يولدون فى الحالة التى كان عليها آدم الأول قبل السقوط. فانبرى آباء الكنيسة للرد على هذه الهرطقة التى نادى بها بيلاجيوس الراهب البريطانى، مبرهنين على صحة عقيدة انتشار الخطيئة الأصلية فى الجنس البشرى كله، بأدلة ونصوص من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وبالتالى على **حاجة الأطفال المولودين حديثا إلى المعمودية للحصول على الخلاص والتجديد والميلاد الثانى، وعلى استحقاق الدخول إلى ملكوت الله، فإن المعمودية هى واسطة الخلاص التى عينها المسيح له المجد للتطهير من وصمة الخطيئة الأصلية التى يحملها الدم الواصل إليهم من آدم بالولادة الأولى من الأب والأم بالجسد**. وكان على رأس هؤلاء الآباء، قديس شمال أفريقيا الغربية، القديس العظيم أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠)م أسقف هيبون (١) HIPPONE.

وبسبب بدعة بيلاجيوس تلك، انعقدت عدة مجامع محلية وإقليمية فى أفريقيا وفلسطين، من بينها مجمع (قرطاجنة)(٢) فى عام ٤١٢م، ومجمع أورشليم فى عام ٤١٥م ومجمع (اللد)(٣) أو ديوسبوليس فى عام ٤١٥م، ومجمع قرطاجنة أيضاً فى عام ٤١٦م، ومجمع (ميليوم) (٤) فى شمال أفريقيا عام ٤١٦م ومجمع (اورانج) (٥) ORANGE فى عام ٥٢٩م.

ولعل أهم هذه المجامع فى معالجة هذه القضية العقائدية رداً على بدعة بيلاجيوس هو مجمع (قرطاجنة) الذى انعقد بهذه المدينة (قرطاجنة) فى عام ٤١٨/٤١٩م من أكثر من مائتى(٦) أسقف، برئاسة (أوريليوس).

---

(١) مدينة فى (الجزائر) تسمى الآن عنابة (بونه سابقاً) ولا يزال فيها قبر القديس أوغسطينوس.

(٢) قرطاجنة - قرطاجا CARTHAGE وهى الآن خربة، ولكن من أطلالها وعلى بعد ١٢ ميلاً منها بنيت مدينة (تونس) الحالية (أسستها (ديدون) الفينيقية أخت بغماليون ملك صور فى القرن ٩ ق.م.، صارت عاصمة امبراطورية جبارة قاومت روما مدة (المنجد).

(٣) اللد مدينة فى فلسطين، محطة سكة حديدية على بعد ٢٠ كيلو مترا من يافا، ٦٨ كيلو مترا من القدس (المنجد). وقيل إنها مسقط رأس القديس مارجرجس الرومانى، وقد دفن فيها بعد استشهاده وأقيمت على جثمانه أول كنيسة باسم أمير الشهداء.

(٤) (ميليوم) MILEUM أو MILEVE وهى تقع فى نوميديا NUMIDIA بلاد فى أفريقيا الشمالية بين قرطاجنة CARTHAGE والمغرب، وهى الآن فى إقليم (الجزائر) ALGERIA.

(٥) (اورانج) إحدى ولايات أفريقيا الجنوبية وهى من دول الاتحاد الأفريقى الجنوبى، تقع فى شمال شرق البلاد، عاصمتها بلومفونتاين BLOEMFONTEIN.

(٦) قال بعض المؤرخين أن عددهم كان ٢١٤ أسقفاً، وقال غيره ٢١٧ وقال آخر ٢٢٥ أسقفاً.

وقد حضره القديس العظيم أوغسطينوس AUGUSTIN (٣٥٤- ٤٣٠)م أسقف هيبون HIPPONE، وقد استمر المجمع منعقداً لمدة ست سنوات، أى أنه اختتم أعماله فى سنة ٤٢٤م. وأصدر المجمع ١٤٠ مائة وأربعين قانوناً، كما حكم بحرم بيلاجيوس وتلميذه شيليستيوس COELESTIUS وأتباعهما.

جاء فى **القانون رقم ١٢١** من قوانين مجمع قرطاجنة الذى انعقد من ٤١٨/٤١٩- ٤٢٤)م قوله:

(يسر المجمع أن يأمر **بأن كل من ينكر أن الأطفال المولودين حديثاً من أرحام أمهاتهم يحتاجون إلى المعمودية لمغفرة الخطايا** أو يعترف بذلك، ولكنه يزعم أنهم يعتمدون لمغفرة الخطايا لكنهم لم يرثوا من آدم الخطيئة الأصلية التى تضطرهم لأن يتطهروا منها فى جرن الولادة الثانية (المعمودية)، مما يترتب عليه أن تمسى عبارة (لمغفرة الخطايا) المستخدمة في المعمودية، تستعمل بالنسبة لهؤلاء الأطفال لا بمعنى حقيقى، بل بمعنى وهمى - فليكن مُبْسَلا (محروماً) (١) فإن عبارة الرسول (كما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك **سرى الموت إلى جميع الناس** بالذى جميعهم **خطئوا** فيه) يجب ألا تفهم بفهم (٢) آخر إلا كما فهمتها دائماً الكنيسة الجامعة المنتشرة والممتدة فى كل مكان، وبناء على قاعدة الإيمان هذه، فحتى **الأطفال الذين لم يستطيعوا بذواتهم أن يرتكبوا أية خطيئة من الخطايا** تجعلهم مذنبين بها، **يعتمدون حقاً لمغفرة الخطايا، حتى تتطهر فيهم بواسطة الولادة الثانية، كل خطيئة ورثوها عن طريق الولادة الأولى من أجدادهم) (٣).**

هذا وعندما انعقد **مجمع أفسس الأول**، وهو المجمع المسكونى الثالث برئاسة البابا كيرلس الأول (٣٦٦- ٤٤٤)م المعروف بكيرلس الكبير الأسكندرى وعمود الإيمان وذلك فى أفسس عام ٤٣١م، قرأ قرار مجمع قرطاجنة المحلى، وثبته وثبت حكمه على بيلاجيوس وتلميذه

---

(١) أو مفرزا أى ليفرز ويقطع من شركة الكنيسة. (٢) أوبمعنى آخر.

(3) The RUDDER,
by, D. CUMMINGS, Chicago, 1957, P. 688.
(الأنوار فى الأسرار) لجراسيموس مسرة، بيروت ١٨٨٨ الفصل الخامس صفحتى ٦٥، ٦٦.
مجموع الشرع الكنسى صفحة ٧٣١.
BETTENSON (H.), Documents of the Christian Faith, Oxford, 1950 P. 83.

شيليستيوس وأتباع بدعتهما. وقد جاء فى أعمال مجمع أفسس الأول، المجمع المسكونى الثالث أنه (**صادق على قرار مجمع قرطاجنة بالإجماع**).

* * *

وكثير من آباء الكنيسة تكلموا قصداً أو عرضاً فى حاجة الأطفال المولودين حديثاً إلى المعمودية، وضرورتها لخلاصهم، وفاعلياتها فيهم.

قال القديس **إيريناوس** IRENEUS (بين ١٢٠/ ١٤٠- ٢٠٢)م: (إن يسوع المسيح **قد أتى ليخلص جميع البشر بذاته**، أعنى جميع الذين ولدوا به ثانية لله، سواء أكانوا **أطفالا** أو شبانا أو شيوخا)(١).

ويقول العلامة **أوريجينوس** (١٨٥- ٢٥٤)م: **(إن الكنيسة قد تسلمت من الرسل تقليد عماد الأطفال (وحقيقة وجوب منح المعمودية لهم) أيضا. فالأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا، فيغتسلوا من الوسخ الجدّى، بسر المعمودية) (٢).**

ويقول القديس **كبريانوس** (المتوفى عام ٢٥٨م): (إذا كان الذين أخطأوا سابقا أمام الله، إذ يؤمنون يأخذون صفح خطاياهم، ولا يمنع أحد منهم عن المعمودية والنعمة، وإن كان قد فعل خطايا غير محصاة، **فالأطفال** الذين ضميرهم غير متفتح، **ولم يخطأوا فى شئ، والذين نظراً للخطيئة الجدية الكامنة فيهم وتدنسوا بها وصاروا مشاركى الموت الآدمى، يحتاجون هم أيضاً إلى المعمودية لأنها شرط لنوال الخلاص والصفح، ليس عن الخطايا الشخصية، بل الأبوية**. ولذا أيها الأخ الحبيب قد حدد مجمعنا ما يأتى وهو: (إنه لا يجوز أن نمنع أحداً من المعمودية ونعمة الله الذى هو صالح ورؤوف بالجميع. **فالمعمودية هى للجميع، وخصوصا للأطفال الصغار**، الذين بنوع خصوصى يستميلون إنتباهنا وصلاح الله) (٣).

ويقول القديس **غريغوريوس النازيانزى** الشهير **بالثيولوغوس** (نحو ٣٢٩- ٣٩٠م): **(هل عندك طفل؟** فلا يأخذن فيه الشر فرصة، بل **ليُقدس وهو رضيع، وليُكرس للروح**

(١) ايريناوس : (الرد على الهرطقات) أو (ضد البدع) كتاب ٢ فصل ٢٢ عدد ٩- ١١ فصل ١٥:٥.

(٢) فى تفسيره لرسالة القديس بولس الرسول إلى أهل روما (رومية) فصل ٥ رسالة ٦ عدد ٩ - ومقالة ١٤ على الإنجيل للقديس لوقا، ٨ على سفر اللاويين.

(٣) رسالة ٥٩.

منذ نعومة أظفاره. إنك تخافين أيتها الأم من الختم، بسبب ضعف الطبيعة بما أنك ضعيفة النفس وقليلة الإيمان، لكن حنة قبل أن تلد صموئيل وعدت الله به، وبعد ولادته حالاً كرسته، وبالحلة الكهنوتية ربته، ولم تخف من الضعف البشرى، بل آمنت بالله (١).

ويقول القديس **أوغسطينوس** (٣٥٤- ٤٣٠م): **(إن المعمودية** تقليد رسولى، **وإن الكنيسة تتمسك دائماً بتعميد الأطفال، متسلمة إياه من السلف، ولم تزل حافظة إياه إلى الآن، وسوف تحفظه إلى الانقضاء أيضاً)** (٢).

وقال القديس أوغسطينوس أيضاً (من يقل إن الأطفال يحيون فى يسوع المسيح حين إنتقالهم من الحياة وإن لم يكونوا قد قبلوا سر العماد فهو يناقض على خط مستقيم ما بشر به الرسل، ويخطئ **الكنيسة كلها التى تبادر إلى عماد الأطفال لإعتقادها أن هؤلاء الأطفال لا يمكنهم بغير ذلك أن ينالوا الحياة بيسوع المسيح** (٣).

---

(١) خطاب فى المعمودية المقدسة.

(٢) خطاب (عظة) ١٧٦ عدد ٢.

(٣) رسالة ١٦٦

مصير الأطفال غير المعمدين

أما عن مصير الأطفال إذا ماتوا غير معمدين، فالجواب عنه هو ما يقوله مخلصنا صاحب الشريعة (الحق الحق أقول لك إن **الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله**) (يوحنا ٣:٣، ٥).

فالأطفال غير المعمدين إذا ماتوا لا يمكنهم أن يروا ملكوت الله، ولا يمكنهم أن يدخلوا ملكوت الله.

على أن الأطفال المولودين حديثا لما كانوا لم يخطأوا بعد خطايا فعلية، فهم إذا ماتوا لا يعذبون، وإنما يكونون فى حالة أو رتبة متوسطة، (قلنا حالة متوسطة لا مكان متوسط، فليس ثمت مكان متوسط بين الفردوس والجحيم أو بين الملكوت وجهنم) **هى حالة لا ينعمون فيها بالمجد العظيم فى ملكوت الله الذى يناله الأطفال الذين تعمدوا.**

يقول القديس **غريغوريوس** النازيانزى الشهير بالثيئولوغوس (نحو ٣٢٩- ٣٩٠)م: (إن **الأطفال غير المعمدين لا يمجدون ولا يعذبون** من الحاكم (الديان) العادل الأبدى، لأنهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مقدسين بالمعمودية، لم يخطأوا خطيئة شخصية. ولذا لا يستحقون كرامة ولا قصاصا) (١).

---

(١) خطابه فى المعمودية ـ فى الخطايا ١: ١٦.

ابتـــهـــال

شكراً يا إلهى ومخلصى يسوع المسيح على هذا السر العظيم، سر المعمودية، والميلاد الثانى من الماء والروح، الذى به ولدنا من فوق، وفيه نلنا التبنى، فصرنا مستحقين أن ندعى أولاد الله بعد أن كنا (أبناء الغضب)، وأصبحنا مستحقين أن نرى ملكوت الله، وأن ندخل ملكوت السماوات، بعد أن كنا مطرودين فى آدم أبينا من فردوس النعيم... وصرنا مبررين بدم المسيح بعد أن كان محكوما علينا بالموت بالأبدى فى جهم النار التى لا تنطفئ أبداً.

شكراً ياسيدى الرب لأنك أوجدت المنفذ، وفتحت لنا طريق الخلاص.. فنحن إذ نتقدم بالإيمان ونجحد الشيطان وكل أعماله النجسة وكل جنوده الشريرة، ثم نغطس فى الماء الذى حلت عليه من الأعالى قوة الروح القدس باستدعاء الكاهن، يموت فينا الإنسان القديم الذى ورثناه بحسب الطبيعة بميلادنا الأول من الأب والأم. وإذ ننهض ونقوم، يحيا فينا الإنسان الجديد الذى نلبسه فى المسيح يسوع.

فى جرن المعمودية خلعنا الإنسان القديم ولبسنا الإنسان الجديد.. خلعنا صورة آدم الأول، ولبسنا صورة آدم الثانى، ربنا يسوع المسيح، فصرنا به وفيه خلقاً جديداً وخليقة جديدة.

إن روحك، يارب، الذى كان يرف على المياه قديما، فى بدء الخليقة الأولى، فخلق منها الكائنات الحية من الأسماك والزحافات البحرية والطيور، هو بعينه الذى يرف على مياه المعمودية فى العهد الجديد، فيخلق من جديد لملكوتك السماوى، الذين يولدون بالروح من جديد، ثم يمسحون بمسحة الروح القدس، فيصيرون مقدسين وقديسين.

لقد صنعت بنا، يارب، لطفا ورحمة، وأعددت لنا فى المعمودية خلاصاً من السماء.

لقد أخذنا فى المعمودية استحقاقات الخلاص، وكسبنا لأنفسنا الحياة الأبدية، وصرنا ورثة لملكوتك بعد أن كان مغلقاً علينا فى المعصية، وممنوعين من الاقتراب إلى الفردوس، ومن شجرة الحياة.

كيف ننسى، يا إلهى حبك، وكيف نكفر بفضل نعمتك !!

فإذا نسينا بسبب ضعفنا وقصورنا فأنت لا تنسانا، بل تفضل وأرسل إلينا ما، ومن ينبهنا، حتى نصحو من جديد ونتبين قدر الحلة الروحانية التى خلعتها علينا بعد عودتنا إليك، فنحافظ على سلامتها، ونسهر على طهارتها، حتى لا نفقدها، فنطرد من جديد من عرسك، أيها الملك السماوى.

ياربنا، ويا أبانا الذى فى السماوات، أذكرنا دائماً أمامك، ولا تُهملنا حتى لو أننا ضللنا.

أدبنا فنرجع إليك. فأنت أبونا، وأى ابن لا يؤدبه أبوه؟

أدبنا بأدبك حتى نبقى فى حظيرتك، فليس لنا إله غيرك.

لا ملجأ لنا يارب أكثر أمانا من حضنك.

أنت لنا فى السماء. ومعك لا نريد شيئاً فى الأرض.

بك آمنا، وعلى الإيمان بالثالوث القدوس تعمدنا.

إياك لبسنا، وبك خلصنا، وباسمك صرنا معروفين بين الناس والملائكة.

فخذ بيدنا يارب، فإننا لك، وأنت لنا.

أنت سلامنا، وأنت شفاؤنا، وأنت خلاصنا، وأنت قيامنا وقيامتنا. يارب!

القيم الروحية

فى سرّ المعمودية

---

(١) فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس لجميع الأسرار سينشر فى الجزء الثانى من الأسرار السبعة.

موضوعات وإجابات على أسئلة

١ ـ التطهير والمعمودية(١)

سؤال : من أحد القراء.

حصل بيني وبين صديق لي حديث عن التطهير الذي كتب بالناموس في عهد موسى مثل غسل الجسم بعد حصول عارض سواء للذكور أو الإناث، فكان جوابي: إن المعمودية طهرتنا، والمسيح عتقنا من ثقل الناموس، وإننا تبررنا بدم المسيح... ولكن جواب صديقي: إن المسيح لم ينقض بل أتى لكي يكمل، فأرجو من حضرتكم إفادتنا بالصواب.

الجواب :

كتب القديس العلامة الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين المعروف بابن المقفع، فصلا مستفيضا في هذا الموضوع في كتابه (الدر الثمين في إيضاح الدين)، وهو المقالة الثامنة في بيان الصوم، وكيف ينبغي أن يكون... يحسن جداً الرجوع إليه.

وخلاصته: إنه وإن كانت هذه العوارض تعتبر نجاسة في العهد القديم، لكنها في العهد الجديد، حكمها حكم الإفطار من صوم، فليس المسيحي بحاجة فيها إلى أكثر من اغتسال موضعي ليتمكن من إقامة الصلاة أو الدخول إلى الكنيسة، ولكنه لا ينبغي أن يتقدم إلى القربان المقدس في اليوم التالي من حيث أنه قد أفطر، فالصوم ليس امتناعا عن الطعام والشراب فقط، وإنما هو بالأولى وبالأحرى الامتناع عن الشهوات، والشهوة الجنسية على الخصوص، وعلى حد تعبير المؤلف، إنها (فطر، والذي يفطر لا يمتنع عن الصلاة من أجل أنه فاطر، ولا عن دخول الكنيسة، ولا عن حضور القداس بل عن تناول القربان فقط).

وثمة حالة واحدة يجب الامتناع فيها عن حضور الكنيسة وهي حالة الحيض أو الطمث بالنسبة للنساء سواء بسبب الدورة الشهرية، أو بسبب الولادة عند المرأة النفساء.

وذلك أن هذه الحالة ليست كالعوارض الوقتية التي مر ذكرها بل إنها لتستمر إلى بضعة أيام في الدورة الشهرية أو أربعين يوماً بالنسبة لوالدة الذكر، وثمانين يوما بالنسبة لوالدة الأنثى. ولا ينقطع خضوع المرأة لهذه الحالة إلا بعد تمام الأيام المحددة.

على أن الغرض من الاغتسال الموضعي أو الاغتسال الكامل هو نظافة الجسد فقط أو تطهيره من أوساخه الظاهرية، فلا قوة له على تطهير النفس أو الروح والعقل؛ وعلى حد قول الأنبا ساويرس: (فليس الماء يطهر النجس، بل يطهر وسخ الجسد فقط... (لكن) الزنا هو النجس. ولا يطهر من زنى ولو استحم بكل ماء البحار والأنهر، بل يطهر إذا هو ندم وتاب عن زناه).

---

(١) نشر بمجلة (مدارس الأحد) ـ السنة الثالثة ـ العدد الخامس ـ أغسطس ـ آب لسنة ١٩٤٩م ـ أبيب لسنة ١٦٩٥ش ـ صفحة ٣٥، ٣٦.

٢ ـ مصير الأطفال الذين ماتوا بغير عماد(١)

سؤال : من الابن رمسيس تادرس الحناوى الخادم بمدارس أحد جنود المسيح بطهطا.

يقول الكتاب المقدس (إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣:٥)، ونعرف أن الماء والروح هما سر العماد، ونعرف أيضاً أن أحكام الله لا نقض فيها ولا استثناء، ولكن فى نفس الوقت الرب عادل ورحيم فلا يعاقب أحداً بدون ذنب جناه. فكيف نوفق بين حكمه السابق وبين مصير الطفل البرئ الذى مات قبل العماد... أو ذلك البدائى الذى عاش فى إحدى المجاهل ولم يسمع هو أو والداه من قبل عن الله أو عن العماد، فعبد النار أو أحد الأصنام مخلصاً ظاناً وموقناً أن هذا هو الله ؟

الجواب :

يقول القديس غريغوريوس الشهير بالثيئولوغوس إن الأطفال غير المعمّدين لا يُمجدّون ولا يُعَذّبون من الحاكم (الديان) العادل الأبدى، لأنهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مقدّسين بالمعمودية، لم يخطأوا خطيئة شخصية، ولذا لا يستحقون كرامة ولا قصاصاً (٢).

أما أن الأطفال غير المعمّدين لا يُمجَدّون، فلأنهم مازالوا تحت حكم الدينونة إذ (بخطيئة واحد (وهو آدم) صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة) (رومية ٥:١٨) ومازالوا لابسين طبيعة آدم الساقطة (١ كورنثوس ١٥:٤٩)، (مزمور ٥٠:٥)، (٥٧:٣)، (إشعياء ٤٨:٨)، ولذلك، لا يقدرون أن يعاينوا ملكوت الله (يوحنا ٣:٣) ولا يقدرون حتى أن يدخلوا ملكوت الله (يوحنا ٣:٥).

إن القضية مطلقة لا استثناء فيها، والناطق بها هو السيد المسيح نفسه: (إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله) (يوحنا ٣:٣)، وقوله (لا يمكنه) تعبير حاسم صارم لا يسمح بتأويل يخرج عن حرفيه الحكم.

قال القديس امبروسيوس (إنه (المسيح له المجد) لم يستثنِ أحداً حتى ولا الأطفال فى أية حال وجدوا) (٣).

---

(١) نشر بمجلة (مدارس الأحد) ـ السنة العاشرة ـ العدد الخامس ـ مايو سنة ١٩٥٦م ـ بشنس ١٦٧٢ش ـ صفحة ٢٦ ـ ٢٩.

(٢) خطابه فى المعمودية ـ فى الخطايا ١ : ١٦.

(٣) كتاب ٢ على ابراهيم فصل ١١.

وقال القديس أوغسطينوس (لا تعتقد ولا تقل ولا تعلّم أن الأطفال الذين يموتون بدون عماد يستطيعون أن ينالوا غفران الخطيئة الأصلية)(١). وقال أيضاً من يقل إن الأطفال يحيون فى يسوع المسيح حين إنتقالهم من الحياة، وإن لم يكونوا قد قبلوا سر العماد، فهو يناقض على خط مستقيم ما بشر به الرسل، ويخطئ الكنيسة كلها التى تبادر إلى عماد الأطفال لاعتقادها أن هؤلاء الأطفال لا يمكنهم بغير ذلك أن ينالوا الحياة بيسوع المسيح)(٢).

ويقول العلامة أوريجينوس (اسمعوا داود يتكلم قائلا بالإثم حبل بى، وبالخطيئة ولدتنى أمى)، مبيناً أن كل نفس تولد فى الجسد قد تدنست بقذر الخطيئة والإثم، ولهذا كما قلنا سابقا إنه ليس أحد طاهراً من الدنس ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض.

(وإلى جانب هذا، فإن معمودية الكنيسة تعطى لمغفرة الخطايا، ولهذا السبب يُعمَدّ الأطفال، كما هى العادة المرعية فى الكنيسة. فإذا لم يكن ثمت فى الأطفال ما يحتاج إلى المغفرة والرحمة، أمست نعمة المعمودية لا حاجة إليها عندهم(٣).

ويقول فى عظة أخرى (وإنى بهذه المناسبة أذكر أمراً يثير كثيراً من التساؤل بين الإخوة، إن الأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا. أية خطايا؟ ومتى أخطأوا؟.. لكن طبقا لهذا المعنى الذى تكرناه الآن وهو (ليس أحد طاهراً من دنس الخطيئة، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض، ولهذا السبب يُعَمَدُ الأطفال، لأنه بسر المعمودية يُنزع الدنس الذى نولد به)(٤).

لا مفر إذن من حرمان الأطفال غير المعمّدين من أمجاد الملكوت، وإلا صارت عملية الفداء الذى قام به المسيح، لا موجب لها. ونظرية الفداء قائمة على فكرة الخطيئة الجدية التى سقط فيها آدم وحكم عليه بالموت بسببها، كما على كل نسله من بعده: (فكما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه) (رومية ٥:١٢). فلو أمكن للأطفال غير المعمّدين أن ينالوا الملكوت بلا معمودية، لأمكن القول إن الأطفال يولدون أبرياء من الخطيئة الجدية، فيكون المسيح قد جاء بلا سبب.

---

(١) كتاب ٣ فى أصل النفس.

(٢) رسالة ١٦٦.

(٣) عظة ٨ على سفر اللاويين فصل ١٢.

(٤) عظة على لوقا ١٤.

إن منطق نظرية الفداء يقتضى حتما أن يكون الأطفال مولودين بالخطيئة الأصلية: (بالآثام حبل بى وبالخطيئة اشتهتنى أمى) (مزمور ٥٠:٥)، (زاغ الأشرار من الرحم، ضلوا من البطن) (مزمور ٥٧:٣)، (لم تسمع ولم تعرف.. ومن البطن سميت عاصيا) (إشعياء ٤٨:٨).

وجاء فى القانون رقم ١٢١ من قوانين مجمع قرطاجنة الذى انعقد سنة ٤١٨م قوله:

يسُر المجمع أن يأمر بأن **كل من ينكر أن الأطفال المولودين حديثاً من أرحام أمهاتهم يحتاجون إلى المعمودية لمغفرة الخطايا** أو يعترف بذلك، ولكنه يزعم أنهم يعتمدون لمغفرة الخطايا لكنهم لم يرثوا من آدم الخطيئة الأصلية، التى تضطرهم لأن يتطهروا منها فى جرن الولادة الثانية (المعمودية)، مما يترتب عليه أن تمسى عبارة (لمغفرة الخطايا) المستخدمة فى المعمودية، تستعمل بالنسبة لهؤلاء الأطفال لا بمعنى حقيقى، بل بمعنى وهمى- فليكن مبسلا (محروما) (١) فإن عبارة الرسول (كما أن الخطيئة دخلت فى العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه) يجب ألا تفهم بفهم (٢) آخر إلا كما فهمتها دائماً الكنيسة الجامعة المنتشرة والممتدة فى كل مكان. وبناءً على قاعدة الإيمان هذه، **فحتى الأطفال الذين لم يستطيعوا بذواتهم أن يرتكبوا أية خطيئة من الخطايا** تجعلهم مذنبين بها، **يعتمدون حقاً لمغفرة الخطايا، حتى تتطهر فيهم بواسطة الولادة الثانية، كل خطيئة ورثوها عن طريق الولادة الأولى من أجدادهم)** (٣).

ولما كان للمعمودية هذه الأهمية وهذه الخطورة بالنسبة لمصير الطفل، فقد رتبت الكنيسة أن يعمد الطفل الذكر إذا بلغ أربعين يوما من ولادته، والأنثى إذا بلغت ثمانين يوماً من ولادتها(٤) وهى فى كلا الحالين المدة التى لا يجوز فيها للوالدة أن تدخل إلى الكنيسة

---

(١) أو مفرزا أى ليفرز ويقطع من شركة الكنيسة . (٢) أو بمعنى آخر.

(٣) The RUDDER, by D. CUMMINGS, Chicago, 1957, P. 688

(الأنوار فى الأسرار) لجراسيوس مسرة، بيروت ١٨٨٨ الفصل الخامس صفحتى ٦٥، ٦٦

مجموعة الشرع الكنيسى صفحة ٧٣١

BETTENSON (H.), Documents of the Christian Faith, Oxford, 1950 P. 83.

(٤) الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة للعلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع الباب الثلاثون.

لتعميد طفلها(١) . فإذا تعرضت حياة الرضيع للموت أو خطر مفاجئ فى خلال هذه المدة وجب حمل الطفل إلى الكنيسة مع غير أمه لتعميده . فإذا انقضت هذه المدة ولم يُعَمَّدْ الطفل ثم مرض ومات، عُدَّ الوالدان مقصرين فى تعميد طفلهما حتى لو جاءه الموت مفاجئاً.

وقد حكمت الكنيسة على الوالدين فى مثل هذه الأحوال، بالصوم والصلاة والامتناع عن الأسرار المقدسة لمدة سنة(٢) ، تأديباً لهما على إهمالهما وتهاونهما. كذلك شددت على الكاهن أن لا يتوانى عن التعميد، حتى لا يترتب على هذا التوانى، حرمان الطفل من بركات المعمودية المقدسة، فإذا قصَّر الكاهن تعقبه القانون بتأديب صارم يوقعه عليه أسقفه.

وإذا كان الأطفال غير المعمَّدين لا يقدرون أن يروا ملكوت الله، ولا يستطيعون أن يدخلوها، فبالأحرى البالغين من الشعوب الذين لم تصلهم رسالة المسيح المخلص، فإنهم أيضاً لا يقدرون أن يروا ملكوت الله أو يدخلوها، ما لم يختتنوا بختان المسيح (أى المعمودية) ، فيخلعوا به خطايا البشرية (لوقا ٢ :١١) التى ولدوا ملوثين بها من بطون أمهاتهم، وما لم يعتمدوا فيلبسوا المسيح.

لكنهم وإن كانوا سيحرمون من معاينة الملكوت ومن دخوله إلا أنهم سوف لا يُعذَّبون إلا بقدر ما يرتكبون من أخطاء فعلية، قد تعدوا بها على الناموس المكتوب على قلوبهم (لأن كل من أخطأ بدون الناموس، فبدون الناموس يهلك.. لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم.. فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس) (رومية ٢ :١٢– ١٦) .

هذه الحقيقة تفسر معنى الأمر الصادر إلى رسل المسيح (اذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعَمِّدوهم..) (متى ٢٨ :١٩) . وتحدد مسئولية الكنيسة نحو العالم بأسره، والذين يعلمون بأن دخول ملكوت السموات ميسور لغير المؤمنين بالمسيح المعتمدين باسم الثالوث القدوس، يحكمون بأن المسيح جاء بلا سبب، ويسقطون من حسابهم نظرية الفداء بالمسيح.

---

(١) بوليدس (هيبوليتوس) قانون ٣٨ . قارن سفر اللاويين ١٢ :١– ٦ .

(٢) راجع الأنبا أثناسيوس أسقف قوص من آباء القرن الثانى عشر، والمنشور بكتاب اللآلئ النفيسة لشرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ـ للقمص يوحنا سلامه. الجزء الثانى. الباب الأول. الفصل السادس.

٣ ـ أحد التناصير(١)

سؤال : من الابن الإكليريكى الايبوذياكون جورج حبيب بباوى بجامعة كيمبردج بانجلترا:

كانت المعمودية فى الكنيسة الأولى تتم فى عيد الفصح ليلة العيد. فمتى استحدثت الكنيسة أحد التناصير؟ وما هى الوثائق التى تشير إلى هذا؟

الجواب :

ليس هناك شك فى أنه فى الأربعة القرون الأولى للمسيحية كانت تتم معمودية الموعوظين الراغبين فى الدخول إلى المسيحية، ليلة العيد الكبير. ومازالت بعض الفصول التى كانت تتلى قديما تقرأ إلى يومنا هذا فى يوم السبت الكبير وعشية أحد القيامة.

ويبدو أنه رئى ـ بعد القرن الرابع للميلاد ـ التعجيل بعماد الموعوظين المؤهلين لقبول هذا السر، فى الأحد السابق على أحد الشعانين وأسبوع الآلام، حتى يشاركوا فى أفراح ومباهج عيد الشعانين وفى صلوات وطقوس أسبوع الآلام، لا كموعوظين بل كمؤمنين معمدين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما رئى أن إجراءات تعميد الموعوظين كانت تشغل اهتمام الكنيسة وقتا طويلا، وتصرف منها جهداً كبيراً، أحرى بها أن تكرّسه للصلوات التعبدية العميقة التى تبدأ بأحد الشعانين، والتى كان المؤمنون يتعطلون أثناءها عن مباشرة جميع أعمالهم وأشغالهم المدنية العالمية ليتفرغوا للعبادة تفرغاً تاماً. ومازالت آثار هذه العادة باقية إلى اليوم فى البلاد الغربية التى احتفظت بهذا التقليد مثل انجلترا وغيرها.

هذا وتؤكد المصادر التاريخية أن المسيحيين الأوائل كانوا ـ فى أوائل المسيحية ـ يحتفلون بأسبوع الآلام منفصلاً عن الصوم الأربعينى المقدس، وذلك لأن السيد المسيح صام الأربعين المقدسة بعد عماده مباشرة، وأما آلامه فجاءت بعد صومه بزمن طويل. لكن الكنيسة رأت فيما بعد أن تضم أسبوع الآلام إلى الأربعين المقدسة حتى يدخل المؤمنون إلى أسبوع الآلام بمدخل طويل من صوم تعبدى، فيبلغون إلى أسبوع الآلام بنسك لائق وتعبد شديد.

والدليل الحاسم على أن أسبوع الآلام هو فى حقيقته صوم آخر ملحق بالصوم الأربعينى، هو أن هذا الصوم الأربعينى ينتهى بما يعرف بـ (جمعة ختام

---

(١) السؤال والجواب بتاريخ ٢٦ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٦٦م.

الصوم) وهى تسبق أسبوع الآلام مباشرة، وتعامل فى الطقس معاملة العيد أو الفطر من حيث التلاوات والألحان.

وهذا معناه أن تخصيص الأحد السابق مباشرة على أحد الشعانين لعماد الموعوظين - وهو ما يُعرف بأحد التناصير - جاء بعد القرن الرابع للميلاد، عندما رئى أن يشارك الموعوظون فى أحد الشعانين وفى عبادات أسبوع الآلام، لا كموعوظين بل كمؤمنين معمدين وأعضاء فى جسد المسيح.

والحق أن تقديم عماد الموعوظين أسبوعين لايضر الكنيسة إيمانيا أو طقسيا، بل على العكس يوفر لها وقتا مناسبا وكافيا تكرّسه للطقوس التعبدية التى تزداد بصورة واضحة فى أسبوع الآلام، ويتيح للموعوظين أن يساهموا فى هذه الطقوس مع سائر المؤمنين، فيزدادون فى التقوى وانتعاش الروح. وليس هناك شك فى أن للكنيسة سلطان التصرف فيما يؤول لخير المؤمنين وحسن رعايتهم وتدبيرهم. (١تيموثيئوس ٣: ١٥).

٤ ـ بركة الملائكة والسمائيين للمعمدين
وبركـة الـرب يســوع المسيــح لهــم (١)

سؤال : من الإبن الإكليريكى الإيبودياكون جورج حبيب بباوى بجامعة كيمبردج ـ انجلترا.

ما المقصود بقول الكاهن بعد مسح المعمَّد أو الطفل بمثال الصليب، فى ستة وثلاثين موضعا **(تكون مباركا ببركات السمائيين، وبركات الملائكة. يباركك الرب يسوع المسيح وباسمه)** ؟ وهل تتضمن هذه البركة فكرة الـ HIERARCHY (التسلسل الهرمى) أو PRO-GRESSION (التقدم ـ التعاقب) حيث سادت الفكرة القائلة بأن المسيح (رأس كل شئ)، أو أنه جمع فى نفسه ما فى السماء وما على الأرض، وجعل وحدة بين الخليقة المنظورة وغير المنظورة؟

ويسأل أيضاً: ما المقصود بـ **(بركة الملائكة)** وهى ترد كثيرا فى صلواتنا؟ وما معنى القول **(يباركك الرب يسوع المسيح وباسمه)** ؟

الجواب :

المقصود بالسمائيين، سكان السماوات بدرجاتهم وبطغماتهم. فمنهم البشر، وهم القديسون، وعلى رأسهم والدة الإله القديسة مريم العذراء.

ومنهم الأرواح العلوية أو الأجناد السمائية، وفيهم الملائكة، ورؤساء الملائكة، والكاروبيم، والسيرافيم، والرئاسات، والعروش، والربوبيات (السيادات)، والسلاطين.. وفيهم الأربعة الحيوانات غير الجسدانيين، والأربعة والعشرون كاهنا، والجمع الذى لايحصى للقوات السمائية.

والدليل على أن كلمة (السّمائيين) تشمل البشر كما تشمل الأجناد الروحية، ما جاء فى الوحى الإلهى على لسان القديس بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى كورنثوس فى قوله (وعلى مثال السّماوىّ يكون السّماويُّون) (١ ـ كورنثوس ١٥ : ٤٨). وعندما يقول (بركة الملائكة) فهو يخصص بعد التعميم، والملائكة هم طغمة الكائنات الروحانية التى كان ومازال لها الاتصال المباشر بالأرض أكثر من غيرها. ولذلك ذكرهم يعقوب أبو الأسباط وهو يبارك ابنى يوسف بقوله (الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين) (التكوين ٤٨ : ١٦).

---

(١) كتب بتاريخ ٢٦ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٦٦م.

وأما المعنى من (بركة الملائكة) فبركتهم هى رعايتهم وحراستهم وشفاعتهم، ومصاحبتهم للمعمّدين ومرافقتهم لهم وحفظهم من كل سوء. وهنا فكرة (الملاك الحارس). فكما أن رئيس الشياطين يعين لكل مولود، شيطانا ليضلّه ويغويه ويميله نحو الشر، يعين الله جل اسمه، لكل إنسان بعد جحده الشيطان وقبوله سرّ العماد، ملاكا لحراسته. وقد أشار مخلصنا له المجد إلى الملائكة الحراس فى قوله عن الأطفال (إن **ملائكتهم** فى السمّاوات يعاينون كل حين وجه أبى الذى فى السماوات) (متى ١٨ : ١٠). وجاء عن القديس بطرس الرسول أنه لما خرج من السجن وجاء إلى بيت مريم أم يوحنا الملّقب مرقس، فقرع باب الدهليز حيث كان المؤمنون مجتمعين، فلم يصدقوا أنه بعينه القديس بطرس، فقالوا (**هذا ملاكه**) (أعمال الرسل ١٢ : ١٥).

فبركة الملائكة تشمل كل أنواع العون التى يقدمّها الملائكة لخدمة المؤمن المعَمّد مما يجعل حياته فى نمو روحي مطرد وتقدم وازدهار، فيتوافر له النجاح، والظفر والغلبة على الصعوبات الروحية والمشكلات التى تعترض حياته.

كذلك (**بركات السمائيين**) عموما، فهى كل مساعداتهم للمؤمنين المعمّدين، وكل أنواع العَون التى يقدّمونها لخدمتهم مما ينفعهم ويجعل حياتهم مثمرة وحافلة بأسباب النجاح والتقدم والازدهار والسعادة الحقيقية.

أمّا بركات الرب يسوع فهى مواهبه التى يمنحها للمؤمنين المعمّدين، وعطاياه، وكل ظواهر وبواطن حبه ورعايته وحدبه عليهم، مما يكفل للمؤمن حياة روحية ناجحة مليئة بأعمال صالحة، تجعلها غنية وخصبة، كالنبات الذى يباركه الرب فلا يصيبه السوس أو الدود ولايلفحه البرد، بل يثمر الثمر الصالح: ثلاثين وستين، ومائة، ويحصد منه الزارع أضعاف أضعاف ما زرع.

وحقاً إنّ الربّ يسوع المسيح هو (رأس كل شئ) (أفسس ١ : ٢٢)، (كولوسى ١ : ١٧)، (٢ : ١٠)، ويجتمع فيه، وفى اسمه المبارك، كل خير فى السماء وعلى الأرض، وفيه تلتقى الخليقة المنظورة بالخليقة غير المنظورة. فبركة الرب يسوع يمكن أن تفهم بكل بساطة بالمضمون العام لبركة الرب الإله، وهى على نظير قول الوحى الإلهى فى سفر العدد (**يباركك الرب ويحرسك**) (٦ : ٢٤) (مباركا تكون فى دخولك، ومباركا تكون فى خروجك) (التثنية ٢٨ : ٦) (خلص شعبك، بارك ميراثك. ارعهم وارفعهم إلى الأبد) (مزمور ٢٧ : ٩) وكما فعل المسيح له المجد مع الأطفال الذين قدموهم إليه (احتضنهم ووضع يده عليهم

وباركهم) (مرقس ١٠ : ١٦)، وكما صنع له المجد مع تلاميذه قبيل صعوده إلى السماء (خرج بهم إلى بيت عنيا ورفع يديه **وباركهم**) (لوقا ٢٤ : ٥٠).

وعلى العموم، فقول الكاهن للمعمَّد (**يُباركُك الرب يسوع المسيح**) هو دعاء من الكاهن للمعمَّد أن ينميه الرب في النعمة، وفي المعرفة، وأن يزيده تقوى وروحانية، ويجعل حياته خصبة بالأعمال الصالحة، فيها خير كبير ونفع جزيل لنفسه وللناس جميعا.

وأما قوله (**وباسمه**) أي فليكن المعمَّد مباركا باسم الرب يسوع، لأنه (ما من اسم آخر تحت السماء منح للناس به ينبغي أن يخلصوا) (أعمال الرسل ٤ : ١٢) فباسم المسيح له المجد يخلُص المؤمنون المعمَّدون من تجارب الأعداء الروحيين والجسديين، وباسمه تجرى القوات والعجائب والمعجزات فى حياة المؤمنين (أعمال ٣ : ٦، ١٦)، (٤ : ١٠، ٣٠)، (١٦ : ١٨)، (١٩ : ١٣)، وفى خدمة الكنيسة، وباسمه ينالون كل ما يطلبونه فى صلواتهم (متى ٢١ : ٢٢)، (مرقس ١١ : ٢٤).

والمؤمن المعمَّد **يصير مباركا باسم الرب يسوع المسيح** لأنه قد دُعى عليه اسم الرب يسوع المسيح، إذ صار مسيحيا منسوبا ومنتميا إلى المسيح يسوع. ثم إنه بجحده الشيطان قبيل تعميده، قد أعلن انفصاله عن الشيطان وقطع علاقته به، واستنكر تبعيته له، وأعلن بإرادته انضمامه إلى رعوية المسيح، وانضواءه تحت لوائه، وصيرورته عضوا فى مملكته. فصار المسيح ملِكا عليه، وصار هو من أتباع يسوع المسيح الناصرى، وأصبح الصليب له شعاراً وعلَماً.

٥ ـ الزيت الساذج وزيت الغاليلاون(١)

سؤال : من الإبن الإكليريكى چورچ حبيب بباوى ـ كمبريدج ـ انجلترا.

ما هو زيت الغاليلاون؟ وهل هو زيت الموعوظين أو هل هو الزيت الساذج، وهو زيت طرد الشياطين؟

الجواب :

زيت الغاليلاون هو غير الزيت الساذج.

فالزيت الساذج هو الزيت النقى، الزيت الطيب الفلسطينى المأخوذ من شجرة الزيتون، وغير المخلوط بزيت آخر أو بمادة أخرى.

والزيت الساذج، ويسّمى بالقبطية **ⲡⲓⲛⲉϩ ⲛⲁⲕⲣⲁⲧⲟⲛ** الزيت الصرف الصافى (غير الممزوج) *ἄκρατος, ον* تمييزا له عن الميرون *μύρον* - **ⲙⲩⲣⲟⲛ** الذى يتركب من زيت الزيتون، والزيت الطيب الفلسطينى، ومن المّر القاطر، والقرفة العطرة، وقصب الذريرة، والسليخة، وخميرة الميرون السابق (وفيها الطيوب والعطور التى أخذت من جسد المخلص).

والزيت الساذج **ⲛⲁⲕⲣⲁⲧⲟⲛ** هو الزيت المستخدم فى سر مسحة المرضى (أو القنديل) ويحسن أن يكون من زيت الأبوغالمسيس (الأبوكالبسيس ـ الرؤيا أو الجليان) الذى يتلى عليه سفر الرؤيا فى ليلة السبت الكبير، المعروف بسبت الفرح أو سبت النور.

والزيت الساذج به تدهن المرأة النفساء بعد قراءة التحليل عليها عند إتمامها المدة التى تمنع فيها من دخول الكنيسة بسبب النفاس، وبعد ذلك تدخل إلى الكنيسة وتتناول من الأسرار المقدسة.

والزيت الساذج **ⲛⲁⲕⲣⲁⲧⲟⲛ** هو الذى يسكب منه الكاهن على الماء فى جرن المعمودية، بمثال الصليب مرتين: فى كل مرة ثلاثاً على اسم الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس.

والزيت الساذج يسمى أيضا بالزيت المقدس **ⲡⲓⲛⲉϩ ⲉϥⲟⲩⲁⲃ** .

(١) كتب بتاريخ ٢٦ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٦٦م.

والزيت الساذج هو المستخدم فى إنارة القناديل فى الكنائس، ولا سيما قنديل الشرقية فى شرق المذبح، وأمام حجاب الهيكل (وهو حامل الإيقونات) Iconostasis وأمام أيقونات القديسين.

ولما كان الزيت الساذج غير مخلوط بشئ آخر من الزيوت أو المواد الأخرى، لذلك يسمى أحياناً بـ (زيت الزيتون النقى) أو الزيت النقى أو الزيت الطيب الفلسطينى.

وأما زيت الغاليلاون ⲁⲅⲁⲗⲗⲓⲉⲗⲁⲓⲟⲛ ، فزيت مركب، لأنه يتألف من زيت الزيتون، الزيت الطيب الفلسطينى، مضافاً إليه أتفال الطيوب المختلفة التى تتبقى من الميرون بعد تصفيته فى طبخاته الأربعة، وقد صلِّيت عليه صلوات خاصة قبل استخدامه فى الأغراض الكنسية لدهن الموعوظين فى الفترة التى تسبق تعميدهم وتهيئتهم لاقتبال سر المعمودية، فيمسحون به أثناء أداء طقس (جحد الشيطان) السابق مباشرة على نزولهم فى جرن المعمودية.

ويلاحظ أن (زيت الغاليلاون) ⲁⲅⲁⲗⲗⲓⲉⲗⲁⲓⲟⲛ يُقَّدس فى اليوم الذى يصنع فيه الميرون μύρον - ⲙⲩⲣⲟⲛ ، فيقام على يمين ويسار المذبح الرئيسى الكبير فى الهيكل، وهو مذبح الأسرار المقدسة، مذبحان من الخشب. فالمذبح الخشبى الأيمن يوضع عليه الميرون المقدس، وأما المذبح الخشبى الأيسر فيوضع عليه الغاليلاون ويُقَّدس كل من الميرون والغاليلاون بعد صنعهما على المذبحين الخشبيين إبتداء من يوم الخميس الكبير (المسمى خميس العهد)، وبعد صلوات الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة من البصخة المقدسة (اسبوع الآلام). ويُقَّدس كل من الميرون والغاليلاون بمعرفة البابا البطريرك، كما هو مدون فى كتاب التكريس. ويظل المذبحان الخشبيان فى مكانهما على يمين ويسار المذبح الرئيسى، ويقدس عليهما البابا البطريرك القداس الإلهى فى يومى سبت الفرح، وليلة عيد القيامة المجيد.

وفى فجر عيد القيامة. يضاف إلى الغاليلاون الجديد، الخميرة القديمة الباقية من الغاليلاون القديم.

ويقدس البابا البطريرك على كل من الميرون والغاليلاون فى ثانى وثالث أيام العيد الكبير أى فى صباح يومى الأثنين والثلاثاء التاليين لأحد القيامة المجيد (١).

---

(١) أنظر كتاب الكنز الأنفس فى الرحلة البطريركية وعمل الميرون المقدس، تأليف القمص دوماديوس البرموسى ـ القاهرة ١٩٣٠ صفحة ٥٠ – ٨٤.

ـ كتاب اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة ـ الجزء الأول ـ القاهرة صفحة ٨٢ – ٩٨.

وإذن ليس الغاليلاون زيتا بسيطا أو ساذجا، وإنما هو زيت مخلوط معه أثقال الطيوب المصفاة من الميرون بعد طبخه طبخاته الأربعة، وقُدّس بمعرفة البابا البطريرك على مذبح خاص به في وقت تقديس الميرون المقدّس، وأضيف اليه (الغاليلاون) القديم كخميرة تخمر الغاليلاون الجديد، ثم أقيمت على مذبحه الخشبي الذبيحة المقدسة في أيام سبت الفرح وعيد القيامة وثاني يوم العيد وثالثه.

هذا و(الغاليلاون) هو الذي يُدهن به الموعوظون (من غير المؤمنين الذين لم يتعمّدوا بعد ممن يرغبون في العماد) في الفترة التي يتأهبون فيها لقبول سرّ العماد المقدس، ليبدد عنهم قوة الشياطين المحيطة بهم أو التي تسكنهم، وليطرد عنهم قوتها، وكل سحر، وكل رقية، وكل تعزيم، وكل فعل مضاد للخير من عدو الخير، وليطرد عنهم أيضا كل دنس وكل ظلمة من أجسادهم، وكل فكر تجديف أو مقاوم للإيمان، أو مضاد له. وإن كان فيهم روح شرير أو نجس مختفٍ فيهم أو في عقولهم، فيكشف أمره، ويعلن سره حتى يطرد من حياتهم طردا نهائياً.

ولعله لهذا السبب يسمى هذا الزيت:

بـ (زيت الموعوظين) ⲡⲓⲛⲉϩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲕⲁⲧⲏⲭⲟⲩⲙⲉⲛⲟⲥ

أو (زيت مسحة وموعظة) ⲟⲩⲛⲉϩ ⲛ̀ⲑⲱϩⲥ ⲛ̀ⲕⲁⲧⲏⲭⲏⲥⲓⲥ

أو دهن موعظة ⲟⲩⲛⲉϩ ⲛ̀ⲕⲁⲧⲏⲭⲏⲥⲉⲟⲥ

أو ⲉⲗⲁⲓⲟⲛ ⲕⲁⲧⲏⲭⲏⲥⲉⲟⲥ

وذلك لأن الموعوظين (الراغبين في العماد) يُدهنون به في الفترة السابقة على قبولهم سّر العماد. وقد كان هؤلاء الموعوظون يتلقون عظة كل صباح في الكنيسة في أيام الصوم الكبير، ويمسحون بالغاليلاون قبل انصرافهم من الكنيسة وذلك قبل بدء قداس المؤمنين.

وكما يسمى (الغاليلاون) بزيت الموعوظين، يسمى ايضاً بـ (زيت الاستِقسام) أو (زيت الاستحلاف) (١) ⲡⲓⲛⲉϩ ⲛ̀ⲉⲍⲟⲣⲕⲓⲥⲙⲟⲥ

ذلك أنّ الموعوظين (الداخلين إلى العماد) كان يمتحنهم الأسقف ومساعدوه من الكهنة، وكان الأسقف يختار منهم اللائقين لقبول سر المعمودية، ويدرج أسماءهم في قائمة المستنيرين. وكانت تتلى عليهم بعد القراءات والفصول الكنسية والعظة، صلوات خاصة تسّمى بـ (صلوات الاستقسام أو الاستحلاف)، يتضرع الكاهن فيها أن يرفع الله عن الموعوظين أو المستنيرين، كل

(١) انظر كتاب (قوانين القديس هيبوليطوس (النص القبطي).

PAULI DE LAGARDE, AEGYPTIACA, Conones Ecclesiastici, Göttingen 1883 P.

عمى القلب، ويحطم عنهم كل أغلال الشيطان التى ربطوا بها، وأن ينير الله عقولهم، ويؤهلهم لقبول نعمة المعمودية. وفى هذه الصلوات كلمات موجهة إلى الشيطان، يأمره فيها الكاهن، بالخروج من المستنير، وهو يدهنه على جبهته (بالغاليلاون) برسم الصليب وواضعاً يده عليه، ويقول: باسم الآب والابن والروح القدس. ولذلك سُمّيت هذه الصلوات بالاستقسام، لأن الكاهن يقسم فيها على الشيطان، ويستحلفه، للخروج من المستنيرين، ويقول: (أخرج أيها الروح النجس) وصار يعرف الكاهن الذى يباشر هذا الطقس، باسم (المستحلف) أو المستقسم (Exorcist) ἐξορκιστής - ⲉⲍⲟⲣⲕⲓⲥⲧⲏⲥأى الذى يطرد الأرواح الشريرة.

وإذا كان الذى يدهن المستنيرين بالغاليلاون، قسيساً وكان الأسقف حاضراً، فالأسقف يُصلّي على الزيت ويدفعه إلى القسيس ليدهن به المستنير.

ويلاحظ أنّ كل هذه المراسم والطقوس تمارس حتى الآن بما يعرف بطقس (جحد الشيطان) ἐξορκισμός EXORCISM فيدهن الكاهن بزيت الغاليلاون على جبهة المستنير أو الطفل، وقلبه (صدره)، وذراعيه، ويديه، وظهره.

ويُسمى زيت (الغاليلاون) أيضا بزيت الفرح أو التهليل أو الابتهاج ⲟⲩⲛⲉϩ ⲛ̀ⲑⲉⲗⲏⲗ لأن الكاهن إذ يدهن به الموعوظين المستنيرين أو الأطفال قبل نزولهم إلى جرن المعمودية يقول:

(أدهنك يا (فلان) بدهن الفرح (التهليل) ضداً لكل أفعال المضّاد (الشيطان) لتغرس فى شجرة الزيتون اللذيذة (أو الحلوة)، فى المقدسة الجامعة الرسولية، كنيسة الله، آمين (بالمعمودية المقدسة).

ولعل هذا يفسر لماذا يسمى هذا الزيت بالغاليلاون، فإن (الغاليلاون) كلمة يونانية معناها زيت الابتهاج، ويسمى باليونانية ἔλαιον ἀγαλλιάσεως

وكلمة ἔλαιον معناها (زيت) وإن كانت خُصّصت فى مبدأ الأمر بزيت الزيتون، إلا أنها أصبحت فيما بعد تقال على (الزيت) جملة.

وأما كلمة ἀγαλλίασις فهى تفيد التهليل والابتهاج exultation أو الفرح الشديد العظيم fervent Joy.

ومن هنا فنحن نرى أن كلمة (الغاليلاون) ⲁⲅⲁⲗⲗⲓⲉⲗⲁⲓⲟⲛ ترجع غالبا إلى دمج كلمة ⲁⲅⲁⲗⲗⲓ بمعنى زيت مع كلمة ⲉⲗⲁⲓⲟⲛ - ἔλαιον المشتقة من ἀγαλλίασις بمعنى (التهليل) أى أن (الغاليلاون) هو (زيت التهليل).

ثم إن زيت (الغاليلاون) تدهن به أيضا الكهنة والملوك (١).

---

(١) أنظر كتاب الصلوات المقدسة لأجل رسامات المختارين لدرجات أهل الاكليروس والكهنة .. وتقديس الميرون والكنيسة - الطوخى - الجزء الأول صفحة ٣٦١.

٦- إضطراب وحيرة
فى طنطا ومن طنطا (١)

عشرات من الرسائل ترد إلينا، من طنطا ومن غير طنطا من مختلف بلاد الجمهورية، يعبر فيها أصحابها بحزن عميق مرير عن جهود منحرفة يبذلها أتباع جميعة خلاص النفوس البروتستانتية فى طنطا لهدم كيان الأرثوذكسية بها، ويتبناها ويعطف عليها ويتزعمها أحد رجال الدين فى كنيسة أرثوذكسية بطنطا.

عشرات وعشرات من الكهنة والوعاظ وأبناء الكنيسة المخلصين الغيورين أرسلوا يستغيثون من هذه الحملات المنظمة على كنيستنا الأرثوذكسية وعقائدها وطقوسها وتراثها التليد، بطريق مباشر وغير مباشر، تنظمها قيادة روحية معوجة من داخل كنيسة أرثوذكسية بطنطا.

عظات تلقى فى طنطا وغير طنطا، ونشرات تصدر من كنيسة أرثوذكسية بطنطا هى أشد بروتستانتية من كل ما أصدره البروتستانت من كتب ومن نشرات.

ولولا أن هذه النشرات المطبوعة التى انتشرت فى كل أنحاء طنطا - وقد وصل إلينا عدد منها - لولا أن هذه النشرات يقول عنها ناشرها إنها تُطلب من القمص .... بطنطا لقلت إن مذهبا بروتستانتيا جديدا ظهر فى طنطا هو أكثر انحرافا وشذوذا من كل المذاهب البروتستانتية السبعة والعشرين الذين ظهروا حتى الآن فى بلادنا.

إننى أحكم، تحت مسئوليتى الشخصية، أن كاتب هذه النشرات تلقى ثقافته الدينية من ينابيع غير أرثوذكسية، ولم يقنع بهذا، بل زاد عليها شيئا جديدا من شخصيته. فجاءت نشراته أبعد بروتستانتية من كل ما عرفنا من مذاهب البروتستانت..

أسلوب جديد وغريب على طنطا وعلى غير طنطا من بلاد الأرثوذكسية وغير بلادنا من العالم الأرثوذكسى فى أنحاء المسكونة، بدأ يغزو شعبنا، ويثير شكوكا فى القيم الأرثوذكسية المستقرة.

بدأ الناس يسمعون نغمة جديدة تشككهم فى قيمة أعمال الجهاد الروحى ووسائط الخلاص المودعة فى الكنيسة المقدسة.

---

(١) مقال فى أهمية المعمودية للخلاص، نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة العددين ٣، ٤ - مارس - آذار، وأبريل - نيسان لسنة ١٩٦٧م صفحة ٦١ - ٦٨.

بدأ الناس يرسلون إلينا من طنطا وغـيـر طنطا ممن وصلت إليـهم شظايا تلك المواعظ والنشرات يستغيثون من الشكوك التى أثارتها فى محيط المؤمنين، شكوك فى قيمة سرّ المعمودية، وسر التناول، وسر التوبة والاعتراف، وسر الكهنوت، وفى جدوى الرياضات الروحية من صلوات وأصوام وأعمال الرحمة والخير. لأن تلك المواعظ والنشرات أضاعت قيمة الجهاد والأعمال الصالحة، وقصرت الحياة الروحية على الإيمان بالمسيح والاعتراف به مخلصا، كما لو كان كاتب تلك النشرات ومصنف تلك المواعظ يجد نفسه المؤمن الفريد بين كفرة وملحدين.

هل الإيمان وحده يخلص الإنسان؟

لقد ذهب كاتب تلك النشرات (التى تطلب من القمص زكريا بطرس بطنطا) إلى أن الشرط الأساسى للخلاص هو أن تؤمن بأن يسوع المسيح نفسه هو الوسيلة الوحيدة.. فهو الوحيد الذى مات عوضا عنك ليحمل جرم آثامك... إلى أن يقول الكاتب بالحرف الواحد (فمتى آمنت بأن المسيح حمل كل خطاياك خلصت منها تماما. فعندما سأل أحد الخطاة الرسل قائلا ماذا أفعل لكى أخلص؟ قالوا له: (آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص) (أعمال ١٦ : ٣١) (عن إحدى النشرات المسمومة بعنوان (أتريد أن تخلص صفحة ٣).

وإنى أريد أن أسأل كاتب تلك النشرات الطنطاوية، ما هذا الهراء؟ أحقاً إنه إن آمن إنسان بأن المسيح حمل كل خطاياه فقد خلص منها تماما؟ إذا كان الأمر حقا كما تقول فقد تحوّلت الديانة فى نظرك إلى مجموعة إيحاءات سيكولوجية وبطل (فى نظرك أيضا) كل عمل للتوبة، ولم يعد الخاطئ التائب فى حاجة لا إلى صلوات أو أصوام أو اعتراف بخطاياه أو تناول من الأسرار المقدسة، وسائر الوسائط الخلاصية التى أقام الرب الكنيسة من أجل أن تكون حارسة عليها ومانحة لها لبنيان النفوس فى طريق الخلاص؟

ومن أين لك هذا التعليم العجيب؟ ومن أى المصادر قد استقيته؟ وكيف تجرؤ على أن تعلم الناس تعليما لن تجد له سندا لا فى الكتاب المقدس ولا فى كتب الآباء، تعليما لايقره منطق المسيحية ولا روحها؟

ستقول فى سرعة إن السجان أو حافظ السجن بمدينة فيلبى سأل القديسين بولس وسيلا قائلا: يا سيدى، ماذا يجب على أن أعمل لأخلص. فقالا له: (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك). (أعمال الرسل ١٦ : ٢٥ – ٣٥).

قلت وأقول يجب أن ننتبه أولا إلى أن السجان رجل وثنى وخاطئ. فلما سأل الرسولين عن سبيل الخلاص، كانا لابد أن يعرفاه بأول خطوة فى هذا الطريق، وأول **خطوة فى الطريق هو الإيمان بالمسيح. لكن هذه الخطوة الأولى ستتلوها بعد ذلك خطوات حتى يحصل الرجل على الخلاص التام من خطاياه السالفة. وبعد أن يحصل على الخلاص التام من خطاياه السالفة عليه أن يرعى نفسه ويراقب ذاته فى حال من الصحو الدائم لئلا يفقد خلاصه الذى حصل عليه. ومن هنا معنى قول الرسول بولس (واعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة)**(١) (فيلبى ٢ : ١٢).

والدليل على أن الإيمان بالمسيح كان هو الخطوة الأولى التى نصح بها الرسولان للسجان الوثنى ما رواه سفر أعمال الرسل فى نفس الفصل، مباشرة بعد قوله (فقالا: آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك) يقول: (وكلماه هو وجميع من فى بيته بكلمة الرب. فأخذهما فى تلك الساعة من الليل وغسل جراحهما، وتعمد من وقته، هو وذووه أجمعون) (أعمال الرسل ١٦ : ٣٢، ٣٣).

ولو كان إيمان الرجل بالمسيح قد خلصه (**تماما**) لما كان هناك داع لعماده، ولأصبح العماد، بالتالى، فضلة زائدة ليست لها قيمة حقيقية أو فعالية روحية؟

وإذن قد كان إيمان الرجل بالمسيح هو الخطوة الأولى فى الطريق إلى الخلاص، لكنه ليس هو الخطوة الأولى والأخيرة معا، وبناء عليه يكون من الخطأ الواضح الفاضح أن يزعم كاتب تلك النشرة (التى تطلب من القمص زكريا بطرس بطنطا) أنك (متى آمنت أن المسيح حمل كل خطاياك **خلصت منها تماما**).

وإنى أريد أن أسأل مرة أخرى، من أين جاء كاتب تلك النشرة بهذا الزعم الحاسم (خلصت منها تماماً)؟ إن الرسولين قالا للسجان (آمن بالرب يسوع المسيح تخلص أنت وأهل بيتك) (أعمال ١٦ :٣١).

---

(١) وأما قوله: (اعملوا لخلاصكم) فهو ترجمة للعبارة نفسها باليونانية

τὴν ἑαυτῶν σωτηρίαν κατεργάζεσθε

وتساويها بالقبطية ⲁⲣⲓϩⲱⲃ ⲉ ⲡⲉⲧⲉⲛⲟⲩϫⲁⲓ وبالإنجليزية Work out your own Salvation وبالفرنسية Travaillez à votre Salut.

إنهما لم يقولا له ما قاله صاحب تلك النشرة (إن آمنت.. فقد خلصت تماماً).

ولا قالا له: إن آمنت.. خلُصت (بحذف (تماماً)).

وكل ما قالاه له (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك). **ومما هو جدير بالذكر أن كلمة (تخلص) هنا قد جاءت فى اللغات الأصلية فى الزمن (المستقبل) لا فى الزمن الماضى، مما يدل على أن الخلاص لم يتم بمجرد الإيمان، ولا يتم بالإيمان، ولكنه سيتم مستقبلا إذا تحقق الإيمان كخطوة أولى، وتلاه ما بعد الإيمان من جهاد روحى (بخوف ورعدة).**

وها هو نص العبارة القدسية باللغة اليونانية: καὶ σωθήσῃ σὺ

والفعل اليونانى المستخدم هنا هو فى زمن المستقبل، وترجمته حرفيا (فستخلص).

وكذلك يقول النص القبطى ⲟⲩⲟϩ ⲉⲕⲉⲛⲟϩⲉⲙ̀ⲛⲑⲟⲕ ومعناه (فستخلص) أنت أى أن الخلاص سيتم مستقبلا وليس الآن.

وكذلك الترجمة الإنجليزية تقرأ : And thou shall be saved

و أيضاً الفرنسية : et tu seras sauvé

وحتى التعبير العربى نفسه (تخلص) يفيد أيضاً أن الخلاص سيتم مستقبلا لا حاضراً.

ثم إن الرسولين قالا للسجان (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك).

فما قولك فى خلاص أهل بيت ذلك السجان؟ وإذا تمشينا مع زعمك أن السجان قد خلُص بإيمانه بالمسيح (وهو زعم باطل كما أثبتنا) فهل خلص أهل بيت السجّان أيضاً بإيمان السجان، إذا كان الخلاص قد تم فى الماضى حسب قولك (فمتى آمنت.. فقد خلُصت تماماً)؟

أهل يمكن أن نتصور أن أناساً يخلصون بإيمان لم يسمعوا به بعد، ولم يكونوا قد بشروا به بعد؟

ألا يتضح لك أن مفهوم عبارة الرسولين التى اقتبستها أنت تأييداً لرأيك ومساندة لقولك، بعيد كل البعد عما ذهبت إليه؟. إذ أن الرسولين يجيبان بهذه العبارة على سؤال رجل وثنى لا يعرف عن المسيح شيئاً، لا بالنظر ولا بالعمل، يسألهما عن سبيل الخلاص. **فكان من الطبيعى أن يهدياه إلى الخطوة الأولى وهى الإيمان بالمسيح، فإذا خطاها أرشداه إلى الخطوة التالية. وهذا ما حدث فعلاً، لأن الرجل بعد ذلك دعاهما**

إلى بيته فشرحا له ولذويه عقائد الإيمان المسيحى، وبعد ذلك عمداه هو وأهل بيته أجمعين. وبالمعمودية دخل إلى الكنيسة وصار عضوا فيها، يجاهد ويتعب ويسهر من أجل خلاصه النهائى فى يوم الحساب.

وهنا أسأل صاحب تلك النشرة من أين لك هذا الزعم الأثيم (فمتى آمنت أن المسيح حمل كل خطاياك خلصت منها تماما)؟

وكيف جاز لك أن تقتبس عبارة الرسولين بولس وسيلا (آمن بالرب يسوع المسيح تخلص أنت وأهل بيتك) وتسرقها لتساند زعما فاسدا وتعليما هرطقيا شريرا هداما، يهدم كل تعاليم المسيح ورسله وقديسيه، ويتلف كل تراث الكنيسة الروحى وثروة أسرارها المقدسة المستودعة لديها لخلاص النفوس؟

الإيمان وحده لا يُخلِّص
إنما (المعمُودية) هى التى تخلِّص

اسمعنى وسأريك كيف أن تعليمك ذاك ينقض تعاليم سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح فيما تزعم أنك معلم الخلاص.

إن مخلصنا وهو معلمنا الأعظم الذى منه تعلم الرسل وكل آباء الكنيسة المعتبرون أنهم أعمدة، هو الذى يعلمنا معنى الخلاص وسبيل الخلاص. لقد قال لتلاميذه الأطهار فى وصيته الختامية إليهم قبيل صعوده علنا إلى السماء:

(اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا بالإنجيل كل الخليقة، **فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن أدين) (مرقس ١٦ :١٥- ١٦).**

وهنا أسأل كاتب النشرة لماذا لم يقل المسيح وهو معلمنا الأعظم (من آمن خلص)؟ **لماذا أضاف على الإيمان شرطا آخر، وهو المعمودية؟**

إذا كان لكل كلمة قالها مخلصنا معنى يجب ألا نتجاهله وإلا هلكنا، فكيف تتجاهل أنت قول سيدنا وتزعم ضدا لتعليمه أن الإيمان وحده يخلص الإنسان أو كما تقول (فمتى آمنت.. فقد خلصت تماما)؟!

لعلك أيها الكاتب لتلك النشرة متأثر لا بتعليم مخلِّص العالم بل بتعليم سبرجن C.H SPURGEON ١٨٣٤-١٨٩٢ أحد قادة البروتستانت الذى نسب إليه أنه قال على أحد المنابر فى

إحدى عظاته: (المعمودية كالقش. ولو لم يقل الكتاب المقدس أن المسيح عمد لما مددت يدى وعمّدت أحداً) !!

لو كان الإيمان وحده يكفى للخلاص، فلماذا قال المسيح له المجد لنيقوديموس الذى كان يؤمن بالمسيح فعلا وقد جاء إليه بنفسه (وقال له يا معلم نحن نعلم أنك جئت من الله معلما لأنه ما من أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التى أنت تصنع ما لم يكن الله معه) ؟ لماذا قال رب المجد له (**الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله**) ؟ ولما سأله نيقوديموس عن هذه الولادة الثانية وكيف يمكن أن تحدث لرجل شيخ (**أجاب يسوع وقال له: الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣ :١- ٥) .**

وإذن فمخلصنا هو الذى أضاف إلى شرط الإيمان به شرطا آخر هو المعمودية. ولا يمكن أن تكون المعمودية علامة ظاهرية كما يزعم البروتستانت لأن مخلصنا لا تعنيه العلامات الظاهرية، وإنما يعنيه القلب أولا وما يحدث فى القلب من تغيرات نتيجة لفعاليات الروح القدس، الذى يحل فى مياه المعمودية فيكسبها القدرة الخالقة على أن تلد الإنسان الذى ينزل فيها ميلادا ثانيا من فوق، فيدفن (كولوسى ٢ :١٢)، (رومية ٦ :٤، ٥) فى مياه المعمودية الإنسان العتيق (رومية ٦ :٦)، (افسس ٤ :٢٢)، (كولوسى ٣ :٩) . ويلبس الإنسان الجديد ذاك الذى يتجدد فى المعرفة على صورة خالقه المسيح (كولوسى ٣ :١٠)، (افسس ٤ :٢٤)، (غلاطية ٣ :٢٧) .

فإذا سقط الإنسان بعد المعمودية فى خطايا من جديد - وهذا ممكن - وندم على خطاياه وأراد أن يعود إلى حياة القداسة من جديد، فليباشر أعمال التوبة. وحينئذ، إذا كانت توبته صادقة وغير غاشة، فإن الروح القدس الفاعل فى سر التوبة ينقل إليه استحقاقات دم المسيح، فيتطهر من جديد، من خطاياه الفعلية، ويعود إلى حالة البرارة والقداسة التى كان قد حصل عليها فى سر المعمودية.

فالإيمان بالمسيح ليس هو الذى يخلص الإنسان، وإنما الإيمان هو الخطوة الأولى التى لابد منها لكل من يريد أن يخلص.

والخلاص فى المسيحية خلاصان، الخلاص الأول أو الأولى هو من عمل الله والإنسان معا، وهو الخلاص من الخطايا الأصلية والخطايا الفعلية السابقة على المعمودية (إن وجدت) ويتم

بالإيمان (وهذا هو عمل الإنسان) وبالعماد (وهذا هو عمل الله) . لأن الروح القدس هو الذى يعمل بفعاليات مستورة وغير منظورة ليخلق الإنسان من جديد.

وعلى ذلك فالإيمان هو إستعداد الإنسان لعمل الله، أما عمل الله فيتم بالمعمودية.

وإذن فليس الإيمان هو الذى يخلص، لكن المعمودية هى التى تخلص لأن فيها يأخذ الإنسان عمل المسيح بفعالية الروح القدس.

ولذلك قال مخلصنا (فمن آمن واعتمد خلص) ، ولم يقل من آمن فقط خلص أى أنه اشترط المعمودية للخلاص، ولم يقل إن الإيمان هو الذى يمنح الإنسان الخلاص.

إن الإيمان هو الذى يفتح السبيل للخلاص، ولكنه لايخلص. فإذا لم يتوافر الإيمان كان عدم توافره إغلاقاً من جانب الإنسان لباب الخلاص. ولذلك قال المعلم الأعظم (ومن لم يؤمن أدين) . فكما أن الإيمان يفتح أمام الإنسان باب الخلاص، كذلك عدم الإيمان يُغلق أمامه سبيل الخلاص.

ودليلك على أن المعمودية هى التى تُخلِّص، وليس مجرد الإيمان، قول الكتاب المقدس (الفلك، فنجا فيه بالماء عدد قليل، أى ثمانية أشخاص، وكان هذا رمزا للمعمودية التى تخلصكم الآن أنتم أيضاً، لا بإزالة وسخ الجسد، بل بعهد صادق النية مع الله بقيامة يسوع المسيح(١) . وقول الوحى الإلهى أيضا على فم القديس بولس الرسول (فلما تجلى لطف الله مخلصنا ومحبته للبشر، خلصنا هو، لا اعتبارا لأعمال برّ عملناها نحن، **بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى لحياة جديدة بالروح القدس)** (تيطس ٣ : ٤، ٥) إلى آخرها من النصوص التى تثبت لنا بكل وضوح **أن الإيمان يمهد ويفتح لنا سبيل الخلاص، أو قل يضعنا على الطريق، ويخطو بنا أول خطوة فى الطريق، ولكنه ليس هو الذى يخلص. لكن المعمودية، وفيها ننال عمل المسيح واستحقاقات الفداء بفعالية الروح القدس، هى التى تخلّصنا.**

وبعد المعمودية يلزمنا الثبات والصبر والكفاح والجهاد لنبلغ أخيرا إلى الخلاص الآخر أو هو الخلاص النهائى، وهو الخلاص الذى تكلم عنه

(١) (١ . بطرس ٣: ٢٠، ٢١) حسب النصوص اليونانية والقبطية.

الوحى بقوله (اعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة) والذى تحدث عنه مخلصنا بقوله (ولكن الذى يصمد إلى النهاية يخلص) . (متى ١٠ : ٢٢)، (٢٤ : ١٣)، (مرقص ١٣ : ١٣) .

أرأيت إذن أيها الأخ إلى أن تعبيرك (فمتى آمنت... فقد خلصت تماماً) تعبير يتعارض مع تعليم المخلص، وتعليم رسله القديسين، وآباء الكنيسة؟

صدقنى إن البروتستانت أنفسهم لايجرؤون على أن يعبِّروا عن الخلاص بهذه الصورة التى تجاوزت كل حدود. ولا أذكر أننى قرأت فى كتاب بروتستانتى ما تكتبه أنت فى نشرة تصدر من كنيسة أرثوذكسية (وتطلب من القمص .... بطنطا) ؟ من يجرؤ فى كل الدنيا على أن يقول (متى آمنت.. خلصت تماما) ؟

إنه يصعب على أن أصدق أن شخصا تربى فى أحضان الكنيسة الأرثوذكسية يقول مثل هذا الكلام.

إنه يستحيل علىَّ أن أصدق أن رجلا رضع ألبان الكنيسة الأرثوذكسية واستنشق من أنفاس آبائها وأعلامها، وشرب من روحها وعاش بين طقوسها وأنغامها وألحانها، وعب من رحيقها، وتنسم رائحة بخورها وقرابينها.. يمكنه أن يقول مثل هذا الكلام، أو حتى يستسيغه.

إنى أثق كل الثقة أن إبنا حقيقيا للكنيسة، تتملذ على آبائها وعلمائها الأرثوذكسيين، لايمكن أن يصدر عنه مثل هذا القول المنحرف ولايمكن أن يقبله، ولا يقبل أن يسمعه. ولذلك كان من الطبيعى أن مثل هذه النشرات المسمومة تتأذى لها مسامع الأرثوذكسيين من كهنتنا وشعبنا، فتقيأوها ولفظوها، لأنها كانت بالنسبة لهم غير مقبولة ولا معقولة ولا مهضومة. لقد كانت ولا تزال كجسم غريب دخل رئة إنسان سليم، أو عينه، فلابد للرئة السليمة من السعال لتطرد عنها الجسم الغريب، ولابد للعين السليمة من أن تدمع لتلفظ هذا الغريب.

ياليت لهذا الجسم الغريب أن يحس أنه غريب، غريب، وأنه سيظل غريبا عن جسم الكنيسة وروحها وعقلها وتراثها، وأنه سيذهب كما ذهب غيره من الغرباء (فأبواب الجحيم لن تقوى عليها) (متى ١٦ : ١٨) .

---

(١) متى ١٦ : ١٨ .

٧- أكاليل المعمدين(١)

سؤال : من الإبن الإكليريكى الإيبودياكون جورج حبيب بباوى بجامعة كيمبردج - انجلترا.

يقول : إن استعمال الأكاليل فى سر مسحة الميرون أمر غريب جدا، وهو طقس تنفرد به الكنيسة القبطية وحدها.. ويلاحظ أن التيجان أو الأكاليل كانت تستخدم فى عيد المظال عند يهود الشتات، ثم استخدمت عند الغنوسيين مع إضافة الملابس البيضاء.. ترى هل يمكن القول إن استخدام الأكاليل قديم جدا فى الكنيسة، وإنه مستعار من اليهودية، خصوصا وأن المسيحية انتشرت بين يهود الشتات أولا فى الاسكندرية.

وسؤال آخر يتفرع من الأول: ما هو نوع التيجان المستخدمة، هل هى من نبات الغار أو الآس myrtle أم من المعدن أم ماذا؟

وسؤال ثالث: متى أبطلت الكنيسة وضع الأكاليل على رؤوس المعمدين؟ وهل توجد لدينا نصوص أخرى تؤكد استخدام الأكاليل في سر الميرون؟

الجواب :

إن الأكاليل التى توضع على رؤوس الأطفال المعمدين بعد ارتدائهم ملابسهم البيضاء الجديدة، وشد وسط كل واحد منهم بزنار بمثال الصليب، ليس لها علاقة بالأكاليل أو التيجان التى كان يستخدمها يهود الشتات فى عيد المظال عندهم، أو التى كان يستعملها الغنوسيون. إن تلك الأكاليل التى يلبسها أطفالنا، طقس مسيحى، لحما ودما، يشير إلى الغلبة والنصرة التى نالها المعمد باسم ربنا يسوع المسيح، وإلى الحرية الجديدة، والعتق من عبودية الشيطان، والفكاك من أسر الجحيم وقيوده، وإلى المجد والكرامة التى صارت لمن ولد من الله بالمعمودية المقدسة، وقد أصبح بسر الميرون الذى مسح به عقب خروجه من جرن المعمودية، ملكا ونبياً وكاهناً.

ومن مفاعيل سر الميرون أنه يُصيِّر الذين ينالونه ملوكا، وكهنة (١ بطرس ٢ : ٥، ٩)، (سفر الرؤيا ١ : ٦)، (٥: ١٠). قارن (الخروج ١٩ : ٦)، (العدد ١٦ : ٣، ٢٠-٣٥). وأنبياء:

ملوكا على أنفسهم وأجسادهم، فيسيطرون على ميولها وشهواتها...

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة، العددين ٣، ٤ - مارس (آذار)، وأبريل (نيسان) لسنة ١٩٦٧م – صفحة ٧٢ – ٧٦.

وكهنة يقدمون أنفسهم وأجسادهم لله ذبيحة مقدسة مرضية عند الله (رومية ١٢: ١)، (٦: ١٣، ١٦، ١٩)، (١كورنثوس ٦: ١٣، ٢٠)، (١بطرس ٢: ٥). ويقدمون عن أنفسهم صلوات وأصواما وصدقات وذبائح التسبيح. أى ثمار شفاه معترفة باسمه (العبرانيين ١٣: ١٥). أنظر أيضاً (مزمور ٤٩: ١٤، ٢٣)، (١٠٦: ٢٢)، (١١٥: ١٧)، (هوشع ١٤: ٢). ثم ذبائح الخير والرحمة والعطاء والتوزيع (العبرانيين ١٣: ١٦)، (٢كورنثوس ٩: ١٢، ١٣)، (افسس ٤: ٢٨)، (رومية ١٢: ١٣)، (فيلبى ٤: ١٨)..

ثم **أنبياء** لأن الرّوح القدس يهبهم روح النبوءة والحكمة والفهم والمشورة والمعرفة. (إشعياء ١١: ٢).

فإذا كان المعمَّد ينال بسر الميرون امتلاء الروح القدس. (لوقا ٤: ١)، (أعمال الرسل ٢: ٤)، (٤: ٨، ٣١)، (٦: ٣، ٥)، (٧: ٥٥)، (٩: ١٧)، (١١: ٢٤)، (١٣: ٩، ٥٢). ويصير ملكا على ذاته، وعلى جسده، بعد أن كان مملوكا للشيطان وأسيرا فى مملكة إبليس، فالإكليل الذى يلبسه، هو علامة ظاهرية للإشارة إلى النعمة الباطنية التى وشحه بها الروح القدس الذى فاض عليه بغزارة فى سر مسحة الميرون.

يقول الكتاب المقدس (لأنه إن كان بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد، يسوع المسيح.. حتى إنه كما أن الخطيئة ملكت للموت كذلك تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح). (رومية ٥: ١٧، ٢١). أنظر أيضاً (رومية ٦: ١٢).

ويقول القديس امبروسيوس AMBROSIUS (٣٣٩ – ٣٧٩م) (إنّ كلّ مؤمن يُمسح **كاهنا، وملكا... ملكا روحيا**، وكاهنا روحيا يقرب لله ذبائح وتقدمات الشكر والتسبيح) (١). ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه (٣٤٧ – ٤٠٧م) (إن الذين كانوا يُمسحون فى العهد القديم هم: إما كهنة، وإما أنبياء، وإما ملوك. **أما نحن المسيحيين، أصحاب العهد الجديد، فيجب أن نُمسح لكى نصير ملوكا متسلطين على شهواتنا، وكهنة ذابحين أجسادنا ومقدمين إياها ذبيحة حية مقدسة مرضية، عبادتنا العقلية، وأنبياء لاطلاعنا على أسرار عظيمة جدا وهامة للغاية)**.

(١) فى الكهنوت، جزء ٤.

ومما يدل على أن الأكاليل التى يلبسها المعمدون بعد دهنهم بسر الميرون يشار بها إلى النعمة الباطنية التى ينالونها بهذا السر المقدس، ما يقوله الكاهن فى صلاته على هذه الأكاليل:

(أيها الرب الإله القادر على كل شئ، أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذى كلَّلَ رسله القديسين الأطهار، وأنبياءه وشهداءه الذين أرضوك، بأكاليل لا تذوِى، بارك الآن أيضا هذه الأكاليل التى هيأناها لنضعها على عبيدك الذين اتحدوا بالمعمودية المقدسة، لكى تكون لهم أكاليل مجد وكرامة، آمين، أكاليل فضيلة وبر، آمين، أكاليل حكمة وفهم، آمين، قوهّم ليتمموا وصاياك وأوامرك، ويفوزوا بخيرات ملكوت السماوات..)(١).

ويقول الكاهن وهو يضع الإكليل على رأس كل واحد من المعَمّدين الممسوحين بمسحة الميرون المقدس:

(ضعِ أيها السيد الرب على عبيدك أكاليل من السماء، آمين؛ أكاليل مَجد، آمين، أكاليل إيمان لايغلب ولايُقاوم، آمين، أكاليل ثبات، آمين، أكاليل البر... بالمجد والكرامة كلله..) (١).

وبعد الانتهاء من وضع الأكاليل يرتل المرتلون قائلين (أكاليل لاتذوِى وضعها الرب على الذين نالوا المعمودية المقدسة التى ليسوع المسيح) (١).

هذا هو معنى الأكاليل التى يضعها الكاهن على رأس كل واحد من المعمدين بعد نيله سرى المعمودية والميرون.

نوع الأكاليل ومادتها

لم يُعين كتاب(١) المعمودية والميرون المستخدم في كنيستنا المادة التي تصنع منها هذه الأكاليل. ويظهر أن الكنيسة تركت أمرها لظروف الزمان والمكان. فقد تكون من الغار، أو من الآس، أو من المعدن. ويقول بتلر A.J. BUTLER المؤرخ البريطاني فى كتابه الذى وضعه سنة ١٨٨٤م إن هذه الأكاليل ضفيرة من الزهور (garlands) (٢). تتوج بها رأس المعمّد.

---

(١) عن كتاب المعمودية المقدسة المستعمل فى كنيستنا الأرثوذكسية، كنيسة الأسكندرية.

(2) (A.J. BUTLER, The Ancient Coptic Churches of Egypt, Oxford, 1884, Vol. 11, P. 271, 273)

هل أبطلت الكنيسة وضع الأكاليل على المعتمدين

إن الكنيسة لم تبطل هذه الأكاليل بدليل أنه مازال منصوصا على وجودها فى كتاب الصلوات الذى بين أيدينا والذى يستخدم اليوم. وقد يكون هناك من أهملها. لكن الإهمال خطأ وتقصير، وليس قاعدة ولا قياسا يقاس به أو عليه.

هل انفردت كنيستنا بهذا الطقس

أقول لا. إن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة تشترك معنا فى هذا الطقس، وتنص عليه فى كتبها وتمارسه عمليا.

يقول القديس افرآم السريانى (٣٠٦ - ٣٧٣م) موجها خطابه إلى المعمدين الممسوحين بالميرون ومشيرا إلى الأكاليل التى وضعت على رؤوسهم:

(ملابسكم تلمع، وإكليلكم يضئ، وبهاء البكر (أى المسيح له المجد) قد ستركم بواسطة قميصه).

ويقول مارفليكسينوس يوحنا دولبانى مطران ماردين وتوابعها للسريان الأرثوذكس فى كتابه (المختار فى الأسرار): (ووضع الإكليل رمز إلى الحرية التى نالها المسيح، إذ عتقه بالعماد من عبودية الشيطان والخطية. وأضحى باتحاده معه غالبا منصورا. ولذا يعقد على رأسه اكليل الظفر) (١).

من خطاب نيافة مار ساويريوس زكا عيواز
مطران الموصل وتوابعها بالعراق، للسريان الأرثوذكس

كنت قد أرسلت إلى صديقنا الوفى الحبيب صاحب النيافة الحبر جزيل الاحترام مارساويريوس زكا عيواز مطران الموصل وتوابعها بالعراق، للسريان الأرثوذكس (الآن صاحب القداسة البطريرك ماراغناطيوس زكا عيواص بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس) أسأله عن استخدام الأكاليل للمعمدين بالكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة، فتفضل نيافته فأرسل إلينا نبذة كتبها خصيصا لهذا الغرض، نقتبس منها مايلى:

---

(١) (المختار فى الأسرار) تأليف مارفيلكسينوس يوحنا دولبانى، حلب، ١٩٥٥ - صفحة ١٤ بند ١٩.

(وحال إصعاد المعتمد من جرن المعمودية، يدهن الكاهن جسمه بالميرون المقدس، أي يمنحه سر التثبيت).

(ثم يلبس ثوبا أبيض إشارة إلى خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد وصيرورته بواسطة المعمودية نورا فى الرب، كما يشير الثوب الأبيض أيضا إلى حلّة الخلود النيرّة التى سيتوشح بها المعتمد بعد القيامة).

(ثم يصعد المعتمد إلى المذبح، إذا كان ذكرا (وأما الأنثى فتحملها الاشبينة أمام باب الهيكل من الخارج) **ويضفر الكاهن للمعتمد إكليلا (وهو قطعة من القماش الأبيض يشدها الكاهن فى رأس المعتمد أو المعتمدة). وأثناء هذا يصلى الكاهن قائلا: (كلل يارب عبدك هذا (أو أمتك هذه) بالبهاء، والمجد. ووفقه لما يرضيك وتمجيد جلالك، أيها الآب والابن والروح القدس، إلى الأبد).**

(ثم يرنم الشمامسة بالسريانية الأنشودة التى ترجمتها:

(رتلوا يا إخوتنا مجدا لابن رب الكل، الذى ضفر لكم أكاليل من نهر الأردن.

(لتتلألأ ملابسكم يا إخوتى كالثلج، وليضئ بهاؤكم مثل الملائكة.

(إذ صعدتم اليوم من نهر الأردن بقوة الروح القدس كالملائكة طهرا.

(والثمرة التى لم يذقها آدم فى الفردوس وضعت اليوم بفرح فى أفواهكم).

وعند إنشاد السطر الأخير يناول الكاهن المعتمد القربان المقدس.

(قال مارسويريوس يعقوب البرطلى مطران دير مار متى (١٢٤١ +) فى كتابه (الكنوز) ما ترجمته:

إنّ الإكليل الذى يضفر فى رأس المعتمد يرمز إلى الحرية التى حصل عليها المعتمد من المسيح بواسطة المعمودية، وإلى تحرره من الشيطان.

ودخول المعتمد إلى المذبح يشير إلى التقدم إلى شجرة الحياة التى مُنع آدم من الأكل منها. كما يشير تناول القربان المقدس إلى أنّ المعتمد قد إتحد بكلمة الإله (المتجسد) وأصبح عضوا فيه، وإلى ذبح العجل المسمن له، لأنه كان ميتا فعاش).

وفى ختام خطابه يذكر نيافة مارساويريوس زكا عيواص بعض المصادر السريانية، التى رجع إليها نيافته وهى:

الهدايات ـ لمارغريغوريوس ابن العبرى (١٢٨٦+)

الأشعة ـ لمارغريغوريوس ابن العبرى

الكنوز ـ لمارسويريوس يعقوب البرطلى (١٢٤١+)

طقس العماد ـ طبعة المثلث الرحمة البطريرك افرآم الأول برصوم سنة ١٩٥٠ الصفحة ١٣٥، ١٦٧.

٨ ـ هل المعمودية تعصم الإنسان من الخطيئة ؟(١)

سؤال : من أحد القراء:

إذا كان الإنسان بالمعمودية تنزع منه الخطيئة، فكيف يمكن بعد ذلك أن يخطئ والقديس يوحنا يقول (المولود من الله لايخطئ، والشرير لايمسه) (١. يوحنا ٥: ١٨).

الجواب :

الحقيقة إن هذا السؤال مزدوج. وهو عبارة عن سؤالين معا، لا سؤال واحد:

١- هل المعمودية تعصم الإنسان من الخطيئة ؟

بالطبع لا، وإلا يكون الله قد أعطانا عطية ليسحب منا عطية أخرى. فعطية الحرية التى أعطيت للإنسان كيف تسحب منه بالمعمودية؟ إن المعمودية لاتغّير من الحرية، بل المعمودية هى التى ترد للإنسان حريته بعد أن كان مستعبدا للخطيئة. إن المعمودية تجعل الإنسان أكثر حرية وأكثر تحررا، بل هى التى تحرره بالفعل من خطاياه.

المعمودية هى تطهير للإنسان، وهى التى ترده إلى الصورة الأولى التى كان الإنسان عليها قبل أن يخطئ. من قال لكم إن الإنسان الأول كان معصوما من الخطأ أو الخطيئة؟

إذن الإنسان يمكن أن يعتمد، وبعد العماد يقع فى الخطأ من جديد. وهذه هى الحكمة من منح سر الميرون فى الكنيسة بعد سر المعمودية مباشرة. لأنه بالمعمودية يُعتق الإنسان من خطيئته الأولى، ولكن لأنه قابل بعد المعمودية لأن يُخطئ بفضل الحرية التى له كإنسان، لذلك رأى الروح القدس فى الكنيسة ـ أن الإنسان فى حاجة إلى قوة جديدة تثبته فى حالة العتق من الخطيئة الأولى، وتحفظ له حالة العتق من العبودية، وهى الحالة التى حصل عليها فى المعمودية.

يحتاج الإنسان إلى فيض جديد من مواهب الروح القدس، لكى يثبت فى حالة عدم العبودية، ويثبت فى حالة القداسة الأولى. وهذا هو سر التثبيت، وهو أيضا سر المسحة المقدسة. هذا هو سر الميرون. وسر الميرون رُتب من قبل الله فى الكنيسة بسبب حرية الإنسان، حتى يكون له عونا يساعده ويحفظه، ومع ذلك فسر الميرون نفسه أيضا لايعصم الإنسان من

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة ـ العدد السابع ـ سبتمبر ـ ايلول لسنة ١٩٦٧م ـ صفحات ٣٤ – ٣٧.

الخطيئة، وإن كان يعطيه إمكانيات جديدة ونعمة جديدة تكون تحت طلبه حتى تحفظه فى حالة العتق من الخطيئة.

لنفرض مثلا أن رجلا كان مدينا بمبلغ ١٠٠٠ ألف جنيه، وقُبض عليه وسجن. لكن واحدا ترفق بالرجل وأراد أن يخلصه من دينه، فدفع له المبلغ واعتقه من السجن. لكن هذا الرجل المدين بهذا الدين، ما لم يعط مبلغا آخر إضافيا، فإنه سيضطر إلى الاستدانة من جديد بعد دقيقة واحدة من دفع الدين، لأنه فى حاجة إلى مبلغ جديد ينفق منه على احتياجاته الضرورية. هكذا من الوجهة الروحية إنه يلزمنا، بعد خروجنا مباشرة من جرن المعمودية وتحريرنا من خطايانا الأصلية والفعلية، قوة فيض جديد لنعوض بها عما نفقده فى كل يوم بسبب حربنا مع الجسد، ومع الشيطان، ومع الناس. وسر الميرون هو الذى يعطى هذا التعويض، لأنه فيض جديد من مواهب الروح القدس، به يمتلئ الإنسان، وبه يقدر أن يصمد أمام الأزمات الجديدة، ويستطيع أن يسحب من هذه القوة ليغالب الحروب، ويغالب الاحتراقات، ويعوض عن الخسائر التى تحصل له فى حياته الجديدة.

إذن سر الميرون أيضا فى الكنيسة دليل جديد على أن الإنسان حر، وعلى أن المعمودية لاتعصمنا من الخطأ. وإنما المعمودية تحررنا من أنفسنا، لكنها لاتحرمنا من نعمة الحرية، فيمكن للإنسان أن يخطأ من جديد إذا شاء.

ب ـ الجزء الثانى من السؤال: مامعنى قول الرسول (ابن الله لايقدر أن يخطئ والشرير لايمسه؟)

الجواب: إن المولود من الله لايخطئ فى حالة كونه مولودا من الله، ولو احتفظ بهذه الامتيازات لايقدر أن يخطئ. لماذا؟ لأنه فى حالة الامتلاء من الروح القدس وفى حالة القداسة التى أصبح إليها، تُمسى الخطيئة غير مقبولة لديه، وتمسى مكروهة جدا لديه، وتمسى شنيعة فى عينيه، بل تصير عفنة وقذرة لايقدر أن يتطلع إليها بعينيه.

خذ مثلا لذلك قطعة من اللحم المتعفن. فحينما تكون هذه القطعة من اللحم يتحرك فيها الدود ولها هذه العفونة، هل تقدر أنت أن تُقبل عليها؟ بالطبع لا. لو أن واحدا قربها إلى فمك، لأشحت عنها وجهك وسددت أنفك، لأنك لاتقدر أن تقبلها. وقد تكون جائعا، ومع ذلك لايمكن أن تقبلها ولا تستسيغها ولاتقدر أن تأكلها، فبمثل هذه الشناعة، تُمسى الخطيئة شنيعة جدا،

وتمسى الخطيئة مكروهة للإنسان المولود من الله، والذى يحتفظ بحالة الولادة من الله، ويحفظها ويصونها بوسائط الخلاص المعدة له فى الكنيسة.

هذه هى مشاعر القديسين عندما يكونون فى حالة الروحانية العالية، إذ تصبح الخطيئة مكروهة لهم جدا، ولايقدر واحد منهم أن يتطلع إلى الخطيئة، إذ يكون قد وصل إلى مرحلة يعلو فيها على الحرب ويعلو فيها على الصراع. ونلاحظ أن الكلام الذى قاله الرسول (الجسد يشتهى ما هو ضد الروح، والروح يشتهى ماهو ضد الجسد (غلاطية ٥: ١٧) يصف فيه مرحلة أولية من حياة التوبة، ويعبر فيها الرسول عن مرحلة التماس بين حالة الخطيئة وحالة التوبة.

هذه المرحلة التى يكون فيها الإنسان قد خرج من حالة الخطيئة ودخل فى حالة النعمة. هنا فى هذه المرحلة يكون الإنسان فى حالة حرب شديدة: قوة تشده من هنا، وأخرى تشده من هناك، إنما هذه الحالة لاتستمر طويلا، هذا النزاع بين الروح والجسد لا يستمر طويلاً، بل شيئا فشيئا يبدأ الإنسان فى حالة النعمة ودخوله فى دائرة الفضيلة يعلو شيئا فشيئا على مرحلة التماس ويعلو على مرحلة الصراع، ولا تكون الخطيئة بعد جذابة ولا يكون لها إغراء. وقد تحاول الخطيئة أن تدخل إلى مجال الإنسان النقى أو القديس لكن عن غير طريق الخطيئة الواضحة، تدخل إليه مستورة متسترة، تدخل إليه لابسة لباسا غير لباسها، لأن يوم أن تدخل الخطيئة بلباسها الحقيقى تكون شنيعة جدا فى نظر القديسين.

وربما يصل الإنسان فى حالة الفضيلة إلى مرحلة معها تسقط عنه الحرب الداخلية، لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يصل إلى مرحلة تسقط عنه كل الحروب. فالروحانيون حربهم فى الغالب أصبحت حربا خارجية، بعد أن يكونوا بالمجاهدات الروحية قد طردوا الشهوات من حياتهم ووصلوا إلى مرحلة الاتحاد بالله، وبعد أن يكونوا قد وصلوا إلى فعل الإماتة، بأن يموت الإنسان عن نفسه ويصل إلى المرحلة التى عبر عنها الرسول (فما أنا أحيا بعد، بل إنما المسيح يحيا فى) (غلاطية ٢: ٢٠) يكون قد مات بمعنى الإماتة الجسمانية، وفعل الإماتة معناه أن يموت الإنسان نهائيا عن رغباته، وتسقط عنه كل شهوة وتصبح إرادة الله هى إرادته ومشيئة الله هى مشيئته، وتصبح شهواته كلها صالحة.

إن كبار الروحانيين يصلون إلى هذه المرحلة، فمعها تسقط الحرب الداخلية، لكن مع هذا تكون هناك حرب من الخارج. والشيطان يحاربهم عن طريق المثيرات الخارجية لكن قد لا

تكون لها أثر عليهم، وأيضاً عن طريق الاضطهادات، أو عن طريق الحروب، أو عن طريق المعاكسات من الناس، أو معاكسات من أى قوة خارجية، أو أنواع من الضيق والشدائد التى يقعون فيها، أو أى نوع من الظلم الذى يصيبهم من الناس. نعم يمكن أن يصل كبار الروحانيين إلى مرحلة معها تسقط عنهم الحروب الداخلية أو على الأقل تقل جداً إلى الدرجة التى تصبح معها تكاد أن تكون معدومة.

فى هذه المرحلة فقط يمكن أن نقول فعلا إن المولود من الله لا يخطأ، والشرير لايمسه. لأنه وصل إلى مرحلة فيها نفسه قد ارتفعت فوق الحرب الداخلية، وأصبح ـ وهو مولود من الله ـ محتفظاً وصائنا لهذه الحالة، وهذه الصورة التى أخذها من الله. وطبعا هذا يحتاج إلى المجاهدات الروحية من صلوات وأصوام وتأملات وسماع سير القديسين، والمراقبة المستمرة للنفس، ومحاسبة الضمير، ومحاسبة النفس محاسبة مستمرة، وعلى رأس وسائط الخلاص سر التناول، وهو سر القربان المقدس، الذى هو سر التقوى.

كل هذا يرينا أنه من الممكن أن يصل الإنسان، وقد وصل فعلا كبار الروحانيين، إلى المرتبة التى فيها يقول الرسول يوحنا (المولود من الله لا يخطئ، والشرير لا يمسه) . لكن مرة أخرى لا يفهم من هذا، أن الإنسان يصل إلى حالة العصمة أو يصبح بلا حرية. كلا. ولكنه بحريته أخضع نفسه وحريته لله، ولهذه الحياة الروحانية الكبيرة العالية.

٩- حول عماد الأطفال (١)

سؤال : من أحد القراء :

قال الكتاب المقدس (من آمن واعتمد خلص) (مرقس ١٦: ١٦) فالطفل كيف يمكن أن يؤمن؟ والآن فقد نقص شرط من شروط المعمودية، وبناء عليه يجب ألا يعمد الطفل حتى يدرك الإيمان.

الجواب :

(من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن أدين) . إن كنا نريد تفسير أي نص في الكتاب المقدس تفسيراً سليما، يجب أن نضع في الاعتبار المناسبة والسياق الذي قيل فيه هذا النص، لأن نصوص الكتاب المقدس لا تتعارض مع بعضها بعضا.

فسيدنا ومخلصنا عندما قال: (من آمن واعتمد خلُص) كان يتكلم مع الآباء الرسل بخصوص الكرازة. وقال لهم (اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا بالإنجيل كلَّ الخليقة، فمن آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمن أدين) (مرقس ١٦: ١٥، ١٦) . فهنا يكلِّم السيد تلاميذه عن الكرازة بالإنجيل، والكرازة بالإنجيل هي للكبار الناضجين لا للأطفال الصغار، فكان لابد بالنسبة للكبار أن يشترط الإيمان. على أن هذا لا يطعن بتاتا في عمل المعمودية، لأن يوم أن أراد المسيح أن يتكلم عن فاعلية المعمودية لم يشترط الإيمان، فيوم أن تكلم مع نيقوديموس لم يأت بفكرة الإيمان، إنما قال: (إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لايمكنه أن يرى ملكوت الله) (يوحنا ٣: ٣) لأنه كان في مجال بيان قيمة المعمودية وأهميتها وأنها الولادة الجديدة وأنها ضرورية للخلاص، ولم يشترط المسيح الإيمان. لأن الإيمان كل قيمته أن يزيح العوائق التي تكون من قبل الإنسان، أما الطفل فلا عائق عنده من عمل الروح القدس. ونحن نعلم أن الأطفال يمكن أن يعمل الروح القدس فيهم. وقصة المعمدان ليست ببعيدة، فالروح القدس حل على يوحنا المعمدان وهو جنين في بطن أمه (لوقا ١: ٤١- ٤٤) . إذن عمل الروح القدس في الطفل لايتوقف أبدا لا على الإيمان ولا على العقل ولا على المستوى الفكري، وإنما هو عمل الله مباشرة. إن أهمية الإيمان هي في حالة الإنسان الكبير الذي يضع في ذهنه عوائق تعوق عمل الروح القدس، لكن العمل هو عمل الروح القدس وليس عمل الإنسان.

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة، العدد السابع - سبتمبر - ايلول لسنة ١٩٦٧م- صفحات ٣٨، ٣٩.

الإيمان بالنسبة للإنسان البالغ برهان على أنه أزال العوائق البشرية التى تعوق عمل الروح القدس. هذه هى قيمة الإيمان. لكن الإيمان ليس هو سبب فعالية الروح القدس. معنى الإيمان بالنسبة للكبار أنهم تركوا معطلات عمل الروح القدس. أما فعاليات الروح القدس فلا يشترط فيها الإيمان ولا يشترط فيها العقل ولا مستوى الإدراك، بل إن عمل الروح القدس يعمل فى الطفل بحرية أكثر مما يفعل فى الإنسان البالغ، لأن الإنسان البالغ قد يعيق عمل الروح القدس أو يعطل انطلاق عمل الروح القدس واندلاع والتهاب عمل الروح القدس فى قلب الإنسان، ولذلك يكون الطفل أكثر صلاحية من الإنسان الكبير للمعمودية.

نرجو أن نكون بهذا قد أوضحنا أن دور الإيمان فى المعمودية هو البرهان على أن الإنسان أزال من طريقه العوائق التى تمنع عمل الروح القدس فى حياته، لأن الروح القدس لا يمكن أن يسرى عمله فى الإنسان على الرغم منه. أما الطفل فلا يشترط فيه الإيمان، ثم إن الطفل لديه استعداد للإيمان أكثر من الإنسان البالغ. لهذا السبب ترجئ الكنيسة موضوع الإيمان بالنسبة للطفل، وتعمد الطفل على إيمان والديه. وتكتفى بأن تلزم الوالدين بتربية طفلهما فى الإيمان، وتطلب منهما أن يتعهدا بذلك أمام الكاهن.

سؤال آخر: **على أساس عدم أهمية الإيمان للأطفال هل يجوز عماد أطفال غير المؤمنين ؟**

الجواب:

عماد الأطفال غير المؤمنين ممكن، لو كان لنا ضمان بأن يكون هؤلاء الأطفال فى رعاية مسيحية. وهنا على الخصوص تبدو أهمية الإشبين الذى يتعهد أمام الكنيسة بتربية الطفل تربية مسيحية. أما من جهة عمل الروح القدس، فالروح القدس يمكن أن يعمل فى الطفل المولود من أبوين غير مسيحيين كما يعمل فى الطفل المولود من أبوين مسيحيين، سواء بسواء.

وهنا لايفوتنى أن أنوه إلى أن بعض الوالدين غير المسيحيين يعمدون أحيانا أطفالهم من أجل أن يعيشوا، فهم لايعمدونهم لكى يعيشوا مسيحيين، إنما يعمدونهم فقط لكى لايموتوا، ولكنهم ينشئونهم تنشئة غير مسيحية. هذا خطأ كبير ويجب منع هذه الظاهرة، لأننا فى هذه الحالة نعطى الأسرار لغير مستحقيها، وهذا خطأ عظيم.

١٠- الانضمام للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يقتضى قبول سر المعمودية فيها (١)

الابن المبارك س. ج. ك .

بعد منحكم البركات وصالح الدعوات.

وصلنا خطابكم المؤرخ فى ١٩٦٨/٢/٢٤م ونشكر الله لأنه أرشدكم بروحه القدوس إلى أن الكنيسة الأرثوذكسية هى كنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية.

إن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هى هى الكنيسة الرسولية الأولى التى احتفظت بالإيمان المستقيم وبالتسليم الرسولى كما هو ، دون تغيير ودون إضافة أو حذف.

ولكى تنضموا إلى هذه الكنيسة المقدسة، ينبغى أن تقبلوا سر المعمودية على يد كاهن قبطى أرثوذكسى فى أي بلدة. لكى تستطيعوا بعد ذلك تناول الأسرار المقدسة وممارسة جميع طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

والله قادر أن يقود خطواتكم إلى ما فيه خلاص نفسكم، وإلى حياة النمو فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح.

ونعمة الرب تشملكم،،،،، .

(١) الخطاب بتاريخ ٩ من يوليو- تموز لسنة ١٩٦٨م.

١١ـ لايجوز التقدم إلى الأسرار المقدسة لغير المعمدين فى الكنيسة الأرثوذكسية (١)

الابن المبارك القس ع. د.

ردا على سؤالكم الخاص بأسرةٍ، الأب فيها بروتستانتى والأم أرثوذكسية والأولاد نصفهم معمد أرثوذكسى، والنصف الباقى غير معمد. والنصف غير المعمد سمح له بعض الآباء الكهنة بالتناول من الأسرار، وبلغت أعمارهم سن الجامعة من ١٩ - ٢١ سنة أو أكثر.

نقول ـ لايجوز تقديم أحد إلى سر التناول ما لم يكن معمدا أولا.

أما تصرف الآباء الكهنة الذين سمحوا لغير المعمدين بالتناول من الأسرار المقدسة فهذا تصرف غير صحيح. وربما يرجع إلى عدم معرفة الكاهن بما إذا كان هؤلاء الأطفال أو الشباب قد تعمدوا أو لم ينالوا العماد بعد.

على كل حال فالواجب أن ينال أولئك الأطفال والشباب سر العماد حتى لو كانوا قد نالوا سر القربان خطأً.

من هذا يتضح:

أولا: إنه يجب دائما عمل توعية مستمرة للآباء والأمهات بتقديم الأطفال إلى سر المعمودية كلما بلغ الولد أربعين يوما والبنت ثمانين يوما ولا يتأخر الوالدان عن ذلك بحجة الانتظار إلى أحد التناصير أو الانتظار ريثما يتم العماد فى كنيسة معينة أو دير من الأديرة.

ويلزم نشر هذه التوعية فى البيوت أى كلما دخل الكاهن بيتا سأل عن كل طفل أو ولد أو بنت إذا كان قد نال العماد أم لا.

ثانياً: يلزم التأكد قبل تقديم الأطفال من سر التناول إذا كانوا قد نالوا سر العماد أولاً.

ثالثاً: يلزم أيضاً أن تكون هناك سجلات فى الكنيسة للعماد، وكل من يعمد يعطى شهادة بعماده، وتحتفظ الكنيسة بصورتين ترسل إحداهما إلى المطرانية.

---

(١) الخطاب بتاريخ ٦ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٠م ـ ٢٩ من بؤونة لسنة ١٦٨٦ش.

الإجابة على السؤال الثانى:

وردا على سؤالكم الثانى الخاص بأسرةٍ، الزوج فيها أرثوذكسى والزوجة بروتستانتية ولاتزال وكل أهلها بروتستانت وقام أحد الكهنة بعمل إكليل طبقا لطقوس كنيستنا الأرثوذكسية.

والجواب: إن أول المبادئ المسجلة فى كتب الزواج الأرثوذكسى أنه عند الزواج ينبغى التأكد من أن يكون كل من الزوجين أرثوذكسيا، فإذا كان أحدهما غير أرثوذكسى ينبغى أن ينضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية وينال سر العماد الأرثوذكسى إذا لم يكن معمدا فى الكنيسة الأرثوذكسية.

وعلى ذلك فبالنسبة للحالة التى تسألون عنها بالذات يلزم مصارحة كل من الزوج والزوجة بذلك، وينبغى تعميد الزوجة إذا لم تكن قد عُمِّدت بعد فى الكنيسة الأرثوذكسية ـ وعند تعميد الزوجة يستعين الكاهن بإمرأة ناضجة أو بفتاة بالغة حتى (لايتأمل الرجال النساء ولا النساء الرجال) عند خلع الملابس للتعميد. فيصلى الكاهن على الماء فى جرن المعمودية وبعد أن يفرغ من الصلوات إلى نهايتها، ويأتى دور التغطيس، يخرج الكاهن من بيت المعمودية ويترك للمرأة الشماسة أن تتولى مساعدة طالبة العماد فى خلع ملابسها ودخولها إلى جرن المعمودية وجلوسها فيها، وبعد ذلك يأتى الكاهن فيضع يده على رأسها ويكمل الطقس ـ ثم يخرج خارجا لترتدى المعمدة ملابسها باشراف المرأة الشماسة.

أما المسح بالميرون، ففى حالة المرأة البالغة تأمر الدسقولية (تعاليم الرسل) بأن يقوم الكاهن بدهن المواضع الظاهرة وهى فى الرأس والذراعين والقدمين، وتقوم المرأة الشماسة ـ بتكليف خاص ـ بدهن سائر المواضع الأخرى.

١٢ ـ هل يجوز تعميد طفل غير مسيحى ؟ (١)

سؤال : من الأب المحترم القس أثناسيوس بشرى كاهن كنيسة العذراء بالفكرية ـ أبو قرقاص.

ماذا يفعل الكاهن إذا جاءت إمرأة غير مسيحية وتقول وسط المتّعمدين (نصر لى ده يا أبونا لأن دى عادة فى أولادى كلهم من قبل: ده منذور للعجايبى، وده للشهيد، وده للست العذراء، ماذا يفعل الكاهن وسط الناس؟).

الجواب :

يؤجل الكاهن موضوعها إلى أن يفرغ نهائيا من تعميد الأطفال أبناء المسيحيين. وبعد أن ينصرف هؤلاء جميعا وأمهاتهم وأقرباؤهم يصارح الكاهن المرأة غير المسيحية بأن التنصير معناه تصيير ولدها مسيحيا. فهل تقبل هى كذلك؟ فإذا قبلت عمده بشرط أن يجعل له إشبينا (أو إشبينة مسيحية) ليتعهده بالتربية المسيحية. وغالبا ما ترفض الأم هذا الوضع. فإذا أصرت على التعميد لنيل البركة، وبهدف أن يعيش، وما إلى ذلك، فنحن ننصح بأن يعد الكاهن لمثل هذه الحالة وعاء آخر يغطس فيه الطفل فى ماء عادى مع صلوات إلى الله من قلبه وطلبة أن يهيئ لهذا الطفل الخلاص الأبدى، وأن يبارك حياته لتكون صالحة ومرضية أمام الله. أى أن الكاهن لايعمد الطفل فى هذه الحالة ولايغطسه فى مياه المعمودية بل فى وعاء آخر به ماء عادى غير مصلى عليه صلوات المعمودية. أو يصلى على ماء صلاة بركة ثم يرش به الطفل.. على أنه لايجوز تعميد الطفل غير المسيحى معمودية الطفل المسيحى إذا كانت أمه لاتقبل أن يصير مسيحيا، ولكن لاضير من مباركة الطفل غير المسيحى بماء نصلى عليه صلوات التبريك العادية ثم يرش عليه الماء أو يغطس فيه ويسلم للقديس مارمينا العجائبى أو للست العذراء أو.. فالصلاة على كل حال نافعة وفيها خير وبركة. ومن يدرى ربما تحل عليه بركة خاصة من قبل الروح القدس من قبيل نعمة الروح القدس التى حلت على كورنيليوس قبل أن ينال سر المعمودية.. وقد تنمو فعاليتها فى نفسه فى مستقبل الأيام وقد يتغير ويتحول ويصير مسيحيا ويهتدى إلى المسيح الرب.. من يدرى؟ لانعلم.

---

(١) الخطاب بتاريخ ٢٦ من ديسمبر ـ كانون أول لسنة ١٩٧١م ـ ١٦ من كيهك لسنة ١٦٨٨ش.

١٣ - معمودية هذه السيدة صحيحة (١)

سؤال : من الابن مراد أنيس رزق - جزيرة بدران.

إجابة على استفساركم الخاص بالسيدة الوالدة وهى فى سن السبعين من عمرها، وقد تعمدت وهى فى خطر الموت بمعمودية الكنيسة الأمريكانية حسب تعبيركم، على أن خالها القمص بكنيسة الأقباط الأرثوذكس بكنيسة مسجد وصيف أخذها ليكمل لها ما يجب بالناموس والشريعة والطقس، امتنع عن عمادها لكنه أجرى لها سر الميرون المقدس وناولها من الأسرار المقدسة وعاشت حياتها فى أحضان الكنيسة الأرثوذكسية، وتزوجت بإكليل أرثوذكسى، غير أنها وهى الآن فى السبعين من عمرها وقد مرضت وطلبت التناول، امتنع أحد الكهنة عن مناولتها من الأسرار المقدسة إلا إذا أعادت المعمودية حسب الطقس الأرثوذكسى، وتطلبون رأى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى الموضوع، وتصريحا للكاهن بأن يناولها من الأسرار المقدسة.

الجواب :

إننا نعتبر معمودية هذه السيدة وهى طفلة تحت خطر الموت معمودية صحيحة لأنه عند خطر الموت يجوز للشماس وللمسيحى المؤمن أن يعمد. وفى تاريخ الكنيسة قصة المرأة القادمة من انطاكية إلى الأسكندرية لتعمد ولديها، فثارت فى أثناء سفرها بالبحر عاصفة قوية، فأيقنت المرأة أنها ستغرق، فجرحت ثديها الأيمن، ورسمت بعلامة الصليب على كل منهما وقالت له: (أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس) ولكن العاصفة هدأت، ونجت السفينة فذهبت المرأة إلى البابا بطرس خاتم الشهداء، البابا الـ ١٧ وطلبت منه عماد ولديها ولم تخبره بما حدث، فلما أنزل كلاً من ولديها فى جرن المعمودية، جمد الماء، فتركهما وعمد غيرهما ثم عاد وأخذ الولدين ليعمدهما فجمد الماء، وجرى هذا الأمر على ثلاث مرات. فانذهل البابا وسأل المرأة فأخبرته بما حدث منها. فحكم أن معموديتها لولديها صحيحة، لأنها مسيحية.

لكن السيدة الوالدة أخذها خالها القمص إلى الكنيسة وأتم لها مايجب فى الشريعة والناموس، ثم مسحها بالميرون المقدس، وناولها من الأسرار المقدسة.. وهذا الإجراء من الكاهن الأرثوذكسى الذى حملها على يديه، وبالنية الأرثوذكسية، والاعتراف الأرثوذكسى، ثم مسحه لها بالميرون المقدس طبقا للطقس الأرثوذكسى ومناولتها من الأسرار المقدسة مرات كثيرة. كل

(١) الرد بتاريخ ٢٣ من أغسطس - آب لسنة ١٩٧٤م - ١٧ من مسرى لسنة ١٦٩٠ش.

هذا جعل معموديتها كاملة، وفى غير حاجة إلى تعميدها من جديد. هذا وإن الصلوات المتكررة على رأسها طوال حياتها وتلاوة التحليل عند مباشرة سر التوبة - والتوبة فى الكنيسة الأرثوذكسية تسمى معمودية ثانية - فضلا عن صلوات الإكليل وصلوات القنديل (مسحة المرضى) كل هذا معا قد أكمل لها كل شئ، ولم تعد فى حاجة إلى عماد آخر.

١٤ ـ هل يجوز تعميد طفل هو ثمرة علاقة محرمة بين رجل وإمرأة؟ (١)

سؤال : من الأب الموقر القمص فيكتور اخنوخ ـ ملبورن ـ استراليا.

عن طفل ثمرة علاقة محرمة بين رجل وإمرأة، هل يجوز عماده أم ينتظر لحين إتمام زواج أبويه شرعيا؟

الجواب :

الطفل لاذنب له فى جريمة والديه. لذلك يمكن تعميده وبدون تأخير. على أن لايجيب عن الطفل أحد أبويه وقت العماد، وإنما يتولى الكاهن تعيين اشبين للطفل، ويكون الكاهن والاشبين مسئولين عن الطفل.

ويجيب الإشبين عنه وقت العماد، ويظل أبا روحيا له إلى سن ١٢ سنة حين يسلمه إلى الكنيسة، ويعرفه أنه صار مسئولا عن نفسه. وقد رتبت الكنيسة طقسا خاصا بذلك، عند بلوغ الطفل الثانية عشرة من عمره إذ يقف الإشبين أمام الهيكل، ويوجه إلى الصبى عبارات يشعره فيها ببلوغه السن التى ينبغى فيها أن يطيع الوصايا الإلهية ويواظب على حضور الكنيسة، والتأدب بآدابها، والقيام بواجباته الروحية كعضو فيها.

---

(١) نشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة ٢٨ ـ عدد ٢٩ ـ نوفمبر ـ وديسمبر لسنة ١٩٧٤م ـ صفحة ٥٠.

وبمجلة (مارمرقس) التى تصدر فى ملبورن ـ استراليا ـ العدد ٧٢ ـ اكتوبر ـ تشرين أول لسنة ١٩٨٣م.

١٥ ـ هل تعاد له المعمودية ؟ (١)

سؤال : من السيد/ هنرى يوحنا ـ زفتى غربية.

عن رجل متزوج ترك دينه المسيحى واعتنق دينا آخر ثم ندم على تصرفه، ورغب فى العودة إلى دينه المسيحى وهو متزوج من مسيحية، أفهل تعاد معموديته من جديد عند عودته؟ وما هو موقف الزوجة فى الحالتين؟

الجواب :

إذا كان الرجل قد نال العماد من قبل، فلا تعاد معموديته عند توبته ورجوعه إلى المسيحية. فالمعمودية تطبع سمة فى النفس لاتمحى، ولذلك لايجوز إعادتها، ونحن نقول فى قانون الإيمان: (ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا).

أما الزوجة فهى زوجته. كانت ومازالت زوجته ولايحتاج إلى أن يعقد عليها من جديد، بعد عودته إلى المسيحية.

كنسيا وروحيا يجب أن يمارس الرجل فعل الندامة والتوبة عن خطيئته بخيانته للمسيح. ويقبل تأديبا كنسيا من الكاهن. فإذا كانت توبته صادقة يمنحه الكاهن الحل ثم يناوله من الأسرار المقدسة ليباشر حياته المسيحية كمؤمن سائر فى طريق السماء.

أما الزوجة فإذا خرج زوجها عن دينه المسيحى، فلا تُسرع بالزواج من غيره، وإنما تنتظر عودته، محاولة من جانبها أن تزيل أسباب الجفوة التى أدت به إلى ترك دينه والتى ربما يكون لها دور فيها، وتصلى من أجله وتطلب الرحمة له ولنفسها.

فإذا تبينت بعد مرور فترة كافية تقررها الكنيسة أنه لا أمل فى عودته، فيمكنها أن تطلب من الكنيسة التصريح لها بالزواج، إذا شاءت.

---

(١) نشرفى جريدة (وطنى) صباح الأحد ٦ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٥ ـ ٢٩ من بؤونة لسنة ١٦٩١.
١٠ من مايو ـ آيار لسنة ١٩٨١ ـ ٢ من بشنس لسنة ١٦٩٧.

١٦ـ عماد الكبار(١)

سؤال : من السيد/ لويز اسكندر وهبة ـ ملبورن ـ استراليا.

رجل اعتنق المسيحية. كيف يتم عماده وهو بالغ وكبير السن والحجم، علما بأن جرن المعمودية لا يسعه؟

الجواب :

إذا كان الرجل قد اعتنق المسيحية عن اقتناع كامل، ومر بفترة الاختبار الضرورية تحت إشراف خبير روحى، ووجد مستحقاً للمعمودية، فإن لم يوجد جرن للمعمودية يكفى لتغطيسه فيه حتى يغمره الماء من كل ناحية كما يقضى بذلك طقس التعميد، فليعد له جرن خاص من البلاستيك أو من الفخار على أن يكون جديدا، وبعد التعميد يكسر الإناء أو يوقف على هذا الغرض، فلا يجوز استخدامه بعد ذلك لغرض آخر مادى، لأنه أصبح مقدسا ومدشنا بالصلوات وسكب الميرون فيه.

ويمكن أيضا أن يجرى تعميد الكبار فى نهر أو فى بحر، أو فى نبع ماء جارى، على أن تتلى على الماء كل الصلوات الخاصة بالتعميد.. ويحسن أن يجرى ذلك فى مكان منزو بعيد عن عيون الناس.. وهو الأسلوب الذى كانت تجرى به معمودية الكبار فى العصر الرسولى الأول، فالذين تعمدوا فى يوم الخمسين وكانوا نحو ثلاث آلاف رجل (أعمال الرسل ٢ : ٤١) لم يتعمدوا فى جرن للمعمودية صغير، وإنما تعمدوا غالبا فى نهر الأردن حيث كان يوحنا المعمدان يعمد (متى ٣ : ٦) (مرقس ١ : ٥)، (لوقا ٣ : ٣) وحيث اعتمد الرب يسوع أيضا (متى ٣ : ١٣)، (مرقس ١ : ٩) (لوقا ٣ : ٢١)، (٤ : ١). وكذلك تعمد الخصى الحبشى وزير كنداكه ملكة الحبشة من يد فيلبس فى مجرى ماء وليس فى جرن صغير (أعمال الرسل ٨ : ٣٦ – ٣٩).

على أنه يجب أن يراعى دائما أن يكون جرن المعمودية بكل كنيسة كبيرا يكفى للكبار والصغار، أو يكون بالكنيسة جرنان : أحدهما للكبار والثانى للصغار. ولا نفترض أن جميع المعمدين أطفال فهناك كبار لم يتعمدوا لوجودهم فى أماكن نائية، أو تأخروا عن العماد بحجة نذر خاطئ أو لأسباب أخرى..

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٩ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٧٥م ـ ٢٩ من بابه لسنة ١٦٩٢ش. ونشر أيضا بمجلة (مارمرقس) التى تصدر بمدينة ملبورن باستراليا ـ العدد ٧٣ ـ نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٨٣م صفحة ٢٠، ٢١.

١٧- العماد الشرعى وهل يمكن العماد ثانية فى حالة الشك؟ (١)

سؤال : من الأستاذ نظيم شنوده المحامى بسوهاج.

ردا على استفساركم بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢٩ الخاص بصديقكم الموجه بوزارة التربية والتعليم الذى ولد من أبوين ينتميان إلى مذهب الإخوة البليموث، ثم فى سن الرجولة انتمى للكنيسة الأرثوذكسية، وتزوج بها وتناول من الأسرار المقدسة، غير أنه يشك الآن فى أن يكون أبواه قد عمداه عمادا شرعيا، وبناء عليه تقدم إلى كاهن كنيسة مارجرجس بسوهاج طالباً العماد فامتنع الكاهن حتى يعرض الأمر علينا.

يسرنى أن أفيد بأن **تعميد من لم يكن واثقاً من عماده وهو صغير، لايتعارض مع إيماننا فى (معمودية واحدة)**. الخطأ هو أن تعاد معمودية من سبقت معموديته يقيناً. **أما فى حالة الشك فلا جناح ولا إثم إذا تعمد الإنسان من جديد**، بل نحن نرى كمن رحمه الرب أن يكون أمينا : **أن المعمودية فى حالة الشك واجبة، وليست جائزة فقط.**

ثم إن لزوم المعمودية فى حالة صديقكم أكثر ضرورة، ذلك لأنه، على قولكم، قد ولد من أبوين ينتميان إلى مذهب الإخوة البليموث. فالغالب أنه لم ينل العماد، وحتى لو كان قد صار تعميده عند الإخوة البليموث، فكنيستنا لاتعترف بهذه المعمودية أصلاً، لا شكلا ولا موضوعاً. **فتعميد هذا الأخ واجب وضرورى.**

ولايحل سر الزواج، أو التناول من الأسرار المقدسة محل المعمودية إذا لم تكن المعمودية قد تمت طبقا للإيمان الأرثوذكسى ووفقاً للطقس الأرثوذكسى.

إن المعمودية هى السر الأول من أسرار العهد الجديد وهى (الحلة الأولى) التى يلبسها الابن العائد إلى أبيه السماوى، ومن دونها لايقدر أن يدخل أحد إلى ملكوت الله، وبالتالى إلى الكنيسة التى هى مملكة المسيح على الأرض... وعلى ذلك فكل سر آخر يناله إنسان قبل المعمودية لاتكون له فعالياته فى المعمدين. وإلا فهل نجيز لغير مسيحى أن يتناول من الأسرار المقدسة، وأن نعقد له عقد الزواج المقدس، حتى لو كان مؤمنا بحقائق الدين المسيحى؟

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٨ من ديسمبر- كانون أول لسنة ١٩٧٥م- ١٨ من كيهك لسنة ١٦٩٢ش.

الخلاصة إن هذا الأخ الأرثوذكسى يجب أن ينال أولا سر المعمودية كاملاً، ثم سر الميرون بعد ذلك بجميع رشومه وختومه الستة والثلاثين ثم سر التناول ثالثاً - وأن يجرى له أيضا سر الزواج أخيراً. ويمكن أن يتم عقد الزواج الكنسى فى المنزل - للضرورة - من غير إجراءات التوثيق..

هذا هو الوضع الصحيح الذى يجب أن تسير فيه الخطوات متدرجة الواحدة بعد الأخرى، إبتداء من سر المعمودية، وهو مفتاح الحياة المسيحية الكاملة والمدخل إلى ملكوت المسيح.

١٨ ـ التعميد بالتغطيس (١)

سؤال : من السيد/ سعدى هلال سعيد ـ الأقصر.

هل يوجد إثبات من الكتاب المقدس على أن التعميد يجب أن يكون بالتغطيس؟

الجواب :

الأصل فى التعميد أن يكون بالتغطيس، لأن كلمة العماد نفسها لفظة سريانية الأصل أو مولّدة مأخوذة من (العمد) أى (البلل) وهو الغسل بالماء (قاموس المنجد فى اللغة والإعلام) وفى لغات الكتاب المقدس القديمة معناها الدفن، والتغطيس، والصبغ. فالكلمة اليونانية الواردة بالإنجيل βάπτισμα (BAPTISMA) تعنى (الصبغة) و(الغمر) وكذلك الكلمة القبطية ⳩ ⲱⲙⲥ (DWMC) تعنى غطس، أو غرق، أو دفن. ثم إن مخلصنا تعمد بالتغطيس (وعلى الفور فيما كان صاعدا من الماء (مرقس ١ : ١٠) (حتى إذا اعتمد يسوع صعد توا من الماء) (متى ٣ : ١٦).

وكذلك تعمد الخصى وزير ملكة الحبشة بالتغطيس كما يتضح من أعمال الرسل (٨: ٣٦). ولو كان العماد بالرش لكان يمكن لفيلبس أن يعمد الخصى بكوب ماء مما معه فى المركبة، لكنه نزله على المياه الكثيرة (ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس..) (أعمال ٨: ٣٩).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٤ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٧٦م ـ ٢٦ من برمهات لسنة ١٦٩٢ش.

١٩ ـ طفل مات بغير عماد (١)

سؤال : من سيدة.

طفلى مات عقب ولادته. وبذلك لم نتمكن من عماده، هل هناك مسئولية علينا؟ وما مصير هذه الروح؟

الجواب :

إذا نزل الجنين ميتا، أو إذا مات عقب ولادته مباشرة بحيث لم يكن من المتيسر عماده، فلا مسئولية على الوالدين إذا مات بغير عماد.

فإذا تنبه أحد إلى أن الطفل بعد ولادته فى خطر الموت، وأمكن استدعاء الكاهن لتعميده كان ذلك خيرا. فإذا لم يكن استدعاء الكاهن ميسورا، أو كان الطفل فى خطر الموت قبل وصول الكاهن، يمكن لشماس، أو لمؤمن مسيحى مُعَمَّد وممسوح بالميرون المقدس، أن يقوم بتعميد الطفل وذلك برشه بالماء ثلاث مرات على اسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، كإجراء سريع اقتضته الضرورة، ضرورة إشراف الطفل على الموت ـ فإذا لم يتيسر ذلك ومات الطفل فلا مسئولية أيضا على الوالدين، فى مثل هذه الحالة.

أما مصير الطفل إذا مات بغير عماد، فتعليمنا الأرثوذكسى (أن الأطفال غير المعَمَّدين إذا ماتوا بغير عماد لايُمَجَّدون ولايُعَذَّبون) . إنما سيكونون فى حالة متوسطة. نقول فى حالة متوسطة، لا فى مكان متوسط، فليس فى المصير بعد الموت إلا مقر للأرواح السعيدة، ومقر آخر للأرواح غير السعيدة.

فمقر الأطفال غير المعَّمدين لعله المقر الذى ذهبت إليه أرواح القديسين قبل مجئ المسيح، من أمثال إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وصموئيل وداود وغيرهم. لكنهم لايُعَذَّبون فيه لأنهم لم يرتكبوا خطايا فعلية، أى أنهم لايعاينون الفردوس أو الملكوت، ولاينالون مجد المعمَّدين. فقد قال المسيح له المجد (الحق الحق أقول لك: إنّ الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق، لايمكنه أن يرى ملكوت الله... الحقّ الحقّ أقول لك: (إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح، لايمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣ : ٣، ٥) .

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٧ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٧٦م ـ ٢٨ من بابه لسنة ١٦٩٣ش.

٢٠ ـ هل يعمد الطفل بعد موته؟ (١)

سؤال : من إحدى السيدات:

هل يجوز أن يعمد طفل، توفى بعد ميلاده بلحظات؟

الجواب :

يجوز أن يعمد الطفل الحى بعد ميلاده مباشرة. أما إذا مات، فلا معمودية.

إن المعمودية هى الميلاد الثانى للإنسان كلّه، روحا وجسدا. أما إذا خرجت الروح، فلا معمودية للجسد الميت بعد أن تفارقه الروح.

والكنيسة الأرثوذكسية تفرض على الأم والأب قانون توبة، إذا أهملا تعميد طفلهما فمات بغير عماد. أما إذا مات بعد ميلاده بلحظات كما تقول السائلة، ولم يكن هناك سبيل لتعميده قبل موته المفاجئ، فلا إثم على الوالدين فى ذلك.

عندما أمر الله بالختان فى العهد القديم حدد أن يتم الختان فى اليوم الثامن لمولد الطفل.

«ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم... وأمّا الذكر الأغلف الذى لايُختن فى لحم غرلته، فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدى» (التكوين ١٧: ١٢-١٤). فإذا مات الطفل قبل اليوم الثامن فلا إثم، وبالتالى فلا عقوبة.

كذلك فى المعمودية. لقد أمرت الكنيسة أن يُعَمَّد الطفل ـ فى الأحوال العادية ـ بعد أربعين يوما من مولده إذا كان ذكرا، وبعد ثمانين يوما إذا كان أنثى. أما فى حالة المرض، أو خطر الموت فيمكن أن يعمد الطفل ولو كان ابن يوم واحد. وفى هذه الحالة يدخل الطفل الكنيسة مع غير أمه، لأن الأم النفساء لاتدخل الكنيسة قبل أربعين يوما إن كان مولودها ذكرا، وقبل ثمانين يوما إن كان مولودها أنثى.

فإذا مات الطفل فى أيام نفاس أمه، بغير عماد، فجأة وبغير إنذار، لايلحق بوالديه إثم. أما إذا مات بعد فترة النفاس، بغير عماد، لحق والديه إثم، ولو جاء موته فجأة وبغير إنذار. وقد فرضت الكنيسة على الوالدين فى هذه الحالة صوما لمدة سنة مع الحرمان من التقدم إلى سر القربان

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٧من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٧٦م ـ ٢٨ من بابه لسنة ١٦٩٣ش.

المقدس، تأديبا لهما، لأنهما أهملا فى تعميد طفلهما، فمات بغير عماد. وقد قال المسيح له المجد «الحقّ الحقّ أقول لك إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لايمكنه أن يرى ملكوت الله... الحقّ الحقّ أقول لك: إنّ الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

٢١ - لابد من العماد ضماناً لصحة الانضمام (١)

سؤال : من د. ن. ف. ى.

ردا على استفساركم بخطابكم بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٧٦ بخصوص إمكانية زواجكم من فتاة ارتضى كل منكما أن يتخذ الآخر قريناً له، وقد وافق أهل الفتاة على زواجها منكم، موافقة مبدئية، ثم عادوا إلى الاعتراض بأن والديك يتبعان المذهب الإنجيلى.

وحيث أنك تقول فى خطابك إنك تربيت فى مدارس الأحد الأرثوذكسية وفي اجتماعات الشباب القبطية.

وحيث أنك تقول أيضا إنك على استعداد لأن تعيش فى أحضان الكنيسة الأرثوذكسية وأن تنال نعمة المعمودية فى الكنيسة الأرثوذكسية، وأن تمارس كل الأمور التى يمارسها ابن بار بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

فنحن لا نرى مانعا من جهة المبدأ من إتمام الزواج، وبرضى والدى الفتاة، بالشروط الآتية:

أولاً : أن تنضم أنت انضماما رسميا كاملا للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وأن يكون هذا الانضمام بخطاب رسمى يقدم لنيافة مطران الإيبارشية.

ثانياً: أن يكون هذا الانضمام عن اعتقاد بالإيمان الأرثوذكسى.

ثالثاً: أن تقبل سر العماد المقدس فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وتحمل شهادة بذلك.

رابعا : أن ترتبط بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية ارتباطا كاملا، وتتبع نظامها فى حضور القداسات بانتظام، والتناول فيها من الأسرار المقدسة، وتمارس كل وسائط الخلاص الأخرى من توبة وإعتراف وصلوات وأصوام، وتتخذ لك كاهنا مرشدا وأبا لذمتك.

فإذا راعيتم كل ذلك، وانضممتم رسميا للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وقبلتم سر العماد فيها حسب المعتقد الأرثوذكسي والطقس الأرثوذكسى، ومارستم روحيا وقلبيا حياتكم الدينية فى الكنيسة الأرثوذكسية وفقا للإيمان الأرثوذكسى، فلا مانع من جهة المبدأ من زواجكم بالفتاة التى ارتضيتم بها وارتضت بكم، على أنه ينبغى أن يكون ذلك برضى والدى الفتاة.

---

(١) الرد بتاريخ ٢٧ من ديسمبر - كانون أول - لسنة ١٩٧٦م - ١٨من كيهك لسنة ١٦٩٣ش.

٢٢ ـ هل يلحقهما إثم؟ (١)

سؤال : من السيد/ بطرس عبد السيد فرج ـ كفر الدوار.

اعتزم الوالدان عماد طفلهما فى الغد وكان الطفل بصحة جيدة، غير أنهما وجداه فى اليوم التالى قد فارق الحياة فلم يعمداه، فهل يلحق بالوالدين إثم فى ذلك؟

الجواب :

إذا كان الطفل ذكرا، ولم يكن قد بلغ أربعين يوما، ومات فجأة وبدون إنذار بمرض، فلا إثم على والديه فى ذلك، وكذلك إذا كان أنثى ولم تبلغ بعد الثمانين يوما من عمرها. فإن القانون الكنسى يمنع المرأة النفساء من دخول الكنيسة قبل أربعين يوما من ميلاد طفلها إذا كان ذكرا، وثمانين يوما إن كان أنثى. فإذا مرض الطفل قبل كمال أيام نفاس أمه، يمكن أن تحمله إلى الكنيسة غير أمه، ويعمد ولو كان ابن يوم واحد. أما إذا مات فى هذه الفترة بدون سابق إنذار، أى فجأة وبدون مرض ينذر بموته. فلا إثم يلحق بوالديه، ولا مسؤولية. لكن إذا مات بعد كمال أيام نفاس أمه فيلحق بوالديه ذنبه، ولو كان موته فجأة وبدون مرض.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٦ من مارس ـ آذار لسنة ١٩٧٧م ـ ٢٧ من أمشير لسنة ١٦٩٣ش.

٢٣ ـ عندما يكون هناك شك في حقيقة العماد (١)

سؤال : من السيد/ م. ع. ج ـ المنيا.

إذا كبر الإنسان، وكان هناك شك فيما إذا كان قد نال العماد، فما هو الحل، علما بأنه ليس له من الأقارب من يدله على أنه قد نال المعمودية أم لا؟

الجواب :

إذا كان الشخص على غير يقين من أنه نال العماد، فيجب فى هذه الحالة أن يطلب من الكنيسة عماده. فالمعمودية ضرورية للخلاص وقد قال المسيح له المجد «الحق الحق أقول لك: إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لايمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٥). ولاتعتبر هذه المعمودية، معمودية ثانية، لأنه ليس هناك يقين فى أن هناك معمودية أصلا. «نحن نؤمن بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا» كما نقول فى قانون الإيمان. لكن حيثما يكون شك، فلا يتعارض مع قانون الإيمان، طلب العماد من جديد.

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢ من أكتوبر ـ تشرين أول لسنة ١٩٧٧م ـ ٢٢ من توت لسنة ١٦٩٤ش.

٢٤ ـ يشكو موت الأطفال (١)

سؤال : من السيد ى. زكى. ى.

رزقت بطفلة توفيت فى سن ثمانية شهور، ثم رزقت بطفلة أخرى عاشت ثمانية شهور ثم ماتت هى الأخرى، ورزقت طفلة ثالثة لا تزال حية لكنها لم تبلغ بعد ثمانية شهور، وينتابنى وزوجتى خوف شديد أن يحدث لها ما حدث للطفلتين السابقتين. وزوجتى على الخصوص ينتابها فزع شديد كلما كانت فى البيت وحيدة، لأنها ترى خيالات وصورا تحاورها فى كل مكان فى البيت، ولذلك تصرخ خائفة إذا ظلت فى البيت بمفردها، علما أن عملى يقتضينى أن أبيت أحيانا خارج البيت. وترى زوجتى أنها ترى أحلاما مفزعة. وفى كل مرة تموت فيها طفلتها كانت زوجتى ترى إمرأة تأتى وتضرب الطفلة على ظهرها. وفعلا كنا نرى عند تغسيل الطفلة بعد موتها أصابع اليد ظاهرة على ظهر جثة الطفلة، إنى أضع هذه المشكلة أمام قداستكم، راجيا أن أجد حلا لمشكلتنا.

الجواب :

إننا ننصح لكم بالآتى:

أولاً: ينبغى تعميد الطفل بعد أربعين يوما من ميلاده إذا كان ذكرا، وبعد ثمانين يوما من ميلاده إذا كان أنثى. وإذا مرض الطفل مرضا مفاجئا يمكن تعميده ولو كان ابن يوم واحد، لكنه لايدخل مع أمه إلى الكنيسة قبل أيام طهرها، بل تحمله إمرأة أخرى. إن الروح القدس يسحق الشيطان عن الطفل فى جرن المعمودية. ثم إن الكاهن يمسح الطفل بعد عماده بالميرون المقدس فى ٣٦ موضعا من جسم الطفل، وهى منافذ الشيطان إلى جسم الطفل. والميرون هو مسحة الروح القدس التى تدشن أعضاء الطفل وتقدسها فلا يستطيع الشيطان أو الروح الشرير أن يقترب إليه لأن أعضاءه ومفاصله تكون قد تحصنت بحصانة إلهية روحانية، وبعد ذلك يتناول من الأسرار المقدسة.

ثانياً: مع ما قلناه سابقا يلزم استدعاء الكاهن إلى البيت ليصلى صلوات تبريك البيوت، ويرش أنحاء البيت بالماء المصلى عليه. وقد يلزم استدعاء الكاهن أكثر من مرة لنفس الغرض، فإن صلوات تبريك البيوت هى صلوات طاردة للأرواح الشريرة المعاكسة والتى قد تكون ساكنة

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ١٢ من يونيه ـ حزيران لسنة ١٩٧٧م ـ ٥ من بؤونة لسنة ١٦٩٣ش.

بالبيت. وقد كان عادة الأقباط منذ القديم كلما سكنوا بيتا جديدا، أن يستدعوا الكهنة لتبريك البيت بالصلاة. وفى أيام خميس العهد، وعيد الغطاس، وعيد الرسل، يحملون زجاجات ماء إلى الكنيسة لتتبارك بصلوات اللقان فى تلك الأيام المقدسة، ويعودون إلى بيوتهم يرشون أركانها بالماء المصلى عليه، حتى يتبارك البيت بالماء المقدس، فتهرب من البيت الأرواح الشريرة والنجسة.

ثالثاً: مع النصيحتين السابقتين نضيف أهمية تلاوة المزامير فى صلواتكم الخاصة بالبيت. فصلوات المزامير لها فعاليات جبارة فى طرد الأرواح الشريرة والمعاكسة والضارة. كذلك يلزمكم التقدم إلى الأسرار المقدسة باستحقاق، بتواتر بحيث لايزيد إنقطاعكم عنها عن أربعين يوما على الأكثر.

٢٥ - الاسم (يوحنا) ومعناه (١)

سؤال : من السيد / منير سعد ميخائيل - مركز طامية - محافظة الفيوم.

ما معنى كلمة (يوحنا)، وما هو الأصل الذى كتبت به؟ وهل حدث بها تحريف؟ وهل حقا أن أصلها (يحيى) كما يقول بعضهم؟ ولماذا سمى (المعمدان)، ولم يُسم (المعمِّد)؟

الجواب :

يوحنا - هو الاسم الموجز للاسم العبرانى الكامل (يهوحانان) أو (يهوحنان)، وتفسيره (يهوه حنون) أى (الرب حنون) أو (يهوه حنان) أى (الرب حنان).

وقد ورد الاسم كاملا فى الكتاب المقدس بالعبرانية فى الصور الآتية:

يهوحانان - فى أسفار (أخبار الأيام الأول ٢٦ : ٣)، (أخبار الأيام الثانى ٢٣ : ١)، (٢٨ : ١٢)، (عزرا ١٠ : ٦، ٢٨)، (نحميا ٦ : ١٨)، (١١ : ١٣، ٤٢).

يوحانان - ورد هذا فى أسفار (أخبار الأيام الأول ٣ : ١٥، ٢٤)، (٦ : ٩، ١٠)، (١٢ : ٤، ١٢)، (عزرا ٨ : ١٢)، (نحميا ١٢ : ٢٢، ٢٣)، (إرميا ٤٠ : ٨، ١٣، ١٥، ١٦)، (٤١ : ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦)، (٤٢ : ١، ٨)، (٤٣ : ٢، ٤، ٥).

يوحنان - جاء هكذا فى سفر الملوك الثانى ٢٥ : ٢٣. وقد انتقل هذا الاسم إلى جميع اللغات القديمة والحية فى صورة قريبة من أصله العبرانى، فصار فى اليونانية IOANNES أو IWANNES وفى القبطية الصعيدية IOHANNES (يوحنيس)، وباللاتينية JOANNES وكذلك بالألمانية JOHANNES وفى الانجليزية JOHN وبالفرنسية JEAN وبالطليانية أو الإيطالية GIOVANNI.

وفى الترجمة العربية للكتاب المقدس صار الاسم يكتب مختصرا (يوحنا). انظر على سبيل المثال (متى ٣ : ١)، (مرقس ١ : ٤)، (لوقا ١ : ١٣)، (يوحنا ١ : ٦).

أما لماذا سُمِّى يوحنا الصابغ بيوحنا المَعمدان، ولم يُسمّ بيوحنا المعمِّد فالواقع أن (المعْمَدان) و(المعمِّد) هما بمعنى واحد، غير أن (المعمَدان) لفظ سريانى الأصل أو مولد، أى دخيل فى

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٤ من ديسمبر - كانون أول لسنة ١٩٧٧م - ٢٥ من هاتور لسنة ١٦٩٤ش.

اللغـة العربيـة بمعنى خـاص. فـالعمـاد أو المعـمـودية هو «أول أسـرار الدين المسيـحى، وباب النصـرانيـة» و(العَمَد) فى اللغة السريانية هو «البلل». والفعل (عَمَّدَ) الصبى، بمعنى (غسله بالماء) باسم الآب والابن والروح القدس، والفِعْل (تَعَمَّد، واعتمد) بمعنى (قَبِلَ المعمودية).

٢٦ ـ هل ينال العماد وهو كبير بالغ؟ (١)

سؤال : من السيد /م. غ. حلوان.

أنا شاب مسيحى فى الثالثة والعشرين من عمرى، مواظب على الصلاة والصوم وسائر الطقوس المسيحية منذ سنوات، وفجأة اكتشفت وتحققت أننى لم أنل سر العماد المقدس، فأتعبنى ضميرى، أن استمر هكذا، وأنا أعلم أننى غير معمد، إذ نشأت فى قرية نائية من إحدى قرى محافظة أسيوط، وأهمل أهلى فى عمادى، فماذا أعمل، علما بأننى أخجل أن أطلب العماد وأنا فى سنى الكبير هذا؟

الجواب :

مادمت تعلم أنك لم تنل سر العماد، وتعلم أهميته وضرورته للخلاص، فلا عذر لك فى التأخير عن طلب العماد. قال السيد المسيح له المجد «الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لايمكن أن يرى ملكوت الله.. الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكن أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

وقال القديس حنانيا أحد الرسل السبعين لشاول الذى هو بولس «والآن، ماذا انتويت أن تعمل، قم تعمد واغسل خطاياك» (أعمال الرسل ٢٢: ١٦).

أما الخجل فلا مبرر له.

إن شاول الذى هو بولس اعتمد وهو رجل، وكذلك الحجيج من الرجال الذين كانوا فى أورشليم يوم الخمسين، واستمعوا إلى عظة القديس بطرس والرسل الآخرين «وخزتهم قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا علينا أن نعمل، أيها الرجال الإخوة؟ فقال لهم بطرس: توبوا وليعمّد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح، فتغفر خطاياكم وتنالوا موهبة الروح القدس» (أعمال ٢: ٣٧، ٣٨).

والخصى الحبشى وزير كنداكة ملكة الحبشة وكان خازن جميع أموالها، كان رجلا كبيرا جاء من الحبشة إلى أورشليم ليسجد لله، ونال العماد وهو كبير، بعد أن بشرّه فيلبس بالمسيح «ونزل كلاهما إلى الماء، هو وفيلبس، فعمده فيلبس) (أعمال ٨: ٣٩).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٩ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٨م ـ ٢ من أبيب لسنة ١٦٩٤ش.

وكورنيليوس قائد مائة إيطالى تعمد وهو كبير، هو وأهل بيته (أعمال ١٠ : ٤٧ ، ٤٨) .

وكثيرون وخصوصا فى القرون المسيحية الأولى نالوا العماد وهم كبار بعد أن عرفوا الإيمان المسيحى.

على أننا ننصح لك أن يكون عمادك يوم الأحد، وهو اليوم الأكثر مناسبة للتعميد، لأنه يوم قيامة الرب من بين الأموات.. ولايكون عمادك فى يوم أحد التناصير، ولا فى مكان يزدحم فيه عدد المعمدين لئلا يكون هناك إهمال فى مباشرة طقوس التعميد كما ينبغى ودهن أعضاء المعمد ومفاصله بالميرون أو المسحة المقدسة فى ٣٦ موضعا، لتمتلئ من الروح القدس، ولكى تتدشن أعضاؤك وتتقدس وتصير أعضاء المسيح (١ . كورنثوس ٦ : ١٥) .

٢٧ ـ ماذا بعد المعمودية؟ (١)

سؤال : من أحد القراء.

إذا كنا قد لبسنا المسيح فى المعمودية، وأخذنا طبيعة جديدة مقدسة، فكيف نعود ونخطىء مرة أخرى رغم أن الإنسان العتيق قد مات.

الجواب :

نعم إنَّ من يتعمّد بالماء والروح، يولد ولادة ثانية من فوق، (يوحنا ٣ : ٣، ٥)، يولد من الله (يوحنا ١ : ١٢، ١٣)، فينال التبرير والفداء والتبنى (رومية ٣ : ٢٤)، (٥ : ٩) ويكتسى ببر المسيح (لأنكم تعمدتم جميعا فى المسيح، فلبستم المسيح) (غلاطية ٣ : ٢٧) فتكون له الطبيعة الجديدة، والخليقة الجديدة (لأنه فى المسيح يسوع، لا الختان ولا عدم الختان ينفع الإنسان، وإنما الذى ينفعه أن يكون خليقة جديدة) (غلاطية ٦ : ١٥) (إن كانِ أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة. قد زال القديم. ها هوذا كل شئ جديد) (٢. كورنثوس ٥ : ١٧).

على أن هذه الامتيازات العظيمة التى ينالها المؤمن بالمسيح فى المعمودية، وبالمعمودية، لاتسلبه نعمة الحرية. نعم لقد حررنا المسيح (غلاطية ٥ : ١)، من خطايانا السالفة، وحررنا من عبودية الشيطان وعبودية الجحيم، ولكنه لم يستعبدنا له (فإن حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحرارا) (يوحنا ٨ : ٣٦).

والحر من يملك التصرف، والقدرة على الاختيار.

فالمسيحى الذى تحرّر من خطاياه، يمكنه إذا شاء أن يعود إليها من جديد، وذلك بمحض أنه حر، مثله فى ذلك مثل آدم الأول: فقد كان آدم طاهرا نقيا لأن الله خلقه على صورته ومثاله (التكوين ١ : ٢٦، ٢٧) ومع ذلك سقط فى الخطيئة بمحض إرادته الحرة، ولم يقهره أحد على ذلك.. وكان الشيطان ملاكا طاهرا، ولكنه عصى الله خالقه، وتجبر، وتكبر، وذلك بمحض إرادته الحرة..

فالمعمودية تخلّصنا من خطايانا السالفة (١. بطرس ٣ : ٢١)، (تيطس ٣ : ٦)، ولكنها لاتقيد حرية المعمدين ولا تسلبهم قدرتهم على الاختيار، ولا تفقدهم إمتيازاتهم فى إرادة الخير والشر.. فالإنسان كائن حر عاقل، فإذا فقد حريته فقد إنسانيته.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٣٠ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٨م ـ ٢٣ من أبيب لسنة ١٦٩٤ش.

لقد نال سيمون الساحر العماد، بعد أن آمن بالمسيح (أعمال الرسل ٨: ١٣) ومع ذلك أخطأ بعد العماد، بأن قدم لرسل المسيح دراهم ليأخذ منهم السلطان، بأن يضع يديه على الناس فيقبلوا منه عطية الروح القدس. فقال له القديس بطرس: (لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم. ليس لك نصيب ولا قرعة فى هذا الأمر، لأن قلبك ليس مستقيما أمام الله. فتب من شرك هذا، واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك. لأنى أراك فى مرارة المر ورباط الظلم) (أعمال الرسل ٨: ١٨ – ٢٣).

لقد نال سيمون بالمعمودية غفران خطاياه السالفة ثم عاد وسقط فى الخطيئة من جديد، مثله مثل من تحرر من دينه القديم، ثم عاد فاستدان من جديد. فسقوطه فى خطيئة جديدة، لايطعن فى الامتيازات التى نالها بالمعمودية.

قال القديس بولس الرسول (لأنّ كثيرين يسيرون ممن كُنت أذكرهم لكم مرارا، والآن أذكرهم أيضا باكيا، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات) (فيلبى ٣: ١٨، ١٩).

وقال الرسول نفسه أيضا (فالذين أُنيروا مرة، وذاقوا الهبة السّماويّة، وصاروا مشاركين فى الروح القدس، واستطابوا كلمة الله الصالحة ومعجزات العالم المقبل، ثم سقطوا، يستحيل تجديدهم وإعادتهم إلى التوبة..) (العبرانيين ٦: ٤–٦) مبينا بهذا حرية الذين تخلصوا من خطاياهم، واستناروا بالروح القدس، فى أن يسقطوا من جديد..

ويقول كذلك شارحا نفس التعليم (فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق، لاتبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين. من خالف ناموس موسى، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا وازدرى بروح النعمة)؟ (العبرانيين ١٠: ٢٦–٢٩).

فلقد أوضح الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين أنّ الإنسان الذى تحرّر بنعمة المسيح فى المعمودية يمكن أن يخطأ من جديد وذلك بحريته واختياره. لاحظ قوله (فإنه إن إخطأنا باختيارنا) ثم يؤكد الرسول على أنّ من يعود إلى الخطيئة باختياره بعد أن تطهر بدم المسيح

يصير مستحقا لدينونة مخيفة، تزيد فى عقوبتها وجزائها كثيرا على عقوبة من خالف الشريعة القديمة التى عرفت بناموس موسى.

والخلاصة فى النقاط الآتية:

١- إنّ المؤمن بالمسيح ينال فى المعمودية، وبالمعمودية، إمتيازات كثيرة: إنه ينال غفران خطاياه السابقة، ويحصل على التبرير والفداء كما ينال التبنى، وحق الدخول فى ملكوت السماوات...

٢- إن الإمتيازات التى ينالها فى المعمودية لاتحرمه نعمة الحرية، وإلا فقد بالمعمودية إنسانيته إذا فقد حريته.

٣- إنه إذا عاد للخطيئة من جديد، أو سقط باختياره فى خطيئة أخرى جديدة، فلسوف يدان عنها بعقوبة أعظم، وبدينونة مخيفة حيث (أنه داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا، وازدرى بروح النعمة).

ومما تقدم يتبين الخطأ العظيم الذى يقع فيه أولئك المغرورون الذى يزعمون، ثم يعلمون، بأنهم بعد أن آمنوا بالمسيح لايمكن أن يسقطوا فى الخطيئة، ولايمكن أن يهلكوا... ويتضح كذلك بالتالى خطأ الذين يزعمون، ويعلمون، بأنهم صاروا بإيمانهم بالمسيح ضامنين للخلاص الأبدى، وحاصلين بالفعل على الملكوت السماوى، متجاهلين أن المؤمنين فى حالة حرب قائمة مع الشيطان وقوات الشر، غافلين عن واجب الجهاد وموالاة اليقظة والسهر، وناسين وصية المسيح فادينا إلى القديسين (كن أميناً حتى الممات. وأنا أعطيك إكليل الحياة) (الرؤيا ٢ : ١٠).

٢٨- السحرة عملة مع الشيطان(١)

سؤال : من فتاة م. ك. ب.

تقول هل هناك حقا أشخاص يقومون بعمل سحر بقصد الإضرار بشخص يكون فى خلاف معهم؟

وإذا كان هناك حقا مثل هؤلاء الأشخاص، فلماذا يسمح الله بذلك، أى لماذا يمكنهم من الإضرار بالبشر، ولايمنعهم؟

وهل هناك من طريق إلى إبطال السحر أو فك العمل السحرى؟

الجواب :

١- هناك أشخاص هم عملاء للشيطان، يقومون بهذا العمل والسحر باعتباره عملا شيطانيا، مذكور فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وفى كتب الطقس الكنسى.

٢- لماذا يسمح الله بذلك؟

الجواب : سماح الله بحدوث الشر هو غير إرادته ومشيئته. ولماذا يسمح؟ ذلك لأنه أعطى للبشر الحرية. ولذلك فإن هناك من يقتل، ومن يسرق ومن يزنى ومن يظلم. وكل هذا يحدث بغير إرادة الله، فإن الله لايريد الشر بل ينهى عن الشر، وكل وصايا الكتاب المقدس ومواعظه نهى عن الشر، ولكنه لايمنع الشر بالقوة، بل بالوصية لأنه منح الإنسان الحرية، وعن الحرية مسئولية، وجزاء بالثواب والعقاب....

٣- هل هناك أحد من الآباء الكهنة يستطيعون أن يحلوا أو يفكوا ذلك العمل؟ وما هو الحل فى رأيكم؟

الجواب : الصراع بين الخير والشر صراع قديم ودائم. ومثل هذا الصراع كشد الحبل، الأقوى هو الغالب. فإذا كانت فيك قوة روحية أعظم، فإن السحر لا قوة له عليك. ولايقوى السحر والعمل على أحد مالم يكن هذا الأحد ضعيفا روحيا. ولذلك فإذا كنت محصنة بالأسرار المقدسة (الميرون وسرّ التناول فضلاً عن المعمودية) وبالصلاة والصوم، فإن قوة السحر تبطل أمام قوة الله فيك، وسهام السحر والعمل الشرير ترتد خائبة مدحورة لأنك محصنة بدرع البر.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٠ من مايو- أيار لسنة ١٩٧٩م- ١٢ من بشنس لسنة ١٦٩٥ش.

وهذا هو السبب فى أن المسيحيين يتحصنون بالمعمودية، وبالميرون، وبسرّ التناول، وبالصلاة والصوم، ضد سهام الشرير الملتهبة نارا، ولا تستطيع قوة السحر والعمل الشياطينى أن يكون لها أثر على المحصنين بالوسائط الروحانية القوية.

ويمكن الاستعانة بصلوات الكهنة والرهبان القديسين ضد أعمال الشر المظلمة، فإنّ المسيح وهب رسله الأطهار السلطان على الأرواح النجسة ليخرجوها.

٢٩- هل يجوز التقرب للأسرار المقدسة لمن لم ينل سر العماد على الطقس الأرثوذكسي؟ (١)

سؤال : من الابن رأفت شوقي فهمي.

ردا على خطابك غير المؤرخ بتاريخ بخصوص إنسان بروتستانتي يريد على قولك أن يتناول من الأسرار المقدسة ويعترف ويتعمد، فرفض الكاهن أن يجرى له شيئا من ذلك ما لم ير دليلا على استحقاقه لنيل تلك الأسرار فذهب إلى كاهن آخر فناوله على الفور.

نجيب بأنه من حق الكاهن بل من واجبه أن يتثبت من استحقاق الشخص لنيل الأسرار المقدسة. وإذا لم يتريث الكاهن واندفع بدون حساب للعواقب، إلى تقديم الشخص للأسرار المقدسة، فإن الدينونة عظيمة لذلك الكاهن المهمل لمقتضيات مسؤوليته الكهنوتية.

إنّ مثل الكاهن المؤتمن على الأسرار المقدسة مثل صرّاف البنك. فإذا صرف مبلغاً لإنسان ما لم يتثبت من استحقاق ذلك الإنسان للمبلغ فإنه يدان عن إهماله، فضلاً عن أنه يطالب بالمبلغ الذى صرفه لإنسان لا يستحقه. إن دينونة الكاهن أعظم من دينونة صراف البنك. قال الرسول بولس (فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله. ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أمينا) (١. كورنثوس ٤ : ١، ٢).

هذا ومما يجب الإشارة إليه أن هذا الأخ البروتستانتي يلزم بعد أن يتقابل مع الكاهن ويتثبت منه، أن يقبل سر العماد أولاً قبل أن يتقدم إلى سر التناول، إلا إذا كان قد سبق عماده فى الكنيسة الأرثوذكسية. فنحن لا نعترف بمعمودية البروتستانت لعدد من الأسباب.

(١) الخطاب بتاريخ ٦ من نوفمبر- تشرين ثان لسنة ١٩٧٩م- ٢٦ من بابه لسنة ١٦٩٦ش.

٣٠- سؤال عن الماء فى جرن المعمودية(١)

سؤال : من أحد الكهنة - الأب المحترم الراهب القس تادرس الأنبا بيشوى والأنبا باخوميوس بحاجر ادفو.

كم يوما يمكن أن يترك ماء المعمودية بغير صرفه (إلى ماء جار) واستخدامه فى تعميد آخرين؟

الجواب :

إنَّ أقصى مدة يمكن ترك الماء فى جرن المعمودية بغير تصريف هى ثلاثة أيام. ذلك لأن الماء المتروك لأكثر من ذلك قد يتعرض لأن يأسن أو يفسد، لأنه من جهة هو ماء محبوس، ومن جهة أخرى امتزج به الزيت ثم الميرون.

ولما كان كلّ سرّ يلزم عدم تغير مادته لبقاء فعالياته، لذلك فبقاء الماء فى جرن المعمودية أكثر من ثلاثة أيام قد يعرضه للفساد، مثله فى ذلك مثل الخمر والخبز فى سرّ الإفخارستيا. وهذا هو أهم سبب لماذا لانحتفظ (بذخيرة التناول) كما يحتفظ بها غيرنا من الكنائس الأرثوذكسية القديمة، والكنائس البيزنطية فضلا عن الكاثوليكية، ذلك لأن حرارة الجو فى بلادنا تعرض العناصر الخارجية (الخبز والخمر) للتغير والفساد، فيرتفع السر.

أما الميرون، وزيت مسحة المرضى، فيمكن حفظهما لمدة طويلة من دون خطر التعرض للفساد.

أما ماء المعمودية، فقابل لأن يأسن فى جرن المعمودية أو يتعفن أو يفسد.

لهذا فمن غير المأمون أن يبقى الماء محبوسا فى جرن المعمودية وبه الزيت والميرون، على صورته النقية من دون التعرض للفساد، إلى أكثر من ٣ أيام.

---

(١) نشر بجريدة وطنى صباح الأحد ١١ من نوفمبر- تشرين ثان لسنة ١٩٧٩م- أول هاتور لسنة ١٦٩٦ش.

٣١- لماذا يعمدون الذكر قبل الأنثى ؟(١)

سؤال : من أحد الكهنة - الأب المحترم القس تادرس الأنبا بيشوى، والأنبا باخوميوس بحاجر ادفو.

لماذا إذا كان الكاهن سيعمد فى جرن المعمودية طفلا ذكرا وطفلة أنثى، يبدأ بتعميد الطفل الذكر ومن بعده الطفلة الأنثى؟

الجواب :

إنّ سبب تعميد الطفل الذكر قبل الأنثى مرده إلى سبب طبيعى وهو أن آدم خلق أولا ثم حواء. والذكر دائما وفى كل شئ صورة الله ومجده (١ . كورنثوس ١١ : ٣، ٧، ٨) . ونفس المبدأ يُراعى فى توزيع الأسرار المقدسة، فالرجال يتناولون قبل النساء - وهذا المبدأ ينسحب على جميع الأسرار والمباشرات والخدمات الكنسية. قال الرسول: (أريد أن تعلموا أنّ **رأس كل رجل هو المسيح**. وأما رأس المرأة فهو الرجل.. **فإن الرجل.. صورة الله ومجده**. وأما المرأة فهى مجد الرجل. **لأنّ الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ولأنّ الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل..) (١ . كورنثوس ١١ : ٣-٩) .**

وفى كتاب التعميد ينص على أن يعمد الذكور أولا قبل الإناث. وكذلك الدسقولية، وكتاب (القوانين) لابن العسال - باب ٣.

أما وضع الصليب فى الماء قبل تعميد البنت، فهو وإن كان لم ينص عليه، لكن لا بأس بهذا الإجراء على نفس المبدأ السابق، وهو تقديم الذكر على الأنثى مع إضافة أن (**آدم جبل أولا ثم حواء .. ولم يغو آدم، بل المرأة هى التى أغويت، فوقعت فى المعصية) (١ . تيموثيئوس ٢ : ١٣، ١٤) .**

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٥ من نوفمبر - تشرين ثان لسنة ١٩٧٩م - ١٥ من هاتور لسنة ١٦٩٦ش.

٣٢- قانونية سرى المعمودية والتناول في الكنيسة الكاثوليكية(١)

سؤال : من ابراهيم جرجس ابراهيم.

بخطابكم المؤرخ ١٥ من نوفمبر لسنة ١٩٧٩ وضعتم سؤالا عما إذا كان الروح القدس يتم فى الأسرار على يد الأب الكاهن الكاثوليكى القانونى تماما مثلما يتم عمله على يد الأب الكاهن الأرثوذكسي القانونى، باعتبار أنّ الكنيسة الكاثوليكية كنيسة رسولية، وخصوصا فيما يتصل بسرّ التناول وسرّ المعمودية.

وجوابنا على هذا السؤال هو أننا نعترف بالكنيسة الكاثوليكية أنها كنيسة رسولية. ومع ذلك، فإننا لم نصل بعد إلى الوحدة المنشودة للكنيسة الواحدة الجامعة. وإن كنا نسعى فى سبيل تحقيق هذه الوحدة.

ولقد تشكلت لجنة رسمية على مستوى الرئاستين القبطية الأُرثوذكسية والرومانية الكاثوليكية منذ زيارة البابا شنوده الثالث للبابا بولس السادس فى مايو لسنة ١٩٧٣. وقد عقدت اللجنة المشتركة خمسة إجتماعات كبيرة على مدى سبع سنوات تقريبا، وقد وصلنا إلى خطوات لا بأس بها مشجعة فى طريق الوحدة الإيمانية الكاملة. ولكن لاتزال بعض أمور معلقة إلى أن تعلن هذه الوحدة كاملة.

لذلك، فما زلنا فى مرحلة الإنفصال فى شركة الأسرار المقدسة، وبلغة أخرى No Inter-communion أى لا شركة فى الأسرار. وقد شرحنا ذلك فى مؤتمراتنا العالمية ومحادثاتنا الرسمية وغير الرسمية، أننا منذ عام ٤٥١ أى منذ مجمع خلقيدونية الذى انشقت فيه أو انقسمت الكنيسة إلى كنيستين: شرقية بزعامة كنيسة الأسكندرية فى عهد البابا ديوسقورس، وغربية برئاسة بابا روما، أمست الكنيستان دائرتين مغلقتين إحداهما عن الأخرى، ولا شركة بينهما ◎ × ◎ فعمل الروح القدس فى داخل كل كنيسة يجعل الأسرار ذات فاعلية فى دائرة كل كنيسة على حدة بدون شركة أو اتصال بين الدائرتين أو بين الكنيستين. وبلغة الكهرباء، التيار سار فى كل دائرة، ولكنه غير موصول بين الدائرتين.

---

(١) كتب بتاريخ ٢٠ من فبراير- شباط لسنة ١٩٨٠م - ١٢ من أمشير لسنة ١٦٩٦ش.

بناء على ذلك فلا يجوز لأرثوذكسي أن يتناول من الأسرار المقدسة فى كنيسة كاثوليكية، ولا لكاثوليكى أن يتناول الأسرار المقدسة فى كنيسة أرثوذكسية.

وما دام الأمر كذلك فيما يتصل بسرّ التناول، وهو سرّ الشركة، وهو شركتنا مع المسيح ومع الكنيسة، فالمعمودية الكاثوليكية أيضا لانعترف بها ما لم تتم الوحدة الإيمانية أولاً ثم الاتحاد فى سرّ التناول وهو سرّ الشركة.

وما قلناه عن المعمودية ينسحب أيضا على سرّ الزيجة وسائر الأسرار.

ولذلك فإننا نعيد معمودية الكاثوليكي أو الكاثوليكية إذا أراد أن يتزوج بأرثوذكسية أو أرثوذكسي قبل أن يباشر لهما عقد الإكليل الأرثوذكسي.

والخلاصة أنه مع الاعتراف بأن الكنيسة الكاثوليكية كنيسة رسولية، لكن ليس هناك اعتراف أو إقرار بأرثوذكسية الأسرار التى تتم فى الكنيسة الكاثوليكية عندما ينتقل الكاثوليكى إلى عضوية الكنيسة الأرثوذكسية.

٣٣ـ معمودية النساء(١)

سؤال : من السيد/ جورج زكى يوسف ـ سيدنى ـ استراليا.

يقول: إنّ جميع الذين تعمدوا فى حياة يوحنا المعمدان كلهم من الرجال، ولم أقرأ عن إمرأة واحدة أنها تعمّدت، علما بأنهم جميعا آمنوا بالرب يسوع المسيح وتمتعوا برؤياه حتى الصليب. وفى تاريخ أعمال الرسل أيضا لم أقرأ عن إمرأة تعّمدت، فهل أجد تفسيرا يساعدنى على معرفة مصير النسوة اللائى لم يتعمدن على الرغم من إيمانهن بربنا يسوع المسيح، وما هو مصيرهن.

الجواب :

وجوابنا على ذلك إنّ **المعمودية ضرورية للخلاص، للمرأة كما للرجل سواء بسواء.**

يقول الكتاب المقدس (فإنكم كلكم أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأنكم، **تعمدّتم جميعا فى المسيح**، فلبستم المسيح. ولا فرق الآن بين يهودى وغير يهودى، بين عبد وحرّ، بين رجل وإمرأة، فأنتم كلكم واحد فى المسيح يسوع) (غلاطية ٣: ٢٦-٢٨).

فقول الكتاب المقدس هذا دليل واضح على أن **المرأة تنال المعمودية كما ينالها الرجل سواء بسواء، وأنه لا فرق بينهما فى ذلك، وأن المرأة مع الرجل واحد فى المسيح بالإيمان وبالمعمودية.**

لقد كانت شريعة الختان خاصة بالذكور فقط، إذ لا ختان للأنثى. قال الله لإبراهيم.. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُختن كل ذكر منكم.. ابن ثمانية أيام يختن كل ذكر منكم..) (التكوين ١٧: ٩، ١٠، ١٢).

أما المعمودية فهى لجميع الناس على السواء ذكورا وإناثاً، ذلك لأنّ واضع شريعة العماد، رب المجد يسوع المسيح، رسم هذا السر لكل إنسان آمن به، ولم يخص الذكور دون الإناث. قال المسيح له المجد (إنّ الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله .... إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣: ٣، ٥). ويلاحظ أن اللفظ اليونانى ΤΙΣ (TIS) وبالقبطى ⲟⲩⲁⲓ (OUAI) يفيد (أحد من الناس).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٣ من مايو ـ آيار لسنة ١٩٨١م ـ ٢٥ من برمودة لسنة ١٦٩٧ش.

فالمعمودية إذن لكل أحد من الناس، وضرورية للخلاص لكل إنسان، بغير تمييز بين رجل وامرأة، ذكر وأنثى.

وتطبيقاً لهذا المبدأ العام كرز رسل المسيح لجميع الناس، **وعمدوهم رجالاً ونساء.** قال الرسول القديس بطرس للحجيج من الرجال والنساء المجتمعين بأورشليم فى عيد الخمسين:

(توبوا **وليعّمد كل واحد منكم** على اسم يسوع المسيح فتغفر خطاياكم وتنالوا موهبة الروح القدس) (أعمال الرسل ٢ : ٣٨) وأضاف (لأن الموعد إنما **هو لكم ولأبنائكم، ولكل البعيدين، ممن يدعوهم الرب إلهنا جميعاً)** (٢: ٣٩).

فالمعمودية هى للجميع، (**ليّعمد كل واحد منكم**) والدعوة **للجميع** بغير استثناء لا فرق فى ذلك بين رجل وإمرأة، ذكر وأنثى.

ولذلك فإن جميع من آمنوا بالمسيح، اعتمدوا باسم المسيح، الجميع رجالاً ونساء.

وقد ورد عن كورنيليوس القائد الرومانى أنه **جمع فى بيته إلى أسرته الخاصة أنسباءه وأصدقاءه** ليسمعوا كلمة الحياة على فم القديس بطرس الرسول، وبعد أن قبلوا الإيمان، (أمر أن يعتمدوا باسم الرب) (أعمال ١٠ : ٢٤ ـ ٤٨). ومن الطبيعى أن **النساء تعمدن أيضاً**، لأن الموعد هو لكل من يؤمن.

كذلك ورد عن السّجان فى فيلبى أنه استدعى القديسين بولس وسيلا إلى بيته ليسمع منهما عن الخلاص **هو وأهل بيته** (وكلماه هو **وجميع من فى بيته** بكلمة الرب. فأخذهما فى تلك الساعة من الليل وغسل جراحهما، **واعتمد من وقته هو والذين له أجمعون..** وابتهج مع جميع أهل بيته إذ كان قد آمن بالله) (اعمال الرسل ١٦ : ٣٢: – ٣٤).

وواضح أنّ العماد لم يكن وقفا على السّجان بل إن السّجان تعَّمدَ (**مع جميع أهل بيته) (هو والذين لهم أجمعون)** بما فيهم النساء بطبيعة الحال.

بل لقد ورد صراحة عن **ليدية** بياعة الأرجوان أنها إذ سمعت تعليم القديس بولس فى فيلبى (**اعتمدت هى** وأهل بيتها) (أعمال الرسل ١٦ : ١٤، ١٥).

ثم جاء أيضاً عن أهل السامرة أنهم استمعوا إلى كرازة القديس فيلبس ونالوا العماد. قال سفر الأعمال إنهم (اعتمدوا رجالاً ونساء) (أعمال ٨: ١٢) وهذه بيّنة دامغة على أن النساء نلن المعمودية كما نالها الرجال سواء بسواء.

أضف إلى هذا ما جاء فى التقليد الرسولى والكنسى عن تعميد المرأة. جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل) توجيه إلى الأسقف أنه فى حاجة إلى إقامة شماسات من النساء لخدمة النساء (وتقسم أيضاً شماسات نسوة مختارات قديسات لأجل خدمة النساء.. لأنك تحتاج إلى الشماسات النساء فى أعمال كثيرة. وأول ذلك **لأجل إمرأة تتعمد**..) و(يدهن الأسقف **رأس المرأة**، وبعده تدهن الشماسة الإمرأة كلها، لأنه لا يجوز للرجال أن يتأملوا النساء إلا بوضع اليد عليهن لاغير..) (باب ٣٤).

وجاء فى قوانين الرسل (.. وليبتدئوا أن يعَمّدوا الأطفال.. ومن بعد يعمدون الرجال الكبار، **وأخيراً النساء**. ويحل شعورهن ويضعن عنهن حليهن، الذهب الذى عليهن، ولا ينزل أحد بشىء غريب معه إلى الماء) (رسطب ٣٤) وجاء مثل هذا النص فى القانون ٢١ من قوانين هيبوليتوس.

وجاء فى قوانين هيبوليتوس أيضاً فى قانون العماد ٠ **(وإن اتفق أن يلحق المرأة طمث، فلتتأخر إلى يوم آخر إلى أن تطهر)** (قانون ٢٠).

وفى قوانين مجمع قيصرية الجديدة سنة ٣١٥م **(المرأة الحامل يمكن أن تُعَمّد حينما تشاء**. ولا يكون جنينها مشتركاً فى المعمودية..) (قانون ٦).

وسئل الأنبا أثناسيوس أسقف مدينة قوص **(هل يجوز عماد الحامل؟)** فأجاب **(نعم، أسرع وعمدها**. ويحسب ذلك لها دون الجنين) (سؤال رقم ١٦).

وسئل أيضاً **(هل يجوز عماد الحائض؟)** فأجاب **(لا، بل أخرّها إلى أن تطهر** ولو كانت ذات نجار مالك) (سؤال رقم ١٨).

٣٤ ـ هل يمكن تعميد طفلة من أم مسيحية وأب غير مسيحى؟ (١)

سؤال من السيد : لويز اسكندر وهبه ـ ملبورن / استراليا.

تزوج رجل غير مسيحى بامرأة مسيحية، واتفقا على أن الولد يتبع الأب والبنت تتبع الأم. وحملت المرأة وأنجبت بنتاً وأرادت أن تعمدها، فما هو موقف الكنيسة من ذلك؟

الجواب :

أما البنت الصغيرة فيمكن تعميدها، على أن يعين لها الكاهن إشبيناً أو إشبينة من المؤمنين الأتقياء يكون وكيلاً عن الابنة أثناء تعميدها، وينوب عنها فى جحد الشيطان والاعتراف بالإيمان المسيحى الأرثوذكسى، ويتعهد بأن يكون مسئولاً عن تربيتها التربية المسيحية الأرثوذكسية، وتنشئتها حتى تكبر.. وفى سن الرشد يوقفها أمام الهيكل كطقس الكنيسة فى الإشبين، ويسلّمها لنفسها أمام الكاهن محملاً إياها المسئولية كاملة عن نفسها.

أما أم الطفلة فلا تستطيع أن تحمل ابنتها إلى الكنيسة لأنها بزواجها من رجل غير مسيحى صارت خارج الكنيسة. ذلك أن زواجاً كهذا لا يمكن أن يكون قد تمَّ داخل الكنيسة الأرثوذكسية. فالكنيسة الأرثوذكسية لا تسمح بمباشرة سر الزواج إلا لزوجين مسيحيين أرثوذكسيين. فإذن هذه المرأة تزوجت خارج الكنيسة وربما بعقد زواج مدنى أو عرفى.. وعلى كل حال مادام زواجها غير أرثوذكسى، وتزوجت برجل غير مسيحى فلا تستطيع أن تتقدم إلى الأسرار المقدسة، وبالتالى فهى خارجة عن شركة الكنيسة، وقد تعطلت تماماً عن كل مباشرات الكنيسة وأسرارها.. إن حياتها فى داخل الكنيسة قد انقطعت.

---

(١) الرد بخطاب بتاريخ ٢٩ من أغسطس ـ آب لسنة ١٩٧٤م ـ ٢٣ مسرى لسنة ١٦٩٠ش. ونشر بمجلة (مارمرقس) التى تصدر بمدينة ملبورن ـ استراليا ـ العدد ٧٣ ـ نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٨٣م صفحة ٢٠.

٣٥ ـ معمودية الكنائس الأخرى
التى تقرها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية (١)

الأب المحترم الراهب القس مكسيموس الأنبا بيشوى ـ كاهن كنيسة العذراء ومارجرجس ـ بعمان ـ الأردن.

رداً على خطابكم المرسل من عمان عاصمة الأردن فى ٢ من نوفمبر لسنة ١٩٨٤م (٢٣ من بابه ١٧٠١ش) بخصوص توضيح موقف الكنيسة القبطية من الطوائف المختلفة ـ الروم الأرثوذكس ـ الروم الكاثوليك، الأرمن، السريان الأرثوذكس والكاثوليك ـ اللاتين ـ الفرنسيسكان ـ الموارنة ـ الطوائف البروتستانتية المختلفة، من كافة النواحى العقائدية، والطقسية واللاهوتية، وجميع الجوانب الكنسية لتعريف أبناء الكنيسة ـ وخصوصاً من جهة إتمام أى سر من أسرار الكنيسة المقدسة لدى هذه الطوائف المذكورة، حيث أن كثيرين من أبناء الكنيسة القبطية يقومون بالزواج والتناول وممارسة الأسرار لديهم..

يسرنى أن نجيب:

أولاً: بأن السريان الأرثوذكس، ثم الأرمن الأرثوذكس هم من أتباع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة التى تدخل كنيستنا القبطية الأرثوذكسية فى نطاقها وإطارها.

وعلى ذلك فإن بين كنيستنا القبطية الأرثوذكسية والكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، شركة روحية إيمانية تجيز وتبيح شركة جميع أسرار الكنيسة لجميع أعضاء هذه الكنائس، ومنها سر التناول، وسر الزيجة، والكهنوت.. فضلاً عن المعمودية والتوبة، ومسحة المرضى.. أى أن السريانى والأرمنى الأرثوذكسى يُعامل معاملة القبطى بغير فارق.

ثانياً: أما الروم الأرثوذكس، فكنيستنا القبطية الأرثوذكسية تقبل اعتماد معموديتهم لأن قانون الإيمان هو بعينه فى الكنيستين. ولكن كنيستنا تتطلب دهنهم بالميرون فى ٣٦ موضعاً حسب طقس كنيستنا ـ هذا فى حالة إنضمام أحدهم إلى كنيستنا. وهذا يبيح له سرى التناول والزواج فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

ثالثاً: أما الروم الكاثوليك، والسريان الكاثوليك، واللاتين، والفرنسيسكان، والموارنة.. فكل هذه الطوائف كاثوليكية، وتتبع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

---

(١) الخطاب بتاريخ ١٣ من ديسمبر ـ كانون أول لسنة ١٩٨٤م ـ ٤ من كيهك لسنة ١٧٠١ش.

وكنيستنا تحترم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بصفتها كنيسة رسولية، تؤمن وتمارس جميع الأسرار السبعة، إيمانيا وعقائدياً ولاهوتياً وكنسياً.

أما إذا أراد أحد من أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (بمختلف طوائفها وطقوسها) **التناول أو الزواج** في الكنيسة الأرثوذكسية، **فكنيستنا تشترط** في هذه الحالة **العماد من جديد على أساس قانون الإيمان الأرثوذكسي وطبقاً للطقس القبطي**. وغير خاف أن صيغة قانون الإيمان الأرثوذكسي تختلف عنها صيغة قانون الإيمان في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من حيث إضافة **(والابن)** في قضية انبثاق الروح القدس من الآب..

وليس في اشتراط المعمودية على الإيمان والطقس الأرثوذكسي إهانة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية وكهنوتها وأعضائها - لكنه **ضرورة تقتضيها (صحة الانضمام) أي أن في التعميد ضماناً لصحة الانضمام. فكنيستنا تشترط لإتمام سر الزيجة أن يكون العروسان - الرجل والمرأة - أرثوذكسيين قبل إتمام مراسم سر الزيجة.**

وعلى نفس الأساس، وبنفس الروح، وعلى ذات القياس، نحن من جانبنا لا نغضب في حالة إنضمام أرثوذكسي إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، بسبب التناول، أو الزواج، إذا طلبوا تعميده من جديد. فليس في الأمر، كما يُظن إهانة ولكنه ضمان لعدم الخلط، وما يعرف بالزواج المختلط، وما يثيره ويتخلف عنه من مشاكل رعوية وأسرية، وما يفتح المجال لتطبيق الشريعة الإسلامية عند حدوث خلاف بين الزوجين.

إننا تفادياً لكل تلك النتائج الضارة روحياً وعائلياً وإجتماعياً واتقاء لتطبيق الشريعة الإسلامية، تتطلب كنيستنا في حالة إنضمام أحد من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية بغرض التناول من الأسرار المقدسة أو بغرض إتمام سر الزيجة.. أن يعمد من جديد على الإيمان الأرثوذكسي، والطقس الأرثوذكسي، ضماناً لصحة الانضمام. **ونحن لا نمانع في نفس الوقت أن تشترط الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التعميد من جديد لإنسان قبطي في حالة إنضمامه للكنيسة الرومانية الكاثوليكية سواء بسواء.**

رابعاً: أما البروتستانت بمختلف طوائفهم، فبالأحرى والأولى **أن لا يُسْمَحَ لأي منهم بالتناول أو بالزواج عندنا إلا بعد الإنضمام التام للكنيسة الأرثوذكسية، إيمانيا وعقائدياً وكنسياً وطقسياً.. وبالطبع لابد أن يعمد على الإيمان الأرثوذكسي وطبقاً للطقس القبطي الأرثوذكسي، ويمسح بالميرون قبل أن يسمح له بالتناول من الأسرار المقدسة، وبالتالي بالتقدم إلى سرّ الزيجة.**

٣٦ ـ فى طقس تعميد المرأة البالغة (١)

سؤال :

الابن المبارك والأب المحترم القس مقار يوسف حنا ـ كاهن كنيسة الشهيد مارجرجس ـ طوخ ـ قليوبية.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

أمامى خطاب قديم منكم تستفسرون فيه عن تعميد سيدة كاثوليكية منعتموها من التقدم من الأسرار المقدسة حتى تنال المعمودية طبقاً للإيمان والطقس الأرثوذكسى.

وجوابنا هو أنه لابد لكم من الاستعانة بسيدة مسيحية قبطية أرثوذكسية تتخذونها شماسة لتساعدكم فى تعميد الكبار من السيدات والبنات كما تنص على ذلك الدسقولية فى الباب الرابع والثلاثين.

فالكاهن بعد أن يفرغ تماماً من صلواته على جرن المعمودية بما يسمى (قداس المعمودية)، يغادر المكان، ويعهد للمرأة الشماسة أن تقوم بمساعدة المرأة الراغبة فى المعمودية على خلع كل ملابسها ثم تنزل إلى جرن المعمودية وتغطس فيه تماماً، ولا يبقى منها إلا رأسها ويكون وجهها إلى الشرق. يأتى الكاهن بعد ذلك من الخارج باستدعاء المرأة الشماسة، ويضع يده على رأس المرأة المزمع تعميدها، ويردد صيغة التعميد: **أعمدك يافلانة باسم الآب، والابن، والروح القدس**، وهو يغطس رأسها فى الماء، **ثم يخرج من المكان**. وعندئذ تنهض المرأة المعمدة من جرن المعمودية وتساعدها الشماسة على ارتداء الثوب الأبيض الشامل الذى يغطى كل جسدها، ثم يأتى الكاهن، ويمارس سّر المسحة **بأن يدهن بالميرون أعضاء المرأة الظاهرة فقط مثل النافوخ والعينين والأذنين والمنخرين والفم ثم معصمى اليدين، ويترك للمرأة الشماسة أن تدهن الأعضاء الداخلية للمرأة تتمة لستة وثلاثين موضعا ـ وهذا بموجب تفويض من الكنيسة للمرأة الشماسة** كما تنص على ذلك الدسقولية فى الباب الرابع والثلاثين:

جاء فى كتاب (الدسقولية) وهو تعاليم الرسل **الباب ٣٤ :**

(١) الخطاب بتاريخ ١٣ من ديسمبر ـ كانون أول لسنة ١٩٨٤م ـ ٤ من كيهك لسنة ١٧٠١ش.

(لأجل هذا يا أسقف اقسم الشماسة كما يرضى الله... وتقسم أيضا شماسات نسوة مختارات قديسات لأجل خدمة النساء... ولأنك تحتاج إلى الشماسات النساء فى أشياء (أعمال) كثيرة. وأول ذلك لأجل إمرأة تتعمّد... تدهن الشمّاسة، الإمرأة كلها، لأنه لا يجوز للرجال أن يتأملوا النساء إلا بوضع اليد عليهن لا غير. لكن يدهن الأسقف (أو القسيس) رأس المرأة.

وبعد هذا تتقدم المرأة بعد تعميدها ومسحها بالميرون للتناول من الأسرار المقدسة.

٣٧ ـ لا حاجة إلى إعادة المعمودية (١)

سؤال : من السيد نصر ناجى بسكالس:

يقول إنه منذ حوالى ٢٦ سنة حدثت له حادثة فأجريت له عملية، وقد استلزمت العملية تغيير دمه كله ـ أفهل يتطلب وضعه إعادة المعمودية؟

الجواب :

لا حاجة إلى إعادة المعمودية، ولكننا نرى الحاجة إلى إعادة الدهن بالميرون (المسحة المقدسة) فى ٣٦ سنة وثلاثين موضعا كطقس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٤ من أغسطس ـ آب ـ لسنة ١٩٨٥م – ٢٨ من أبيب لسنة ١٧٠١ش.

٣٨ - الزمن المناسب للتعميد (١)

سؤال : من السيد ميشيل جرجس عبد المسيح - مينيسوتا - امريكا.

ما هو الوقت المناسب لتعميد طفل ، أيكون ذلك قبل القداس أم بعده ؟

وماهو طقس ربط وحل الزنار؟

الجواب :

الوقت المناسب لتعميد الطفل هو أولا يوم الأحد، لأن يوم الأحد هو يوم القيامة. وثمة رابطة روحية بين المعمودية وبين قيامة المسيح له المجد - فالمعمودية موت مع المسيح، ودفن معه ثم قيامة معه (إنكم دفنتم معه فى المعمودية، وأقمتم معه أيضاً) (كولوسى ٢ : ١٢) (ألا تعلمون أننا حين تعمدنا لنتحد بيسوع المسيح، إنما تعمدنا لنموت معه، فدفنا معه فى المعمودية للموت وشاركناه فى موته، حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب كذلك نسلك نحن أيضاً فى حياة جديدة؟ فإذا كنا اتحدنا به فى موت يشبه موته، فكذلك نتحد به فى قيامته) (رومية ٦ : ٣- ٥).

ثانياً - أما عن الوقت بالنسبة للقداس، **فالأفضل هو مباشرة التعميد قبل القداس، حتى يتناول الطفل المعَمد من الأسرار المقدسة.**

ولا يُعَمَّد الطفل بعد القداس إلا للضرورة القصوى، وبشرط أن يستبقى الكاهن بعضا من جواهر القربان المقدس، ليناوله منها.

ويمكن فى ظروف خاصة، وللضرورة أيضاً، أن يتم تعميد الطفل مساء السبت بعد رفع بخور عشية الأحد. فمساء السبت بعد السادسة مساء، يعدكنسيا وطقسيا، من يوم الأحد.

أما طقس ربط الزُنّار فالمقصود منه ربط المعَمد - بعد دهن أعضائه بالميرون المقدس - عن الاغتسال والاستحمام (الكامل) لمدة سبعة أيام.

وفى اليوم الثامن للتعميد يستحم المعَمد وتُغسل معه ملابسه، ويُطرح ماء الغسيل لجسده وملابسه، فى ماء جار أو فى مكان به زرع، توقيرا (للميرون) الذى مسح به الجسد.

وفى كتاب التعميد صلوات وطقوس تُباشر فى اليوم الثامن للتعميد تعرف بصلوات حل الزنار، يحل بعدها الاستحمام والغسل الكامل لجسم المعمد وملابسه.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٥ من أغسطس - آب - لسنة ١٩٨٥م - ١٩ من مسرى لسنة ١٧٠١ ش.

٣٩ ـ مصير الأطفال غير المعمدين (١)

سؤال : من السيد فؤاد غالى نخله صليب.

رداً على سؤالكم بخطابكم المؤرخ ١٩٨٥/٥/٢٢ بخصوص طفلكم المولود حديثاً، والذى توفى بعد ستة عشر يوما من ميلاده دون عماد، وسؤالكم عن مصير هذا الابن، وما هو مسئوليتكم تجاهه؟

الجواب :

أجيب بأن الطفل (بيتر) كان يمكن تعميده ولو كان ابن يوم واحد، إذا كان فى خطر... وكان يمكن أن تحمله غير أمه وتدخل به إلى الكنيسة، فإنّ القانون الكنسى الذى يأمر بتعميد الطفل، فى الأربعين يوما من ميلاده إذا كان ذكراً والثمانين يوما إذا كان أنثى ـ هو خاص بالأم لا بالطفل.

فإن المرأة النُفَساَء هى التى تُمنع من دخول الكنيسة مدة أربعين يوماً إذا كان مولودها ذكراً، ومدة ثمانين يوما إذا كان مولودها أنثى. أما الطفل فيمكن تعميده ولو كان ابن يوم واحد، لكن فى هذه الحالة لا تحمله أمه لأن القانون الكنسى يقول «لا تدخل إمرأة حائض إلى الكنيسة»

ويقول قانون آخر «يعاقب الكاهن الذى أدخل إمرأة حائض إلى الكنيسة ولو كانت من بنات الملوك».

أمّا إذا تُوفىَ الطفل فجأة قبل الأربعين ولم يتنبه أبواه إلى خطورة حالته، فلا إثم يلحق بالأبوين فى هذه الحالة لأنّ الوفاة حدثت فجأة ودون إنذار مسبق.

أما الطفل نفسه الذى يموت بغير عماد، فيقول فيه آباء الكنيسة «أنه لا يُعّذب ولا يمُجدّ»... لا يُعذّبُ لأنه لم يخطأ خطيئة بالفعل. ولا يُمَّجد لأنه يشمله القانون الإلهى الذى رسمه رب المجد يسوع المسيح بقوله «الحقّ الحّق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إنّ الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣ : ٣، ٥).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٨ من سبتمبر ـ ايلول لسنة ١٩٨٥م – ٣من النسىء ١٧٠١ش.

وعلى ذلك، فإذا كان الطفل قد تُوفيَ فجأة وهو ابن ستة عشر يوما، ولم يظهر عليه خطر الوفاة فأمره متروك لله، وهكذا شأن طفل يموت وهو جنين فى بطن أمه، أو يموت لحظة ميلاده، أو بعدها بقليل.

لقد أمرت شريعة العهد القديم بأن يُختتن الطفل فى اليوم الثامن لميلاده، «وأما الذَكَرُ الأغلف الذى لا يُختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها» (التكوين ١٧ : ١٤)، فإذا مات الطفل قبل اليوم الثامن، فلا يلحقه هذا الوعيد، ولا يلحق والديه إثم عدم ختانه.

وعلى ذلك فإن مات الطفل، من دون عماد، ولم تكن وفاته فجأة، وظهر منه ما يدل على أنه فى خطر الموت، ولم يعمد فإن قوانين الكنيسة فرضت على الأب والأم فى هذه الحالة قانون توبة، وأعطت للكاهن مسئولية فرض صوم ومطانيات استغفار، وفقا لما يراه الكاهن مناسباً «حسب تقويمك» ياكاهن (العدد ١٨ : ١٦)، (اللاويين ٢٧ : ١، ٨).

٤٠ ـ الطفلة إذا ماتت من غير عماد (١)

من المهندس صفوت بشرى ينى.

ردا على سؤالكم بخصوص طفلتكم الجميلة التى عاشت لمدة أربعة شهور ونصف ثم ماتت من غير عماد، ينبغى أن نقرر أن من الخطأ تأخير الطفل أكثر من المدة المقررة لدخول الأم إلى الكنيسة، وهى أربعون يوما إن كان مولودها ذكرا، وثمانون يوما إن كان مولودها أنثى.

على أنّ الطفل إذا كان فى خطر المرض يمكن أن يُعَمَّد ولو كان ابن يوم واحد. وفى هذه الحالة تحمله غير أمه إلى الكنيسة.

ويمكن عند الضرورة القصوى أو المرض الخطير جدا أن يُعَمَّد فى البيت.

إننا لم نستطع من خطابك أن نفهم لماذا تأخرتم عن تعميد الطفلة مدة أربعة شهور ونصف؟

على كل حال، فلنترك الأمر فى يد الرب ذاته وهو يعلم نيتكم، وهو برحمته يتغمدها بنعمته. علما بإن تعليم الكنيسة ينص على أن الطفل غير المعمد لا يعذب ولو أنه لا ينال مجد الأطفال المعمدين.

إننا جميعا بيد الرب، ونسأل عفوه وغفرانه.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٣ من أغسطس ـ آب ـ لسنة ١٩٨٦م – ٢٧ من أبيب لسنة ١٧٠٢ش.

٤١ ـ الطفل يعَمد ولو كان ابن يوم واحد (١)

سؤال : من أحد القراء.

ما التصرف الكنسى تجاه طفل مريض على وشك الموت، وفى أحد التناصير لا يكون قد بلغ الأربعين يوما، واشتد عليه المرض جداً فى اسبوع الآلام، هل يجوز تعميده قبل الأربعين؟

الجواب :

نعم، إن الطفل يجوز تعميده فى أى وقت بعد ولادته، **ولو كان ابن يوم واحد.**

على أنه فى هذه الحالة لا يدخل الكنيسة مع أمه، وإنما يحمله إنسان آخر.

واعلم **أن الأم أو المرأة النُفُسَاء** هى التى لا يجوز لها أن تدخل الكنيسة قبل أربعين يوما إذا كان مولودها ذكرا، وقبل ثمانين يوما إذا كان مولودها أنثى.

الأم **النُفَساء** هى التى لا يحل لها أن تدخل الكنيسة قبل المدة المقررة فى الكتاب المقدس وكتب الكنيسة قبل أن تطهر. وفى تمام المدة يصلى الكاهن على رأسها صلاة الحل المنصوص عليها فى كتاب المعمودية المقدسة.

جاء فى كتاب (مجموع القوانين) للشيخ الصفّى ابن العسال (**إنّ المولود إذا خيف عليه من الموت قبل طهر أمه من دم نفاسها، فليدخل الكنيسة مع غيرها ويُعَّمد، لأنّ المرأة التى تلد تبقى بعيدة عن الموضع المقدس أربعين يوما إن ولدت ذكراً، وثمانين يوما إن ولدت أنثى**) (الباب الثالث).

أمّا (أحد التناصير) فلم يرتب كنسيا لتعميد الأطفال، وإنما رتبته الكنيسة لتعميد الكبار من الرجال والنساء.

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ١٩من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٨٧م – ١١من برموده لسنة ١٧٠٣ش.

٤٢ ـ لماذا تمنع المرأة النُفَسَاء من دخـول الكنيســة ؟ (١)

سؤال : من الابن فوزى شحاته راشد ـ بهجورة.

يقول:

١ ـ لماذا يعمد الطفل الذكر بعد أربعين يوما والأنثى بعد ثمانين يوماً؟

٢ ـ ولماذا لا يصرح بدخول أم المولود إلى الكنيسة إلا بعد أربعين يوما والمولودة إلا بعد ثمانين يوما؟ كما أرجو أن تبينوا لى إن كان قد ورد عنها بمؤلفات عن المعمودية؟

الجواب :

الطفل يمكن تعميده ولو كان ابن يوم واحد، إذا كان ثمت خطر يتهدد حياته. وفى هذه الحالة لا يدخل الكنيسة مع أمه. إنما يحمله إنسان آخر، رجل أو إمرأة.

أما فى الأحوال العادية، **فيعمد الطفل بعد أربعين يوما من ميلاده إذا كان ذكرا، أو بعد ثمانين يوما من ميلاده إذا كان أنثى، ذلك لأن المرأة النُفَسَاء محظور عليها أن تدخل الكنيسة والمواضع المقدسة قبل تطهيرها من دم نفاسها.**

وهذا المنع هو أمر إلهى ورد النص عليه فى الكتاب المقدس:

(أية إمرأة حبلت فولدت ذكرا، فلتكن نجسة سبعة أيام كحكم أيام طمثها يكون حكم نجاستها.. وثلاثة وثلاثين يوما تقيم فى دم تطهيرها، **لا تلامس شيئا من الأقداس، وإلى المقدس لا تجىء حتى تكمل أيام تطهيرها.** فإن ولدت أنثى، فلتكن نجسة أسبوعين كحكم طمثها، وستة وستين يوما تقيم فى دم التطهير) (سفر اللاويين ١٢: ٢– ٥).

ولقد أطاعت الكنيسة المسيحية هذا الأمر الإلهى، عبر كل العصور..

وأول سيدة خضعت لهذا الأمر الإلهى فى العهد الجديد كانت العذراء القديسة مريم، فإنها على الرغم من أنها حبلت بالمسيح يسوع من غير دنس الخطيئة (مزمور٥٠: ٥)، فإنها لم تأت إلى الهيكل قبل إتمام أيام **التطهير المنصوص عليها فى الشريعة.** وعلى الرغم من طهارة القديسة مريم، وأن ولادتها للمسيح يسوع ولادة لم تتلوث بلوثة الخطيئة الأصلية،

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٨من يونيه ـ حزيران لسنة ١٩٨٧م– ٢١من بؤونه لسنة ١٧٠٣ش.

فإنها جاءت إلى الهيكل بعد أربعين يوما من ولادتها للمسيح يسوع. يقول الإنجيل (**ثم لما تمت أيام التطهير على مقتضى شريعة موسى**، صعدوا به إلى أورشليم ليقدماه للرب، عملاً بما هو مكتوب فى شريعة الرب.. وليقدما الذبيحة التى تفرضها شريعة الرب).. (لوقا ٢ : ٢٢ – ٢٤).

ومما هو جدير بالذكر أن كنيستنا الأرثوذكسية تحتفل بدخول المسيح طفلاً وتقديمه للهيكل فى الأربعين لميلاده، أى تجسده، فى اليوم **الثامن من أمشير** (ويقابل عادة الخامس عشر من شهر فبراير)، أى **بعد أربعين يوما من عيد الميلاد** أو التجسد الذى يقع فى **التاسع والعشرين من شهر كيهك** (ويقابل عادة ٧ من يناير). **وهذا التحديد لهذا العيد فى موعده هو مؤشر صريح، يدل على إلتزام الكنيسة المسيحية بالمدة المحددة فى الشريعة كما جاءت فى سفر اللاويين.**

وتوكيدا وترسيخاً للأمر الإلهي، فإن كتاب التعميد المستخدم فى كنيستنا ينص على **وجوب منح المرأة الحلّ بعد إتمام أيام تطهيرها**، فيقرأ الكاهن على رأسها صلوات وتحليلاً يبيح لها دخول الكنيسة والمقادس.

ولا يباح للمرأة أن تجيب عَنْ طفلها يوم تعميده قبل أن يقرأ الكاهن على رأسها الصلوات والتحليل الذى يخول لها الدخول إلى المواضع المقدسة.

جاء فى كتاب (مجموعة صلوات الخدمات فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) وفى (ترتيب المعمودية المقدسة) أنه قبل أن يباشر الكاهن صلوات المعمودية، وقبل أن يعمد الطفل، يتلو الكاهن على المرأة الأم (**تحليل المرأة**) أولاً، **إذا ولدت ذكرا تأتى إلى الكاهن بعد أربعين يوما**)، فيصلى صلاة الشكر، ويقرأ فصلا من رسالة القديس بولس إلى العبرانيين ومن المزامير، ثم يتلو فصلاً من الإنجيل للقديس لوقا (٢ : ٢١ – ٣٥) **وهو الفصل الخاص بمجيء العذراء مريم بالسيد المسيح طفلاً إلى الهيكل بعد الأربعين يوما لميلاده**، وبعد أن يصلى صلوات أخرى، يتلو على رأس المرأة طلبة يقول فيها: (.. نسأل ونطلب منك يا محب البشر **لكى تتطلع على أمتك (عبدتك) (فلانة) حتى يتجدد روح قدسك فى أحشائها. طهرها من أدناسها، لتتجدد نفسها وجسدها وروحها**. اعتقها من كل لائمة، ومن جميع أعمالها القديمة، غفرانا لجميع آثامها..)

وفى طقس المعمودية، ينص الكتاب على صلوات أخرى تتلى على المرأة **وتحليل المرأة إذا ولدت أنثى يقول: (تأتى المرأة إلى الكاهن بعد ثمانين يوماً، فيصلى الكاهن عليها** صلوات وقراءات من الرسائل ومن الإنجيل ثم يصلى الطلبة).

وأخيراً، يتلو الكاهن فى جميع الأحوال (**التحليل**) الآتى على رأس المرأة:

(أيها السيد الرب الإله القادر على كل شيء، خالق الدهور الذى أمر عبده موسى فى الناموس، **وعرفه حدود الطهارة الواجبة على كل النساء اللواتى يلدن، أن يلبثن أياماً قلائل كما رسمت لهن، لكى لا يمسسن شيئاً من قدسك**، بل حفظتهن ليخلصن.. كذلك أيضاً يا سيدنا، نطلب ونتضرع إلى صلاحك عن أمتك (عبدتك) هذه التى حفظت ناموسك، وأكملت وصاياك، **واشتهت أن تدخل إلى موضع قدسك، وتسجد أمام هيكلك، مشتاقة إلى التناول من أسرارك المجيدة..**).

(نسأل ونطلب إليك أيها الصالح محب البشر، بارك عبدتك، **وحاللها، وطهرها من كل نجاسة غريبة من طهرك، ولتستحق شركة أسرارك المقدسة بغير وقوع فى دينونة..**).

بعد ذلك، أى بعد تلاوة (التحليل) على رأس المرأة، يقول كتاب الصلوات والمعمودية المقدسة (ثم يدهن الكاهن المرأة بالزيت، **وتدخل إلى الكنيسة**، وتتناول من الأسرار المقدسة)، أى أنه قبل ذلك **لا يجوز للمرأة قبل إنقضاء مدة طهارتها أن تدخل الكنيسة**، وبالتالى أن تتناول من الأسرار المقدسة.

ونفس المعنى تؤكد عليه مصادرنا الكنسية الأخرى.

جاء فى القانون الثامن عشر من قوانين الكنيسة والوصايا التى كتبها أبوليدس أو هيبوليتوس HIPPOLYTUS (نحو ١٧٠ - ٢٣٥م) **(المرأة التى تلد، لتقم خارجاً عن الموضع المقدس، إن كان الذى ولدته ذكرا أربعين يوما، وإن كانت أنثى فثمانين يوما)**.

وجاء فى كتاب (مجموع القوانين) للصفى ابن العسال قوله:

(فى بعض القوانين أن المولود إذا خيف عليه من الموت قبل طهر أُمِه من دم نفاسها، فليدخل الكنيسة مع غيرها ويعمد. **لأن المرأة التى تلد، تبقى بعيدة عن الموضع**

المقـدس أربعين يومـا إن ولدت ذكراً، وثمـانين يـومـا إن ولدت أنثى) (البـاب الـثـالـث ـ طـبعة سنة ١٩٠٨، صفـحة ١٦ حاشية ١) طبـعة ١٩٢٧صفـحة ٢٠.

ويقول العلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع (رتبت الآباء أن كل طفل ذكر يولد، فبعد تطهيـر والدته من أيام نفـاسـهـا، **أى بعد مـدة أربعين يومـا**، يعمد بـلا تأخيـر، **وكل طفلة أنثى بعـد ثمـانين** يومـا، مـدة تطهيـر والدتهـا، تعمـد أيضـاً. وهذا لـئـلا يفـوتهم ملكوت الله) (الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة، الباب الثلاثون، صفحة ٥٠).

وجـاء فى كـتـاب (قـانـون الكنيسـة القبطيـة) أى (كـتـاب الخـلاصـة القـانونيـة فى الأحـوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين) للإيغومينوس فيلوثاؤس إبراهيم، رئيس الكنيسة الكبرى المرقسية بالقاهرة.

(يمتنع الرجل عن زوجتـه.. أيام نفـاسهـا، أعنى، **أربعين يومـا إن كـان المولود ذكراً، وثمانين إن كان أنثى، بحيث لا تدخل الكنيسة إلا بعد تمام أيام النفاس. وحينئذ تمضى للكنيسة بعد أيام نفاسها ليبارك عليها الكاهن، ويمسحها بالزيت المقدس، وكذا فى أيام حيضها لا تدخل الكنيسة)** (لاحظ اللاويين ١٢: ١– ٥). (قـانون الكنيسة القـبطيــة.. الفـصـل الأول، المسـألـة العـشـرون، طبـعـة الـقـاهـرة ١٩٣٣صـفـحـة ٢٧ـ المـتـن، والحـاشـيـة صفحة ٢٨).

* * *

أمـا لماذا تمـنـع المرأة النُفُسَـاء من دخـول الكنيسـة مـدة أربعين يومـا إذا كـان مـولـودها ذكراً، وثمانين يوما إذا كان مولودها أنثى، أى لماذا تضـاعـف المدة فى حـالة الطـفلة الأنثى؟ فهذا مرده إلى أمـر الشريعة كمـا جاء فى سفـر (اللاويين ١٢: ١– ٥) وقـد سـارت عليـه الكنيسـة فى العـهـد الجديد، لأنـه فى هذا الأمـر لا فرق بين العهدين، إذ أن الشـريعة واحدة، وواضعها واحد، هو رب العهد القديم وهو ذاته رب العهد الجديد.

والمتأمل فى عمق، يتضح له أن السبب الأساسى والعلة الحقيقية وراء هذا التمايز بين المولود الذكر والمولود الأنثى **هو عـقـاب لجنس المرأة بسبب الخطيـئة الأصليـة الـتى سقطت فيها الأم حواء قبل آدم.**

يقول الوحى الإلهى على لسان القديس بولس الرسول فى تعليل عدم السماح للمرأة بأن تعلِّم أو تتسلط على الرجل:

(ولم يغو آدم، بل المرأة هى التى أغويت، فوقعت فى المعصية) (١. تيموثيئوس ٢: ١٤).

وكما عوقبت المرأة إلى اليوم بالعقاب الذى حكم الله به على حواء عندما اشتهت شهوة فأكلت من الشجرة المنهى عنها، وأغرت رجلها وأعطته فأكل معها (التكوين ٣: ٦، ١٢) فصارت إلى اليوم تشقى بأوجاع الحمل والوضع.

(وقال الله للمرأة لأكثرن مشقات حملك. بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك) (التكوين ٣: ١٦)، ولم يرفع الله هذه العقوبة عن جنس المرأة فى الدنيا، وإن كان قد رفع عنها العقوبة الأبدية بالخلاص والفداء الذى تممه المسيح الفادى بموته، وذلك **لتبقى آلام الحمل والوضع أثراً على الخطيئة الأولى فلا تنسى المرأة هذا الدرس، فتتحذر من ضعفها أمام إغراءات الخطيئة.**

أنظر (٢. كورنثوس ١١: ٣)، (١. تسالونيكى ٣: ٥)، (يعقوب ١: ١٤، ١٥)، (١. يوحنا ٢: ١٦)، (الرؤيا ١٢: ٩، ١٥)، (يوحنا ٨: ٤٤).

٤٣ - معمودية الكنائس التى تُعمِّد بالتغطيس

سؤال : من أحد القراء.

هل معمودية الطوائف التى تعمد بالتغطيس تعاد عندما يريد شخص الإنضمام إلى الكنيسة الأرثوذكسية أم يكتفى بدهن هذا الشخص بزيت الميرون المقدس؟

الجواب :

من جهة الأروام الأرثوذكس ومن إليهم مثل الروس وغيرهم من أتباع الكنائس الخلقيدونية أو الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية. لو فرضنا أنّ أحدا منهم أراد أن ينضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية المرقسية فيكتفى بدهنه بالميرون فى ٣٦موضعا. وذلك لأن قانون الإيمان الذى على أساسه يتعمد التابعون للكنائس البيزنطية الأرثوذكسية هو بعينه قانون الإيمان الذى نردده، أى ليست فيه إضافة (والابن) التى أضافتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، فيقولون: (نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب) . أما الكاثوليك فيقولون: (نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب (والابن) . وهذه الإضافة نعدها نحن ومعنا الكنائس البيزنطية خطأً لاهوتياً عظيماً، لأنها تنطوى على خلط ما بين مفهوم الانبثاق، وهو أزلى، ومفهوم الإرسال، وهو زمنى. فالروح القدس منبثق من الآب، وهو ما نطق به المسيح له المجد (يوحنا ١٥: ٢٦) . وإذا كان المسيح قد قال (الروح المعزى الذى سأرسله أنا إليكم) (يوحنا ١٥: ٢٦) فإن الإرسال هو غير الانبثاق. الانبثاق فعل أزلى من الآب، أما الإرسال هنا فهو إرسال لنعمة الروح القدس، فى يوم الخمسين (أعمال الرسل ٢) . وليس كذلك الانبثاق فهو أزلى. لقد خلط الكاثوليك ما بين فعل الانبثاق وهو أزلى، وفعل الإرسال وهو زمنى. ففى مفهوم الكنيسة الأرثوذكسية الفرق بين الاثنين كبير، وله معانى بعيدة المدى، ليس هنا مجال الكلام فيها. على أن هذه الإضافة من جانب الكنيسة الرومانية الكاثوليكية كانت سبباً أو من ضمن الأسباب التى جعلت الكنائس البيزنطية تنفصل عن الكنيسة الغربية فى سنة ١٠٥٤م وهو الانشقاق الثانى فى التاريخ المسيحى. الانشقاق الأول كان سنة ٤٥١م فى مجمع خلقيدونية حيث انقسمت الكنيسة إلى شرقية وإلى غربية. إنما ظلت الكنائس الغربية جميعها بما فيها الروم والروس ومن إليهم من مجموعة الكنائس الخلقيدونية معاً إلى القرن الحادى عشر، ثم انشقت أسرة الكنائس الخلقيدونية البيزنطية عن الكنيسة الغربية بسبب إضافة (والابن) إلى قانون الإيمان وهى الإضافة التى عرفت بإضافة FILIOQUE أى (والابن) وبسبب ذلك أصدر البطريرك البيزنطى فوتيوس

حرما ضد البابا الروماني فى ذلك الوقت، لأنه قبِل إضافة (والابن) على قانون الإيمان. هذا هو السبب فى أنه بالنسبة لأتباع الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية إذا أراد أحد منهم أن ينضم للكنيسة الأرثوذكسية القبطية المرقسية، يكتفى بدهنه بالميرون على أساس أن المعمودية صحيحة، لأن قانون الإيمان الذى يعتمدون بموجبه صحيح. أما بالنسبة لغير هؤلاء، فالمعمودية لابد أن تعاد، لأن نص قانون الإيمان مختلف. الأمر الثانى إن فى هذا ضماناً لحقيقة الإنضمام. فالانضمام شفاها أو حتى بالكتابة على ورق لا يكفى. فلكى نضمن صحة هذا الإنضمام وحقيقة هذا الانضمام، وأنه ليس مجرد إجراء شكلى وحيلة مؤقتة لإتمام الزواج يعود بعده كل من الرجل والمرأة إلى عقيدته الأولى، تتطلب كنيستنا المعمودية على الإيمان الأرثوذكسى، وعلى الطقس الأرثوذكسى، على أنه ينبغى أن نؤكد إن إعادة المعمودية لا تحمل تحقيرا للمعمودية الكاثوليكية، لكن كنيستنا الأرثوذكسية تتطلب إعادة المعمودية ضماناً لصحة الانضمام، ومنعا من أن يعود كل من الزوجين إلى عقيدته الأولى بما يهدد وحدة الأسرة الروحية، ويربك أذهان الأطفال ويوقعهم فى حيرة بين والدين مختلفى العقيدة. فضلا عن خطر تطبيق الشريعة الإسلامية بسبب اختلاف المِلّة عند حدوث خلاف بين الزوجين. لذلك نعلن أن الزوجين يجب أن يكونا كلاهما على عقيدة واحدة، ويتبعان كنيسة واحدة، عند إتمام عقد الزواج. لذلك وتفاديا للإشكالات، نطالب بأن يكون الزوجان إما أرثوذكسيين معا أو كاثوليكيين معا. ولضمان صحة الانضمام يلزم تعميد غير الأرثوذكسى بالمعمودية الأرثوذكسية. وما نتطلبه نحن لا نأباه على غيرنا. فإذا انضم أرثوذكسى إلى الكنيسة الكاثوليكية، وأعيد عماده، فلن نغضب لذلك، بل سنعتبر عماده ضمانا لصحة إنضمامه إلى الكنيسة الكاثوليكية، وتفاديا لأخطار أكبر روحية وتربوية وشرعية.

٤٤ ـ معمودية التلاميذ قبل حلول الروح القدس

سؤال : من أحد المسيحيين.

يقول: جاء فى الإنجيل لمعلمنا يوحنا البشير(اصحاح ٣ : ٢٦) أن يسوع له المجد كان يعمد والجميع يأتون إليه، فهل كانت هذه المعمودية ـ وهى قبل القيامة أى قبل أن يؤسس سر المعمودية ـ بفاعلية الروح القدس، أو بدونه؟ وإذا كانت بدونه كمعمودية يوحنا فهل كانت للمسيح له المجد إذن معموديتان: معمودية قبل القيامة بدون فاعلية الروح القدس؟ ومعمودية بعد القيامة بفاعلية الروح القدس؟ وهى المعمودية الحقيقية؟ وبهذه المناسبة أيضاً هل كانت معمودية التلاميذ الذين أخذوا هذا السلطان بلا شك من رب المجد، بفاعلية الروح القدس أو بدونه؟

الجواب :

لقد ورد عن السيد المسيح له المجد (أنه اتّخذ تلاميذ كثيرين وأنه يعمد أكثر من يوحنا) (يوحنا ٤ : ١) وورد قبل ذلك أن بعض اليهود جاءوا إلى يوحنا المعمدان ليثيروه ضد المسيح يسوع، وقالوا له (يا معلم، إن الذى كان معك فى عبر الأُردن، ذاك الذى شهدت له هوذا يعمد والجميع يقبلون إليه) (يوحنا ٣ : ٢٦) وكأنهم يريدون أن يقولوا ليوحنا: إن ذاك الذى أحسنت إليه وخدمته وشهدت له، أخذ عملك واختصاصك، وتنكر لك، وجذب الناس إليه وصرفهم عنك فأساء بذلك إليك، وردّ جميلك عليك بِشرٍ.. أما يوحنا المعمدان فلأنه كان مخلصا وأمينا لسيده، ولم ينحرف عن فهم رسالته، وهى إعداد الناس لسيده المسيح، فقد رد على أولئك اليهود رداً أخجلهم، وقال لهم: (أنتم أنفسكم تشهدون بأنى قلتُ إننى لستُ أنا المسيح، وإنما أنا مرسل أمامه. إن الذى له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه ففرحاً يفرح لصوت العريس. ومن ثم **فإن فرحى قد اكتمل**. إنه ينبغى أن يزداد هو. أما أنا فأنقص. إن الذى يأتى من فوق، هو فوق الجميع. والذى من الأرض هو أرضى، ومن الأرض يتكلم. أما الذى يأتى من السماء فهو فوق الجميع..) (يوحنا ٣ : ٢٨ – ٣٢) لقد كان يوحنا عظيماً فى جوابه على اليهود بما أثبت أمانته لسيده ولرسالته، والتزامه بها، وعدم إنحرافه عنها.

ثمّ قال يوحنا المعمدان فى بيان الفارق العظيم بين معموديته وبين معمودية سيده المسيح: (**أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة**، أما الذى يأتى بعدى، فهو أقوى

منى، وأنا لست مستحقا أن أحمل حذاءه. **إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار)** (متى ٣: ١١)، (مرقس ١: ٨).

ومن هنا يتضح الفارق بين معمودية يوحنا المعمدان ومعمودية المسيح. معمودية يوحنا كانت تمهيدية لمعمودية المسيح. ثم إنها ليست لها قوة وفاعلية لغفران الخطايا أو لتطهير النفس، إنما كانت لأجل التوبة: فكانت بمثابة شهادة على مسيرة الإنسان فى طريق الله، والبعد عن طريق الخطيئة والإثم، **أى أنها كانت مجرد إعلان عن التوبة. فمعمودية يوحنا المعمدان لا قوة لها على النفاذ للنفس الداخلية. إنها مجرد بلل بالماء كما يدل على ذلك معنى كلمة (عَمَّد) باللغة السريانية أى (بلل بالماء) أما معمودية المسيح فهى بالروح القدس والنار. ومعنى ذلك أنها تأكل وتحرق الخطيئة وتغسل النفس من خطاياها**، كما قال حنانيا الرسول لشاول الذى هو بولس **قم تعمد واغسل خطاياك)** (أعمال ٢٢: ١٦).

على أن الإنجيل للقديس يوحنا يقول مستدركاً **(إن يسوع نفسه لم يكن يعمد، وإنما تلاميذه)** (يوحنا ٤: ٢).

وإذن فمعمودية المسيح التى تكلم يوحنا المعمدان عن قوتها وفعالياتها لم يباشرها المسيح له المجد قبل عمل الفداء، ولذلك **فإن معمودية تلاميذ المسيح قبل صلب المسيح وعمل الفداء لم تكتسب قوتها وفعاليتها كمعمودية المسيح إلا بعد قيامة المسيح وحلول نعمة الروح القدس على التلاميذ** يوم الخمسين. وإذن فمعمودية المسيح قبل صلبه وقيامته لم تكن تفترق كثيرا من حيث فعاليتها عن معمودية يوحنا. مع ذلك فمعمودية المسيح تسمو عن معمودية يوحنا المعمدان من حيث أنها قائمة على الإيمان بالمسيح الذى أتى بالفعل، ثم هى أيضاً بأمر المسيح وتكليف منه لتلاميذه، **ولابد أن يكون فيها نعمة من قبل المسيح لمن يقبلها باسمه، غير أنها لم تكن بقوة النعمة التى أخذها التلاميذ فيما بعد بحلول نعمة الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين**، بعد قيامة المسيح وصعوده إلى السماء وإرسال نعمة الروح القدس عليهم.

فمعمودية المسيح أو معمودية التلاميذ بعد موت المسيح وقيامته وحلول نعمة الروح القدس عليهم **اكتسبت معنى جديداً وهو الموت مع المسيح**: (ذلك أنكم دفنتم معه فى **المعمودية، وأقمتم معه أيضا)** (كولوسى ٢: ١٢) **(ألا تعلمون أننا حين تعمدنا**

لنتحد بيسوع المسيح، إنما تعمدنا لنموت معه، فدفنا معه فى المعمودية، وشاركناه فى موته، حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب، كذلك نسلك نحن أيضاً فى حياة جديدة. فإذا كنا اتحدنا به فى موت يشبه موته، فكذلك نتحد به فى قيامته. ونحن نعلم أن الإنسان القديم فينا، صلب مع المسيح حتى يزول سلطان الخطيئة فى جسدنا،... فإذا كنا قد متنا مع المسيح، فنحن نؤمن بأننا سنحيا معه) (رومية ٦: ٣- ٨).

مع ذلك، ومع أن معمودية تلاميذ المسيح كانت سابقة على صلب المسيح وموته وقيامته، لكننا لا نستطيع أن نقول إنها فى مرتبة معمودية يوحنا المعمدان، إذ أن **معمودية يوحنا المعمدان لم تكن بالروح القدس، وإنما كانت مجرد (بلل بالماء) إعلانا لتوبة الإنسان الذى يقبلها، وكان يوحنا المعمدان فى معموديته يمهد الناس بالتوبة للإيمان بالمسيح الآتى**. أما معمودية تلاميذ المسيح قبل صلب المسيح وقيامته، وإن لم تكتسب قوتها إلا بعد الصلب والقيامة، لكنها **على نوع ما لم تكن مجرد بلل بالماء كمعمودية يوحنا بل كانٍ فيها نعمة من قبل المسيح له المجد** الذى أقام التلاميذ بسلطانه الإلهى ومنحهم نعمة وسلطانا لم ينله يوحنا...ولذلك فإن من عمدهم تلاميذ المسيح لم يحتاجوا إلى العماد ثانية، إنما نالوا موهبة الروح القدس الذى حل على التلاميذ والمؤمنين يوم الخمسين. وهذا ما قاله سفر أعمال الرسل عن المسيح له المجد بعد قيامته من بين الأموات. إنه (أصدر أوامره بالروح القدس إلى الرسل الذين اختارهم، والذين أيضاً بعد أن تألم أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة واضحة، وقد ظل أربعين يوماً يظهر لهم ويكلمهم عن ملكوت الله. وفيما هو يأكل معهم أوصاهم بألا يبرحوا أورشليم قائلاً: انتظروا موعد الآب الذى سبق أن سمعتموه منى. فإن يوحنا عمد بالماء. **وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس بعد أيام غير كثيرة**) (أعمال الرسل ١: ٢- ٥).

٤٥ - لماذا يحتاج الطفل المولود من أبوين مسيحيين إلى العماد؟

هنا نجيب على سؤال يتردد على أذهان بعض الناس ؟

إذا كان الأب والأم قد نالا العماد، فلماذا يحتاج الابن المولود منهما إلى العماد ؟

وجوابنا على ذلك :

أولا : إذا كان الأب قد رفعت عنه عقوبة الخطيئة الجدية بمعموديته، فإن كلا من الأب والأم بعد عماده لم يظل على صورة النقاء والطهر التى كان عليها بعد معموديته مباشرة، بل لابد أن يكون قد ارتكب خطايا فعلية كثيرة. **وكل خطيئة فعلية هى تكرار لخطيئة آدم الأول**، لأن الخطيئة هى المخالفة لوصايا الله. وكما أخطأ آدم، يخطئ الناس من أولاد آدم فى كل يوم.

ثانياً : إن المعمودية ترفع عقوبة الخطيئة الجدية ـ وهى التى لم يرتكبها المعمد بالفعل ـ **لكن لخطيئة آدم آثاراً جانبية لحقت بكل الذرية الآدمية، وهذه الآثار شاء الله أن تبقى، ولا ترفع، لأنها نتائج طبيعية للخطيئة، ولكى يكون بقاؤها أثراً يذكر الإنسان بالخطيئة وبنتائجها، ويحذره منها**، مثل ذلك مثل الأثر الذى يتركه جرح قديم فى جسم الإنسان بعد شفائه منه. فكلما تطلع الإنسان إلى أثر الجرح فى جسده، ذكر السبب، فيعتبر.

إن من آثار خطيئة آدم الباقية على الرغم من رفع العقوبة بصلب المسيح وموته، الموت الذى دخل إلى العالم بالخطيئة، (التكوين ٢ :١٧)، (الحكمة ٢ :٢٤)، (رومية ٦ :٢٣)، ومع الموت المرض، والشقاء، فمازال الإنسان يأكل خبزه بعرق جبينه، ومازالت الأرض تنبت للإنسان شوكا وحسكا. ومازالت حواء تلد البنين بالأوجاع (التكوين ٣ : ١٥ ـ ١٩)، ومازالت العداوة قائمة بين الحية وبين حواء ونسلها (التكوين ٣ :١٥)، وذلك كله حسب العقوبة حين توعد الله آدم بهذا كله.

ومن بين آثار خطيئة آدم، الميل إلى الخطيئة الباقى فى طبيعتنا.

لذلك فإن المعمودية ترفع عقوبة الخطيئة، لكنها لا تُعفى من الآثار الجانبية للخطيئة الجدية. ومن بين تلك الآثار الميل والشهوة، هذا الميل وهذه الشهوة

يبقيان فى الجنس، وينتقلان بالوراثة عن طريق التوالد باجتماع الرجل والمرأة. ومن هنا كان كل طفل يولد عن هذا الطريق، يجب تعميده حتى يعفى من لوثة الخطيئة الجدية التى انتقلت إليه بالوراثة عن طريق التوالد.

من أجل هذا أوجب القانون الكنسى عماد الطفل على الرغم من عماد والديه.

جاء فى القانون السادس من قوانين مجمع قيصرية الجديدة المنعقد سنة ٣١٥ لميلاد المسيح :

(فيما يختص بالمرأة الحبلى نقضى بأنها ينبغى أن تستنير بالمعمودية متى شاءت. لأنه فى هذه الحالة **ليس بين المرأة وولدها شركة فى المعمودية**، نظراً لأن لكل إنسان إرادته الخاصة التى يبديها فى إقراره بالإيمان).

THE RUDDR .... P. 511

وقد أورد الصفى ابن العسال فى كتابه (مجموع القوانين) فحوى هذا القانون السادس من قوانين مجمع قيصرية الجديدة، منسوباً إلى قرطاجنة كما يلى:

(والحبالى لا يمنعن من التعميد أى وقت شئن. **وليس بين الوالدة والولد شركة فى المعمودية، لأن كل إنسان يجب أن يظهر إقراره منفرداً**) (الباب الثالث).

وجاء فى قوانين المجمع المقدس المنعقد فى عهد البابا كيرلس الثالث، قوله:

(ولا تحسب معمودية الحامل معمودية لحملها، بل يعمد بمفرده).

٤٦ - هل الخلاص للعالم كله؟ (١)

هل الخلاص بدم المسيح قاصر على فئة معينة من الناس، أم هو للعالم كله؟ وإذا كان لفئة معينة من الناس، فيكون الإيمان إذن هو العامل الأول للخلاص، لأننا نؤمن بدم المسيح.

الجواب :

الخلاص بالمسيح مقدم ومعروض لجميع الناس وليس لفئة بعينها من الناس - على أن العامل الأول للخلاص هو الإيمان بالمسيح. والإيمان فعل الإرادة. فمن الناس من يؤمن، ومن الناس من يرفض، لأن الإنسان كائن حر، مناط أمره بيده. فهو حر مختار، وبحريته وإرادته يؤمن إذا شاء، وبحريته وإرادته يرفض إذا شاء - فليس أحد من الناس مقهورا على الإيمان.

والإيمان هو الخطوة الأولى فى الخلاص. ومع ذلك فليس الإيمان وحده هو الذى يخلص الإنسان. إن الخلاص عمل مشترك بين الإنسان وبين الله. للإنسان دور فى الخلاص، ولله فيه دور. ودور الإنسان أن يؤمن ثم يطلب الخلاص ويسعى إليه. الإيمان يؤهل الإنسان للخلاص، لكن ليس الإيمان هو الذى يمنح الخلاص، وإنما الخلاص يتم أولاً فى سر المعمودية. وهذا هو عمل الله الذى تم بفداء المسيح على الصليب، ينقله الروح القدس إلى الإنسان فى سر المعمودية. لأن المسيح وحده هو المخلص وهو الفادى، (وليس بأحد غيره الخلاص. وما من اسم آخر تحت السماء منح للناس به ينبغى أن يخلصوا) (أعمال الرسل ٤ :١٢).

فالخلاص إذن هو عمل النعمة، عمل المسيح. **والمعمودية هى عمل المسيح. والروح القدس ينقل إلينا فى المعمودية استحقاقات المسيح الكفارية.** أما الإيمان فهو عمل الإنسان. الإيمان هو التصديق القلبى الذى به يقبل الإنسان عمل الله. ومن ثم فالإيمان ليس هو الذى يخلص، إنه يزيل العائق الذى يمنع الإنسان البالغ من قبول عمل الروح القدس فيه، فيؤهله لقبول خلاص المسيح الذى يتم فى سر المعمودية.

(١) نشر بمجلة (الكرازة) فى السنة الثالثة - العددين الخامس والسادس - يونيه ويوليو لسنة ١٩٦٧م صفحة ٧٥.

٤٧ – آمن ... تخلص (١)

ما معنى قول الكتاب المقدس: (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك) (أعمال الرسل ١٦:٣١) ؟

الجواب :

تلك العبارة (آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك) قالها الرسولان القديسان بولس وسيلا للرجل سجان مدينة فيلبى عندما سألهما الرجل وهو مرتعد من شدة تأثره بعمل الله المبهر مع الرسولين وقال: ياسيدى، ماذا يجب علىّ أن أعمل لأنال الخلاص؟ (قالا له: **آمن بالرب يسوع المسيح، تخلص أنت وأهل بيتك**).

ذلك لأنه لما كان الرسولان بولس وسيلا يكلمان رجلاً غير مؤمن بالمسيح فلا بد أن يكلماه عن أول شئ يجب عليه أن يعمله. ولم يكن من المستساغ أن يرشداه إلى كل شئ، وإنما يكفى أن يعرفاه مبدئيا **بالخطوة الأولى، فى طريق الخلاص، وهى الإيمان بالرب يسوع المسيح**. لكن ليس معنى هذا أن مجرد الإيمان بالرب يسوع المسيح يكفى لتحقيق الخلاص الكامل، خصوصا وأن كلمة (**تخلص**) جاءت فى اللغات الأصلية فى الزمن (**المستقبل**) لا فى الزمن الماضى، مما يدل على أن خلاص سجان فيلبى لم يتم بمجرد الإيمان ، ولكنه سيتم مستقبلا **إذا تحقق الإيمان كخطوة أولى، وتلاه ما بعد الإيمان من خطوات، من بينها (المعمودية) وما بعد المعمودية من جهاد وأعمال صالحة**.

ودليلنا على ذلك أن سجان فيلبى دعا الرسولين بولس وسيلا إلى بيته، وهناك فى بيته حدثاه وجميع أهل بيته بكلمة الرب وشرحا له ولذويه عقائد الإيمان المسيحى، وبعد ذلك (**عمداه هو وأهل بيته أجمعين**) (أعمال الرسل ١٦:٣٢، ٣٣).

فلو كان الإيمان وحده كافيا للخلاص لما كان هناك داعٍ للمعمودية. ولكانت المعمودية أمرا زائدا لا قيمه له. فسجان فيلبى لم يخلص بالإيمان وحده، وإنما كان الإيمان بالمسيح هو أول خطوة فى طريق خلاصه، أى أن الإيمان بالرب يسوع المسيح هو الذى أهله للخلاص. فالخلاص لا يفرض على الإنسان فرضاً وإنما ينبغى أن يتأهب له بالإيمان أولاً وهو دليل قبوله للخلاص بحريته وإرادته. وكما قال القديس أوغسطينوس (**إن الله الذى خلقك من دونك لا يقدر أن يخلصك من دونك**).

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) ـ السنة الثالثة ـ العددين الخامس والسادس ـ يونيه ويوليو لسنة ١٩٦٧م صفحة ٧٥، ٧٦.

إن الخلاص عمل مشترك بين الله والإنسان، الله له دور، والإنسان له دور في هذا الخلاص. ليس الخلاص عمل الله فقط وإلا فلا يكون الإنسان حرا. إن الله لا يشاء أن يمنح الخلاص إلا للذين يطلبون الخلاص ويسعون إليه. لذلك **فإن سجان فيلبي لم يخلص بالإيمان وحده، وإنما كان الإيمان بالرب يسوع المسيح هو الخطوة الأولى، وتلتها بعد ذلك خطوة تقدمه إلى سر المعمودية المقدسة، وفي المعمودية المقدسة ينال المؤمن استحقاقات المسيح الكفارية ينقلها الروح القدس إليه عن طريق التعميد.**

٤٨- لماذا لا نؤخر العماد إلى سن الثلاثين ؟(١)

لقد تعمد المسيح له المجد فى سن الثلاثين، فلماذا تأمر الكنيسة بتعميد الطفل بعد أربعين يوما من ميلاده إذا كان ذكرا؟ ولماذا لا نتمثل بسيدنا يسوع المسيح، ونؤخر عماد الأطفال إلى سن الثلاثين ؟

الجواب :

حقا، إن مخلصنا يسوع المسيح اعتمد وهو فى سن الثلاثين (لوقا ٣:٢٣) لأنه كان لابد كمعلم أن يعتمد فى السن التى يعد فيها هو المثال والقدوة والمعلم، وكانت هى سن الثلاثين لأنها سن اكتمال الرجولة.

ثم إن معمودية يوحنا المعمدان هى غير المعمودية المسيحية التى نعتمد بها نحن الآن. إن معمودية يوحنا المعمدان كانت معمودية تمهيدية (من أجل التوبة) (متى ٣:١١)، ومن أجل إعداد الناس إلى الإيمان بالمسيح. فلا نخلط بين معمودية يوحنا المعمدان وبين المعمودية المسيحية.

أما الطفل فيعمد فى طفولته، ولو كان ابن يوم واحد - إذا كان فى خطر الموت، حتى لا يحرم من ملكوت السماوات، وهذا ما قرره المسيح له المجد فى تعليمه **(الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله)** (يوحنا ٣:٣، ٥).

هذا، ولو اكتفينا بتعليم الطفل وتربيته من غير تعميد، فالتعليم والتربية من دون التعميد لا يكون لهما أثرهما الفعال كما يكون لهما بعد التعميد، أى بعد أن تتغير طبيعته القديمة المولود بها، وهى الملوثة بوصمة الخطيئة الأصلية والتى انتقلت إليه بالدم الواصل إليه بالتوالد من أبويه. فنحن فى العهد الجديد نعمد الطفل أولاً حتى تتغير بالتعميد طبيعته ويلبس طبيعة جديدة، طبيعة الرب يسوع، ثم بعد ذلك يجئ دور التربية والتعليم، فيكون البناء على أساس جديد، مما يجعل التعليم والتربية أسهل وأكثر فعالية. قال المسيح له المجد (وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به) (متى ٢٨:١٩، ٢٠) فالتعميد أولاً، ثم التعليم بعد التعميد بالنسبة للأطفال على الخصوص، هو الطريق الأفضل والأمثل.

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة - العددين الخامس والسادس - يونيه ويوليو لسنة ١٩٦٧م صفحتى ٧٦، ٧٧.

٤٩ – مفهوم الخلاص

فى الكنيسة الأرثوذكسية (١)

هذا الموضوع فى غاية الأهمية من حيث أن لكنيستنا المسيحية الأرثوذكسية تاريخاً طويلاً فى هذه المسألة، ومن حيث أن هناك مفهومات مغايرة بدأت تعمل عملها فى وسط شعبنا، وفيها انحراف عن الفهم الصحيح الذى استقر فى أذهاننا على مدى التاريخ الطويل. فلأول مرة تطرق أذهان شعبنا تساؤلات جديدة يتعارض ذكرها مع تراثنا المسيحى. أناس يسألون الأرثوذكسيين عن الخلاص ويوجهون إليهم الخطاب بأسلوب ساخر فيه كثير من التحدى، كما لو كان هؤلاء القوم المتسائلون هابطين من السماء، وقد حصلوا وحدهم على الخلاص دون غيرهم!

وبدأ بعض المؤمنين الأرثوذكسيين يسأل عن الخلاص، وما إذا كانوا قد نالوا الخلاص، وظهر فى الناس انقسام فى مفهوم الخلاص فى أكثر من إتجاه، وأخذت هذه الحركة تنتقل من مدينة إلى أخرى، تحت تأثير جمعية خلاص النفوس البروتستانتية، حتى أمست هذه المفهومات الخاطئة تشكل خطرا على المؤمنين الأرثوذكسيين بخاصة، وعلى كنيسة المسيح بعامة.

وما لم يكن الكهنة والخدام فى الكنيسة متنبهين إلى واجباتهم الراعوية، وعلى دراية كبيرة بهذه الحقيقة الخلاصية، كيف يمكن أن تكون الرعية على وعى سليم بالخلاص بحيث يمكنهم أنه يتبينوا موقعهم من قضية الخلاص، وبالتالى أن يجيبوا على الأسئلة التى توجه إليهم خصوصا من أتباع جمعية خلاص النفوس ومن تأثروا بدعوتهم، إجابة سليمة صحيحة تطابق الحق الإلهى وتتفق فى الآن نفسه مع تقاليد الكنيسة العريقة المجيدة، بالنسبة (للإيمان المسلم مرة من القديسين) (يهوذا : ٣) والذى عشناه وعايشناه هذه الأزمنة الطويلة، منذ القديم وإلى اليوم.

معنى الخلاص

أولاً : المعنى المادى والأرضى للخلاص:

كلمة (الخلاص) لغويا معناها **النجاة أو الإفلات من خطر أو من شر ما**. نقول (خلص، يخلص) أى صفا من الكدر، أو انتفى عنه الغش. و(خلص يخلص) **بمعنى نجا أو**

---

(١) نشر بمجلة (الكرازة) السنة الثالثة ـ العددين الخامس والسادس ـ يونيه (حزيران) ويوليو (تموز) لسنة ١٩٦٧م صفحات ٦٠ – ٧٤.

سلم من شر. والخلاص فى المفهوم المسيحى هو (النجاة) من الهلاك الأبدى ومن النار الأبدية، والفوز بآخرة صالحة.

وإذن فالخلاص له معنى مادى أرضى، وله معنى دينى روحى:

أما الخلاص بمعناه المادى الأرضى فهو النجاة من عدو ظاهر، أو من شدة أو ضيقة، أو من مرض، أو من شر يهدد حياة الإنسان على الأرض.

وبهذا المعنى المادى الأرضى وردت كلمة (الخلاص) فى مواضع متفرقة من الكتاب المقدس:

فعندما خرج بنو إسرائيل من أرض مصر بقيادة النبى موسى، وخرج فرعون وكل جنوده وراءهم، ليعودوا بهم إلى مصر أو ليهلكوهم، فزع شعب بنى إسرائيل جدا وصرخوا إلى الرب وإلى موسى، (قال موسى للشعب: لا تخافوا. قفوا وانتظروا **خلاص الرب** الذى يصنعه لكم اليوم... الرب يحارب عنكم وأنتم صامتون) (الخروج ١٤ :١٣، ١٤). وتمم الرب وعده، فقد عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر بسلام. أما فرعون وجنوده فغرقوا فى البحر. وقال سفر الخروج: (**فخلص الرب فى ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين**) (الخروج ١٤ :٣٠) وقال سفر المزامير (**وخلصهم من يد المبغض**، وافتداهم من يد العدو) (مزمور ١٠٥ :١٠).

كذلك وبهذا المعنى المادى جاء قول يحزيئيل بن زكريا من بنى آساف عندما حارب بنو موآب وبنو عمون الإسرائيليين فى أيام يهوشافاط ملك يهوذا، وخاف يهوشافاط وطلب وجه الرب بالتضرع والصوم، قال يحزيئيل بروح الرب ليهوشافاط وشعب يهوذا (قفوا واثبتوا، **وانظروا خلاص الرب** معكم يا يهوذا وأورشليم. لا تخافوا ولا ترتاعوا) (٢. أخبار الأيام ٢٠ :١٧). وتم الخلاص للملك يهوشافاط ولشعب يهوذا وأورشليم من الموآبيين والعمونيين، وعادوا بالفرح (**لأن الرب فرحهم فى أعدائهم**) (٢. أخبار الأيام ٢٠ :٢٧).

وبهذا المعنى جاء فى سفر إشعياء (اذكر رأفة الرب وتسبيح الرب لأجل كل ما كافأنا به الرب، ولأجل كثرة خيره إلى آل إسرائيل.... إذ قال إنهم شعبى حقاً... فصار لهم **مخلصا**. فى كل مضايقهم تضايق، وملاك حضرته **خلصهم**. بمحبته وشفقته افتداهم، ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة) (إشعياء ٦٣ :٧-٩). والإشارة هنا إلى الشدائد والضيقات والمتاعب التى لقيها

شعب بنى إسرائيل، وإلى تخليص الرب لهم منها، فتخلصوا من اعدائهم ونجوا من الأخطار والشرور التى واجهتهم.

ويهذا المعنى المادى الأرضى للخلاص جاء قول الكتاب المقدس عن نوح (بالإيمان أوحيت إلى نوح أمور لم تكن بعد مرئية، فخاف وبنى فلكا **لخلاص أهل بيته**، دان به العالم) (العبرانيين ١١:٧). والخلاص هنا أيضا **خلاص من الغرق والموت بالطوفان** الذى حدث فى زمن نوح. وفيه قال الوحى الإلهى (بنى نوح الفلك **فنجا (خلص)** فيه بالماء عدد قليل، أى ثمانية أشخاص) (١. بطرس ٣:٢٠) والذين نجوا أو خلصوا من الغرق فى طوفان الماء هم نوح وزوجته وأبناؤه الثلاثة: سام وحام ويافث، وزوجاتهم، وعددهم جميعا ثمانية.

وبهذا المعنى أيضاً نفهم معنى قول المسيح له المجد للأبرص الذى شفاه من مرض البرص: (انهض وامض فى سبيلك. إن **إيمانك قد خلصك**) (لو ١٧:١٩) أى أن إيمان الأبرص قد أهله **وجعله أهلاً لأن ينال الشفاء من مرض البرص. فالخلاص هنا هو الشفاء والنجاة من المرض**. انظر (لو ١٨:٤٢)، (متى ٩:٢٢).

* * *

ذاك هو المعنى المادى والأرضى للخلاص، أى النجاة من عدو ظاهر، أو الشفاء من مرض، أو الإفلات من شدة أو ضيقة أو شر من الشرور المادية الأرضية.

ثانياً : المعنى الروحى للخلاص:

على أن هناك معنى آخر للخلاص، وهو **النجاة من الهلاك الأبدى**، أو مما يؤدى إلى هذا الهلاك، وهو **الخطيئة** التى تفضى إلى الهلاك وإلى النار الأبدية. وينطوى تحت هذا المفهوم الخلاص **أيضاً من عبودية الشيطان، والخلاص من الجحيم، والخلاص من جهنم** النار الأبدية.

وبهذا المعنى الروحى يقول الوحى الإلهى: (فى وقت مقبول سمعتك، وفى **يوم الخلاص** أعنتك. فها هوذا الآن وقت مقبول. وها هوذا **الآن يوم الخلاص**) (٢. كورنثوس ٦:٢). ويقول أيضا (من رد خاطئا عن طريق ضلاله **خلص نفسا من الموت**) (يعقوب ٥:٢٠).

والخلاص من الموت هو **الخلاص من الهلاك الأبدى** وهو ما يعرف بـ **(الموت الثانى)** (سفر الرؤيا ٢ :١١)، (٢٠ :٦، ١٤). ويقول القديس بولس الرسول : (وسينقذنى الرب من كل عمل ردئ، **ويخلصنى لملكوته السماوى**) (٢. تيموثيئوس ٤ :١٨). ولا شك أن هذا الخلاص هو الخلاص الأبدى، **والنجاة من الهلاك فى جهنم.**

وعن هذا النوع من الخلاص الروحى تكلم يعقوب أبو الأسباط وهو ينبئ ابنه دان بما يكون مصيره فى مستقبل الزمان، قال: (يكون دان حية على الطريق، وأفعوانا على السبيل، يلسع عقبى الفرس، فيسقط راكبه إلى الوراء. **لخلاصك انتظرت يارب**) (التكوين ٤٩ :١٦-١٨). ولابد أنه يشير بالحية إلى الشيطان، (الحية القديمة)، (سفر الرؤيا ١٢ :٩، ١٥)، (٢٠ :٢)، (التكوين ٣ :١)، (٢. كورنثوس ١١ :٣). والخلاص منها بالمسيح الفادى. وقد رأى آباء الكنيسة فى هذه النبوءة إشارة إلى المسيح الدجال وأنه سيأتى من سبط دان، (الذى يبيده الرب يسوع المسيح بنفخة من فمه، ويمحقه بضياء مجيئه) (٢. تسالونيكى ٢ : ٨).

وعن هذا الخلاص تكلم سمعان الشيخ عندما حمل المسيح على ذراعيه وبارك الله ثم قال: (الآن أطلق ياسيدى عبدك بسلام وفقا لكلمتك. **فإن عينىَّ قد أبصرتا خلاصك** الذى أعددته أمام كل الشعوب) (لوقا ٢ : ٢٨- ٣١).

وكذلك فعلت حنة بنت فنوئيل وهى نبية من سبط أشير وكانت طاعنة فى السن، (ففى تلك الساعة تقدمت نحوه، وأخذت تحمد الله بشأنه، وتحدث عن كل من كان **ينتظر الخلاص فى** أورشليم) (لوقا ٢ : ٣٦- ٣٨).

وإذن فليس كل اليهود كانوا يفهمون الخلاص بمعناه المادى دون الروحى، وإنما كانت هناك بعض الشخصيات من اليهود، قلوبهم متفتحة، ولهم نوع من الفهم الروحى العميق، فلم يكن يعنيهم مجرد الخلاص من الأعداء الظاهرين، وإنما كان يعنيهم بالأحرى **الخلاص من العدو الباطن، الخلاص من الشيطان، الخلاص من الخطيئة القديمة، الخلاص من عبودية الجحيم.** وقد قال المسيح له المجد: (لقد تهلل إبراهيم أبوكم **مشتهيا أن يرى يومى**، وقد رأى وفرح) (يوحنا ٨: ٥٦).

وعن هذا الخلاص قال الكتاب المقدس: (في الإيمان مات أولئك كلهم، دون أن يحصلوا على المواعد، بل إنما رأوها وحيوها عن بعد) (العبرانيين ١١ : ١٣).

وعن هذا الخلاص أيضا جاء في سفر نبوءة زكريا (وبدم عهدك أنت أيضا أطلق أسراك من الجب الذي لا ماء فيه) (زكريا ٩ : ١١). ولا بد أن النبي يتكلم هنا عن **الخلاص من الجحيم**، لأن الجحيم هو (الجب الذي لا ماء فيه) والذي نزلت إليه أرواح البشر جميعا، صالحين وأشراراً، ذلك أن الفردوس كان مغلقا في وجه الإنسان منذ أن طرد أبوانا آدم وحواء من جنة عدن بسبب خطيئتهما. فإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وصموئيل، وكل قديسي العهد القديم عندما ماتوا نزلت أرواحهم إلى الجحيم، وظلت محبوسة فيه إلى أن جاء مخلصنا، ومات بديلا عن الإنسان، ونزل من القبر إلى الجحيم وأشرق على الجالسين في الظلمة وظلال الموت (مزمور ١٠٦ : ١٠، ١٤)، (إشعياء ٩ : ٢، ٣)؛ (متى ٤ : ١٥، ١٦) وبشرهم ونقل الذين كانوا أسرى إلى الفردوس.

وجاء في رسالة القديس بطرس الأولى عن المسيح مخلصنا أنه بعد موته ودفنه (انطلق **فبشر الأرواح التي في السجن**) (١. بطرس ٣ : ١٩) (لأنه لهذا **بشر الأموات**) (١. بطرس ٤ : ٦). وجاء في القداس الإلهي (ونزل إلى الجحيم عن طريق الصليب).

وجاء في الرسالة إلى أفسس (لما صعد إلى العلى أخذ أسرى كثيرين وأعطى الناس عطايا. وما المراد بقوله: صعد سوى أنه **نزل أولاً إلى أسافل الأرض**) (أفسس ٤ : ٨، ٩).

وهذا هو السبب في أنه منذ الأصحاح الثالث من سفر التكوين حيث طرد الإنسان من الفردوس لم نعد نقرأ عن الفردوس إلا في الأصحاح الثالث والعشرين من الإنجيل للقديس لوقا حيث يرد وعد المسيح مخلصنا على الصليب للص اليمين (إنك اليوم تكون معي في الفردوس) (لوقا ٢٣ : ٤٣). فقد كان الفردوس مغلقا في وجه الإنسان ولم يفتحه إلا المسيح له المجد بموته وصلبه، متمما عمل الفداء والخلاص. لهذا نقل الأقباط عيد شم النسيم ـ وهو عيد الربيع الذي يذهب فيه الناس إلى الحدائق العامة ـ وجعلوه يقع دائما في يوم الاثنين، ثاني يوم عيد القيامة، للدلالة على أنه بموت المسيح وقيامته انفتح الفردوس أمام الإنسان، وانطلقت أرواح الناس التي كانت محبوسة في الجحيم إلى الفردوس المفقود.

وإذن فهذا هو المعنى الثانى للخلاص، أى **الخلاص من الخطيئة، والخلاص من عبودية الجحيم، والخلاص من الهلاك الأبدى**، وهو ما كان دائما يشير إليه مخلصنا وفادينا عندما كان يقول (لأن ابن الإنسان إنما جاء ليسعى فى **طلب الذى ضاع ويخلصه**) (لوقا ١٩: ١٠) (**لقد جاء ابن الإنسان ليخلص الضالين**) (متى ١٨: ١١).

ثم إن الملاك جبرائيل عندما ظهر فى حلم ليوسف خطيب سيدتنا العذراء مريم قال له (وستلد ابنا وتسميه **يسوع، لأنه هو الذى يخلص شعبه من خطاياهم**) (متى ١: ٢١).

وقال السيد المسيح له المجد فى بيان مهمته المقدسة على الأرض فى تجسده (لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، **وإنما ليخلص به العالم**) (يوحنا ٣: ١٧) (لأننى **ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم**) (يوحنا ١٢: ٤٧) وقال أيضا (أنا هو باب الخراف، **فإن دخل بى أحد يخلص** ويدخل ويخرج ويجد مرعى) (يوحنا ١٠: ٩). وجاء فى سفر أعمال الرسل عن مخلصنا وفادينا (**وليس بأحد غيره الخلاص. وما من اسم آخر تحت السماء منح للناس** به ينبغى أن يخلصوا) (أعمال ٤: ١٢). انظر (أعمال ١٠: ٤٣)، (١. تيموثيئوس ٢: ٥). وجاء فى الرسالة الثانية إلى تيموثيئوس عن ربنا يسوع المسيح (**الذى خلصنا** ودعانا دعوة مقدسة) (٢. تيموثيئوس ١: ٩).

ويدخل فى نطاق هذا المعنى قول المسيح له المجد إلى المرأة الخاطئة (**إن إيمانك قد خلصك**) (لوقا ٧: ٥٠) والمعنى أن إيمانها قد أهلها لتنال الخلاص من خطاياها.

كيف ينتقل خلاص المسيح وعمله الفدائى إلى الإنسان لكى يخلص؟

إن المسيح له المجد هو الذى تمم الفداء والخلاص بقبوله الصلب والحكم بالموت، لكن كيف ينتفع الإنسان بهذا الخلاص، أو كيف ينتقل إليه؟ وكيف يناله ويحصل عليه؟

إن خلاص الإنسان موقوف على إرادته هو، فلا ينال الخلاص مالم يطلبه هو أولاً ويسعى إليه.

أما القديسون قبل مجئ المسيح فى الجسد، فهؤلاء عند موتهم نزلوا إلى الجحيم، وظلوا فيه منتظرين الخلاص، لقد رأوا المواعد وصدقوها وحيوها عن بعد (العبرانيين ١١: ١٣) ولكن لم

ينالوا الخلاص بالفعل إلا عندما تمم المسيح الفادى عمل الفداء والكفارة ثم نزل إليهم بعد موته، نزل من القبر إلى حيث كانوا محبوسين فى الجحيم وأشرق عليهم بنوره، وبشرهم بالخلاص (١. بطرس ٣ :١٩) .. لقد قدموا الذبائح والقرابين وسائر أعمال الطاعات، ولكنهم لم يخلصوا بذبائحهم الحيوانية التى ذبحوها قربانا واستغفارا، ولا بأعمالهم الصالحة التى صنعوها.. إن ذبائحهم وأعمال الطاعات التى قدموها فى حياتهم قد أهلتهم لأن ينالوا استحقاقات الخلاص بدم المسيح الذى سفكه على الصليب. **فالخلاص إذن بدم المسيح، لكن أعمال الطاعات أهلتهم لنيل الخلاص الذى حققه المسيح يسوع بعمل الفداء.**

أما بعد صلب المسيح، فالخلاص لا يناله إلا من آمن بالمسيح وتعمد باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨ :١٩) . **ففى المعمودية ينقل إليه الروح القدس استحقاقات المسيح الكفارية فى الصليب. قال المسيح له المجد** (من آمن **واعتمد خلص**، ومن لم يؤمن أدين) (مرقس ١٦ :١٦) .

فمن لا يؤمن بالمسيح لا ينال الخلاص بالمسيح. **إن الإيمان هو الخطوة الأولى التى تفتح القلب لقبول الخلاص، لكن ليس الإيمان هو الذى يخلص الإنسان. إن الإيمان يؤهله لقبول الخلاص، وهو البرهان على أن الإنسان يطلب الخلاص بإرادته حرا مختارا. بيد إن الخلاص يتم فى المعمودية، إذ أن الروح القدس ينقل بها وفيها استحقاقات الخلاص الذى حققه المسيح بموته فداء عن الإنسان.**

عمل المعمودية فى الخلاص

إن المعمودية هى الواسطة التى عن طريقها يتم الخلاص للمؤمن الذى يطلبها. **فهى القناة الموصلة بين بحر الخلاص الذى تفجر فى الصليب وبين المؤمن الذى يطلب الخلاص ويسعى إليه**. على أن الروح القدس هو الذى يقوم بهذا العمل: **يأخذ مما للمسيح الفادى ويعطى المؤمن** (يوحنا ١٦ :١٥) . فالمعتمد لا ينزل فى جرن المعمودية إلى ماء عادى على بسيط الحال، وإنما إلى ماء حل عليه الروح القدس بناء على استدعاء الكاهن.

وإذا كان الروح القدس كان يعمل فى القديم منذ بدء الخليقة، فكان يرف على وجه المياه (التكوين ١ :٢) فخلق من الماء فى الحقبة الخامسة، الزحافات والتنانين البحرية والأسماك

والطيور (التكوين ١:٢٠- ٢٢)، **فكذلك ينحدر الروح القدس على مياه المعمودية، فيخلق الإنسان الخلق الجديد، وهذه هى الولادة الجديدة من فوق، الولادة من الماء والروح** (يوحنا ٣:٣، ٥): ويقول الوحى الإلهى: وفيه ختنتم ختانا، لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى. إنه ختان المسيح، ذلك أنكم دفنتم معه فى المعمودية) (كولوسى ٢:١١، ١٢).

ففى المعمودية تتم عملية نزع واستئصال وخلع الإنسان القديم، وخلق الإنسان الجديد. وهى عملية سرية باطنية غير منظورة، لكنها مع ذلك عملية خلق حقيقية. ولولا أن الروح القدس ينقل إلى الإنسان فى المعمودية استحقاقات المسيح الكفارية لما كان يمكن للإنسان أن يخلص.

فالمعمودية إذن هى التى تخلص الإنسان من الخطيئة الجدية، ومن الخطايا الفعلية السابقة على المعمودية، إن وجدت، كما هو الحال بالنسبة للكبار البالغين. ويقول الكتاب المقدس عاقدا المقارنة بين فلك نوح فى القديم والمعمودية فى الجديد (كانت أناة الله تنتظر مرة، وذلك أيام بنى نوح الفلك فنجا فيه بالماء عدد قليل، أى ثمانية أشخاص. **وكان هذا رمزا للمعمودية التى تخلصكم الآن أنتم أيضا**) (١. بطرس ٣:٢٠، ٢١). **فالمعمودية هى التى تخلص الإنسان وليس مجرد الإيمان، على أن الإيمان هو الذى يؤهل الإنسان ويجعله مستحقا للعماد الذى فيه وبه يتم الخلاص باستحقاقات المسيح الفادى.**

ثالثاً : الخلاص النهائى:

وثمت خلاص بالمعنى الثالث للكلمة هو ما يمكن أن يسمى **بالخلاص النهائى**. فقد يؤمن الإنسان بالمسيح ويعتمد باسم الثالوث القدوس، لكنه يمكن أن يقع فى الخطيئة من جديد بعد دقيقة أو دقائق من تعميده، **مالم يثابر على الجهاد الروحى الذى يصون به المكاسب الروحية التى حصل عليها بالإيمان وبسر المعمودية المقدس**. وهذه هى قيمة الجهاد وفضل الكفاح والنضال والحرب المقدسة ضد الخطيئة وضد شهوات الجسد، وضد كل عوامل الشر المتلفة لقامة الإنسان الروحية ومسيرته فى الفضيلة نحو الكمال المسيحى. **لذلك وجب على المؤمن بعد نيله سر العماد المقدس أن يواصل كفاحه ونضاله وجهاده ضد**

الخطيئة، حتى يمكنه أن يحتفظ بالخلاص الذى حصل عليه بفضل نعمة الله، وإلا فإنه بتهاونه يمكن أن يفقد خلاصه الذى حصل عليه.

يقول المسيح له المجد (الذى يصمد إلى النهاية هو الذى يخلص) (متى ٢٤: ١٣)، (١٠: ٢٢)، (مرقس ١٣: ١٣). وجاء فى رسالة القديس بطرس الأولى (إذا كان البار يخلص بعد جهد، فالخاطئ والفاجر أين يظهران؟) (١. بطرس ٤: ١٨).

إن ما صنعه آدم أبو الجنس البشرى هو أنه خالف وصية الله (التكوين ٣: ٦)، وهو ما يمكن أن يصنعه كل بشر آخر لأنه كائن حر. فهل إذا أخطأ المسيحى بعد تعميده يحتاج إلى أن يموت المسيح من أجله مرة أخرى حتى يحصل على مغفرة خطاياه؟ كان يمكن أن يقال هذا لو لم يكن فى دم المسيح مخلصنا الكفاية لفداء الناس جميعا، لكن دم المسيح فادينا دم ثمين، وقيمته أبدية، هى قيمة الله نفسه. وهذا هو سر اتحاد اللاهوت بالناسوت ليعطى الفداء قيمته الأبدية اللانهائية. **لقد رتب الروح القدس سر التوبة وهو فى الكنيسة يعتبر معمودية ثانية، ويتخذ كل قوته من استحقاقات دم المسيح الكفارية التى يقوم عليها ويستند إليها سر المعمودية وسائر أسرار الكنيسة، وهو الذى يؤهل الخاطئ التائب لأن تغسل خطاياه بسر القربان الذى (يعطى خلاصا، وغفرانا للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه).**

وهذا هو جوابنا على الذين يسألون: هل يمكن أن يفقد الإنسان خلاص المسيح الذى حصل عليه فى المعمودية؟

نقول: نعم، يمكن أن يفقد المؤمن خلاصه لو أنه لم يثابر على طريق الجهاد ضد الخطيئة. وهذا هو السبب فى أن الكتاب المقدس يوصينا بالصحو الدائم، وباليقظة المستمرة، وبالكفاح والنضال فى الفضيلة، ولا يتذرع الإنسان بالقول (يارب، يارب) دون أن يفعل مشيئة الله. يقول المسيح له المجد (ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السماوات، **بل ذاك الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السماوات**) (متى ٧: ٢١)، (ولماذا تدعوننى يارب يارب **ولا تعملون** بما أقول لكم؟) (لوقا ٦: ٤٦).

فالأعمال الصالحة بعد الإيمان والمعمودية، ضرورية للخلاص. ومن دون الجهاد الروحى والأعمال الصالحة يمكن أن يفقد الإنسان خلاصه الأبدى.

هذا هو الخلاص بمعناه النهائى، وهو مالا يزعم أحد أنه قد حصل عليه. إنه يمكن للمسيحى بعد تعميده أن يقول إنه قد حصل على الخلاص بالمعنى الثانى للخلاص، وهو عمل المسيح الفدائى الذى يناله الإنسان فى سر المعمودية. أما الخلاص النهائى فلا يجرؤ أحد على القول بأنه قد حصل عليه بالفعل وهو مازال فى الأرض. هب أن دولتين فى حالة حرب، فهل يجوز لأى منهما قبل أن تضع الحرب أوزارها أن تزعم أنها قد انتصرت على الأخرى النصر النهائى؟ إن النصر النهائى لا يتم إلا بعد أن تتوقف الحرب، أما الانتصار فى بعض المواقع فلا يعول عليه، لأنه يمكن أن يتحول بعد زمن إلى هزيمة نكراء. ومن يجرى فى السباق لا يستطيع أن يزعم أنه يستحق الجائزة لمجرد أنه وهو فى حلبة السباق أمكنه أن يسبق غيره، ما لم يتحقق له الفوز نهائيا فى نهاية السباق. هكذا نحن فى مسيرتنا الروحية **يلزمنا الثبات ومواصلة الجهاد إلى نهاية الحياة**. ولا تجرؤ الآن على القول بأننا حصلنا على الخلاص النهائى إلا بعد أن تنتهى رحلتنا على الأرض بنجاح وتوفيق.

ألم يقل الرسول بولس عن ديماس إنه تركه حباً فى الدنيا والعالم الحاضر (٢. تيموثيئوس ٤: ١٠) مع أنه كان يشيد به قبل ذلك كأحد معاونيه (كولوسى ٤: ١٤)؟

لهذا قال الكتاب المقدس: اذكروا مدبريكم الذين كلموكم بكلمة الله. انظروا إلى نهاية سيرتهم، فتمثلوا بإيمانهم) (العبرانيين ١٣: ٧). **فالعبرة بنهاية السيرة، لأنه يمكن أن يبدأ الإنسان حسنا، ثم يتخلف عن مواصلة السيرة الحميدة، فيقع فى الخطيئة من جديد بعد أن يكون قد نال المغفرة بالمعمودية.**

وقال المسيح له المجد فى سفر الرؤيا **(كن أمينا حتى الممات. وأنا أعطيك إكليل الحياة)** (الرؤيا ٢: ١٠) وقال **(احتفظ بما عندك لئلا يسلب أحد إكليلك)** (الرؤيا ٣: ١١) مما يشير إلى أن الإنسان يمكن أن يفقد إكليله لو أنه لم يثابر على الجهاد ضد الخطيئة إلى النهاية.

ألم يكن الشيطان نفسه ملاكا بل رئيس ملائكة (الرؤيا ١٢: ٧- ١٠) ومع ذلك خسر مكانته وطرحه الله إلى أسافل الجحيم (٢. بطرس ٢: ٤)، (يهوذا ٦:)؟

فاحتمالات السقوط بعد الخلاص الثاني واردة، ولذلك وجب السهر واليقظة ومواصلة الثبات والجهاد ليحفظ الكائن ثباته وخلاصه. وجاء في الكتاب المقدس **(واعملوا لخلاصكم بخوف ورعدة)** (فيلبي ٢ :١٢) فالخلاص النهائي يحتاج إلى عمل، **كما أنه يجب أن يكون هناك حذر وخوف بل ورعدة أو ارتعاد من أن يسقط الإنسان من جديد فيفقد خلاصه نهائياً.** لأن احتمال فقدان خلاصه وارد، ما لم يواصل الجهاد ضد الخطيئة، بكل حرص وحذر، وحيطة، لئلا تغفل عينه، ويسقط نتيجة لغفلته.

ومما له دلالة هنا قول الكاهن في تحليل الكهنة بعد صلاة نصف الليل (... أعنا ياالله على رضاك. **أعنا على العمل بوصاياك. أعنا على سكرات الموت، وما قبل الموت، وما بعد الموت)** وهو ما يفيد أن الحرب الروحية ممتدة حتى إلى ساعة الموت. ويقول بعض الروحانيين إن الشيطان يحارب روح الإنسان حتى بعد أن تفارق الجسد وهي في طريقها إلى العالم الآخر محاولاً أن يصيبها بسهامه، ولو بسهم الغرور والكبرياء أو بتذكيرها بما يثيرها ويثير فيها رغبة أو شهوة غيرمقدسة، فترتد إلى الوراء، أو إلى الفشل أو اليأس.

فالجهاد، والثبات، ومواصلة العمل بانتباه وصحو ويقظة إلى آخر نسمة، كلها مطلوبة لنيل الخلاص النهائي.

٥٠ - فى أحد التناصير (١)

لما كان هذا اليوم منذ الأيام الأولى لنشأة المسيحية هو يوم تعميد الموعوظين من غير المؤمنين الراغبين فى التنصير، فقد رتبت الكنيسة أن يكون فصل إنجيل القداس مأخوذا من الأصحاح التاسع من الإنجيل للقديس يوحنا، الخاص بالمولود أعمى الذى طلى المسيح عينيه بالطين، وأرسله ليغسل وجهه فى بركة سلوام فاغتسل وعاد بصيرا.

وواضح سر اختيار هذا الفصل ومناسبته لمن يقبلون العماد فى هذا اليوم. فهم عميان، بالخطيئة، وولدوا عميانا بالخطيئة الأصلية، من بطون أمهاتهم. وبنعمة المسيح يغتسلون فى جرن المعمودية، وهى لهم بمثابة عين سلوام الجديدة، فينهضون بعد الاغتسال فيها، أطهارا من خطاياهم الجدية، والفعلية السابقة على المعمودية، وتنفتح عيونهم وبصائرهم الباطنية فيعاينون مالم يكونوا قادرين على معاينته قبل المعمودية. إذ المعمودية هى مدخلهم إلى الحياة الجديدة، إلى الكنيسة المسيحية بأسرارها وأمجادها وامتيازاتها الروحية، وإلى ملكوت الله.

المولود أعمى بالخطيئة الجدية :

أما لماذا يولد الإنسان أعمى من بطن أمه، فلأنه يولد متلبسا بالخطيئة الأصلية، وهى خطيئة الأبوين الأولين آدم وحواء.

وكيف يولد متلبسا بخطيئة لم يفعلها هو، بل ارتكبها الأبوان الأصليان آدم وحواء؟

والجواب على ذلك هو حكم **الوراثة**:

فالإنسان يرث من أبويه، بل ومن عائلته، السحنة والشكل الخارجى، كما يرث الاستعداد للصفات النفسية والأخلاقية، والميول العقلية والذهنية، ثم يرث صفات أخرى جسمية ونفسية، تنحدر إليه من جميع الآباء السابقين على أبويه القريبين، أى من جميع أصول الشجرة البشرية وأرومتها، موصولة بالأب الأول للجنس البشرى، آدم، الذى منه تفرع جميع الناس، ومنه ولدوا وتوالدوا، فانتشر فيهم جميعا دمه، وبالتالى صفاته وميوله، ولذلك صارت لجميع الناس صفات وخصائص مشتركة يشترك فيها جميعهم، وهى هذه الصفات والخصائص التى يتميز بها جنس الناس، وعليه يسمى جميع الناس بجنس واحد هو الجنس البشرى، أو جنس بنى آدم.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٨ من أبريل - نيسان لسنة ١٩٧٩م - ٣٠ من برمهات لسنة ١٦٩٥ش.

قال الكتاب المقدس فى ذلك: «**خلق الله البشر كلهم من أصل واحد، ليسكنوا على وجه الأرض كلها**» (أعمال الرسل ١٧ : ٢٦). ويقول النبى ملاخى «أليس إله واحد خلقنا» (ملاخى ٢ : ١٠).

وهذه الوراثة قانون طبيعى، مثلها مثل جميع القوانين الطبيعية فى ثباتها وحتميتها وعدم تخلفها.

وتقوم فاعلية قانون الوراثة على شِرْعة التوالد وهو قانون التكاثر والتناسل فى الجنس البشرى. فالإنسان لا يخلق خلقا مباشرا منفصلا عن أبويه كما خلق الأب الأول آدم، وإنما يخلق كل بشر نتيجة للتزاوج بين رجل وامرأة، ويولد منهما معا، فينتقل الدم المختلط من جسديهما إليه، فيكون الولد بالطبيعة امتدادا لوالديه وقد انتشر دمهما فيه، وسرى فيه بالطبيعة كل ما سرى فى دمه من أبويه بالوراثة.

قال الكتاب المقدس «وعاش آدم مائة وثلاثين سنة، **وولد ولدا على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثا**» (**التكوين ٥ : ٣**).

وعن طريق التزاوج والتوالد ينتشر دم الولد الجديد فى أولاده، وأولاد أولاده، كما سبق فانتشر دم والديه فيه، ودم جدوده فى والديه، ودم أجداد الجدود فى جدوده... وهكذا إلى دم جدنا الأكبر، آدم، أبى الجنس البشرى كله.

ومثل الإنسان فى ذلك مثل النبات والشجر. **فكل نبات وشجر يثمر ثمرا كصنفه** (التكوين ١ : ١١، ١٢) فشجر التفاح يثمر تفاحا ولا يخرج بصلا، والحنظل لا يثمر رمانا. يقول رب المجد «فهل يجنى الناس من الشوك عنبا أو من الحسك تينا» (متى ٧ : ١٦) ويقول «إن كانت الشجرة صالحة كان ثمرها صالحا، وإن كانت فاسدة، كان ثمرها فاسدا» (متى ١٢ : ٣٣) ويقول أيضا «لأنه ما من شجرة طيبة تعطى ثمرا رديئا، **وما من شجرة رديئة تعطى ثمرا طيبا**. فكل شجرة تعرف من ثمرها، **لأنهم لا يجنون من الشوك تينا، ولا يقطفون من العليق عنبا**» (لوقا ٦ : ٤٣، ٤٤) ويقول الرسول القديس يعقوب «هل تقدر يا إخوتى تينة أن تصنع زيتونة، أو كرمة تينا، **ولا كذلك ينبوع مالح يصنع ماء حلوا**» (يعقوب ٣ : ١٢).

ولما أن تم التوالد فى الجنس البشرى بعد أن سقط الأبوان الأولان فى الخطيئة «وعرف آدم حواء إمرأته، فحبلت وولدت» (التكوين ٤:١) **فكان لابد لأولاد آدم أن يرثوا حالته الساقطة لأنهم ولدوا منه بعد سقوطه**. ولو كانوا ولدوا منه قبل السقوط لكانوا قد ورثوا منه حالته السامية التى كان عليها قبل سقوطه.

وإذا افتقر الأب والأم، فالأولاد المولودون منهما فى حالة الفقر لابد أن يعانوا نفس الحالة التى ولدوا فيها.

وإذا مرض الأب أو الأم، وأنجبا طفلا وهما فى حال المرض، فعانى الطفل من المرض الذى ابتلى به أبوه أو أمه، فلا عجب فى ذلك. وقد يرث الابن أو الابنة حالة من المرض أو الضعف أو الاستعداد لمرض انحدر إليه من أحد جدوده لأبيه أو أمه، وأحيانا من أحد أقارب الأب أو الأم. وهذا ما يعرف بالأمراض الوراثية، ولعل من بينها الربو، والسرطان، أو إلتهاب المرارة أو الكليتين أو الكبد أو البول السكرى، أو إلتهاب الأعصاب، أو تصلب الشرايين، أو عمى الألوان، وما إليها. ولذلك ينصح عادة بعدم التزاوج بين الأقارب خصوصاً أولاد العمومة وأولاد الخؤولة، إذ يكون نسلهم عرضة لسرعة ظهور الأمراض الوراثية.

وهذا هو المعنى من قوله (الله):

«أنا الرب إلهك، إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى» (الخروج ٢٠ : ٥)، (التثنية ٥ : ٩).

وقوله :

«الرب إله رحيم ورؤوف وطويل الأناة... ولكنه لن يبرئ إبراء. مفتقد إثم الآباء فى البنين، وفى بنى البنين إلى الجيل الثالث والرابع» (الخروج ٣٤ : ٦، ٧) انظر كذلك (اللاويين ٢٦ : ٤٠)، (العدد ١٤ : ١٨)، (أيوب ٢١ : ١٩)، (إشعياء ٦٥ : ٧)، (إرميا ٣٢ : ١٨).

فانتشار الخطيئة الأصلية من أبوينا آدم وحواء يتم طبقا للقانون الطبيعى، وبالتوالد عن طريق التزاوج.

ولهذا يقول النبى داود فى المزمور الخمسين

«هاأنذا بالإثم حبل بى، وبالخطايا اشتهتنى أمى» (مزمور ٥٠ : ٥).

ويقول أيضا.

«زاغ الخطاة من الرحم، ضلوا من البطن» (مزمور ٥٧: ٣).

وقال الله بفم إشعياء.

«ومن البطن سميت عاصيا» (إشعياء ٤٨ : ٨).

تلك النصوص وغيرها تشهد بأن الخطيئة بدأت فى جميع بنى آدم من قبل أن يولدوا، منذ أن كانوا فى البطن، وفى أرحام أمهاتهم، بل إنها منذ لحظة الحمل، وعند بدء تكوين الجنين، ولذلك فإن الجنين يتكون بالإثم ويتصور بالخطيئة، أى منذ أن تكون له صورة جنين.

ويقول الوحى الإلهى: **«من يخرج الطاهر من النجس. لا أحد!»** (أيوب ١٤ : ٤) - انظر أيضا (يوحنا ٣ : ٦)، (أفسس ٢ : ٣).

كيف إذن تصير الخطيئة لصيقة بالجنين منذ بدء تكوينه وتشكيله، حتى إنه يصير معجونا بها وهو فى اللحظة الأولى لنشأته مالم يكن الإثم موجودا فى الدم الذى منه يتكون الجنين؟ إذن فهذه الخطيئة ليست خطيئة الجنين الفعلية، وإنما هى الخطيئة التى انتقلت إليه من أبويه عن طريق التوالد، بفعل الحمل ذاته، عندما تحبل به الأم. هكذا يقول النبى داود «بالإثم حبل بى، وبالخطايا اشتهتنى أمى». إذن من خلال شهوة الجنس، وفعل الحمل أو الحبل، تصل إلى الأبناء وصمة الإثم، ولوثة الخطيئة الأصلية التى تسمى أيضاً بالخطيئة الجدية، خطيئة الجد الأول آدم.

وبعبارة أخرى، **إنه لولا التوالد بشهوة الجنس والحمل لما كانت الخطيئة الجدية تصل إلى الجنين وهو فى رحم أمه، أى أنه طالما كان التوالد باجتماع الرجل**

والمرأة فهناك الطريق إلى سريان الخطيئة الأصلية وانتشارها، من الجد الأول آدم إلى جميع ذريته.

يقول العلامة القديس ديديموس الضرير، رئيس مدرسة الأسكندرية اللاهوتية في القرن الرابع (٣١٣ – ٣٩٨).

«إن خطيئة الأبوين الأولين هي الخطيئة القديمة التي طهرنا منها يسوع المسيح في معموديته..» (في الثالوث ٢: ١٢). «إن جميع أولاد آدم قد ورثوها، وانتقلت إليهم بالخلقة عن طريق المعاشرة الجنسية بين الوالدين. وهذا هو السبب في أن المسيح ولد من عذراء لم تتلوث أو تتلطخ بها. وبالمعمودية يتطهر الإنسان من الخطيئة الأصلية وكل نتائجها، ومن الخطيئة الفعلية الشخصية» (في الرد على المانويين: ٨).

لهذا ولد المسيح من عذراء:

من هنا نفهم لماذا جاء المسيح من عذراء بغير زواج، عذراء لم يعرفها رجل معرفة الأزواج، لأن هذا هو الطريق الأوحد الذي يضمن عدم سريان الخطيئة الجدية إلى المسيح يسوع، الذي حملت به العذراء وولدته مثلنا تماماً في كل شئ، إلا في خلوه تماماً من لوثة الخطيئة الأصلية، فجميع الناس يولدون ملوثين بالخطيئة الجدية، إلا المسيح وحده. نعم، إن المسيح وحده هو الذي حملت به العذراء من غير زرع بشر. وهذا هو السبب في اهتمام الوحي الإلهي بالتوكيد على بتولية العذراء مريم قبل حملها بالسيد المسيح، وقوله عن مريم ويوسف رجلها:

«أما ميلاد يسوع المسيح فكان هكذا: كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من روح القدس» (متى ١: ١٨).

مبينا الوحي الإلهي بهذا أن الحبل بيسوع المسيح قد تم بالروح القدس، ولم يكن ثمرة الاجتماع بين يوسف ومريم كما هو الحال في كل حمل وولادة أخرى في

بنى آدم. وقد كان هذا البيان من الوحى الإلهى هو الضمان الوحيد لخلو يسوع المسيح من وصمة الخطيئة الأصلية، الأمر الذى أهله ليكون - دون غيره من بين من أخذوا طبيعة الإنسان - الفادى الوحيد، والمخلص لأنه «ليس بأحد غيره الخلاص. وما من اسم آخر تحت السماء منح للناس به ينبغى أن يخلصوا» (أعمال٤: ١٢) - انظر أيضا (١. تيموثيئوس ٢ : ٥).

٥١ - فى أحد التناصير

المسيح يخلق للمولود أعمى عينين (١)

لما كان هذا اليوم هو واحداً من مناسبتين رتبتهما الكنيسة المقدسة لتعميد الكبار من المؤمنين الراغبين فى التنصير، حتى إذا أقبل عيد القيامة المجيد، اشتركوا مع المؤمنين المعمدين فى أفراح القيامة، بعد أن نالوا الخلاص مع المفديين بدم المسيح. لذلك رتبت الكنيسة أن يتلى فى إنجيل القداس، الفصل الخاص بالمولود أعمى الذى رد المسيح له البصر، بأن تفل على الأرض، وصنع من التفل طينا، وطلى به عينى الأعمى وأمره بأن يغسل وجهه فى بركة سلوام، فاغتسل وعاد بصيرا. وهو الفصل الوارد فى الإنجيل للقديس يوحنا (٩:١- ٤١).

على أن المولود أعمى حدث له شئ جديد لم يحدث لأى أعمى من قبل. إن المعجزة التى تمت فى عينيه لم تكن مجرد تفتيح لعينين مغلقتين، كما فعل المسيح مع عميان آخرين إذ لمس بيديه عيونهم فانفتحت، (متى ٩:٢٧- ٣١)، (٢٠:٢٩- ٣٤) ... إن ما حدث مع المولود أعمى شئ أعمق من هذا وأعظم... إنه خلق لعينين لم تكونا موجودتين أصلا كما يتضح من الطريقة التى اتبعها المسيح له المجد فى صنعه للمعجزة وهى أنه (تفل على الأرض، وصنع من التفل طينا، وطلى بالطين عينى المولود أعمى) (يوحنا ٩:٦).

ولم تكن للأعمى عينان. إنما طلى المسيح بالطين موضع العينين فخلقهما له خلقا، بنفس الطريقة التى خلق الله بها آدم (وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض) (التكوين ٢:٧).

وعلى ذلك ففى معجزة المولود أعمى خلق من جديد.

وهذا سبب آخر لاختيار هذه المعجزة بالذات لتقرأ على الناس فى يوم أحد التناصير، لأن الكنيسة تريد من خلال هذه المعجزة أن تعلمنا أنه كما خلق المسيح له المجد للرجل المولود أعمى عينين جديدتين، فانفتح بهما على عالم جديد، **هكذا يصنع المسيح فيمن يقبلون المعمودية: يخلقهم خلقا جديدا، بل (ويلبسهم الإنسان الجديد الذى خلقه الله على صورته، فى البر وقداسة الحق)** (أفسس ٤:٢٤)، (٢:١٥). «لأنه» الإنسان الجديد ذاك الذى يتجدد فى المعرفة على صورة خالقه) (كولوسى ٣:١٠). (لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ولا عدم الختان ينفع الإنسان، بل الذى ينفعه، أن يكون خليقة جديدة (غلاطية ٦:١٥).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢٣ من مارس- آذار لسنة ١٩٨٠م- ١٤ من برمهات لسنة ١٦٩٦ش.

(إذن إن كان أحد فى المسيح، فهو خليقة جديدة. قد زال القديم. ها هوذا كل شئ جديد) (٢ . كورنثوس ٥ :١٧).

الخليقة الجديدة فى المعمودية

ويضيف الرسول بيانا عن كيفية الحصول على هذا الإنسان الجديد، وتلك الخليقة الجديدة فى المسيح، إن ذلك يتم عن طريق المعمودية المسيحية فيقول:

(نحن الذين متنا عن الخطيئة، كيف نحيا فيها من بعد؟ ألا تعلمون أننا حين تعمدنا لنتحد بيسوع المسيح، إنما تعمدنا لنموت معه، فدفنا معه فى المعمودية، وشاركناه فى موته، حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب كذلك نسلك نحن أيضاً فى حياة جديدة. فإذا كنا قد اتحدنا به فى موت يشبه موته، فكذلك نتحد به فى قيامته. ونحن نعلم أن الإنسان القديم فينا صلب مع المسيح حتى يزول سلطان الخطيئة فى جسدنا، فلا نبقى عبيدا للخطيئة. لأن الذى مات تحرر من الخطيئة. فإذا كنا قد متنا مع المسيح، فنحن نؤمن بأننا سنحيا معه، عالمين أن المسيح، بعد ما أقيم من بين الأموات، لن يموت ثانية، ولن يكون للموت عليه من سلطان، لأنه بموته قد مات عن الخطيئة مرة واحدة، وفى حياته يحيا لله. فكذلك أنتم احسبوا أنفسكم أنكم أموات عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا) (رومية ٦ :٢ـ ١١).

والمعنى أن المعمودية المسيحية هى فى حقيقتها موت مع المسيح، ودفن معه. هذا الموت والدفن يتمان بعمل الروح القدس الذى ينقل إلى المعمدين استحقاقات المسيح الكفارية، فيموت فى جرن المعمودية الإنسان القديم، ويقوم المعمد إنسانا جديدا، وخليقة جديدة فى المسيح، آخذا طبيعة المسيح الذى قام من بين الأموات.

ويقول الرسول مرة أخرى مؤكدا على نفس المعنى بتعبير آخر.

(وفيه ختنتم ختانا لا بالأيدى، بل بخلع جسم الخطايا البشرى. إنه ختان المسيح. ذلك أنكم دفنتم معه فى المعمودية. وأقمتم معه أيضا. لأنكم آمنتم بقدرة الله الذى أقامه من بين الأموات. كنتم أمواتا بخطاياكم...، فأحياكم الله معه، وصفح لنا عن جميع خطايانا، ومحا الصك الذى علينا، وكان ضداً لنا، وأزاله مسمرا إياه على الصليب، وخلع الرئاسات والسلاطين وسخر بهم جهارا ظافرا بهم فيه) (كولوسى ٢ :١١– ١٥).

وإذن فالمعمودية ليست مجرد ماء يغطس فيه الإنسان كما هو الحال عندما يستحم فى النهر ليغسل بالماء جسده، إنما المعمودية المسيحية فى حقيقتها شئ آخر. هى ختان روحانى كامل يجرى فى الإنسان القديم، به يزول لا جزء من الجسد كما هو الحال فى الختان الجسدى، بل يزول فيه الإنسان القديم كله ويخلع جسم الخطيئة، والإنسان العتيق، خلعا كاملا وتاما، ويصير المسيحى بالمعمودية إنسانا جديدا، وخليقة جديدة، لأن الإنسان القديم قد خلعه عمل الروح القدس بفعالياته، وبذلك تمحى الخطايا السالفة وتستأصل غرلة الإنسان العتيق، وينال المعمد العتق والخلاص من جميع خطاياه. لاحظ قوله: (كنتم أمواتا بخطاياكم..، فأحياكم الله معه وصفح لنا عن جميع خطايانا، ومحا الصك الذى علينا وكان ضداً لنا. وأزاله مسمرا إياه على الصليب).

إذن المعمودية ليست شيئا عاديا بسيطا، وماء المعمودية لا يبقى بعد حلول الروح القدس عليه ماء على بسيط الحال، ولكن الروح القدس يحل فيه وعليه، فيمنحه فعاليات جبارة لا تراها العين ولا تدركها الحواس، ولكنها فعاليات خلاقة، فتخلق وتزيل الإنسان القديم، وتغسل خطايا المعمد، وترفع عنه العقوبة، وتمحو الصك الذى عليه، والمضاد له، وتخرقه، وتمزقه، وتسمره مع المسيح الفادى، فتسقط حق العدالة بكفارة المسيح، ويزول نهائيا كل أثر للصك، بفعالية كفارة المسيح الذى مات فاديا لنا وبديلاً عنا.

٥٢- لنتذكر الأم

والأم أنواع: فهناك الأم الجسدانية والدة الطفل بالجسد، ولكن هناك الأم الروحية، وأمومتها معنوية. وبهذا المعنى الروحى تعتبر العذراء مريم - وهى أم المسيح بالجسد - أما للمسيحيين جميعا، كما يمكن أن تعتبر الكنيسة الجامعة المسيحية أما لهم. **كذلك المعمودية المسيحية توصف بأنها أم روحية لأن فيها وبها يولد المؤمن بالمسيح ميلادا ثانيا من فوق، ويصير بها إبنا لله، ووارثا لبر المسيح واستحقاقات الخلاص.**

المعمودية أمنا :

نعم لا يدخل أحد إلى الكنيسة، ملكوت المسيح على الأرض إلا من ولد من الماء والروح، ونال سر العماد المقدس.

فالذين يعتمدون ينزلون إلى جرن المعمودية ويغطسون فيه، وباختفائهم فى الماء يدخلون إلى عالم آخر، يدخلون إلى ملكوت السماوات على الأرض، يدخلون إلى الكنيسة.. ومن دون هذا المدخل يظلون خارج الكنيسة... خارج الباب.. ولكن بالمعمودية يدخلون إلى الكنيسة، ويصيرون فيها أعضاء حية.

فالمعمودية هى الباب، وهى المدخل إلى ملكوت السماوات على الأرض.. إلى الكنيسة وأعماقها وأسرارها...

والمعمودية بذلك هى الحلة الأولى (لوقا ١٥:٢٢) **التى يلبسها الابن الضال بعد رجوعه إلى الآب السماوى.. هى الحلة الأولى لأنها أول نعمة سماوية ينالها المؤمن فى ملكوت السماوات..**

وكما أنها الحلة الأولى، هى كذلك حلة العرس (متى ٢٢:١١، ١٢) **السماوى، لأننا بها ندخل إلى العرس السماوى، ومن دونها نطرد من العرس ولا يكون لنا فيه نصيب.**

هذه المعمودية التى تضمنا جميعا هى أمنا، لأننا بها نولد ميلاد ثانيا من فوق (يوحنا ٣:٣، ٧)، (٢. كورنثوس ٥:١٧)، (غلاطية ٦:١٥)، (تيطس ٣:٥)، (يعقوب ١:١٨)، (١. بطرس ١:٢٣). **أو من الأول أو من جديد،.. من الروح القدس** (يوحنا ٣:٥، ٦، ٨)، (تيطس ٣:٥) **.. من الله** (يوحنا ١:١٢، ١٣)، (١. يوحنا ٣:٩) **.. وعن**

طريقها يصير لنا سلطان أن ندعى أولاد الله. (وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم السلطان لأن يكونوا أبناء الله، أولئك هـم المؤمنـون باسـمـه، الذين ولدوا لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما من الله ولدوا) (يوحنا ١ :١٢، ١٣)، (١ . يوحنا ٣ :٩).

فالمعمودية هى أمنا جميعا.. ونحن لذلك نسمى أبناء المعمودية المسيحية.

٥٣- أحد التناصير

يعرف هذا الأحد السادس من الصوم الكبير المقدس، بأحد التناصير. وهو إحدى مناسبتين رتبتهما الكنيسة المقدسة منذ إبتداء المسيحية لتعميد الكبار من غير المسيحيين الراغبين فى اعتناق المسيحية، والذين كانوا يعرفون فى المصطلح الكنسى بـ «الموعوظين» والذين رتبت الكنيسة لتعريفهم بالإيمان المسيحى الجزء الأول من الخدمة الروحية، وهو المعروف بـ «ليتورجيا الموعوظين» أى «قداس الموعوظين» والذى يبدأ من وقت تقديم الحمل إلى مابعد قراءة الإنجيل والعظة وصلاة الصلح قبل رفع الإبروسفارين.

وأما المناسبة الثانية فهى عيد الغطاس المجيد أو عيد الظهور الإلهى، ويقع عادة فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة القبطى.

فمن شهد الكهنة عنهم أنهم مستحقون لقبول العماد فى عيد الغطاس، قدموهم للمعمودية وصيروهم مسيحيين، وإلا أخروا عمادهم إلى المناسبة الأخرى: فى أحد التناصير، حتى إذا قبلوا العماد وصاروا مسيحيين، اشتركوا مع آلام المسيح فى أسبوع الآلام، وأفراح القيامة بعد ذلك كمسيحيين.

من هذا يتضح أن أحد التناصير لم يرتب لتعميد الصغار من أبناء المسيحيين، وإنما لتعميد الكبار من غير المسيحيين من الراغبين فى اعتناق المسيحية.

أحد التناصير ليس لتعميد الأطفال:

نقول هذا لننبه أبناء الكنيسة من شعبنا الذين يؤخرون عماد أطفالهم إلى أحد التناصير ظناً منهم أن هذا الأحد رتب لعماد الأطفال، أو يؤخرونهم لهذ المناسبة ظناً منهم أن الأطفال ينالون فى هذا اليوم بركة خاصة لاينالونها فى أيام أخرى.

١ ـ نحن هنا نريد أن نصحح تفكير بعض الناس من شعبنا الذين يؤخرون تعميد أطفالهم إلى أحد التناصير، **وقد يعرضونهم بهذا التأخير لخطر الموت بغير عماد فيحرمونهم من معاينة ملكوت السماوات** لأن المسيح له المجد يقول «الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (١).

(١) يوحنا ٣: ٣، ٥.

لقد أمرت الكنيسة بأن يعمد الطفل بغير تأخير ولو كان إبن يوم واحد، إذا كان هناك خطر الموت.

أما فى الأحوال العادية - أى فى غير خطر الموت - فتدخل الأم الكنيسة مع طفلها لتعميده بعد أربعين يوماً من ميلاده إذا كان مولودها ذكراً، وبعد ثمانين يوماً من ميلاده إذا كان مولودها أنثى لأن القانون الكنسى يمنع المرأة النفساء أن تدخل إلى الكنيسة قبل إنقضاء المدة التى قررتها الأوامر الكنسية لنفاسها (١).

جاء فى القانون الثامن عشر من قوانين الكنيسة والوصايا التى كتبها أبوليدس، أو هيبوليتس Hippolytus (نحو ١٧٠- ٢٣٥)م:

«المرأة التى تلد، لتقم خارجا عن الموضع المقدس، إن كان الذى ولدته ذكراً أربعين يوماً، وإن كانت أنثى فثمانين يوماً».

وجاء فى الكتاب المقدس «المجموع الصفوى» للصفى ابن العسال «ورد فى بعض القوانين أن المولود إذا خيف عليه من الموت **قبل طهر أمه من دم نفاسها، فليدخل الكنيسة مع غيرها ويعمد. لأن المرأة التى تلد تبقى بعيدة عن الموضع المقدس أربعين يوماً إن ولدت ذكراً، وثمانين يوماً إن ولدت أنثى» (٢).**

كذلك جاء فى مقال للأنبا أثناسيوس أسقف قوص فى القرن الثانى عشر:

«أيها الحبر المؤتمن على الشريعة... إن أحضروا إليك طفلا يقصدون عماده قبل طهر أمه، فعمده عاجلاً ولو أنه إبن يومه، ومرهم يا إمام ألا ترضعه أمه... إلى ثلاثة أيام» (٣).

ويقول العلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع: «رتبت الآباء أن كل طفل ذكر يولد، **فبعد تطهير والدته من أيام نفاسها، أى بعد مدة أربعين يوماً،**

---

(١) سفر اللاويين ١٢: ٢- ٥.

(٢) «القوانين» للصفى ابن العسال، الباب الثالث - طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض، صفحة ١٦ حاشية١.

(٣) اللآلىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، للقمص يوحنا سلامة، الجزء الثانى، الفصل السادس، الطبعة الثانية، صفحة ٥١ - وكتاب «القوانين» لابن العسال، الباب الثالث طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض صفحة ١٦، ١٧.

يعمد بلا تأخير، وكل طفلة أنثى بعد ثمانين يوماً، مدة تطهير والدتها، تعمد أيضاً. وهذا لئلا يفوتهم ملكوت الله (١).

وجاء في كتاب «قانون الكنيسة القبطية أي كتاب الخلاصة القانونية في الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين، للايغومانس فيلوثاؤس إبراهيم، «أن يمتنع الرجل عن زوجته.. «أيام نفاسها أعني أربعين يوماً إن كان المولود ذكراً، وثمانين إن كان أنثى، بحيث لا تدخل الكنيسة إلا بعد تمام أيام النفاس. وحينئذ تمضي للكنيسة بعد أيام نفاسها ليبارك عليها الكاهن، ويمسحها بالزيت المقدس، وكذا في أيام حيضها لا تدخل الكنيسة (لاحظ اللاويين ١٢: ١-٥) (٢).

وجاء في كتاب «المعمودية المقدسة» المستخدم في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ما يقوله الكاهن في صلاة التحليل على أم الطفل حتى يسمح لها بدخول الكنيسة والمواضع المقدسة بعد إتمام مدة نفاسها المنصوص عليها بالنسبة لمولودها إذا كان ذكراً أو أنثى.

«أيها السيد الرب الإله القادر على كل شيء الذي أمر عبده موسى في الناموس وعرفه حدود الطهارة الواجبة على كل النساء اللواتي يلدن، أن يلبثن أياماً قلائل كما رسمت لهن... لا يلمسن شيئاً من قدسك... كذلك أيضاً ياسيدنا نطلب ونتضرع إلى صلاحك عن أمتك هذه التي حفظت ناموسك، وأكملت وصاياك، **واشتهت أن تدخل إلى موضع قدسك، وتسجد أمام هيكلك، مشتاقة إلى التناول من أسرارك المحيية**... بارك عبدتك وطهرها وحاللها من كل نجاسة غريبة من طهرك، ولتستحق شركة أسرارك المقدسة بغير وقوع في دينونة».

وبعد قراءة التحليل والبركة يدهن الكاهن المرأة بالزيت وتدخل إلى البيعة وتنال من الأسرار المقدسة (٣).

---

(١) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة ـ للعلامة يوحنا بن زكريا الشهير بابن السباع صفحة ٥٠.

(٢) قانون الكنيسة القبطية أي كتاب الخلاصة القانونية في الأحوال الشخصية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين ـ للايغومينوس فيلوثاؤس ابراهيم، الفصل الأول، المسألة العشرون، طبعة ١٩٣٣ صفحة ٢٧ـ المتن، والحاشية صفحة ٢٨.

(٣) كتاب المعمودية المقدسة المستخدم في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

ونفس المعنى تؤكد عليه مصادرنا الكنسية الأخرى (١).

ويقول الأنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج فى كتاب «الطب الروحانى».

«وأما الشريعة الحديثة فإن الآباء يقولون فى المحارم: «ولله على جميع النساء المؤمنات النصرانيات **الامتناع عن دخول الكنيسة وهن حائضات**. وعليهن الامتناع عن أخذ القربان وهن فى علة الطمث حتى تنقضى عدة أيامهن. **إلا أنهن لا يتركن التسبيح فى بيوتهن وذكر الله وإن كن حائضات**» الجزء الأول، الباب العاشر، الفصل الأول «فى حالة الطمث».

ويبدو أن مار إسطفان الدويهى قد اقتبس من هذا القانون قوله «**وهكذا حرم الله أيضاً على النساء دخول الكنيسة وهن حائضات**، وأوجب عليهن الامتناع عن القربان فى حالة الطمث إلى أن تنقضى عدة أيامهن. لكن لا ينبغى أن يتركن التسبيح فى بيوتهن ولو كن حائضات، لئلا يميلهن العدو لطريق الباطل» (منارة الأقداس لمار إسطفان الدويهى الجزء الأول طبعة ١٨٩٥ صفحة ٢٧٤).

وورد فى القوانين التى وضعها المجمع الإكليريكى العام المقدس فى عهد البابا كيرلس الثالث سنة ١٩٥٥ للشهداء.

---

(١) جاء فى القانون الثانى من قوانين البابا ديونيسيوس المعترف، البابا الرابع عشر من بطاركة الكرسى المرقسى (٢٤٦- ٢٦٤)م: «فى ما يتعلق بالنساء الحائضات، فيما إذا كان يجب أن يدخلوا بيت الله مادمن فى تلك الحالة، أظن أنه ليس من الضرورى حتى أن يطرح هذا السؤال. فإنى أعتقد أنهن أنفسهن، إذا كن مؤمنات وتقيات لا يجرؤن حينما يكن فى هذه الحالة، على أن يقترين من المائدة المقدسة أو يلمسن جسد المسيح ودمه. لأنه حتى المرأة نازفة الدم لإثنى عشر عاماً لم تلمسه فعلا لكى تشفى، ولكنها لمست فقط هدب ثوبه. ليس ثمة إعتراض على أن يصلى الواحد، مهما يكن من أمره، أو على أن يذكر الرب فى أى وقت وفى أية حال، ويلتمس أن يجد عوناً، ولكن إذا لم يكن طاهراً كله فى النفس والجسد، يجب أن يمنع من أن يتقدم إلى أقداس الأقداس».

عن كتاب :

The RUDDER of The Orthodox Christians or all the Sacred and Divine Canons - by D. Cummings, 1957, p. 718.

ويقول البابا ديونيسيوس أيضاً:

«إن على الكاهن أن يمنع من دخول الكنيسة المرأة الواجب عليها أن تطهر» (كتاب «الكنز الثمين لراعى الكنيسة الأمين»، أو تلخيص الحقوق الكنسية فى واجبات راعى الكنيسة، تأليف بطرس نتشايف الروسى طبعة ١٩٠٧ صفحة ١٣٧).

«ويحرم دخول الحائضات إلى الكنائس فى وقت حيضهن» (الفصل الثالث) انظر كتاب المجموع الصفوى لابن العسال ـ الملحق.

وعند إنقضاء مدة النفاس تدخل المرأة الكنيسة، ويتلو الكاهن على رأسها التحليل الخاص بذلك حتى يصير مباحا لها الدخول إلى المواضع المقدسة.

فتأخير عماد الطفل فى الأحوال العادية إلى تمام الأربعين لميلاده إذا كان ذكراً أو إلى إتمام الثمانين لميلاده إذا كان أنثى، ليس بسبب الطفل نفسه، ولكن بسبب أمه التى لا يباح لها الدخول إلى الكنيسة قبل تمام مدة نفاسها.

أما الطفل نفسه فيمكن دخوله إلى الكنيسة وتعميده ولو فى يوم ميلاده إذا اقتضى الأمر ذلك، أى إذا كان فى خطر الموت. وفى هذه الحالة يحمله أحد أقربائه الآخرين غير أمه إلى الكنيسة.

«ورد فى بعض القوانين أن المولود إذا خيف عليه من الموت قبل طهر أمه من دم نفاسها فليدخل الكنيسة مع غيرها ويعمد».

٢ ـ على أن هناك خطأ آخر يترتب على تأخير تعميد الأطفال إلى يوم أحد التناصير. وذلك هو إرهاق الكهنة بالعدد الضخم من مئات الأطفال مما يتسبب عنه أحياناً عدم التدقيق فى أداء طقوس التعميد، وإهمال مسح الطفل بالميرون فى ٣٦ موضعاً من جسمه، وهى مجموعة حواسه وأعضائه ومفاصله، علماً بأن الحكمة فى مسح الطفل بالميرون هى منع الشيطان الذى سحق فى مياه المعمودية من أن يعود ليدخل الطفل من جديد، وذلك بتحصين أعضائه وحواسه ومفاصله ـ وهى منافذ الشيطان ومداخله ومخارجه ـ وختمها بالأختام الملكية، مسحة الروح القدس، بالميرون وهو السر الثانى من أسرار الكنيسة السبعة الذى يمنح بعد المعمودية مباشرة.

فقد يحدث ـ وكثيراً ما يحدث خصوصاً فى التعميد فى الأيام الكبيرة مثل أحد التناصير ـ أن يهمل بعض الكهنة مسح أعضاء الطفل ومفاصله وحواسه بالميرون فى ٣٦ موضعاً، إكتفاء بالميرون الذى صبه الكاهن فى جرن المعمودية، مع أن الميرون الذى يصب فى جرن المعمودية هو لتدشين مياه المعمودية. أما بعد خروج الطفل من جرن المعمودية، فيجب أن تمسح أعضاؤه بالميرون حتى تتقدس أعضاء الطفل وحواسه ومفاصله، وتتدشن، وتمتلىء بنعمة الروح القدس، وتتحصن ضد محاولة الشيطان غزو الطفل مرة أخرى، والدخول إلى جسده من جديد.

لذلك صرنا نسمع مع الأسف عن مسيحى أو مسيحية به، أو بها، شيطان، الأمر الذى يدعونا إلى الشك فى أن هذا المسيحى أو المسيحية قد مسح بالميرون، بعد العماد مباشرة، فى أعضائه ومفاصله، تحصيناً له ضد الشيطان الذى لا يستطيع أن يقترب إلى موضع مسحة الميرون المقدس، لأنه مسحة الروح القدس.

٥٤ ـ المسيح وحده حبل به بغير دنس الخطيئة

المسيح وحده هو الذى حبل به بغير دنس الخطيئة الأصلية.

من هنا يتضح لنا لماذا لاتقبل كنيستنا الأرثوذكسية تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى أن العذراء مريم حبل بها بغير دنس الخطيئة الأصلية.

لقد أصدر البابا الرومانى بيوس التاسع فى ٨ ديسمبر ١٨٥٤ براءة أو منشوراً باباويا حدد فيه عقيدة الحبل بلا دنس عند الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قال فيه:

«إن مريم العذراء الكلية القداسة، وجدت منذ اللحظة الأولى للحبل بها مصونة ومنزهة من كل دنس الخطيئة الأصلية. وذلك بنعمة وامتياز خصها بهما الله الكلى القدرة، وبفضل استحقاقات يسوع المسيح مخلص الجنس البشرى» (١).

إن كنيستنا الأرثوذكسية لاتقبل القول بأن العذراء مريم حبل بها من غير دنس الخطيئة الأصلية.

أولا ـ لأنه تعليم ليس له أساس متين من الكتب المقدسة، ولا سند قوى من التقليد المقدس، ولا من أقوال آباء الكنيسة المعلمين المعتبرين فى الكنيسة أنهم أعمدة. **إنه لم يرد فى الكتب المقدسة لا صراحة ولا تضمينا. ولم يرد فى التقليد المقدس، ولا قال به آباء الكنيسة ومعلموها الأولون، بل أن بعضاً من مشاهير رجال الكنيسة الغربية وقديسيها رفضوه وقاوموه**، ومنهم القديس برنارد St. BERNARD ، واليكسندر الهالى ALEXANDER OF HALES والقديس ألبرت St. ALBERT والقديس بونا فنتورا St. BONAVENTURE والقديس توما الأكوينى St.THOMAS AQUINAS **وغيرهم.. وقالوا أن فى كل حبل طبيعى ينتقل دنس الخطيئة الأصلية، وحيث**

---

(1) BULL OF DEFINTION "INEFFABILIS DEUS"J. B. JAGGAR, THE IMMACULATE CONCEPTION, London 1951, . FATHER JAMES, THE DOCTRINE OF THE IMMACULATE CONCEPTION, Dublin, 1948.
THE OXFORD DICTIONARY OF THE CHRISTIAN FAITH Edited by F. L. CROSS London, 1963, P. 680 (b), 681(A).

أن مريم قد حبل بها بالطريق الطبيعى، فمريم إذن لم تعف، ولم تستثن، من هذا القانون.

ثانياً- إن هذا التعليم يفتح سبيلا للخلاص من غير عمل الفداء الذى قام به المسيح وحده باعتباره المخلص الوحيد. ولو كان من الممكن أن تخلص العذراء مريم من غير موت المسيح الكفارى، لم يعد موت المسيح إذن ضرورياً.

ثالثاً- ثم إن هذا التعليم يجعل تجسد المسيح غير ضرورى، ومن غير مبرر كاف. لأنه من المعروف أن كلمة الله قد تجسد من أجل إتمام عمل الفداء والخلاص.

رابعاً- لو أمكن استثناء القديسة مريم العذراء من لوثة الخطيئة الأصلية لكان موت المسيح عملا لا داعى له، ولأمست حكمة الفداء حماقة.

خامساً- ولو كانت العذراء حبل بها بغير دنس الخطيئة الأصلية لكان معنى هذا أن العذراء ولدت كالمسيح من غير زرع بشر. ولم تولد حسب الطبيعة من أب وأم. وهذا يجرنا إلى سلسلة من أخطاء، لأنه يصير معنى ذلك أن العذراء حبلت بها أمها بالروح القدس، وليس بقانون التوالد الطبيعى، وتصير بذلك كالمسيح تماماً.

سادساً- ومادام الاستثناء ممكناً بقدرة الله، وبغض النظر عن تعارض هذا الاستثناء مع عدل الله الذى يتطلب خلاص الإنسان بنفاذ حكم العدل فيه، فيكون من الممكن أن يخلص- بالاستثناء نفسه- أبونا ابراهيم الذى كان خليل الله، كما يمكن أن يخلص غير إبراهيم من قديسى العهد القديم كموسى وصموئيل وداود وغيرهم من أعاظم القديسين، والحال إن هؤلاء جميعاً لم يستطيعوا بعد موتهم أن يدخلوا إلى الفردوس إلا بعد أن فتحه المسيح بصلبه وموته، فمضوا جميعاً إلى الجحيم، وظلوا فيه منتظرين (١) فداء المسيح حتى تممه بصلبه، وعند ذاك مضى إليهم بنفسه، ونزل إلى الجحيم (٢). إلى أقسام الأرض السفلى (٣) «الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون فى أرض الموت وظلاله أشرق عليهم نور (٤)»، ثم أخرج من هناك «أسرى الرجاء» من الجب الذى ليس فيه ماء، (٥) ثم سباهم إلى الفردوس، ومن غيره لم يكن لأحد من بنى آدم أن يعود إلى الفردوس (٦) بعد أن طردوه منه (٧).

---

(١) لوقا (٢: ٣٨، ٢٥)، (١: ٦٨).
(٢) ١. بطرس (٣: ١٨، ١٩)، (٤: ٦).
(٣) أفسس ٤: ٩.
(٤) (متى ٤: ١٦)، (إشعياء ٩: ٢)، (٤٢: ٧).
(٥) زكريا ٩: ١١، ١٢.
(٦) لوقا ٢٣: ٤٣.
(٧) التكوين ٣: ٢٣، ٢٤.

سابعاً - إن تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بأن العذراء حبل بها بغير دنس الخطيئة الأصلية، تعليم مدمر لحقيقة الفداء، وهادم لقضية الخلاص بالمسيح وحده، وهو تعليم يتعارض تعارضاً أساسياً وجوهرياً مع الحقائق المسيحية الأولية والجوهرية القائم عليها كل كيان المسيحية، وكل صرح الخلاص.

وإذا كان تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يستند إلى عبارة رددتها الفتاة الصغيرة برناديت BERNADETTE التى روت أن القديسة مريم العذراء ظهرت لها فى مدينة لورد LOURDESبفرنسا فى٢٥ من مارس (آذار) سنة ١٨٥٨ وعرفتها بنفسها بقولها «أنا الحبل بلا دنس» (١) فإن العبارة بعينها كما جاءت فى المصادر الرومانية الكاثوليكية، لا تفيد أن العذراء حبل بها بغير دنس الخطيئة.. أى أن العذراء مريم لم تقل لبرناديت «أنا التى حبل بها بلا دنس» ولكنها قالت لها: «أنا الحبل بلا دنس JE SUIS L'IMMACULEE CONCEPTION أعنى «**أنا التى حبلت بالمسيح بلا دنس، وإذن فالمسيح، وليس العذراء مريم، هو الذى حبل به بلا دنس، لأنه ولد من العذراء من غير زرع بشر، فلم تصل إليه لوثة الخطيئة الأصلية التى تنتقل بالوراثة عن طريق اجتماع الأب والأم».**

وحيث أن الكتاب المقدس قد أبان بوضوح أنه «كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من روح القدس»، فقد كشف الوحى الإلهى بهذا سر **ولادة المسيح من عذراء لم يمسسها بشر، حتى لا يرث المسيح يسوع منها وصمة الخطيئة الجدية، فيولد بغير خطيئة، وهو مايؤهله دون غيره، لأن يكون هو وحده الفادى، ووحده المخلص.**

---

(١) كتاب «سيدة لورد» تأليف هنرى لاسر، بيروت سنة ١٩٣٥م ، صفحة ١٣١ – ١٣٦.

٥٥ ـ إنتشار الخطيئة الأصلية

إن إنتشار الخطيئة الأصلية فى الجنس البشرى حقيقة من حقائق ديانتنا التى سجلتها كتبنا المقدسة المسطورة بالوحى الإلهى. وبسبب هذا الانتشار صار جميع الناس أمام الله، خطاة «فسدوا ورجسوا بأفعالهم، ليس من يعمل صلاحاً، الكل قد زاغوا معا، فسدوا، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (١) ، «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (٢) . ومن ثم كانت الحاجة إلى الفادى الذى يتم به وفيه خلاص الناس جميعاً... وكما انتشرت وصمة الإثم من آدم الأول إلى جميع جنسه، وأمسى كل بشر وارثا لتلك الوصمة عن طريق الميلاد من أبويه، هكذا وبفضل النعمة ينتشر بر المسيح الفادى واستحقاقات دمه الخلاصية، إلى جميع الناس عن طريق الميلاد الثانى أى المعمودية... وفى هذا يتجلى عدل الله ورحمته.

يقول الوحى الإلهى «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا فيه» (٣) .

ويقول أيضاً «لأنه إن كان بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون فى الحياة بالواحد، يسوع المسيح. فإذن كما بخطيئة واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة» (٤) .

وإذن فانتشار الخطيئة الأصلية من آدم إلى الجنس البشرى كله عقيدة من عقائدنا، وقاعدة من قواعد ديانتنا، انبنى عليها عمل الفداء والخلاص، وهو جوهر رسالة المسيح فى مجيئه إلى العالم.

لقد ولدنا جميعاً من آدم بعد سقوطه بالخطيئة، فكان طبيعياً ـ طبقاً لقانون الوراثة ـ أننا نرث بالتوالد حالة آدم أبينا بعد الخطيئة... هذا هو سر تلوث الجنس البشرى بالخطيئة الأصلية.

وعلى الرغم من أننا بالفداء، أى بموت المسيح ـ وباستحقاقاته الكفارية التى ننالها بالروح القدس فى جرن المعمودية ـ ترفع عنا عقوبة الخطيئة الأصلية، لكن الفداء لم يهدم القانون الطبيعى، قانون الوراثة، فطالما كان توالد بالتزاوج، كان هناك انتشار للوثة الخطيئة الأصلية، وهذه اللوثة ترتفع عقوبتها من جديد بالمعمودية.

---

(١) مزمور (١٣: ١-٣)، (٥٢: ١-٣).
(٢) رومية ٣: ٢٣.
(٣) رومية ٥: ١٢.
(٤) رومية ٥: ١٧، ١٨.

ضرورة معمودية الأطفال للخلاص

وهذا هو السبب فى حاجة كل طفل إلى المعمودية لتطهيره من لوثة الخطيئة الأصلية، ولرفع عقوبتها الأبدية عنه، حتى يقدر أن يدخل ملكوت السماوات وأن يعاينه. ومن دون المعمودية لكل طفل لا يقدر أن يعاين ملكوت الله أو يدخله.

جاء فى قانون رقم ١٢١ من قوانين مجمع قرطاجنة المنعقد فى سنة ٤١٨/ ٤١٩ لميلاد المسيح:

«يسر المجمع أن يقضى **بأن كل من يرفض أن يمنح العماد للأطفال الصغار، المولودين حديثاً من أرحام أمهاتهم، أو يزعم أنهم يعمدون لمغفرة الخطايا ولكنهم لا يرثون الخطيئة الأصلية من آدم وهى التى يلزم أن يتطهروا منها بحميم الميلاد الجديد** (ومن ثم يترتب عليه أن يعتبر رسم المعمودية لمغفرة الخطايا، بالنسبة لهؤلاء الأطفال، ليس حقيقياً، بل مصطنعاً) فليكن محروما، لأنه ليس هناك معنى آخر لما قاله الرسول، أعنى «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم» (رومية ٥: ١٢).

وهكذا انتشرت الخطيئة فى جميع الناس. وعلى ذلك، فجميعهم قد أخطأوا، ولذلك يجب علينا أن لا نفهم هذا النص بمعنى آخر إلا كما فهمته دائماً الكنيسة الجامعة الممتدة والمنتشرة فى كل مكان. فبمقتضى هذا القانون للإيمان يصير الأطفال الصغار الذين لا يمكنهم أن يرتكبوا بذواتهم خطيئة ما من الخطايا، يعتمدون لمغفرة الخطايا، **حتى إن كل خطيئة ورثوها بالميلاد الأول يتطهرون منها بفعل الميلاد الجديد»** (١).

---

(1) The RUDDER OF THE ORTHODOX CHRISTIANS OR ALL THE SACRED AND DIVINE CANONS, by D. CUMMING, Chicage, 1957 p. 688.

٥٦ ـ لماذا إنجيل المولود أعمى فى أحد التناصير

إن الكنيسة تريد أن تعلمنا من خلال هذه المعجزة التى جرت للمولود أعمى، **عن أهمية المعمودية وضرورتها للخلاص**. فالمولود أعمى ما كان يبصر لو لم يطع أمر المسيح له المجد، ويغتسل فى بركة سلوام. فكان الإغتسال فى بركة سلوام ضرورياً لخلاصه من العمى ، **الذى مثاله يخلصنا نحن الآن، أى المعمودية**، لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح» (١).

كما تريد الكنيسة أن تعلمنا من خلال هذه المعجزة عن **فعاليات سر المعمودية الباطنية** فى البصيرة الداخلية، وأن بالمعمودية غسلا (٢) للخطيئة الأصلية الجدية، وللخطايا الفعلية إذا وجدت قبل المعمودية، وأن بها تطهيراً للنفس، وغفراناً لخطاياها، ورفعاً للعقوبة الأبدية، وإعفاء من الدينونة (٣) العظيمة التى كان محكوماً بها على الجنس البشرى الذى ورث خطيئة آدم الأول، بالخلفة والتوالد.

وكما أن المولود أعمى، عندما انفتحت عيناه نفذ النور إلى عينيه، فانفتح أمامه عالم جديد كان مغلقاً عليه، هكذا الذين يقبلون سر العماد ينفذ نور المسيح إلى أرواحهم، وينفتح أمامهم عالم روحانى جديد كان مغلقاً أمام عيونهم. قال الرب يسوع المسيح «أتيت أنا دينونة للعالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون» (٤). وقال أيضاً «أنا نور العالم» (٥) وقال «أنا قد جئت نوراً للعالم» (٦) ووصفه الإنجيل بأنه «النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان» (٧).

ثم إنهم يدخلون بالنور الجديد إلى ملكوت السماوات بمعنييه القريب والبعيد...

---

(١) ١. بطرس ٣: ٢١.
(٢) قال حنانيا أحد السبعين لشاول الذى هو بولس: «قم واعتمد واغسل خطاياك» (أعمال الرسل ٢٢: ١٦)، (١. كورنثوس ٦: ١١).
(٣) «إذن لاشيء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح» (رومية ٨: ١).
(٤) يوحنا ٩: ٣٩.
(٥) يوحنا ٩: ٥.
(٦) يوحنا ١٢: ٤٦.
(٧) يوحنا ١: ٩.

وملكوت السمـاوات بمعناه القريب هو الكنيسة (٨) لأن الكنيسـة هى مملكة المسيح على الأرض، بتعاليمها وأسرارها وأمجادها وإمتيازاتها الروحية.

وملكوت السمـاوات بالمعنى البعيـد هو ملكوت الله النهائى، والمقـر الأبدى يدخله الأبرار والصديقون ميراثاً لهم مع الآب السماوى عندما يقول الملك الديان، لهم فى يوم الحساب العظيم «تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم» (٩).

٥٧ ـ لا داعى لإعادة تعميد الزوجات اللواتى سبق إنضمامهن للكنيسة الأرثوذكسية (١)

الأب المحترم القمص ....

سلام ومحبة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

علمتُ من السيد الدكتور .... أن قدسكم تريد أن تعرف رأينا الكنسى فيما يتصل **بالزيجات التسع** التى تمت منذ وقت طويل فى قرية .... الرجل أرثوذكسى والمرأة كانت كاثوليكية ـ وقد تم الزواج الكنسى فى الكنيسة الأرثوذكسية، ومارست الزوجات بعد زواجهن كافة المراسم والأسرار الكنسية، وعلى رأسها سر التناول فى الكنيسة الأرثوذكسية منذ تاريخ الزواج وإلى الآن.

نقول، طالما أن هذه الزيجات التسع قد تمت فى زمن قديم، **وقد انضمت الكاثوليكيات إلى الكنيسة الأرثوذكسية وتمت مراسم سر الزيجة فى الكنيسة الأرثوذكسية**، وفى كل تلك المدة تقدمن إلى الأسرار المقدسة فى الكنيسة الأرثوذكسية، **فلا داعى بعد ذلك كله إلى إعادة تعميدهن.**

أولاً ـ لأنهن قد انضممن بالفعل إلى الكنيسة الأرثوذكسية من زمن.

وثانياً ـ لأنهن قد مارسن سر التناول وهو سر الأسرار، مراراً فى الكنيسة الأرثوذكسية، وبالتالى سائر الأسرار والطقوس الأخرى ـ ومنها سر التوبة والاعتراف.

على أننا نطلب الآن من كل كاثوليكى أو كاثوليكية إذا أراد أن يتزوج من قرين أرثوذكسى أن ينضم أولاً قبل الزواج إلى الكنيسة الأرثوذكسية حتى يباشر عقد الزواج بين رجل وامرأة أرثوذكسيين. **وضماناً لصحة الإنضمام نطلب إعادة المعمودية على قانون الإيمان الأرثوذكسى** بالنسبة للطرف غير الأرثوذكسى ـ **ثم تجنبا لتطبيق الشريعة الإسلامية فى حالة حدوث خلاف بين الزوجين**، بسبب اختلاف الملة.

وعلى ذلك نرى أنه لا داعى لإعادة تعميد الزوجات اللواتى سبق إنضمامهن إلى الكنيسة الأرثوذكسية. وتم بالفعل زواجهن فى الكنيسة الأرثوذكسية، ومارسن فعلاً أسرار الكنيسة وعلى رأسها سر الأسرار، وهو سر التناول، **خصوصا وأن أسرار الكنيسة لا تمنح قهراً أو على الرغم من اقتناع قابلها والمتقدم لها.**

ونعمة الرب تشملنا جميعاً ـ ولعظمته تعالى الشكر دائما،....

---

(١) كتب فى ٢٨ من مارس ١٩٨٧م ـ ١٩ من برمهات ١٧٠٣ش.

٥٨ ـ عماد أطفال غير المؤمنين

سؤال : على أساس عدم أهمية الإيمان للأطفال هل يجوز عماد أطفال غير المؤمنين؟

الجواب : ـ

عماد الأطفال غير المؤمنين ممكن، لو كان لنا ضمان بأن يكون هؤلاء الأطفال فى رعاية مسيحية. وهنا على الخصوص تبدو أهمية الإشبين الذى يتعهد أمام الكنيسة بتربية الطفل تربية مسيحية. أما من جهة عمل الروح القدس، فالروح القدس يمكن أن يعمل فى الطفل المولود من أبوين غير مسيحيين كما يعمل فى الطفل المولود من أبوين مسيحيين، سواء بسواء.

وهنا لا يفوتنى أن أنوه إلى أنّ بعض الوالدين غير المسيحيين يعمدون أحياناً أطفالهم من أجل أن يعيشوا، فهم لا يعمدونهم لكى يعيشوا مسيحيين، إنما يعمدونهم فقط لكى لا يموتوا، ولكنهم ينشئونهم تنشئة غير مسيحية. هذا خطأ كبير ويجب منع هذه الظاهرة، لأننا فى هذه الحالة نعطى الأسرار لغير مستحقيها، وهذا خطأ عظيم.

٥٩ ـ هل نال تلاميذ المسيح المعمودية ؟ (١)

سؤال: من الابن ميشيل عزمى جاد الرب ـ محرم بك ـ الأسكندرية.

يقول: هل اعتمد تلاميذ المسيح؟، وإن لم يعتمدوا فهل يتفق هذا مع قول المسيح له المجد لنيقوديموس: (الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح، لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله...) (يوحنا ٣ : ٥) وهل اعتمد تلاميذ المسيح قبل صلب المسيح أم بعده ؟

أرجو الإفادة بآيات الكتاب المقدس التى تشهد بذلك.

الجواب : ـ

نعم، إن تلاميذ المسيح اعتمدوا بالماء والروح.

إنهم أولاً اعتمدوا بالماء...

اعتمدوا أولاً بمعمودية يوحنا المعمدان لأنهم كانوا تلاميذ يوحنا قبل أن يصبحوا تلاميذ المسيح.

ولقد جاء فى الكتاب المقدس (ظهر يوحنا المعمدان فى البرية، وكان يبشر بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، **فخرج إليه جميع أهل بلاد اليهودية وأورشليم، ونالوا منه المعمودية** فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم) (مرقس ١ : ٤، ٥) (فلم يلبث أن خرج إليه **أهل أورشليم وكل اليهودية وكل الأرجاء المحيطة بالأردن، ونالوا منه المعمودية فى** نهر الأردن معترفين بخطاياهم) (متى ٣ : ٥، ٦) (كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية، وقد جاء **إلى كل نواحى الأردن، يدعو إلى معمودية التوبة لمغفرة الخطايا)** (لوقا ٣ : ٢، ٣).

قلنا إن تلاميذ المسيح له المجد قد نالوا المعمودية بالماء على يد يوحنا المعمدان، فقد تتلمذوا على يوحنا قبل أن يختارهم المسيح له المجد، فقد كانت هذه هى مهمة يوحنا المعمدان التى أرسل من أجلها أى لكى يعد الطريق أمام سيده المسيح له المجد.

على أن تلاميذ المسيح له المجد، نالوا أيضاً المعمودية من المسيح له المجد فقد جاء فى الإنجيل (وبعد ذلك جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، **ومكث هناك معهم يعمد)** (يوحنا ٣ : ٢٢).

ويقول الإنجيل أيضاً (ولما علم الرب يسوع أن الفريسيين سمعوا أنه اتخذ تلاميذ كثيرين، **وأنه يعمد أكثر من يوحنا)**. (يوحنا ٤ : ١، ٢) ثم يقول (فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له:

---

(١) كتب فى ٣٠ من أبريل ١٩٩٢م ـ ٢٢ من برموده ١٧٠٨ش.

(يامعلم، إن الذى كان معك فى عبر الأردن، ذلك الذى شهدت له، **هوذا يعمد، والجميع يقبلون إليه**) (يوحنا ٤ : ٢٦).

وإذن **فتلاميذ المسيح تعمدوا ثم صاروا هم أنفسهم يعمدون بتكليف وأمر من سيدهم**، وصار عدد الذين عمدهم تلاميذ المسيح أكثر ممن عمدهم يوحنا المعمدان.

ولابد أن **معمودية المسيح كانت أقوى وأعظم فعالية من معمودية يوحنا** لأنه كما قال يوحنا المعمدان (أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، أما الذى يأتى بعدى، فهو أقوى منى، وأنا لست مستحقاً أن أحمل حذاءه. **إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار**) (متى ٣ : ١١).

على أن تلاميذ المسيح له المجد تعمدوا بعد ذلك بالروح القدس، فقد حل عليهم الروح القدس فى يوم الخمسين.

جاء فى سفر أعمال الرسل: (أصدر (يسوع) أوامره بالروح القدس إلى الرسل الذين اختارهم، والذين أيضاً بعد أن تألم، أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة واضحة. وقد ظل أربعين يوماً يظهر لهم، ويكلمهم عن ملكوت الله. وفيما هو يأكل معهم أوصاهم بألا يبرحوا أورشليم قائلاً: انتظروا موعد الآب الذى سبق أن سمعتموه منى. فإن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستعمدون بروح القدس بعد أيام غير كثيرة) (أعمال الرسل ١ : ٢ – ٥).

وقد تم هذا التعميد لتلاميذ المسيح بروح القدس فى يوم الخمسين لقيامة المسيح له المجد (فامتلأوا جميعاً من روح القدس، وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام) (أعمال ٢ : ٤).

وقد ردد القديس بطرس القول عن هذه الحقيقة فى بيت كورنيليوس (قال: (الرب) إن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فتتعمدون بروح القدس) (أعمال الرسل ١١ : ١٦)، (إشعياء ٤٤ : ٣)، (يوئيل ٢ : ٢٨)، (٣ : ١٨)، (يوحنا ٧ : ٣٩)، (١٦ : ٧، ١٣)، (أعمال ٢ : ١٧، ٣٣، ٣٨)، (رومية ٨ : ٢)، (يوحنا ١٤ : ١٦، ٢٦)، (١٥ : ٢٦)، (أفسس ٤ : ٨)، (لوقا ٢٤ : ٤٩).

والخلاصة **إن تلاميذ المسيح تعمدوا بالماء قبل صلب المسيح، تعمدوا بمعمودية يوحنا المعمدان ثم بمعمودية المسيح.**

ثم تعمدوا بروح القدس بعد صلب المسيح له المجد وبعد قيامته المجيدة، **وذلك فى يوم الخمسين.**

أنظر أيضاً (أعمال الرسل ١٩ : ٣ – ٥).

وبذلك تحقق لهم وفيهم قول المسيح له المجد (الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح، لايمكنه أن يدخل ملكوت الله) (يوحنا ٣ : ٥).

٦٠ ـ الإنضمام للكنيسة لا يكون إلاّ بالعماد

الأب الموقر القمص: ....

تسألنى عن تلك السيدة الكاثوليكية التى تزوجت بقبطى أرثوذكسي وهي تتناول من الأسرار المقدسة فى الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية ـ وكانت قد انضمت إلى الكنيسة الأرثوذكسية ـ بطلب رسمي... فأقول إن طلب الإنضمام لا قيمة له إلا إذا نالت العماد كاملاً فى الكنيسة الأرثوذكسية... ولقد رأيت فى قصة هذا الإنضمام دليلاً جديداً يؤيد ما شرحناه فى مؤتمر المحادثات الرسمية بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنيسة القبطية الذى انعقد للمرة الرابعة فى القاهرة فى مارس الماضى، وقد أثير فيه موضوع إعادة معمودية الكاثوليك الذين ينضمون للكنيسة القبطية، قلت إننا إذ نطلب فى كنيستنا إعادة المعمودية، فليس هذا إحتقاراً منا للمعمودية الكاثوليكية ولكنها البرهان عندنا على صحة الإنضمام إلى الكنيسة الأُرثوذكسية، وبدونها يكون الإنضمام إجراء شكلياً، ويمكن أن يكون مؤقتاً فيعود المنضم إلى كنيسته الأولى...إنما البرهان على أن الإنضمام كان إنضماماً عن إيمان حقيقى وصادق بالحق الأرثوذكسى، هو الاقبال على إعادة المعمودية فى الكنيسة الأرثوذكسية ـ على ما فيه من تضحية نفسية ـ ثم أنه لما كانت المعمودية قائمة على إيمان بحقائق الإيمان الأرثوذكسى فيكون إعادة المعمودية هى العماد على أساس إيمانى مختلف عن عقائد الكنيسة الكاثوليكية ـ وثالثاً ـ إننا مضطرون إلى ذلك، لهدف رعوى، وذلك حتى لا نفتح الثغرة، بتطبيق الشريعة الإسلامية، لإختلاف الملة ـ فإعادة المعمودية هى البرهان الحاسم على أن إيمان الزوجين وكنيسة الزوجية واحدة، فلا سبيل إلى الشريعة الإسلامية، بل ستكون شريعة العقد هى شريعة الفصل فى الخصومة بينهما.

علماً بأن الزوجات الألمانيات الكاثوليكيات والبروتستانتيات، قد أجريت لهن فى ألمانيا المعمودية من جديد على هذا الأساس وقد تضايقن فى مبدأ الأمر ثم اقتنعن أخيراً، وساد مبدأ إعادة التعميد وليس يعفى من التعميد أن بعض الكهنة ناولها من الأسرار المقدسة فالمعمودية هى الباب الأول وبعده سائر الأسرار.

على أننى أرجو أن يكون هذا بالاقتناع والاقناع وليس بالقوة، لئلا يسبب لك هذا الأمر متاعب، ويمكنك عند اللزوم الاعتماد على تصريح رسمى من قداسة البابا... هذا مع العلم أن البابا شنوده يأمر بإعادة معمودية الكاثوليك وبالتالى البروتستانت.

٦١ ـ صيغة الإيمان الذى يتم على أساسه العماد

الابن العزيز السيد عبده ربه اسطاسى ميخائيل ـ الخرطوم.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم موفور الصحة.

ردا على خطابكم بتاريخ ١٥/ ١٠/١٩٩٣ بخصوص ابنكم السيد نبيل الذى تعمد فى طفولته بالرش بالكنيسة الكاثوليكية، ثم انضممتم إلى الكنيسة الأرثوذكسية بإرشاد نيافة الحبر جزيل الاحترام الأنبا دانيال مطران الخرطوم والجنوب وأوغندا.

وتسألون فى خطابكم إذا كان من الضرورى عماد ابنكم السيد نبيل الذى يبلغ الآن أكثر من أربعين سنة فى الكنيسة الأرثوذكسية، نقول إن الكنيسة الأرثوذكسية تتطلب لصحة الإنضمام، التعميد فى الكنيسة الأرثوذكسية حسب الطقس الأرثوذكسى، وعلى صيغة الإيمان الأرثوذكسى **«نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق فى الأنبياء»**، فإن الكنيسة الكاثوليكية فى القرن الحادى عشر، أضافت إلى صيغة الإيمان على قانون الإيمان الذى وضعه آباء مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م وأكمله مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٨١م، شيئاً جديداً، وهو «انبثاق الروح القدس من **الآب والابن**». ولقد خلقت إضافة **(والابن)** إلى صيغة الإيمان، مشكلة لاهوتية كبيرة، انسلخت بسببها ١٥ كنيسة من وحدتها مع كنيسة روما الكاثوليكية، وهو الانقسام الكبير فى تاريخ المسيحية فى القرن الحادى عشر، وقد عقد (فوتيوس) البطريرك المسكونى فى القسطنطينية آنذاك مجمعاً عاماً، وأصدر المجمع قراراً بحرم الإضافة الكاثوليكية التى عرفت باسم Filio Que وهو الصيغة اللاتينية ويقابلها بالعربية **(والابن)**. وخطورة هذه الإضافة أن الكنيسة الكاثوليكية خلطت فعل الانبثاق من الآب وهو فعل أزلى، بإرسال موهبة روح القدس فى يوم الخمسين، وهو فعل زمنى ـ وهو أمر خطير من الناحية اللاهوتية، ولخطورته تسبب عنه انسلاخ خمس عشرة كنيسة عن وحدتها مع كنيسة روما الكاثوليكية، وهى هذه الكنائس المعروفة بالكنائس التى تتبع الطقس البيزنطى ومنها كنائس الروم الأرثوذكسى والروس، ورومانيا، وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا.. وغيرها بقيادة كنيسة القسطنطينية، والتى يرأسها البطريرك المسكونى.

لهذا فإن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تقر معمودية الكنائس البيزنطية، كنائس الأروام والروس ومن إليهم، ولا تتطلب عند الإنضمام إعادة المعمودية، لأن صيغة الإيمان التى يتم

على أساسها العماد واحدة فى جميع الكنائس الأرثوذكسية وهو التعبير المأخوذ من فم السيد المسيح له المجد «والروح القدس روح الحق **المنبثق من الآب** فهو يشهد لى» (يوحنا ٥ : ٢٦).

فالسبب الكبير الذى من أجله لا تقر الكنيسة الأرثوذكسية المعمودية الكاثوليكية هو «صيغة الإيمان» الذى يتم التعميد على أساسها «من آمن واعتمد خلص» (مرقس ١٦ : ١٦).

وعلى ذلك فرداً على سؤالكم فى خطابكم، يلزم لصحة الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية التعميد على الطقس الأرثوذكسى وصيغة الإيمان الأرثوذكسى حسب منطوق مجمع نيقية والقسطنطينية المسكونيين. وبهذا يحق التقدم لسر القربان للتناول من المائدة الربانية فى الكنيسة الأرثوذكسية.

ونعمة الرب تشملكم مع تحيات الإعزاز والحب لصاحب النيافة الحبر جزيل الإحترام الأنبا دانيال ـ وتمنياتنا لكم وللأسرة بالخير والبركة.

٦٢ ـ سر المعمودية وسر الميرون يطبعان فى النفس سمة لاتُمحى

المعمودية واحدة والتوبة هى المعمودية الثانية

سؤال: من ابن يصف نفسه بأنه خاطىء يطلب الغفران ـ من بلدة (الواسطى).

يقول نحن نعلم أن الروح القدس يحل فى الإنسان بالمعمودية ويتثبت بالميرون، فهل إذا أخطأ الإنسان خطيئة من أى نوع يفارقه الروح القدس ويتخلى عنه ثم يعود إليه مرة أخرى، وهكذا عند كل خطيئة يستمر الروح القدس فى مفارقة وعودة؟.. وإذا صح هذا فبأى وضع يعود، ونحن نعلم أن سر المعمودية لا يتكرر. أرجو التكرم بالإجابة على هذا السؤال الذى أقلق الجميع حيث اختلفت الردود عليه؟.

الجواب:

نحن نعلم من الكتاب المقدس ومن تعليم آباء الكنيسة الأرثوذكسية أن **الروح القدس واحد وله مواهب متعددة.**

«إن المواهب على أنواع مختلفة، لكن الروح واحد» (١ . كورنثوس ١٢ : ٤)، (رومية ١ : ١١)، (١٢ : ٦)، (١ . كورنثوس ١٤ : ١، ٣٧)، (العبرانيين ٢ : ٤)، (١ . بطرس ٤ : ١٠، ١١).

ففى المعمودية تحل (موهبة) الروح القدس بناء على صلوات الكهنة فى قداس المعمودية، **تحل على الماء**، وبهذا الحلول يتكهرب الماء **ويتحول من ماء على بسيط الحال إلى ماء نارى**. وهذا ما عبر عنه يوحنا المعمدان مبينا الفرق بين عمل معموديته وعمل المعمودية المسيحية «أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، أما الذى يأتى بعدى (المسيح له المجد) فهو أقوى منى، وأنا لست مستحقاً أن أحمل حذاءه. **إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار**» (متى ٣ : ١١)، (١ . كورنثوس ١٢ : ١٣).

وبعد خروج المعمد من جرن المعمودية، يدهن بالميرون، وهو المسحة المقدسة، وبهذا السر الثانى ينال المعمد موهبة أخرى من مواهب الروح القدس، فيحل عليه ويقدسه ويدشن أعضاءه فتصبح أعضاء المسيح، ويختم على أعضائه، وكل حواسه فتصير كل الأبواب والمنافذ محصنة بموهبة الروح القدس، حتى لا تقوى الشياطين والأرواح النجسة أن تدخل إلى جسده أو تنفذ إلى داخله، فيصير مدرعا بموهبة الروح القدس، وبالتالى مثبتا فى نعمة

البنوية الإلهية التى نالها بالمعمودية، ولذلك فإن سر الميرون أو المسحة المقدسة يسمى سر التثبيت فى نعمة الميلاد الثانى التى ينالها المؤمن فى المعمودية المسيحية.

على أن مواهب الروح القدس سواء فى المعمودية أو سر المسحة المقدسة **لاتعصم الإنسان من أن يقع فى الخطيئة إذا هو أراد**، لأن الحرية هى شرف الإنسان وكرامته الممنوحة له منذ الخلق، **فالإنسان كائن عاقل حر مريد ومسئول.**

فإذا تنبه الإنسان المعمد إلى خطيئته، وأراد التوبة فإنه يمكن أن يمارس التوبة.

وعناصر التوبة أربعة هى:

أولاً ـ الندم والانسحاق.

ثانيا ـ العزم الصادق على تجديد السيرة.

ثالثاً ـ الرجاء الذى لا يخيب فى الله.

رابعاً ـ الاعتراف لله على يد الكاهن.

فإذا كانت توبة المسيحى صادقة فإن الله يقبله حسب وعده الصادق «**ومن يقبل إلى لا ألقى به خارجاً**» (يوحنا ٦ : ٣٧). وقوله «إن خرافى أنا تسمع صوتى، وأنا أعرفها، فهى تتبعنى وأنا أيضاً أعطيها الحياة الأبدية، **فلا تهلك إلى الأبد**، ولا يقدر أحد أن يختطفها» (يوحنا ١٠ : ٢٨ ، ٢٩). ولما كان سر المعمودية وسر الميرون (المسحة المقدسة) وسر الكهنوت ـ هذه الأسرار الثلاثة المقدسة من مواهب الروح القدس تطبع فى النفس **سمة لا تمحى** (١ ـ بطرس ١ : ٢٣)، (١ ـ يوحنا ٣ : ٩) فإن الخطيئة إذا اقترفها المعمد لا تمحو السمة التى تطبعها المعمودية فى النفس ولذلك فإن المعمودية لا تعاد. وهذا هو المعنى من أن المعمودية واحدة (٣ : ٩). وكذلك المسحة المقدسة بالميرون «أما أنتم **فالمسحة التى نلتموها من الله ثابتة فيكم**» (١ ـ يوحنا ٢ : ٢٧)، (٣ : ٩).

فالمعمودية لا تعاد بالتوبة، لأن الخطيئة التى يرتكبها الإنسان المعمد بعد عماده لا تمحو السمة التى ينالها الإنسان بالمعمودية لأنها سمة لا تمحى، إلا أخيراً جداً وذلك إذا مات، بغير توبة. من هنا فإن التوبة تسمى فى المصطلح الكنسى هى المعمودية الثانية. لأن الخطيئة التى يرتكبها الإنسان بعد المعمودية لا تمحو السمة التى نالها بالمعمودية طالما هو حى ويمكن أن ترجى توبته، فإذا تاب فإنه يسترد مكانته ولا يحتاج إلى معمودية أخرى، ذلك أن

المعمودية نعمة وموهبة من مواهب الروح القدس التى بها ينال الميلاد الثانى، وهى الحلة الأولى (لوقا ١٥ : ٢٢) التى أمر بها الآب السماوى للابن الضال، فإذا اتسخت بالخطيئة فالتوبة الصادقة تكفى لغسل الحلة الأولى مما علق بها، فتردها إلى طهارتها ونظافتها ونصاعتها. من هنا فإن التوبة الصادقة هى **المعمودية الثانية**.

«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل فيغفر لنا خطايانا، ويطهرنا من كل إثم» (١ . يوحنا ١ : ٩).

«نحن نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطأ، بل المولود من الله يصون نفسه، فلا يمسه الشرير» (١ . يوحنا ٥ : ١٨).

٦٣ ـ الأطفال يعمدون لمغفرة الخطيئة

سؤال: من الابن ا. فؤاد الياس.

يقول فى سر المعمودية يتطهر الإنسان من الخطيئة الجدية التى لآدم وحواء، فكيف يرث الأبناء هذه الخطيئة من والديهم المعمدين، وقد نال الوالدان وهم أطفال الخلاص والتطهير من خطيئة آدم وحواء، أى كيف يعطوا لأبنائهم خطيئة لم تعد بداخلهم بعد أن نالوا الخلاص منها بواسطة الروح القدس فى سر المعمودية المقدس؟

الجواب:

حقا إنه بسر المعمودية يتطهر المعمد من لوثة الخطيئة التى وصلت إليه بالولادة من أبويه «بالآثام حبل بى (صورت) وبالخطيئة اشتهتنى أمى» (مزمور ٥٠: ٥)، (أيوب ١٤: ٤)، (مزمور ٥٨: ٣) وكما يقول الوحى الإلهى «من البطن سميت عاصياً» (إشعياء ٤٨: ٨)، (رومية ٥: ١٢)، (أفسس ٢: ٣).

ففى المعمودية تنحدر موهبة الروح القدس على المياه بناء على استدعاء الكاهن للروح القدس فى قداس المعمودية الذى يقيمه الكاهن لتقديس الماء، فيتحول الماء عن طبعه إلى نار، وتكهرب الماء فيصير الماء ماء ناريا، وفقا لما نطق به النبى يوحنا المعمدان فى بيان الفرق بين معموديته ومعموديه المسيح. فقد نطق يوحنا بالروح القدس قائلاً: «أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، أما الذى يأتى بعدى (المسيح) فهو أقوى منى... إنه سيعمدكم بروح القدس وبالنار» (متى ٣: ١١)، (مرقس ١: ٨)، (لوقا ٣: ١٦، ١٧) وبناء على ذلك لما ذهب حنانيا أحد السبعين رسولاً وهو أسقف دمشق بأمر المسيح له المجد الذى ظهر له وأمره أن يذهب ليعمد شاول الطرسوسى الذى هو بولس الذى دعاه المسيح له المجد ليكون رسولاً يكرز باسمه.

ذهب إليه حنانيا الرسول وقال لشاول «إن إله آبائنا قد سبق فاختارك قم فتعمد واغتسل من خطاياك» (أعمال الرسل ٢٢: ١٤– ١٦)، (أعمال الرسل ٢: ٣٨)، (١. كورنثوس ٦: ١١)، (العبرانيين ١٠: ٢٢).

فبالمعمودية تغسل لوثة الخطيئة التى يرثها الإنسان بالدم الواصل إليه من أبويه. «وكما أن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعهم خطئوا فيه» (رومية ٥: ١٢).

فلو أن الإنسان بعد المعمودية، مات مباشرة فإنه يمضى طاهراً، ويمكنه أن يرى ملكوت الله (يوحنا ٣ : ٣، ٥) أما إذا عاش، فمتى أخطأ فهو يحتاج إلى الخلاص من جديد، وغفران خطاياه، غير أنه لا حاجة له إلى المعمودية مرة ثانية، وإنما بممارسة التوبة الصادقة، والتناول من المائدة الربانية ينال الغفران باستحقاقات دم المسيح الفادى فإنه «ليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال ٤ : ١٢)، (٥ : ٣١)، (١٠ : ٤٣)، (١٣ : ٢٣، ٣٨)، (١ . تيموثيئوس ٢ : ٥، ٦)، (متى ١ : ٢١) . ولذلك تعتبر التوبة الصادقة معمودية ثانية.

هذا ولكن من جهة أخرى، فإن مولود المرأة بفعل الزواج تصل إليه من خلال الدم لوثة الخطيئة الأصلية، وهو ما يقوله القديس ديديموس الضرير مدير المدرسة اللاهوتية. وليس هذا معناه أن الزواج خطيئة فى ذاته فقد قال الوحى الإلهى «ليكن الزواج مكرما فى كل شيء، وليكن فراش الزوجية طاهراً» (العبرانيين ١٣ : ٤)، لكن اللقاء بين الزوجين فيه شهوة «بالآثام حبل بى، وبالخطيئة اشتهتنى أمى» (مزمور ٥٠ : ٥) . ولهذا ولد المسيح من عذراء من غير زواج حتى لا تنتقل إليه لوثة الخطيئة. وهنا حكمة الله فى أن يولد المسيح من عذراء، ويصنع الروح القدس من دمها جسداً من غير زرع بشر، حتى يكون جسد المسيح طاهراً من لوثة الخطيئة التى تصل إلى الجنين عن طريق الزواج، كما يقول آباء الكنيسة، ومنهم ديديموس الضرير والقديس أوغسطينوس.

وأما بعد، فهذا هو السبب فى أن الأطفال يعمدون «لمغفرة الخطيئة» على الرغم من أن الأطفال لم يخطأوا خطيئة بالفعل. فالخطيئة ليست خطيئة الأطفال، كما يقول آباء الكنيسة، ولكنهم لأنهم ولدوا من أبوين بالزواج والشهوة.

وعلى الرغم من أن الوالدين قد نالا المعمودية، لكن معمودية الوالدين لا تعفى الأطفال من المعمودية لغفران الخطيئة. ومرة أخرى يؤكد آباء الكنيسة أن الخطيئة هنا ليست خطيئة الأطفال الصغار المولودين حديثا، وإنما بفعل التزاوج تنتقل إليهم بالدم لوثة الخطيئة بالشهوة.

٦٤ ـ المعمودية قبل التناول من المائدة الربانية

سؤال: من الابن ا. صبرى.

نحن نعلم أنه لا يجوز لأى شخص أن يتقدم إلى سر القربان ما لم يمارس المعمودية، فكيف تقدم تلاميذ المسيح ورسله إلى المائدة الربانية يوم خميس العهد؟

الجواب:

حقاً، هذا هو السبب فى أن المسيح له المجد قام عن العشاء، عشاء الفصح، وغسل أرجل تلاميذه قبل أن يتقدموا للمائدة الربانية، وهو الترتيب الجميل الذى تمارسه كنيستنا فى يوم خميس العهد، فنحن نمارس أولاً منذ الصباح صلوات البصخة فى الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة. وبعد ذلك نمارس صلوات اللقان وغسل الأرجل فى قداس خاص يقام فى الخورس الثانى، يسبق القداس الكبير الذى يقام فى الهيكل والذى يتناول فيه المؤمنين العابدون من المائدة الربانية.

والمتأمل فى طقوس الكنيسة ومباشراتها الروحانية فى يوم خميس العهد يتبين أن طقس غسل الأرجل له فوق المعنى الروحى، معنى آخر لاهوتى وعقائدى.

أما المعنى الروحى فهو ممارسة فضيلة غسل الأرجل تعبيرا عن التواضع وعن روح البذل والخدمة للآخرين كما قال المسيح له المجد «أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنكم تدعوننى المعلم والرب. وحسناً تقولون لأننى أنا كذلك. فإن كنت وأنا ربكم ومعلمكم قد غسلت أرجلكم، فأنتم أيضاً ينبغى لكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأننى أعطيتكم مثالاً، حتى تصنعوا أنتم أيضاً بعضكم ببعض كما صنعت أنا بكم. الحق الحق أقول لكم إنه ما من خادم أعظم من سيده، وما من رسول أعظم ممن أرسله. إن عرفتم هذا فمباركون أنتم إن عملتم به» (يوحنا ١٣: ١٢– ١٧).

أما المعنى **اللاهوتى والعقائدى** لغسل الأرجل فهو **المعمودية** التى هى مدخل المؤمنين إلى العهد الجديد، والتى قال فيها المسيح له المجد «إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله... إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح، لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

وهوا لمعنى الوارد فى نصوص صلوات قداس اللقان وغسل الأرجل.

ولهذا أيضاً قال المسيح له المجد لتلميذه سمعان بطرس لما استعظم أن يغسل سيده رجليه وقال له: «لن تغسل رجلى أبداً فأجابه يسوع قائلاً: «إن لم أغسل رجليك **فليس لك معى نصيب**» (يوحنا ١٣ : ٨) فلما قال سمعان بطرس للمسيح له المجد «يارب ليس رجلى فقط، بل يدى ورأسى أيضاً. فقال له يسوع: «**إن الذى استحم لا يحتاج إلا إلى أن يغسل قدميه، فإنه طاهر كله**» (يوحنا ١٣ : ٩).

وهذا قول صريح لبيان أن تلاميذ المسيح تعمدوا قبل ذلك. والمعروف أن تلاميذ المسيح اعتمدوا أولا **بمعمودية يوحنا المعمدان** (لوقا ٧ : ٢٩)، ثم بعد ذلك **بمعمودية المسيح له المجد** (يوحنا ٣ : ٢٢، ٢٦)، (٤ : ١، ٢)، والتى كملت بحلول الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين لصعود المسيح إلى السماء وفقا لقوله له المجد لأن «يوحنا عمد بالماء وأما أنتم **فستتعمدون بالروح القدس**» (أعمال الرسل ١ : ٥).

أما وأن تلاميذ المسيح قد **تعمدوا**، فصاروا **مؤهلين للتناول من المائدة الربانية**. ومع ذلك كان لا بد لهم من الاغتسال الذى يمارسه المؤمنون قبل التقدم للمائدة الربانية.

وإذن فهذه هى الحكمة من ممارسة طقس غسل الأرجل قبل التقدم للمائدة الربانية، لأن المعمودية لابد أن تسبق التناول من المائدة الربانية.

ومن هنا كانت حكمة مباشرة طقس غسل الأرجل وقداس اللقان، قبل التقدم لسر القربان والمائدة الربانية.

القيم الروحية

فى ســـر المسحِة (الميرون)

القيم الروحية فى سر المسحة (الميرون)

سرُّ المسحةِ (الميرون)

وهو السرّ الثانى الذى يناله المؤمن بعد المعمودية مباشرة. وتبعا له يُسمَّى المؤمنِ مسيحا للربّ، أى ممسوحا بالَمسحةَ المقدسة، وهى الميرون.

فالسيّد المسيح حلّ عليه الرُّوح القُدُسُ فى نهر الأردن بعد المعمودية مباشرة (مرقس ١: ١٠)، (متى ٣: ١٦)، (لوقا ٣: ٢١، ٢٢)، (يوحنا ١: ٣١ - ٣٤). وكذلك فعل الآباء الرسل بالمؤمنين: كانوا يحدرون موهبة الرُّوح القدُس بصلواتهم ووضع أيديهم على المؤمنين بالمسيح بعد تعميدهم مباشرة. انظر (سفر أعمال الرسل ٨: ١٤ - ١٧)، (١٩: ١ - ٦).

قال العلاّمة ترتوليانوس TERTULLIANUS (نحو ١٥٥ - ٢٢٢) وهو من آباء القرن الثانى: «بعد خروجنا من جرن المعمودية مُسحنا بزّيت مُقدّس» (١) وقال القديس كيرلس الأورشليمّى من آباء القرن الرابع (٣١٥ - ٣٨٦)م : «وأنتم أيضاً بعد خروجكِم من جُرنِ الينابيع المقدسة أعطيت لكم المَسحَة، وهى رسم المَسحَة التى مُسح بها المسيح، فهذه هى (مسحة) الرُّوحِ القُدُس» (٢) وقال أيضاً «هذا الميرون يُعطَى للّذين اعتمدوا حديثاً» (٣). وينصُّ القانون الثامن والأربعون من قوانين مجمع اللاذقيّة LAODICEA الذى انعقد عام ٣٦٤م على أنه «يجب على المستنيرين (=المعمَّدين) أن يُمسَحوا بعد المعمودية بمسحة سمائية، ويشتركوا فى ملكوت المسيح» (٤)

فالمسيحى يُسَمّى مسيحيا لأنه تابع للسيّد المسيح له المجد، ومؤمن به، بل ولأنه أيضاً قد مُسح بالمسحة المقدسة.

وفى هذ يقول القديس ثيئوفيلوس Theophilos الأنطاكى وهو أسقف أنطاكية فى أواخر القرن الثانى للميلاد (وتوفى سنة ١٨١)م: «إن المسيحيين دعوا بهذا الاسم لأنهم ممسحون بزيت الله» (٥)

---

(١) فى المعمودية : ٧ وفى رفض الهراطقة فصل ٣٧ - وضد مركيانوس ٣: ٢٢.
(٢) محاضرة ٢١، مقالته الثالثة على الأسرار، تعليقاً على رسالة يوحنا الأولى (٢: ٢٠ - ٢٨).
(٣) تعليم ٢١.
(٤) أنظر كتاب قوانين المجامع

The Rudder of The Orthodox Christians or All The Sacred and Divine Canons, By D. Cummings, 1957, P. 570.

(٥) ك ١ إلى اوتوليكوس Autolycus فصل ١٢.

ويقول القديس كبريانوس، وهو من آباء القرن الثالث (قطع رأسه فى سنة ٢٥٨م): من اعتمد ينبغى أن يُمسح أيضاً لكى يصير بواسطة المسحة ممسوحاً لله، ويأخذ نعمة المسيح» (١)

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى: «لا يصح أن تُدعى بصواب مسيحياً إلا بعد قبول موهبة الميرون المقدس» (٢) ويقول أيضاً «قد صرتم مسحاء إذ قبلتم (موهبة) الروح القدس» (٣).

وأما الميرون فكلمة يونانية *μυρον* وقبطية **ⲙⲩⲣⲟⲛ** بمعنى «طيب» أو «دهن». وفى المصطلح الكنسى هو خليط مطبوخ من عدد كبير من مختلف العقاقير والأطياب، يقدس بكلمة الله والصلاة، يمسح به بإشارة الصليب المقدس فى ستة وثلاثين موضعاً من أعضاء جسم المعمد، ليمتلىء من عطية الروح القدس.

وفى سر الميرون تنسكب موهبة الروح القدس على المعمدين للامتلاء به على غرار ما حدث للسيد المسيح بعد عماده فى نهر الأردن. قال الإنجيل «ورجع يسوع من الأردن **وهو ممتلىء من الروح القدس**، فذهب به الروح إلى البرية» (لوقا ٤ : ١)، (قارن لوقا ٣ : ٢١)، **وعلى نحو ما حدث للآباء الرسل فى يوم الخمسين«فامتلأوا جميعاً من روح القدس»** (أعمال الرسل ٢ : ٤)، (٤ : ٣١)، (١٣ : ٥٢)، ومن بينهم القديس بطرس الرسول «**فقد امتلأ بطرس من روح القدس**» (أعمال الرسل ٤ : ٨) وكذلك القديس بولس الرسول الذى كان اسمه قبلاً (شاول) وقد أصيب بالعمى عندما أبرق حوله نور المسيح الرب وهو فى طريقه إلى دمشق، فأرسل الرب إليه حنانيا الرسول، وهو أحد السبعين رسولاً وقد صار أسقف دمشق« **لكى يبصر ويمتلىء من روح القدس**» (أعمال الرسل ٩ : ١٧). أنظر أيضاً (أعمال ١٣ : ٩).

وقد صار الامتلاء من موهبة الروح القدس شرطاً أساسياً فى المدعوين إلى خدمة الرب. فعندما أراد الرسل الاثنا عشر أن يقيموا سبعة الشمامسة دعوا جمهور التلاميذ والمسيحيين وقالوا لهم: «فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم **ومملوئين من روح القدس** والحكمة» (أعمال الرسل ٦ : ٣) «فاختاروا استفانوس رجلاً **ممتلئاً من الإيمان والروح القدس**» (أعمال الرسل ٦ : ٥) وستة رجال آخرين معه. وظل القديس اسطفانوس إلى يوم استشهاده «**وهو ممتلىء من روح القدس**» (أعمال الرسل ٧ : ٥٥). وكذلك وصف الوحى الإلهى القديس برنابا الرسول أنه «كان رجلاً صالحاً **وممتلئاً من روح القدس** ومن الإيمان» (أعمال الرسل ١١ : ٢٤).

---

(١) رسالة ٧٠ (٢) تعليم ٢١ (٣) تعليم الأسرار ٣ : ٣

وزاد الوحى الإلهى فطالب، ليس الخدام فقط، بل وجميع المؤمنين ايضاً بالامتلاء من

موهبة الروح القدس، فقال «دعوا الروح يملأكم» (أفسس ٥: ١٨).

* * *

ولسر المسحة (الميرون) فعاليات روحية باطنية وآثار وفوائد جزيلة فى حياة الذين يقبلونه، وسنتكلم فيما يلى عن بعضها أو أهمها أو أبرزها:

أولاً: سر المسحة (الميرون)
هو سرّ التثبيت للنفس

فمن فوائد سرّ المسحة (الميرون) وفعالياته أنه **يمنح المعمد الذى يناله قوة روحانية تثبته فى حالة الخلاص وتحفظ له وجوده واستمراريته فى حياته الجديدة التى حصل عليها بالمعمودية. ولذلك يسمى سرّ التثبيت.**

فإذا كنا فى المسيحية نتطعم فى الزيتونة الجيدة (رومية ١١ : ٢٤)، فإن (المعمودية) هى عملية اقتلاعنا وقطعنا من الزيتونة البرية (رومية ١١ : ١٧، ٢٤) وإدخالنا وتطعيمنا فى الزيتونة الجيدة (رومية ١١ : ٢٤). وأما الميرون فهو بمثابة الأربطة التى تشدنا إلى جزع الزيتونة وأصلها وتثبتنا فيه وفيها، حتى يتاح لعصارة الحياة أن تنتقل من الزيتونة إلى الأغصان المطعمة فيها، فتغتذى الأغصان بها، وبذلك تحيا الأغصان وتصير (شريكة فى أصل الزيتونة الجيدة ودسمها) (رومية ١١ : ١٧)، كما تثبت فى الحياة الجديدة وتأتى بثمر. يقول المسيح له المجد «كما أن الغصن لا يمكنه أن يأتى بثمر من ذاته وحده إن لم يثبت فى الكرمة. هكذا أنتم **لا يمكنكم أن تأتوا بثمر إن لم تثبتوا فىّ**. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. **فالذى يثبت فىّ وأنا فيه** يأتى بثمر كثير، لأنكم بدونى لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً. وأما الذى لا يثبت فىّ فيطرح خارجاً كالغصن فيجف، فيجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق» (يوحنا ١٥ : ٤ ـ ٦).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس «ولكن الذى يثبتنا وإياكم فى المسيح وقد مسحنا إنما هو الله، وهو الذى ختمنا بخاتمه ومنحنا عربون الروح فى قلوبنا» (٢. كورنثوس ١ : ٢١، ٢٢).

وجاء فى رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى: «أما أنتم **فالمسحة التى نلتموها من الله ثابتة فيكم**. ولذلك فلستم بحاجة إلى من يعلمكم الحق، فتلك المسحة عينها هى التى تعلمكم كل شىء، وهى حق وليست كذباً، فكما علمتكم اثبتوا فيه (فى المسيح)» (١. يوحنا ٢ : ٢٧) ثم أيضاً «وبهذا نعرف أن الله يثبت فينا من الروح (القدس) الذى وهبه لنا» (١. يوحنا ٣ : ٢٤).

ويقول القديس (امبروسيوس) من آباء القرن الرابع (٣٣٩ ـ ٣٩٧)م «إن الله **الآب وسمك بعلامة المسيح ربنا وثبتك، وأعطاك (موهبة) الروح القدس** عربون الخلاص كما يعلم الرسول» (١).

---

(١) فى الأسرار فصل ٧ .

فإذا كنا بالمعمودية نعتق من ديوننا وهى خطايانا الجدية والفعلية السابقة على المعمودية، ونصير أحراراً منها معتقين من عبوديتها، فإننا إذا لم نُزود بموهبة جديدة وقعنا فى أسر الدين من جديد، مثلنا فى ذلك مثل إنسانٍ مدين لأحد من الناس بألف جنيه مثلاً وقد سجنه الدائن إلى أن يوفى الدين، فتعطف عليه محسن كريم ودفع عنه الدين، وأخرجه من السجن، فما لم يعطه هذا المحسن أو غيره مبلغاً آخر، فإنه بعد دقيقة واحدة من إطلاق سراحه سيستدين من جديد لتغطية نفقاته فى الحياة.

فسرّ المسحة أو الميرون، هو سرّ التثبيت، هو السرّ المقدس الذى ينال به المعمد فيضاً جديداً من مواهب الروح القدس تكفل له الاستمرار والثبات فى حياة العتق من دينه القديم والخلاص من أسر الخطيئة وعبوديتها (رومية ٨: ٢٣)، (٢. كورنثوس ٥: ٥). ولذلك فإنه يسمى أيضاً بـ «**مسحة الخلاص**» و «**ثوب الخلاص**» حسب التعبير الكنسى المستعمل عند مباشرة هذا السر فى الكنيسة، وكما ورد فى كتابات القديس كيرلس الكبير (٤١٢ ـ ٤٤٤)م.

ويقول القديس افرآم السريانى (٣٠٦ ـ ٣٧٣)م «إن سفينة نوح كانت تبشر بمجيء المزمع أن يسوس كنيستـه فى المياه، وأن يرتد أعضاؤها إلى الحرية باسم الثالوث القدوس (أى فى المعمودية). **وأما الحمامة فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هى سرّ الخلاص (أو سر الميرون أو التثبيت)**» (٢).

وكما أن المولود جسدياً يحتاج إلى قوة تحفظه وتحفظ له بقاءه واستمراره وصحته ضداً لعوامل المرض والموت والفناء، كذلك الحال بالنسبة إلى المؤمن فى حياته الروحية. إنه لا يكفيه أن يولد بالمعمودية ميلاداً ثانياً من فوق، من الماء والروح، فقد يسقط صريعاً أمام الخطيئة من جديد مالم توُهب له نعمة أخرى يمكنه بها أن «يثبت» فى حياة النعمة والإيمان، ويقاوم عوامل الشر ومثيرات الخطيئة والانحراف والسقوط.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس «وكل من يجاهد يمارس ضبط النفس فى كل شيء. أما أولئك فلكى يفوزوا بإكليل يفنى، وأما نحن فلنفوز بإكليل لا يفنى. إذن أنا أركض هكذا، لا كمن لا هدف له، وهكذا أُلاكمِ أيضاً، لا كمن يلطم (يضرب) الهواء، بل

(٢) خطاب ١٩ ضد الفاحصين.

أقمع جسدى وأستعبده، مخافة أن أكون بعد ما بشرت للآخرين، أصير أنا نفسى مرفوضاً» (١. كورنثوس ٩ : ٢٥ ـ ٢٧).

أنظر (غلاطية ٢ : ٢)، (٥ : ٧)، (فيلبى ٢ : ١٦)، (٣ : ١٤)، (١. تيموثيئوس ٦ : ١٢)، (٢. تيموثيئوس ٢ : ٥)، (٤ : ٧)، (العبرانيين ١٢ : ١).

لهذا يسمى الميرون فى طقوس مباشرته بالكنيسة (حِرز الحياة)، كما يسُمىّ (درع القوة تجاه كل فعل شيطانى)، (درع الإيمان والحق). ويسمى (درع القوة) لأنه يحمينا ويقينا من سهام الشرير، كما يحمى الدرع جسم لابسه على ما يقول القديس كيرلس الأورشليمى.

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس: «وبعد، يا إخوتى، تقووا فى الرب، وفى عظمة قدرته. إلبسوا سلاح الله الكامل **لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس**. فإن حربنا ليست مع أعداء من لحم ودم، بل مع الرؤساء، مع أصحاب السلطان والسيادة على هذا العالم، عالم الظلمات مع الأرواح الشريرة فى الأجواء السماوية. لذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى يوم الشر، وبعد أن تتمموا كل شىء أن تثبتوا.

فاثبتوا إذن ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر. وأنعلوا أقدامكم بالحمية فى إعلان إنجيل السلام وفى كل حال، احملوا الإيمان ترساً، فإنكم به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة (المشتعلة)، واتخذوا خوذة الخلاص وتقلدوا سيف الروح الذى هو كلمة الله، مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة لأجل جميع القديسين» (أفسس ٦ : ١٠ ـ ١٨).

أنظر أيضاً (٢. كورنثوس ٦ : ٧)، (١. تيموثيئوس ١ : ١٨).

«فلا ننامَنَّ (نَنَم) إذن كما يفعل سائر الناس، بل علينا أن نسهر ونصحو. فالذين ينامون إنما هم فى الليل ينامون،... وأما نحن أبناء النهار، فلنكن صاحين، **لابسين درع الإيمان، والمحبة وخوذة رجاء الخلاص**» (١. تسالونيكى ٥ : ٦ ـ ٨).

انظر أيضاً (رومية ١٣ : ١٢).

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ ـ ٤٣٠)م

«إن اسم المسيح من **المسحة**. فكل مسيحى يقبل **المسحة** إنما ذلك ليس للدلالة على أنه صار شريكاً فى الملكوت فقط، **بل صار من المحاربين للشيطان»**.

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى:

«بعد ذلك، (أى بعد المعمودية) تمسحون على صدوركم لكى تلبسوا درع العدل وتثبتوا لدى حيل الشيطان. وكما أن المسيح بعد المعمودية وحلول الروح القدس خرج وحارب المعاند، هكذا أنتم بعد المعمودية المقدسة **والمسحة السرية، تثبتون لدى القوة المضادة لابسين سلاح الروح القدس الكامل**، وتحاربونها قائلين مع الرسول: «إنى أستطيع كُلَّ شئ فى المسيحِ الّذى يقوِّينى» (فيلبى ٤: ١٣) (١).

فإذا كنا بِسرّ المعمودية ندخلُ فى ملكوتِ المسيح، فبسرِ الميرون أو المسحة نسعى ونجاهد ضد الخطيئة. وضد شهوات الجسد وضد مغريات العالم، ونحارب مع المسيح شهواتنا ورذائلنا وعاداتنا الرديئة. وبالروح القدس نميت أعمال الجسد، ونحيا لله: «لأنكم إذا حييتم حسب الجسد فستموتون، أما إذا أمتم بالروح أعمال الجسد فستحيون» (رومية ٨: ١٣).

انظر (رومية ٦: ٢)، (غلاطية ٥: ٢٤)، (أفسس ٤: ٢٢)، (كولوسى ٢: ٢٠)، (٣: ٥)، (١ . بطرس ٢: ٢٤).

---

(١) فى الأسرار ٣ : ٤.

ثانياً: المسحة (الميرون)
ختم الله على النفس

ومن مفاعيل سر المسحة (الميرون) أيضا **ختمه للنفس بختم مقدس، فهو إذن ختم الله على نفس الإنسان المؤمن بالروح القدس.**

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: «ولكن الذى يثبتنا وإياكم فى المسيح وقد مسحنا إنما هو الله، **وهو الذى ختمنا بخاتمه** ومنحنا عربون الروح فى قلوبنا» (٢ . كورنثوس ١ : ٢١، ٢٢).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس «الذى فيه أنتم أيضا، إذ سمعتم كلمة الحق، إنجيل خلاصنا، هذا الذى فيه أنتم أيضا إذ آمنتم **ختمتم بالروح القدس** الموعود، الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده» (أفسس ١ : ١٣، ١٤). وجاء فيها أيضا «ولا تحزنوا روح الله الروح القدس، الذى به **ختمتم** ليوم الفداء (افسس ٤ : ٣٠).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى القديس تيموثيئوس: «إن الأساس الراسخ الذى وضعه الله **يبقى ثابتا وعليه ختم هذا القول**: إن الرب يعرف الذين هم له: ليتجنب الإثم كل من يذكر اسم الرب» (٢ . تيموثيئوس ٢ : ١٩).

وجاء في أوامر الرسل: «أيها الأسقف أو القس قد رتبنا سابقاً، والآن نقول أن تمسح أولاً بزيت ثم تعمد بماء **وأخيرا تختم بالميرون**»(١).

وجاء فى القانون السابع من قوانين المجمع المسكونى الثانى الذى انعقد بالقسطنطينية سنة ٣٨١م «إننا نقبل أولئك الهراطقة الذين يرجعون إلى الأرثوذكسية، **ويختمون أولاً بالميرون المقدس على جباههم وعيونهم وأنوفهم وأفواههم وآذانهم**»(٢).

وعندما نختمهم نقول «**ختم موهبة الروح القدس**»(٣).

---

(١) ك ٧ ف ٢٢.

(٢) يبلغ عدد الرشوم على مختلف أعضاء جسم الممسوح بالميرون المقدس ستة وثلاثين رشماً.

(٣) انظر قوانين المجامع فى كتاب

THE RUDDER, OF THE ORTHODOX CHRISTIANS OR ALL SACRED AND DIVINE CANONS, BY D. CUMMINGS, 1957, P. 217.

ويقول القديس كبريانوس: «كما أن الرسولين بطرس ويوحنا بعد صلاة واحدة **استحدرا** (موهبة) **الروح القدس** على سكان السامرة **بوضع الأيادى** (أعمال الرسل ٨: ١٤ – ١٧). انظر (أعمال الرسل ١٩: ١ – ٧). هكذا الكنيسة أيضا منذ ذلك الحين، جميع المعمدين ينالون **(موهبة) الروح القدس، ويختمون بختمه عند دعاء الكهنة ووضع أياديهم»** (١) (إذ عندما يرفع الكاهن يمينه ليمسح بالميرون رأس المعمد وجبهته يكون **قد وضع يده عليه**). ويقول هو نفسه أيضاً «أنظروا كيف صرتم مشاركى اسم المسيح كهنوتيا، وكيف أعطى لكم **ختم شركة الروح القدس**» (٢).

ويقول القديس افرآم السرياني: «إن جميع قواكم النفسية **قد ختمت بختم الروح القدس**... وقد وضع الملك (= المسيح) عليكم رسالته، **خاتماً إياها بختم النار**(٣) **(= الروح القدس)** لكى لا يقرأها الغرباء ويحرفوها» (٤).

ويقول القديس امبروسيوس من آباء القرن الرابع ويمسحك الله **ويختمك المسيح**. وكيف ذلك؟ **لأنك تختم برسم صليبه وآلامه»**. (٥).

ويقول أيضاً «**قد قبلت الختم الروحى**... حافظ على ما اقتبلت... إن الله الآب وسمك بعلامة المسيح ربنا، وثبتك، وأعطاك (موهبة) الروح القدس» (٦) كما يقول «المعمودية يتلوها **الختم الروحى**» (٧).

وفى ترتيب طقس مسح المعمدين بالميرون المقدس لمنحهم سرّ التثبيت وختم الروح القدس، يقول الكاهن ولاسيما فى الرشم الرابع: «**مسحة مقدسة للمسيح إلهنا وختم غير منحل، أمين**»

---

(١) رسالة ٧٣ ضد الهراطقة.

(٢) عظة ٨ : ٢٣

(٣) الاشارة إلى قول يوحنا المعمدان عن المسيح «فهو سيعمدكم بروح القدس وبالنار» (لوقا ٣: ١٦).

(٤) تعليم الإيمان، فصل ٥.

(٥) فى الأسرار ٦: ٢ : ٧.

(٦) فى الأسرار فصل ٧.

(٧) فى أسرار البيعة ٣: ٢ : ٨ .

أنظر أيضاً اكليمنضس الأسكندرى (فى البديعيات ١١: ٣).

Ⲟⲩⲱⲟϣⲥ ⲉϥⲟⲩⲁⲃ ⲛ̀ⲧⲉ ⲠⲬⲤ Ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ ⲛⲉⲙ ⲟⲩⲥⲫⲣⲁⲅⲓⲥ ⲛⲁⲧⲃⲱⲗ ⲉⲃⲟⲗ ⲁⲙⲏⲛ.

والختم يستخدم عادة للتأييد والتثبيت. فالأمر المختوم لا يجوز أن يُمس بتغيير أو تعديل (دانيال ٦ : ١٧)، (متى ٢٧ : ٦٦). وكذلك **من يمنح خاتماً فى يده. صار صاحب حق مثبت لا ينازعه فيه أحد.**

ألم يذكر السيد المسيح له المجد هذا الخاتم، فى مثله عن الابن الضال عندما رجع إلى أبيه تائباً؟ فأبوه إذ أراد أن يرد إليه البنوة التى فقدها بضلاله. قال لعبيده «أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه إياها، **وضعوا خاتماً فى يده**» (لوقا ١٥ : ٢٢).

أما الحلة الأولى فهى (المعمودية).

وإذ أراد أن **«يُثبته»** فى هذه الحياة الجديدة ويؤكدها له بصورة جازمة قاطعة قال: **«وضعوا خاتماً فى يده»** وهذا الخاتم هو **«الميرون» ختم (موهبة)** الروح القدس.

ولما كان **الميرون هو ختم الله على نفس المسيحى المعمّد**، فهو علامة مميزة للنفس التى لله تميزها عن غيرها من نفوس الناس بعامة، وهذه العلامة هى سمة باطنية لا تُمحى يعرف بها المختومون فى عالم الروح، **«وهم سينظرون وجهه، ويكون اسمه على جباههم»** - (سفر الجليان - الرؤيا ٢٢ : ٤)، (٣ : ١٢)، (٧ : ٣)، (١٣ : ١٦)، (١٤ : ١).

ومن له هذه **السمة أو الختم** «لا يمسه الشرير» (١ . يوحنا ٥ : ١٨)، إذ لا يستطيع روح أن يؤذى أو يضر «إلا الناس فقط الذين ليس لهم على جباههم **ختم (خاتم) الله**» (سفر الجليان - الرؤيا ٩ : ٤)، (١٤ : ١)، (٢٢ : ٤)، (٣ : ١٢)، (٧ : ٣).

فالميرون هو **السمة الروحية** التى يتميز بها المؤمنون المخلصون على عكس سمة (الوحش) على وجوه الأشرار الهالكين وجباههم (الجليان - الرؤيا ١٤ : ٩)، (١٩ : ٢٠)، (٢٠ : ٤).

ثالثاً: سرّ المسحة (الميرون) هو سرّ التدشين والتقديس للنفس المؤمنة

ومن مفاعيل الروح القدس فى سر المسحة (الميرون) **تكريس النفس المؤمنة وتقديسها لله وتخصيصها لجلاله القُدُوس**. وهو ما يُعبِّرُ عنه فى الكتاب المقدس بأنه **تقديس الروح**» (٢. تسالونيكى ٢ : ١٣)، (١. بطرس ١ : ٢). وإذا تكرست النفس لله بالروح القدس «فلا يحيا الانسانُ بقية عُمره فى الجسد لشهوات الناس، بل لإرادة الله» (١. بطرس ٤ : ٢).

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: «أما تعلمون أنكم هيكل الله، **وأن روح الله ساكن (حال) فيكم**؟ إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله، **لأن هيكل الله مُقدس، وهو أنتم**» (١. كورنثوس ٣ : ١٦، ١٧).

وقوله «ألا تعرفون أن أجسادكم **هى هيكل الروح القدس الذى فيكم**، الذى نلتموه من الله، وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد أشتريتم بثمن كريم فمجدوا الله إذن فى أجسادكم **وفى أرواحكم** التى هى لله» (١. كورنثوس ٦ : ١٩، ٢٠).

وقوله «ولكنكم اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم باسم ربنا يسوع المسيح **وبروح إلهنا**» (١. كورنثوس ٦ : ١١).

أنظر أيضاً (أفسس ٥ : ٢٦)، (٢. كورنثوس ٥ : ١٥)، (أعمال الرسل ٢ : ٣٢)، (٢٦ : ١٨).

ويقول العلامة ترتوليانوس (نحو ١٥٥ ـ ٢٢٢)م.

«يُغسل الجسد لكى تتطهر النفس (وهذا بالمعمودية) **ويقبل الجسد المسحة (أو الميرون) لكى تتكرس النفس**» (١).

ويقول القديس كيرلُس الأورشليمى (٣١٥ ـ ٣٨٦)م.

«هذا الميرون (المسحة) يُعطى للذين اعتمدوا حديثاً، ولما يُمسح الجسدُ تتقدس النفسُ بالروح القدس» (٢).

---

(١) قيامة الأجساد، فصل ٨ .   (٢) تعليم ٢١ .

ويقول هو نفسه: «... لكن انظر واحترس من أن تظن ذاك الميرون بسيطاً، لأنه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القُدُس ليس خبزاً بسيطاً، بل هو جسد المسيح، هكذا هذا **الميرون المقدس لا يعد ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو موهبة المسيح، وحضور الروح القدس فاعلاً فعل ألوهيته**، فتمسح به على جبهتك وسائر حواسك، والمسيح هو الذى رسم. فإن الجسم يُدهن بالميرون الطاهر، ولكن **النفس تتقدس معاً بالروح القدس المحيى**». (١).

لذلك تسمى (موهبة) الروح القدس فى سر الميرون (أو المسحة) «بروح القداسة»، وإياه يطلب المصلى فى صلاة الساعة الثالثة من النهار، عندما يقول «أيها الرب الذى أرسلت روح قدسك على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منا أيها الصالح، لكن نسألك أن تجدده فى أحشائنا، ياربنا يسوع المسيح ابن الله الكلمة، **روحاً مُستقيماً ومحيياً، روح النبوة والعفة، روح القداسة والعدالة والسلطة**، أيها القادر على كل شىء، لأنك أنت هو ضياء نفوسنا، يا من يضىء لكل إنسان آتٍ إلى العالم، ارحمنا».

ولهذا الغرض عينه تمسح أيضاً بالميرون المقدس، الهياكل، والمذابح، وأوانيها، والصور والإيقونات، وسائر أثاثات الكنائس (سفر الخروج ٣٠: ٢٦ ـ ٢٨)، فتصير **مُقدسة لله، مُكرسة لخدمته تعالى، ومخصصة لعبادته، بحيث لا يجوز أن تستخدم لأى غرض آخر.** (الخروج ٢٩: ٣٧)، (٣٠: ٢٩)، (متى ٢٣: ١٩).

---

(١) تعليم الأسرار ٣: ٣.

رابعاً ـ سرّ المسحة (الميرون) سرّ يجعل المؤمنين المعمّدين ملوكا روحيين وكهنة وأنبياء

إن من مفاعيل سرّ المسحة (الميرون) أنه يُصيِّر الذين ينالونه ملوكاً وكهنة وأنبياء.

أولاً ـ ملوكاً :

ملوكاً «فإذا كان الموت قد ملك (ساد) البشر بخطيئة (بزلة) إنسان واحد بسبب ذلك الإنسان الواحد، فبالأولى أن **تسود الحياة بيسوع المسيح وحده أولئك الذين ينالون فيض النعمة وهبة البر**. فإذن كما أن بخطيئة إنسان واحد صار الحكم على جميع الناس بالهلاك، هكذا ببر واحد **صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة**. وكما أنه بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطأة (خاطئين)، فكذلك **بطاعة الواحد سيصير الكثيرون أبراراً**. وجاءت الشريعة فكثرت الخطيئة، ولكن حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة جداً، حتى إنه كما ملكت (سادت) الخطيئة للموت، **كذلك تملك (تسودُ) النعمة التى تبررنا (برينا يسوع المسيح للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا)** (رومية ٥: ١٧ ـ ٢١).

أنظر (رومية ٦: ١٢).

نعم **ملوكاً**، ولكن ليس ملوكا أرضيين، وإنما ملوكاً روحيين، ملوكاً على أجسادهم، فيسيطرون على ميولها وشهواتها «بروح القوة»» (إشعياء ١١: ٢).

نعم، «وجعلنا **ملوكاً** وكهنة لله أبيه» (الجليان ـ الرؤيا ١: ٦)، «وجعلت منهم **مملكة لإلهنا** وكهنة له، وسيملكون على الأرض» (الجليان ـ الرؤيا ٥: ١٠)، مُبارك هو ومقدس من الله من كان له نصيب فى القيامة الأولى. إن هؤلاء لا سلطان للموت الثانى عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، **وسيملكون معه ألف سنة**» (الجليان ـ الرؤيا ٢٠: ٦) «**ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا سُلطة القضاء**... والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، ولم يقبلوا على جباههم أو أيديهم سمة الوحش، قد عادوا إلى الحياة، **وملكوا مع المسيح ألف سنة**» (الجليان ـ الرؤيا ٢٠: ٤) **وسيملكون إلى أبد الآبدين (دهر الدهور ـ أبد الدهور)** (الجليان ـ الرؤيا ٢٢: ٥).

ويقول المسيح له المجد ، (وكل) من يغلب (ينتصر) سأعطيه أن يجلس معى فى عرشى كما غلبت أنا أيضاً، فجلستُ (فاستويت) مع أبى على عرشه، (الجليان - الرؤيا ٣ : ٢١) .

أنظر (إشعياء ١١ : ٢)

ثانياً : وكهنة:

وكهنة يقدمون أنفسهم وأجسادهم لله **ذبيحة مُقدسة مرضية عند الله عبادتهم العقلية الروحية** (رومية ١٢ : ١) «وكونوا أنتم أيضاً كحجارة حية بانين أنفسكم بيتاً روحانياً **للكهنوت المقدس لإصعاد ذبائح روحية ومقبولة لدى الله**، بيسوع المسيح» (١ . بطرس ٢ : ٥)، ويقدمون ذواتهم لله كمن هم أحياء من بين الأموات، وأعضاءهم آلات بر لله فى خدمة القداسة، (رومية ٦ : ١٣، ١٦، ١٩)، **فيمجدون الله فى أجسادهم، وهى هيكل الروح القدس، وفى أرواحهم التى هى لله**، (١ . كورنثوس ٦ : ١٣ ـ ٢٠) .

وكهنة

١ ـ يقدمون عن أنفسهم صلوات وأصواماً وصدقات وذبائح التسبيح، أى ثمار شفاه معترفة باسمه (العبرانيين ١٣ : ١٥)، (هوشع ١٤ : ٢)، (مزمور ٤٩ : ١٤، ٢٣)، (مزمور ١٠٦ : ٢٢)، (١١٦ : ١٧) .

٢ ـ هذا إلى أن المسيحى بامتناعه عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس، وبممارسة الصوم عن الطعام ، والامتناع عن تحقيق ميوله ورغباته الجسدية والأرضية يمارس بهذا عمل الكهنوت العام الذى أعطى له بصفته مسيح الرب، والذى اكتسبه من المسيح له المجد رئيس الكهنة الأعظم الذى جعلنا «ملوكاً وكهنة لله أبيه» (الجليان - الرؤيا ١ : ٦) وجاء فى رسالة القديس بطرس الأولى قول الوحى الإلهى «وكونوا أنتم أيضاً كحجارة حية، بانين أنفسكم بيتاً روحانياً للكهنوت المقدس، لإصعاد ذبائح روحية ومقبولة لدى الله بيسوع المسيح... وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى، وأمه مقدسة، وشعب مقتنى (اقتناه الله)، لكى تخبروا بفضائل (الرب) الذى دعاكم من الظلمات إلى نوره العجيب» (١ . بطرس ٢ : ٥ ـ ٩) .

٣ ـ ولعل من أعمال الكهنوت العام لجميع المسيحيين أنهم بصفتهم مسيحيين يصلون من أجل الأخرين، مؤمنين وغير مؤمنين، وهذا هو **عمل الشفاعة التوسلية** «مصلين بكل صلاة وطلبة، كل وقت فى الروح، وساهرين لهذا بعينه، **بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين**» (أفسس ٦ : ١٨) . وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى تيموثيئوس : «فأطلب، قبل كل شيء، أن تقام **طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات من أجل جميع الناس. ومن أجل الملوك وجميع ذوى السلطة**، لكى نعيش حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى وكرامة. إن هذا حسن ومقبول أمام الله مخلصنا، الذى يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون» (١ . تيموثيئوس ٢ : ١ ـ ٤) .

٤ ـ هذا بالإضافة إلى أن المسيحيين الممسوحين بالميرون المسحة المقدسة يقدمون أيضاً ذبائح الخير والرحمة والعطاء والتوزيع، ويقدمون ذبائحهم بروح التقوى ومخافة الرب.

جاء فى الرسالة إلى العبرانيين «لا تنسوا عمل الخير والمعاونة (الإعانة)، فإن الله يرتضى مثل هذه الذبائح» (العبرانيين ١٣ : ١٦) .

أنظر أيضاً (رومية ١٢ : ١٣)، (٢ . كورنثوس ٩ : ١٢، ١٣)، (غلاطية ٦ : ٦)، (فيلبى ٤ :١٨) .

ثالثاً: أنبياء

ثم (أنبياء) لأن الروح القدس يهبهم روح النبوة، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب (إشعياء ١١ : ٢) .

يقول القديس امبروسيوس (٣٣٩ ـ ٣٩٧) م: «**إنّ كل مؤمن يمسح كاهناً وملكاً**، غير أنه لا يصير ملكاً أرضياً ولا كاهناً حقيقياً، بل ملكاً روحياً، وكاهناً روحياً يقرب لله ذبائح روحية وتقدمات الشكر والتسبيح» (١) ويقول هو نفسه أيضاً فى كتاب آخر «**قد قبلت الختم الروحى، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح العلم والتقوى، روح مخافة الله**، فحافظ على ما اقتبلت. **إن الله الآب وسمك بعلامة المسيح ربنا، وثبتك وأعطاك (موهبة) الروح القدس** (٢)

---

(١) فى الكهنوت ، جزء ٤

(٢) فى الاسرار ، فصل ٧

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ ـ ٤٠٧)م «إن الذين كانوا يمسحون فى العهد القديم هم إما كهنة، وإما أنبياء وإما ملوك. **أما نحن المسيحيين، أصحاب العهد الجديد، فيجب أن نُمسح لكى نصير ملوكاً متسلطين على شهواتنا، وكهنة ذابحين أجسادنا، ومقدمين إياها ذبيحة حية مقدسة مرضية، عبادتنا العقلية، وأنبياء لاطلاعنا على أسرار عظيمة جداً وهامة للغاية».**

على أن المسيحى الممسوح بالميرون يهبه الروح القدس روح النبوة، فيحمل رسالة المسيح إلى الآخرين، مسيحيين وغير مسيحيين، بقدوته وسيرته وسلوكه ثم بتعليمه وكرازته. ففيه يتنسم الناس رائحة المسيح الذكية «فإننا لله رائحة المسيح الذكية فى الذين سيخلصون وفى الذين سيهلكون» (٢. كورنثوس ٢ : ١٥) وقال المسيح له المجد «ليضئ نوركم هكذا أمام الناس حتى يروا أعمالكم الصالحة فيمجدوا أباكم الذى فى السموات» (متى ٥ : ١٦).

ولهذا يصلى المسيحى فى صلاة الساعة الثالثة طالباً «أيها الرب الذى أرسلت روح قدسك على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منا أيها الصالح، لكن نسألك أن تجدده فى أحشائنا، ياربنا يسوع المسيح ابن الله الكلمة، روحاً مستقيماً ومحيياً، روح النبوة والعفة، روح القداسة والعدالة والسلطة أيها القادر على كل شىء. فإنك أنت هو ضياء نفوسنا. يامن يضىء لكل إنسان آتٍ إلى العالم، ارحمنا».

خامساً - سرّ المسحة (الميرون)

هو سرّ النمو الروحانى

ومن مفاعيل سر المسحة (الميرون) أيضاً أنه سر النمو فى الحياة الروحية. وكما أن الولادة الجسدية شيء والنمو فى الحياة شيء آخر، كذلك فعل المعمودية فى الحياة الروحية غير **فعل مسحة الميرون.**

وكما أنه لا يكفى للمولود حديثاً أن يولد، وإنما تلزمه قوة تكفل له النمو إلى أن يبلغ إلى ملء قامة الإنسان الكامل، كذلك الحال فى الحياة الروحية. فالمعمودية تعطى لمن ينالها امتياز الولادة الثانية، ولكن المولود يمكن أن يظل على الصورة التى ولد عليها ما لم يزود بسر النمو. **وسرّ النمو فى الحياة الروحية هو مسحة الروح القدس بالميرون**، وهو التثبيت الذى يكفل لمن يناله أن ينمو ويتقوى بالروح «إلى قامة الإنسان الكامل، إلى قياس قامة ملء المسيح. «فينمو فى كل شيء إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح» (أفسس ٤ : ١٣ - ١٥)، (كولوسى ١ : ٢٨).

وإذا كنا بالمعمودية نتطهر من خطايانا وننال الخلاص وننجو من حكم الموت، **فبمسحة الروح القدس فى الميرون نتقوى ونثبت فى البرارة، ونتوطد فى الحياة الجديدة.**

وإذا كنا بالمعمودية ننال الميلاد الثانى، **فبمسحة الروح القدس فى سر الميرون ننال سر النمو الروحى الذى يكفل لنا البلوغ إلى النضج فى الإنسان الباطن والوصول إلى الكمال الروحانى** (متى ٥ : ٤٨)، (لوقا ٦ : ٣٦)، (كولوسى ١ : ٢٨)، (٤ : ١٢)، (يعقوب ١ : ٤)، (١ - بطرس ١ : ١٥، ١٦).

ولما كان فى النمو تغير، وفى التغير تجديد، صار **التجديد من أعمال الروح القدس فى سر المسحة (الميرون)**. «خلصنا هو، لا اعتباراً لأعمال بر عملناها نحن، وإنما بمقتضى رحمته، وذلك بغسل (حميم) الميلاد الثانى (فى المعمودية) والتجديد الذى يجريه الروح القدس، الذى سكبه علينا بغنى، بيسوع المسيح مخلصنا» (تيطس ٣ : ٥، ٦).

وتجديد الروح القدس عمل دائم فى حياة المعمدين الذين نالوا سر مسحة الميرون، عمل متواصل لا يتوقف، ومن أجل استمراره دائماً يطلب المصلى فى صلاة الساعة الثالثة من

النهار، وهى الساعة التى حل الروح القدس على التلاميذ الأطهار مثل ألسنة من نار: «روحك القدوس يارب الذى أرسلته على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منا أيها الصالح، لكن جدده فى أحشائنا. قلباً نقياً أخلق فى يا الله، وروحاً مستقيماً جدد فى أحشائى».

وقال المسيح له المجد «من آمن بى كما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حى». وإنما قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به عتيدين أن ينالوه» (يوحنا ٧: ٣٨، ٣٩).

انظر (الأمثال ١٨: ٤)، (إشعياء ١٢: ٣) (٤٤: ٣)، (٥٥: ١)، (٥٨: ١١)، (حزقيال ٤٧: ١، ٢)، (زكريا ١٤: ٨)، (يوئيل ٢: ٢٨)، (يوحنا ١: ٣٣)، (٤: ١٠)، (أعمال الرسل ٢: ١٧، ٣٣، ٣٨).

سادساً: سر المسحة (الميرون)

سر التبكيت على الخطيئة

ومن مفاعيل سر مسحة الروح القدس فى الميرون أنه يبكتنا على خطايانا كلما أخطأنا إلى الله أو أسأنا إلى الآخرين.

يقول السيد المسيح له المجد: «ومتى جاء هذا (= الروح القدس) فسيوبخ (فسيبكت) العالم على الخطيئة (يوحنا ١٦ : ٨).

وحقاً إن الروح القدس يعمل عمل **التبكيت قبل التوبة، وقبل الإيمان بالمسيح، وقبل المعمودية**. وبذلك يقود الإنسان إلى الإيمان كما بكت اليهود فى يوم الخمسين «وخزتهم قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل.» ماذا علينا أن نعمل أيها الرجال الإخوة؟» (أعمال الرسل ٢ : ٣٧).

وبه أيضاً نخس حافظ السجن الذى كان فيه بولس وسيلا، فقال لهما: «يا سيدى، **ماذا يجب على أن أعمل لأنال الخلاص؟**» (أعمال الرسل ١٦ : ٣٠).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس «ولا يستطيع أحد أن يقول «يسوع رب» **إلا بروح القدس**» (١ . كورنثوس ١٢ : ٣).

لكن للروح القدس فى سر المسحة (الميرون) **عمل التبكيت** أيضاً على الخطايا التى يقع فيها الإنسان بعد نيله المعمودية المقدسة. إنه **يلوم الإنسان عليها ويقرعه** (١ . يوحنا ٣ : ٢٠، ٢١)، (١ . كورنثوس ٤ : ٤) فيندم على أنه أخطأ إلى الله أو لأنه أساء إلى نفسه أو إلى الآخرين، أو لأنه أعثر غيره من المؤمنين أو من غير المؤمنين. وهذا التبكيت هو الذى يقود المؤمن إلى الحزن النافع له، وبالتالى إلى التوبة، والتوبة بالنسبة للمؤمنين المعمدين تعد بمثابة معمودية ثانية. جاء فى رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس «فأنا الآن أفرح، لا لأنكم أُحزنتم، بل لأن حزنكم حملكم (أدى بكم) على التوبة، وهو حزن بحسب مشيئة الله، حتى لا تتأذوا منا فى أى شيء. فإن الحزن الذى يوافق مشيئة الله ينتج **توبة تؤدى إلى الخلاص**، ولا ندم عليها. وأما حزن العالم فيؤدى (فيفضى) إلى الموت. فانظروا إذن هذا الحزن عينه الذى

يوافق مشيئة الله كم أنشأ (أنتج) فيكم من الاجتهاد، بل من الاحتجاج (الاعتذار)، بل من الغيظ، بل من الخوف، بل من الشوق، بل من الغيرة، بل من الانتقام، وقد بينتم (برهنتم) فى كل شيء على أنكم أبرياء من ذلك الأمر» (٢ . كورنثوس ٧ : ٩ ـ ١١)

أنظر (رومية ٨ : ٢٧)، (متى ٢٦ : ٧٥)، (٢ . صموئيل ١٢ : ١٣)، (الأمثال ١٧ : ٢٢).

سابعاً : سر المسحة (الميرون)

سر التعزيات الروحية

ومن مفاعيل سر مسحة الروح القدس فى الميرون أنه يعزينا بالتعزيات الروحية، فيغذى أرواح من يقبلون بالخصوبة الروحية، فيشعرون بالفرح والانتعاش الروحانى والسلام الداخلى والطمأنينة التامة. «وأما ثمر الروح فهو المحبة والفرح والسلام» (غلاطية ٥: ٢٢).

قال السيد المسيح له المجد «وسأطلب إلى الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقيم معكم إلى الأبد» (يوحنا ١٤: ١٦). والمعزى الآخر هو الروح القدس الذى وعد المسيح له المجد تلاميذه بأن يرسله إليهم من الآب بعد صعوده إلى السماء. وإلى هذا المعزى أشار مخلصنا موضحاً حقيقته، وأنه هو الروح القدس، بقوله «حتى إذا جاء المعزى وهو الروح القدس الذى سيرسله الآب بإسمى، فسيعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يوحنا ١٤: ٢٦) وقوله «ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى، روح الحق المنبثق من الآب» (يوحنا ١٥: ٢٦) وقوله «إنه خير لكم أن أنطلق، لأننى إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. أما إذا مضيت فإننى أرسله إليكم» (يوحنا ١٥ : ٢٦) وقوله «إنه خير لكم أن أنطلق، لأننى إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. أما إذا مضيت فإننى أرسله إليكم» (يوحنا ١٦: ٧) وقد بر المسيح له المجد بوعده، فبعد صعوده إلى السماء بعشرة أيام أرسله إليهم فحل عليهم «فيما يشبه ألسنة من نار منقسمة وحلت على كل واحد منهم فامتلأوا جميعاً من روح القدس» (أعمال الرسل٢: ١ ـ ٤).

ومن بين أساليب العزاء بفاعلية الروح القدس معاضدته للمؤمنين المعمدين ومساعدته لهم «وأما الكنيسة (الكنائس) فى جميع اليهودية والجليل والسامرة فكانت فى سلام، وكانت تنمو وتسير فى مخافة الرب، وتتقوى بتعزية الروح القدس» (أعمال الرسل ٩: ٣١).

ثامناً : سر المسحة (الميرون)

سر الشفاعة فينا

ويتصل بهذا المعنى أن الروح القدس يشفع فينا بمعنى أنه يحرك مشاعرنا الروحية ويثيرها، ويلهب قلوبنا بالمحبة الإلهية ، ويثير فينا حاجتنا إلى الصلاة، بل ويلهمنا أيضاً ما نصلى من أجله. فهو إذن يشفع فينا، لأنه بمعونته تتحرك فينا رغبتنا فى الصلاة، وبه نعرف ما نصلى من أجله، سواء من أجل نفوسنا أو من أجل الآخرين.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية «وكذلك الروح أيضاً يعضد ضعفنا، فإننا لا نعرف ماذا نصلى لأجله كما ينبغى (كما يجب)، **لكن الروح نفسه يشفع فينا بآنات لا توصف** (لا يعبر عنها - لا ينطق بها). والذى يفحص القلوب يعلم ما يريده الروح (ما هو اهتمام الروح) ، لأنه يشفع فى القديسين بما يوافق مشيئة الله» (رومية ٨: ٢٦ ، ٢٧).

وجاء فى رسالة القديس بولس إلى رومية أيضاً «إذ قد نلتم لا روح العبودية الذى يردكم إلى الخوف، **بل نلتم روح التبنى الذى به نصرخ: أبا ، أيها الآب أبانا!**» (رومية ٨: ١٥).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية «ثم بما أنكم أبناء، **أرسل الله روح ابنه إلى قلوبنا** (قلوبكم) **صارخاً** (- هاتفاً) «**أبا ، أيها الآب**» (غلاطية ٤: ٦)

أنظر (زكريا ١٢ : ١٠)، (رومية ٥: ٥)، (٨: ٩)، (٢. كورنثوس ٣: ١٧).

تاسعاً : سر المسحة (الميرون) يمنح لمن يقبله الإنارة العقلية الروحية

وإن من مفاعيل سر مسحة (الميرون) أن يمنحنا الروح القدس الإنارة الباطنية العقلية والروحية. وهذه عطية مثلثة تتجه بنورها الكشاف إلى الماضى ثم إلى الحاضر ثم إلى المستقبل.

أ- أما بالنسبة إلى **الماضى**، فالروح القدس فى سر المسحة **«يُذكرنا»** بوصايا الله، وأفضاله علينا، كما يذكرنا بعهودنا التى قطعناها فى الماضى مع الله، **ويذكرنا** بمركزنا فى العهد الجديد كأولاد لله، وينبهنا إلى مركزنا بالنسبة إلى العالم الذى صلب بالنسبة لنا، وصلبنا نحن بالنسبة له (غلاطية ٦ : ١٤).

يقول المسيح له المجد «إذا جاء المعزى، وهو **الروح القدس** الذى سيرسله الآب بإسمى،... **يذكركم بكل ما قلته لكم**» (يوحنا ١٤ : ٢٦).

وفعلاً كان الروح القدس **يذكر** التلاميذ الأطهار بأقوال معلمهم ووصاياه.

قال الكتاب المقدس «ولم يفهم تلاميذه ذلك فى مبدأ الأمر، ولكنهم لما تمجد يسوع **تذكروا** أن ذلك مكتوب عنه، وأنهم فعلوا له هذا» (يوحنا ١٢ : ١٦).

ويروى القديس بطرس الرسول أنه عندما حل الروح القدس على كورنيليوس وأهل بيته، فآمنوا وطلبوا تعميدهم «فتذكرت قول الرب: «إن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستتعمدون بروح القدس» (أعمال الرسل ١١ : ١٦).

ب- وأما بالنسبة إلى **الحاضر** فالروح القدس الممنوحة لنا موهبته فى سر المسحة (الميرون) **«يعلمنا كل شئ»**. والعلم الذى نناله بالروح القدس هو العلم الذى من لدن الله (العلم اللدنى) وهو غير العلم البشرى الذى يحصل عليه الإنسان باستخدام عقله الطبيعى، أو العلم الذى يتلقاه الإنسان من والديه أو من المعلمين فى المدارس، أو من الكتب التى يقرأها.

يقول معلمنا المسيح له المجد «إذا جاء المعزى وهو الروح القدس الذى سيرسله الآب بإسمى، **فسيعلمكم كل شئ**» (يوحنا ١٤ : ٢٦)، ويقول له المجد أيضاً «فمتى جاء ذاك الذى **هو روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق كله**» (يوحنا ١٦ : ١٣).

ويقول المسيح له المجد لتلاميذه «فمتى ساقوكم وأسلموكم إلى المجامع والحكام وذوى السلطان فلا يشغلكم الهم مقدماً بشأن ما عساكم أن تقولوا، أو بماذا تجيبون أو ماذا تقولون، **لأن الروح القدس سيلهمكم** فى تلك الساعة ما ينبغى أن تقولوا، لأنكم لن تكونوا أنتم المتكلمين، وإنما الروح القدس، روح أبيكم هو الذى يتكلم فيكم» (لوقا ١٢ : ١١، ١٢)، (مرقس ١٣ : ١١)، (متى ١٠ : ١٩، ٢٠)، (لوقا ٢١ : ١٤، ١٥).

ويقول المسيح له المجد أيضاً «إنه مكتوب فى أسفار الأنبياء **أن الجميع سيكونون متعلمين من الله**» (يوحنا ٦ : ٤٥).

وجاء فى رسالة القديس الرسول يوحنا «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس، **وتعلمون كل شىء**».. ولذلك فلستم بحاجة إلى من يعلمكم الحق، فتلك المسحة عينها هى التى **تعلمكم كل شىء**، وهى حق، وليست كذباً، فكما **علمتكم** اثبتوا فيه (فى المسيح)» (١ . يوحنا ٢ : ٢٠، ٢٧).

وجاء فى الرسالة إلى العبرانيين: «لأن هذا هو العهد التى أعاهد به (عليه) بنى إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: **إنى سأجعل شرائعى فى أذهانهم، وأكتبها على (فى) قلوبهم**، وأنا أكون لهم إلها، وهم يكونون لى شعباً» (العبرانيين ٨ : ١٠)، (١٠ : ١٦).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى، تعليقاً على ما جاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى:

«هذه المسحة احفظوها طاهرة، **لأنها تعلم كل شىء**، إذا لبثت فيكم كما سمعتم أقوال يوحنا المغبوط الذى قال أقوالاً حكيمة كثيرة فى هذه المسحة، لأن الروح القدس حرز للجسد وخلاص للنفس» (١).

ج - وأما بالنسبة إلى **المستقبل**، فالروح القدس الذى نناله فى سر المسحة (الميرون) يمكن **أن ينبئنا بما قد يحدث لنا فى مستقبل الأيام**، وهذه هى **موهبة النبوءة والكشف عن الغيب المحجب** التى تنبع من إضرام موهبة الروح القدس فى المؤمنين المعمدين الممسوحين بمسحة الميرون.

قارن (٢ . تيموثيئوس ١ : ٦) مع (١ . تسالونيكى ٥ : ١٩، ٢٠)، (١ . كورنثوس ١٤ : ١، ٣٩).

---

(١) فى الأسرار، عظة ٣ : ٧

قال السيد المسيح له المجد «فمتى جاء ذاك الذى هو روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق كله، ... **وسيخبركم بأمور آتية**» (يوحنا ١٦: ١٣).

أنظر (الجليان - الرؤيا ١: ١ - ١٠)

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى رومية «لأن جميع الذين **ينقادون بروح الله (يقودهم روح الله)** هم أبناء الله» (رومية ٨: ١٤).

والإخبار بالأمور الآتية هو روح النبوءة. لذلك تسمى موهبة الروح القدس فى سر المسحة الميرون بـ «روح النبوءة» (الجليان - الرؤيا ١٩: ١٠)، (رومية ١٢: ٦)، (١. كورنثوس ١٢: ١٠، ٢٨)، (١٣: ٢)، (١٤: ١، ٦، ٢٩، ٣١)، (أعمال الرسل ١١: ٢٧).

ويقول سفر أعمال الرسل مشيراً إلى عمل سر المسحة (الميرون) فى العهد الجديد من حيث النبوءة: «هذا هو ما قيل بفم يوئيل النبى القائل: وسيحدث فى الأيام الأخيرة: هكذا قال الله: إنى سأسكب من روحى على كل بشر، **فيتنبأ بنوكم وبناتكم**، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاماً، وعلى عبيدى وإمائى سأسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون» (أعمال الرسل ٢: ١٦ - ١٨)، (يوئيل ٢: ٢٨).

فبمسحة الروح القدس فى سر الميرون أمكن للآباء الرسل القديسين أن يُنبئوا بأمور مستقبلة، كما أمكن أيضاً لغير الرسل الاثنى عشر من الرسل السبعين، ومن غيرهم من المؤمنين المعمدين الممسوحين بمسحة الروح القدس أن يتنبأوا بأمور مستقبلية.

فقد ورد عن « نبى اسمه أغابوس أنه أخذ منطقة (حزام - زنار) بولس، وقيد بها (به) يديه ورجليه، وقال : «**هذا ما يقوله الروح القدس**: إن الرجل صاحب هذه المنطقة **سيقيده اليهود هكذا فى أورشليم، ويسلمونه إلى أيدى الأمم (غير اليهودية)**» (أعمال الرسل ٢١: ١٠، ١١).

وقد تمت هذه النبوءة بالفعل فقد «تراكض الشعب (اليهودى) كله وتجمعوا على بولس، **وأمسكوه** وجروه ثم أمر أمير الكتيبة والحامية الرومانية، قائد الألف جنوده **بأن يقيدوه بسلسلتين**..» (أعمال الرسل ٢١: ٣٠ - ٣٣).

وكثيرون من القديسن سواء كانوا من رجال الكهنوت أو من الرهبان أو من عامة المؤمنين كانوا ينبئون بأمور مستقبلة.

ولعل من بينهم الأنبا صموئيل المعترف رئيس دير القلمون.

والأنبا بسنتى (بيزنتيوس) (بسنتاءوس) ٥٤٨ ـ ٦٣١م.

والأنبا باخوميوس أب الشركة (نحو ٣٤٦)م

ولهذا فإن المصلى يطلب فى كل يوم فى صلاة الساعة الثالثة من النهار: «أيها الرب الذى أرسلت روح قدسك (روحك القدوس) على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منا، أيها الصالح، لكن نسألك أن تجدده فى أحشائنا، ياربنا يسوع المسيح، ابن الله، الكلمة، روحاً مستقيماً ومحيياً، **روح النبوءة** والعفة، روح القداسة والعدالة (البر) والسلطة، أيها القادر على كل شىء، فإنك أنت هو **ضياء (نور) نفوسنا، يامن يضىء لكل إنسان** آت إلى العالم، ارحمنا، (القطعة الثانية).

عاشراً : سر المسحة (الميرون)

سر الحق

ومن مفاعيل الروح القدس فى سر المسحة أنه يحركنا **لنحب الحق** (مزمور ٩٨ : ٤)، (زكريا ٨ : ١٩)، (مزمور ٣٢ : ٥).

٢ - **ونفرح بالحق** (١ . كورنثوس ١٣ : ٦)، (٢ . يوحنا : ٤)، (مزمور ٥٠ : ٦)، (الأمثال ٢١ : ١٥).

٣ - **ونطلب الحق** (إشعياء ١ : ١٧)

٤ - **ونعرف الحق** (يوحنا ١٧ : ٣)، (١ . تيموثيئوس ٢ : ٤)، (٢ . تيموثيئوس ٢ : ٢٥)، (تيطس ١ : ١) ، (١ . يوحنا ٣ : ٢٤)، (٥ : ٢٠)، (٢ . يوحنا : ١).

قارن (٢ . تيموثيئوس ٣ : ٧) ، (العبرانيين ١٠ : ٦).

٥ - **ونقول الحق** (يوحنا ١٩ : ٣٥)، (٢ . كورنثوس ١٢ : ٦)، (مرقس ١٢ : ٣٢)، (١ . يوحنا ٢ : ٢١)، (الأمثال ٨ : ٨)، (١٢ : ٧)، (٢٢ : ٢١).

٦ - **ونقدس الحق** (أفسس ٤ : ٢٤).

٧ - **ونشهد للحق** (متى ١٢ : ١٨)، (٢٢ : ١٦)، (مرقس ١٢ : ١٤)، (لوقا ٢٠ : ٢١)، (يوحنا ١٨ : ٣٧)، (٢ . كورنثوس ٤ : ٢)، (٢ . تيموثيئوس ٢ : ١٥). قارن (الأمثال ١٩ : ٢٨).

٨ - **ونحكم بالحق** (لوقا ١٢ : ٥٧)، (يوحنا ٧ : ٤)، (التثنية ١ : ١٦)، (مزمور ٧١ : ٢)، (الأمثال ٢٩ : ١٤)، (إرميا ٢٢ : ٣)، (زكريا ٧ : ٩)، (٨ : ١٦).

٩ - **ونسير فى طريق الحق** (متى ٢١ : ٣٢)، (١ . يوحنا ٥ : ٢٠) ، (٣ . يوحنا : ٣، ٤، ٨)، (مزمور ٨٥ : ١١)، (١١٨ : ٣٠)،

(الأمثال ٢ : ٨)، (٨ : ٢٠)، (إشعياء ٣٣ : ١٥)، (٤٠ : ١٤).

١٠ - **ونطيع الحق ونطاوعه ونذعن له** (١ . بطرس ١ : ٢٢). قارن (رومية ٢ : ٨)، (غلاطية ٣ : ١)، (٥ : ٧).

١١ - **ونعبد الله بالروح والحق** (يوحنا ٤ : ٢٢، ٢٣)، (مزمور ١٤٤ : ١٨).

١٢ ـ **ونعـمل بالحق** (١ . يوحنا ٣ : ١٨)، (١ . كـورنثـوس ٥ : ٨)، (الجـامـعـة ٨: ١٠)، (حزقيال ٣٣ : ١٤)، (ميخا ٦ : ٨) .

ونعمل كل شيء بروح الحق (متى ٢٢ : ١٦)، (٢ . يوحنا : ١)، (٣. يوحنا : ١) .

لأن الروح القدس هو **روح الحق**، الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه **لأنه يقيم معكم ويكون فيكم**، (يوحنا ١٤ : ١٧)، ولأن ثمر الروح **هو فى كل صلاح وبر وحق**، (أفسس ٥ : ٩) .

انظر أيضا (يوحنا ١٥ : ٢٦)، (يوحنا ١٦ : ١٣)، (١ . يوحنا ٤ : ٦)، (٥ : ٦) .

حادى عشر ـ سر المسحة (الميرون)
سر يمنح القوة الروحية والشجاعة والثبات

ومن مفاعيل الروح القدس فى سر المسحة (الميرون) أنه يعطى الذين يقبلونه **القوة الروحية، والشجاعة فى قول الحق، والثبات على المبدأ، بلا تردد أو خوف، والصمود فى المواقف الصعبة، واحتمال الشدائد والصبر على المكاره فى سبيل الإيمان القويم.**

قال المسيح له المجد لتلاميذه القديسين «وها أناذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن **تلبسوا بقوة من الأعالى**» (لوقا ٢٤ : ٤٩) وقال أيضاً «لكنكم ستنالون **قوة** متى حل الروح القدس عليكم، فتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أعمال الرسل ١ : ٨).

فبعد أن كان الآباء الرسل جبناء رعاديد حتى إنه عندما قبض اليهود على معلمهم «تركه التلاميذ كلهم وهربوا» (متى ٢٦ : ٥٦)، بل بلغ الخوف ببطرس الذى زعم لسيده أنه «إن شك فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً» (متى ٢٦ : ٣٣)، (مرقس ١٤ : ٣١)، بلغ به الأمر أنه أنكر سيده أمام جارية وأمام الخدم فى بيت رئيس الكهنة «وراح يلعن ويحلف قائلاً : إنى لا أعرف هذا الرجل الذى عنه تتكلمون» (مرقس ١٤ : ٧١) وبعد أن صلب مخلصهم قبعوا فى العلية وأغلقوا من دونهم أبوابها، قال الإنجيل «وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين، خوفاً من اليهود» (يوحنا ٢٠ : ١٩).

امتلأوا شجاعة وقوة بعد أن حل الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين، فخرجوا إلى الناس وصاروا يعظون ويكرزون باسم الرب يسوع **بكل جرأة**. فبطرس الذى أنكر سيده أمام جارية وأمام الخدم وأخذ يلعن ويحلف قائلاً إنى لا أعرف هذا الرجل (متى ٢٦ : ٧٤)، (مرقس ١٤ : ٧١)، (لوقا ٢٢ : ٥٧)، (يوحنا ١٨ : ٢٦، ٢٧)، بطرس هذا وقف بشجاعة تامة ورفع صوته وأخذ ينادى ببشرى الخلاص لجميع الناس موبخاً زعماء اليهود بصرامة على رفضهم المسيح وصلبهم إياه ومما قاله : «أيها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا أقوالى هذه، إن يسوع الناصرى، وهو إنسان أظهره الله لكم بمعجزات وعجائب وآيات... **أسلمتموه وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه** وقد أقامه الله ففك إسار أوجاع الجحيم... ونحن جميعاً شهود بذلك... ومن ثم فليعلم علم اليقين بيت إسرائيل جميعاً أن الله قد أقر يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً. فلما

سمعوا هذا وخزتهم قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا علينا أن نعمل أيها الرجال الإخوة؟ فقال لهم بطرس : توبوا وليتعمّد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح فتغفر خطاياكم وتنالوا موهبة الروح القدس، لأن الموعد إنما هو لكم ولأبنائكم ولكل البعيدين ممن يدعوهم الرب إلهنا جميعاً ،وبأقوال أخرى كثيرة طفق يشهد لهم ويعظهم قائلاً لهم: انجوا بأنفسكم من هذا الجيل المعوج. فالذين تقبلوا كلامه اعتمدوا، وقد انضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس، (أعمال الرسل ٢ : ٢٢ ـ ٤١).

وبعد ذلك وقف بطرس الرسول مواقف جبارة أمام رؤساء كهنة اليهود وجند الهيكل، وشهد للمسيح بكل شجاعة، وحملهم مسئولية صلبه. ولما هددوه هو وزميله القديس يوحنا الرسول ،بأن لا يكلما أحداً من الناس فيما بعد باسم يسوع الناصرى. وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع، فأجاب بطرس ويوحنا وقالا لهم: **احكموا أنتم، إن كان حقا أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله. أما نحن فإنه لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وما سمعنا،** .

ثم يقول سفر أعمال الرسل: ،وامتلأوا جميعهم من الروح القدس، **وطفقوا ينادون بكلام الله بجرأة**... وكان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع بقوة عظيمة. وكانت عليهم جميعاً **نعمة عظيمة**...، (أعمال الرسل ٤ : ٨ ـ ٣٣).

ومرة أخرى استدعى القديس بطرس ورفاقه الرسل أمام رئيس كهنة اليهود الذى قال لهم ،أما أمرناكم مشددين عليكم أن لا تعلموا بهذا الاسم؟ وها أنتم أولاء قد ملأتم أورشليم كلها بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذ الإنسان. فأجاب بطرس والرسل، وقالوا: **إن الله أحق بأن يطاع أكثر من الناس**. إن إله آبائنا أقام يسوع الذى علقتموه أنتم على خشبة وقتلتموه. فهو الذى رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليمنح إسرائيل التوبة وغفران الخطايا، **ونحن شهود على هذه الأمور**، وكذلك يشهد الروح القدس الذى وهبه الله للذين يطيعونه، (أعمال الرسل ٥ : ٢٧ ـ ٣٢).

وكذلك فعل الروح القدس فى القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة ،**كان ممتلئاً من النعمة والقوة**، (أعمال الرسل ٦ : ٨) وصار أول الشهداء (أعمال الرسل ٧ : ٥٩، ٦٠).

وهكذا فعل الروح القدس فى جميع أبطال الإيمان فى كل تاريخ الكنيسة، دافعوا عن الحق الإلهى علانية وبكل شجاعة واحتملوا فى سبيل شجاعتهم الكثير من الآلام، ودفع بعضهم ثمن شجاعته حياته ودمه، ولعل من بينهم مارمرقس الرسول، والشهيد العظيم مارجرجس، والشهيد مرقوريوس أبو سيفين، والشهيد مارمينا العجائبى، والشهيدة القديسة دميانه، فضلاً عن أبطال الإيمان من أمثال القديس أثناسيوس الرسولي، والبابا ديوسقورس والقديس يوحنا ذهبى الفم وغيرهم كثيرون.

فإذا كنا بسر المعمودية قد صرنا من رعايا الملك المسيح ودخلنا أعضاء فى مملكته وملكوته، **فبسر المسحة** (الميرون) **صرنا للمسيح (جنوداً)** (فيلبى ٢ : ٢٥)، (فليمون : ٢)، (٢. تيموثيئوس ٢ : ٣، ٤) نعمل تحت قيادة رئيس خلاصنا يسوع المسيح (العبرانيين ٢ : ١٠) ونحارب عن الإيمان الأرثوذكسى ضد أعدائه.

وإذا كنا بسر المعمودية قد صرنا أبناء لله وأعضاء فى جسد المسيح المخلص، فبسر المسحة (الميرون) **نصير جنوداً فى جيش الخلاص** لامتداد ملكوته ومن **«معسكر القديسين»** (الجليان ـ الرؤيا ٢٠ : ٩).

يقول القديس أوغسطينوس :

«كل مسيحى يقبل ختم المسحة صار جندياً صالحاً لله».

ثانى عشر : سر المسحة (الميرون)
سر يلد ويولّد مواهب روحية جديدة

من مفاعيل سر المسحة (الميرون) أنه إذا أضرم بالعبادات والرياضات الروحية من صلوات وأصوام وقراءات وتأملات روحية وممارسات ومراقبة النفس ومحاسبتها بدقة وفحص الضمير وممارسة سرى التوبة والتناول من المائدة الربانية، فإن عمل الروح القدس فى المسيحى ينمو ويمتد ويلد ويولّد مواهب جديدة كلها صادرة عن الروح القدس، ومنها:

١ - موهبة إخراج الشياطين.

قال المسيح له المجد «بشروا بالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمد خلص... وستتبع المؤمنين هذه الآيات **فيطردون الشياطين باسمى**» (مرقس ١٦: ١٧)، (لوقا ١٠: ١٧)، (أعمال الرسل ٥: ١٦)، (٨: ٧)، (١٦: ١٨)، (١٩: ١٢).

٢ - وموهبة شفاء المرضى.

يقول المسيح له المجد «بشروا بالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمد خلص... وستتبع المؤمنين هذه الآيات، فيطردون الشياطين باسمى... **ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون** (مرقس ١٦: ١٥ - ١٨)، (أعمال الرسل ٥: ١٥، ١٦)، (٩: ١٧)، (٢٨: ٨)، (١. كورنثوس ١٢: ٩، ٢٨، ٣٠)، (غلاطية ٣: ٥).

٣ - موهبة النبوءة.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى كورنثوس:

«الروح واحد... وإنما كل واحد يعطى موهبة... وآخر يعطى مواهب الشفاء بالروح الواحد، وآخر اجتراح المعجزات، وآخر **النبوءة** ..» (١. كورنثوس ١٢: ٤ - ١٣).

وجاء فى رسالة القديس بولس إلى أفسس «وهو الذى أعطى البعض أن يكونوا رسلاً وبعضهم أنبياء..» (أفسس ٤: ١ - ١٢).

انظر أيضاً (متى ٧: ٢٢)، (أعمال الرسل ١١: ٢٧)، (١٣: ١)، (١٥: ٣٢)، (٢١: ٤، ٩، ١٠)، (١. كورنثوس ١٢: ٢٨)، (١٣: ٢)، (١٤: ١، ٦، ٢٩، ٣١).

٤ ـ وموهبة التكلم باللغات أو الألسنة.

يقول المسيح له المجد «وبشروا بالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمد خلص... وستتبع المؤمنين هذه الآيات ... **ويتكلمون بلغات جديدة**» (مرقس ١٦ : ١٨)، وجاء في سفر أعمال الرسل: «فامتلأوا جميعاً من روح القدس، **وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام**» (أعمال الرسل ٢ : ٤) أنظر (أعمال الرسل ١٠ : ٤٥، ٤٦)، (١٩ : ٥ – ٧)، (١ . كورنثوس ١٢ : ١٠، ٢٨، ٣٠)، (١٣ : ١)، (١٤ : ٢، ٤ – ٦، ٩، ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢١_ ٢٣ ، ٢٦، ٢٧، ٣٩).

٥ ـ وموهبة تمييز الأرواح.

جاء في رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس «أن المواهب على أنواع مختلفة، لكن الروح واحد.. **وإنما كل واحد يعطى موهبة تتجلى الروح فيها** لأجل المنفعة.. فيعطى واحد بالروح كلام الحكمة، وآخر يعطى كلام المعرفة من هذا الروح عينه، وآخر يعطى إيماناً بذلك الروح عينه، **وآخر يعطى مواهب الشفاء بالروح الواحد**، ـ وآخر اجتراح المعجزات، وآخر النبوءة وآخر تمييز الأرواح، وأخر التكلم بلغات (أنواع الألسنة) وآخر ترجمة الألسنة.. فإننا جميعنا قد تعمدنا بروح واحد لجسد واحد، يهودا كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، **وقد سقينا جميعنا روحاً واحداً**» (١ . كورنثوس ١٢ : ٤ – ١٣)، (١٤ : ٢٩).

وجاء في رسالة القديس يوحنا الأولى : «أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل **امتحنوا (اختبروا) الأرواح (لتروا) هل هي من عند الله**، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا (جاءوا) إلى العالم» (١ . يوحنا ٤ : ١).

وهذه المواهب المتنوعة يوزعها الروح القدس على المسيحيين المعمدين الذين نالوا المسحة المقدسة (الميرون) وأضرموا الروح بوسائط التنمية الروحية التي أعدها الله في كنيسته لهذا الغرض. والتوزيع يرسمه الروح القدس تبعاً لاستعداد المسيحي، وحسب احتياجات الكنيسة.

جاء في رسالة القديس بولس الرسول إلى أفسس «فأناشدكم إذن، أنا السجين (الأسير) في الرب أن تسلكوا سلوكاً يليق بالدعوة التي إليها دعيتم... **ولكل واحد منا أعطيت النعمة على مقدار ما وهب له المسيح**... وهو الذي أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، وبعضهم أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين، لأجل تكميل القديسين للقيام بتلك الخدمة التي ترمي إلى بنيان جسد المسيح...» (أفسس ٤ : ١ – ١٢).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول الى رومية: «فإنه كما أن لنا فى جسد واحد أعضاء كثيرة، ولكن ليس لجميع هذه الأعضاء عمل واحد، فكذلك نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح، وكلنا أعضاء بعضنا لبعض. فلذلك إذ لنا **مواهب مختلفة باختلاف النعمة المعطاة لنا**، فمن وهب (أوتى) النبوءة فليتنبأ بحسب مقدار الإيمان (وفقا للإيمان). ومن وهب الخدمة فليخدم، ومن له موهبة التعليم فليعلم. ومن له موهبة الوعظ، فليعظ، أو العطاء فليعط بسخاء، أو القيادة فليقد باجتهاد، ومن يرحم فليرحم بسرور» (رومية ١٢ : ٤ ـ ٨).

وجاء فى رسالة القديس بطرس الأولى «وليخدم كل واحد الآخرين بما نال من المواهب كما يليق بالوكلاء الصالحين على نعمة الله المتنوعة. إن كان أحد يتكلم فكأقوال الله (فليتكلم كلام الله)، وإن كان أحد يخدم فليخدم بما يمنحه الله من قوة لكى يتمجد الله فى كل شىء بيسوع المسيح» (١ . بطرس ٤ : ١٠، ١١).

أنظر (رومية ١٥ : ١٤)، (١ . كورنثوس ١ : ٥)، (٢ . كورنثوس ٢ : ٦، ٧)، (٤ : ١٣)، (٨: ٧)، (أفسس ١ : ٨)، (كولوسى ١ : ٩)، (العبرانيين ٢ : ٤).

إبتهـــال

ماذا أردَ لك يارب، عن وفرة ما أعطيتنى!

ها قد منحتنى الخلاص بدمك الزكى الكريم، وفى جرن المعمودية انسحقت عنى كل قوات الجحيم، وفى مياهها تنسمت نسمة الحياة الجديدة، إذ صرت بها إنساناً جديداً حسب صورة خالقه.

ولم تشأ، مع ذلك، أن تتركنى لنفسى، مع أننى كائن حر. فقد خفت علّى من ضعفى القديم أن أعود فأستدين من جديد، بعد أن اشتريتنى وفديتنى ودفعت ثمنى غالياً. وقلت لى، لن أتركك بغير نعمة جديدة تكفل لك الاستمرار فى حياة العتق والحرية. فالطريق أمامك طويل، وقد يرهقك ما سوف تجده فيها من أشواك خانقة لنفسك، ومتاعب تستنفذ طاقتك الروحية. لا يرضينى أن أتركك تسير فى الطريق الوعر من غير أن تساندك قوة من عندى جديدة، فأملؤك من روحى، فتتقوى وتتشدد، وتنمو وتزدهر، لا بل وتفيض منك أنهار ماء حى يشرب منها العطاشى ممن لم يدخلوا بعد فى حظيرتى، ولا ذاقوا مواهبى، ولا استناروا بنعمتى.

شكراً يا سيدى الرب!

فأنا لست ابناً فقط، مع أن هذا وحده شرف كبير لى، وإنما أنا جندى فى مملكتك السمائية التى على الأرض.

إن سر الميرون هو الذى جعلنى جندياً مسلحاً بسلاح الروح، ومختوماً بختمه المقدس، به تدشنت فتقدست لك يا إلهى، فصرت به وقفا عليك أنت وحدك أحارب فى مملكتك وتحت لواء صليبك، وأقاتل أعداءك، وأذود عن شعاراتك ومبادئك، وأناصر حلفاءك، وأنشر أعمالك وأقوالك، بأسلحة روحية غير مادية.

وبفضل هذا السر الذى ربطنى فى زيتونتك الجيدة، وثبتنى فى الحرية الجديدة التى أعدتها أنت لى يا إلهى باستحقاقات فدائك العجيب، صرت لا جندياً فقط، بل ونبياً وملكاً وكاهناً. وليس هذا شرفى وحدى، وإنما هو شرف جميع الذين نالوا بعد المعمودية بركات سر المسحة المقدسة.

ماذا؟

هل يصير كل مؤمنٍ دهن بهذا الطيب المقدس، كاهناً لك؟!

نعم يارب، فهذا هو الكهنوت العام الذى وهبته عن طريق هذا السر لجميع المسيحيين. لأن

الجميع يا إلهى يرفعون إليك ذبائح الحمد والشكر، ويقدمون إليك، وإليك وحدك، عطاياهم وقرابينهم ونذورهم. بهذا الكهنوت العام يصلون إليك يارب فى سرهم وعلنهم، فى البيت، وفى أماكن العمل، وفى الشارع، وفى كل مكان. ومن فوق مذابح قلوبهم ترتفع إليك صلواتهم فى كل يوم، بل فى كل لحظة ينادونك فيها.

هذا هو الكهنوت العام الذى أخطأ فهمه البعض، فظنوه يغنى كنيستك عن «الكهنوت الخاص» الذى لا يناله إلا المدعوون من قبلك، بأهلية خاصة، لتدبير كنيستك ورعاية شعبك.

هذه النعم الجزيلة، حاصرتنى بها يا مخلصى من كل جهة، حتى صرت غارقاً فيها.

يا لهذا السر العجيب يارب!

فلتعطنى أن أقدر هذه الموهبة الجديدة من مواهب روحك القدوس فى العهد الجديد!

وكما أن سر الحياة شيء، وسر النمو شيء آخر، وسر الاغتذاء شيء ثالث بالنسبة لكل كائن حى، هكذا فى العهد الجديد. فبالمعمودية منحتنى الحياة، وبالميرون النمو، وبالتناول قوتاً لروحى وغذاء لنفسى.

لذلك أسألك ربى أن تضرم موهبتك فىّ، وتشعلها، فتصير لى نوراً وناراً: نوراً ينير أمامى الطريق ويرشدنى السبيل ويبصرنى التصرف الحكيم، وناراً تحرق من أمامى ومن حولى المعطلات والأشواك، وتلهب القلب حمية مقدسة وغيرة آكلة على مجدك يا الله!

اضرم يارب النار التى أودعتها فى قلبى عندما أخذت هذا السر، سر الميرون، فيصير قلبى بها كشافاً، فأعرف أكثر فأكثر ضعفاتى ونقائصى ، وأعرف أيضاً واجباتى، فلا أهمل منها شيئاً ولا أنسى منها أمراً.

اضرم يا إلهى النور الذى أودعته فى روحى يوم نلت بيد الكاهن هذه المسحة المقدسة «مسحة الخلاص» حتى أصير فى كنيستك عضواً نافعاً، وحجراً حياً فى بنيان أسوار مدينة الله المقدسة فى أرض الشقاء والغربة.

اضرم يارب النار التى أدخلتها أنت فىّ عندما ختمونى على كل عضو من أعضاء جسدى فى ستة وثلاثين موضعاً، حتى أصير دائماً لك، ولك وحدك، وقفاً عليك وحراماً على الشيطان وكل قواته وجميع أعوانه وعملائه، فلا أستخدم أعضائى آلات إثم للخطيئة، بل تكون لك آلات بر وصلاح وقداسة وعمل نافع فى كنيسة الله.

اضرم يارب النور الذى تولد فىّ عندما لمسنى «ميرونك» هذا، حتى أكون به فرحاً للقديسين، ورعباً للأشرار وللشياطين!

اضرم يارب النار التى نفذت إلى أعضائى الباطنة والظاهرة عند ما ضمخوها بدهنك هذا المقدس، حتى أغار دائماً غيرتك، فأحب الحق دائماً وأتبعه بإخلاص كامل، وأغار عليه غيرة رب الجنود، وحتى يكون فىّ من الشجاعة والقوة والأمانة بحيث أخدمه على الدوام بغير توان وبلا فتور، متحملاً فى سبيله كل المتاعب من أعداء الحق الذين يكرهون الحق، أو يتملقون الباطل، أو يداهنون الشر، بل والذين يهادنون الباطل أحياناً باسم الحكمة!!

يا إلهى، ما دام ميرونك على أعضائى، وفى كل روحى وجسمى، أرجو صلاحك أن تجعلنى عبداً خاصاً بك وحدك، فلا أخدم سيدين، ولا أتعبد لكثيرين.

لك المجد والإكرام والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

القيم الروحية

فى ســـر المسحة (الميرون)

موضوعات وإجابات على أسئلة

١ - دهن المعمدين بالميرون فى ٣٦ موضعاً (١)

سؤال : من الأب المحترم القس متى وديع سامى - سوهاج - سفلاق.

يقول بالنسبة لمعمودية الكبار فى السن، وبالذات السيدات نكتفى برشم الأعضاء الظاهرة، فهل هذا صحيح؟

الجواب :

السؤال هنا عن الدهن بالميرون، وهو سر المسحة المقدس، وهو السر الثانى بعد سر المعمودية.

والدهن بالميرون هو لجميع المعمدين، الكبار والصغار، **والدهن هو فى ستة وثلاثين موضعاً، وهى المنافذ التى ينفذ منها الروح النجس إلى جسم الإنسان.**

قال المسيح له المجد (إن الروح النجس إذا خرج من إنسان طاف بالقفار يلتمس راحة فلا يجد، وعندئذ يقول: سوف أرجع إلى دارى التى بارحتها فإذا جاء يجدها خالية مكنوسة مزينة. فيذهب ويأخذ معه سبعة أرواح آخرين أكثر منه شراً، وهناك يدخلون ويقيمون، فتكون أواخر ذلك الإنسان أسوأ من أوائله. هكذا سيكون لهذا الجيل الشرير (متى ١٢ : ٤٣ - ٤٥)، (لوقا ١١ : ٢٤ - ٢٦)، (أيوب ١ : ٧)، (١. بطرس ٥ : ٨).

ولما كان الكاهن ينفخ ثلاث مرات فى وجه الشخص قبل تعميده وتغطيسه فى جرن المعمودية، ويقول (اخرج أيها الروح النجس) ثم يعمده بتغطيسه ثلاث مرات على اسم الثالوث القدوس، فبعد خروجه من جرن المعمودية، يمسح الكاهن أعضاء المعمد، فى ستة وثلاثين موضعاً، وهى **النافذة التى ينفذ منها الروح النجس إلى جسم الإنسان**، فيغلقها بمسحة الميرون بمثال الصليب، حتى يمنع الروح النجس من أن يدخل إلى جسم المعمد بعد خروجه من جرن المعمودية. وهذا عملاً بما علم به المسيح له المجد الذى أفادنا بإمكانية عودة الروح النجس إلى جسم الإنسان بعد خروجه منه. ومما هو جدير بالذكر أنه إذا عاد، فلا يدخل بمفرده بل (يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح آخرين أكثر منه شرا. وهناك يدخلون ويقيمون، فتكون أواخر ذلك الإنسان أسوأ من أوائله).

---

(١) كتب أول مايو - أيار لسنة ١٩٩٢م - ٢٣ من برموده لسنة ١٧٠٨ ش.

من هنا الأهمية القصوى لغلق المنافذ بمسحة الميرون، بعد الخروج مباشرة من جرن المعمودية، حتى يمنع الروح النجس من أن يدخل إلى جسم الإنسان. وفى هذا بيان لجمال ترتيب كنيستنا القبطية، ومطابقته لتعليم المسيح له المجد.

وإذا قلنا، إن ترتيب الكنيسة بدهن المنافذ وختمها وإغلاقها بمسحة الميرون فى ستة وثلاثين موضعاً، فهذه المنافذ الستة والثلاثين هى كما جاء فى التقليد المسلّم إلينا من القديم، هى بالفعل المنافذ التى ينفذ منها الروح النجس إلى جسم الإنسان، كما وصل إلى العارفين من عالم الروح منذ آبائنا المصريين القدماء - وفى هذا تنفرد كنيستنا القبطية الأرثوذكسية عن جميع الكنائس الأخرى الأرثوذكسية الذين يكتفون بمسح الأعضاء الظاهرة.

أما بالنسبة للنساء والبنات البالغات فلقد أمرت الدسقولية بأن يستعين الكاهن بالمرأة الشماسة - فالكاهن يدهن الأعضاء الظاهرة فى المعمدات من النساء - وتدهن الشماسة أعضاءهن الداخلية.

جاء فى الدسقولية، الباب الرابع والثلاثين:

(ولأجل هذا يا أسقف أقسم الشمامسة... وتقسم أيضاً شماسات نسوة مختارات قديسات **لأجل خدمة النساء.... ولأنك تحتاج إلى الشماسات النساء** فى أشياء كثيرة **وأول ذلك لأجل امرأة تتعمّد**... الكاهن يدهن جبهتها... من الزيت المقدس، **وبعده تدهنه الشماسة الامرأة كلها،** لأنه لا يجوز للرجال أن يتأملوا النساء إلا بوضع اليد عليهم لا غير، لكن يدهن الاسقف رأس المرأة...) (الدسقولية - الباب٣٤).

والخلاصة أنه يجب دهن أعضاء جميع المعمدّين كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً فى **ستة وثلاثين موضعاً** حسب ترتيب كنيستنا القبطية وتقليدنا الحكيم المطابق تماماً لتعليم المسيح له المجد. **وفى حالة النساء يستعين الكاهن بالشماسة، لتدهن أعضاء المرأة الداخلية.**

٢ ـ المؤمنون المعتمدين هم هياكل لله (١)

سؤال : هل يعتبر غير المؤمنين هياكل لروح الله، أم فقط أولئك الذين ينالون سر الميرون المقدس؟ هل الضمير هو روح الله؟

الجواب :

في كل مرة وردت كلمة «هيكل» بهذا المعنى في الكتاب المقدس، كان الكلام ينصرف فيها إلى المسيحيين الذين نالوا مواهب الروح القدس.

١ ـ «**أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم**؟ إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله، **لأن هيكل الله مقدس، الذى أنتم هو**» (١ ـ كو٣: ١٦، ١٧).

وهى عبارة يتوجه بها الرسول إلى المؤمنين بكنيسة كورنثوس فى سياق حديثه عن الإنقسامات بينهم إلى حزب التابعين للرسول بولس وحزب التابعين للقديس أبولوس.

٢ ـ «**أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم**، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم، **لأنكم قد اشتريتم بثمن**، فمجدوا الله فى أجسادكم (وفى أرواحكم التى هى لله)» (١ ـ كو٦: ١٩، ٢٠).

والكلام هنا أيضاً إلى مؤمنى كورنثوس الذين تعمدوا ونالوا سر حلول الروح القدس فى سر الميرون. وأظن أن الإشارة واضحة فى ذلك «لأنكم قد اشتريتم بثمن» وهو ما لا ينطبق على غير المؤمنين.

٣ ـ «**لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين**، لأنه أية خلطة للبر والإثم... **وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن**.. وأية موافقة **لهيكل الله** مع الأوثان؟! **فانكم أنتم هيكل الله الحى**، كما قال الله: إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً» (٢ ـ كو٦: ١٤ – ١٦).

وهو تعبير ناطق بأن المؤمنين وحدهم هم هياكل الله، فقد وصف غير المؤمنين. بصفات الإثم، وخلع عليهم ألقاب: الظلمة، وبليعال وأتباع الأوثان. كما يبين أن سر تسمية المؤمنين بهياكل الله، أن الله يسكن فيهم وهى نبوءة نطق بها رجال العهد القديم يشيرون بها إلى بركات العهد الجديد ولذلك وردت النبوءة بصيغة المستقبل لا الحاضر «سأسكن فيهم».

---

(١) نشر فى مجلة مدارس الأحد فى يونيه ١٩٥٠م.

٤ ـ «ولكن الآن فى المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح... فلستم إذن بعد غرباء ونزلاء، بل رعية مع القديسين، وأهل بيت الله، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. الذى فيه كل البناء مركباً معاً، ينمو هيكلاً مقدساً فى الرب، الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح» (أف ٢ : ١٣، ١٩ ـ ٢٢).

كذلك هذا النص نلتقى به فى رسالة القديس بولس إلى كنيسة أفسس أو على حد تعبير الرسول نفسه، «**إلى القديسين الذين فى أفسس، والمؤمنين فى المسيح يسوع**» (أف ١ : ١) ثم أنه فى هذا النص يخاطبهم بعد أن صاروا قريبين بدم المسيح ورعية مع القديسين وأهل بيت الله.

الميرون والروح القدس

من كل هذه النصوص يبدو واضحاً أن مقولة «هياكل الله» لا تصدق على غير المؤمنين بالمسيح وأن المؤمنين صاروا هياكل لله، لأن روح الله فيهم (١. كو ٦ : ١٩)، ويسكن فيهم (١. كو ٣ : ١٦). (٢. كو ٦ : ١٦).

ولكن الروح القدس لا يكون فى المؤمنين ولا يسكن فيهم بمجرد إيمانهم بالسيد المسيح بل بحلول الروح القدس فيهم، بعمل خاص مستقل عن فعل الإيمان، وإن كان يتوقف على الإيمان.

قال السيد المسيح : «وأنا أسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم» (يو ١٤ : ١٦، ١٧)، فهو يعد التلاميذ الأطهار بأن يعطيهم شيئاً جديداً مستقلاً عن إيمانهم بالمسيح وقد كان متوفراً بطبيعة الحال.

ومرة أخرى يقول : «من يؤمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء الحياة. قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح (المقدس) لم يكن قد حل بعد لأن يسوع لم يكن تمجد بعد» (يو ٧ : ٣٨، ٣٩) فكأنه يشير إلى موهبة لم ينلها المؤمنون بالمسيح بعد، وأنهم سينالونها بعد أن يتمجد المسيح بقيامته من بين الأموات.

هذه الموهبة «هى التى نالها الآباء الرسل أولاً فى يوم الخمسين، يوم أن حل الروح القدس

عليهم فى شبه ألسنة نارية (أع ٢)، وقد رأى الرسل فى هذا الحلول تحقيقاً لوعد السيد المسيح لهم بالروح المعزى (أع ٢ : ٣٣).

ولكن الآباء الرسل علّموا غير المؤمنين، بأن حلول الروح القدس بالنسبة لهم، لابد أن يسبقه الإيمان ثم التوبة، ونوال سر العماد: ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟ فقال لهم بطرس: **توبوا، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس**، لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد، كل من يدعوه الرب إلهنا، (أع ٢ : ٣٧، ٣٩).

يؤيد هذا الترتيب الإلهى، ما نلاحظه فى الخطة التى جرت عليها الكنيسة المقدسة بالنسبة لغير المؤمنين: ففى مدينة السامرة، آمن كثيرون من أهلها بنداء القديس فيلبس، ويظهر أنهم نالوا سر العماد على يديه. ولما كان سر التثبيت أو سر حلول الروح القدس، أو سر المسحة أو الميرون كما تسميه الكنيسة، لا يهبه إلا أصحاب الدرجة الرسولية أو الكهنوتية العليا، فإن أهل السامرة نالوا العماد، ولم ينالوا سر حلول الروح القدس: «ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، اللذين لما نزلا، صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس، **لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع**. حينئذ وضعا الأيادى عليهم، فقبلوا الروح القدس» (أع ٨: ١٤ - ١٧) ومن هنا فإن سر الميرون سر قائم بذاته، وله عمل خاص مستقل عن عمل سر العماد يؤيد هذه الحقيقة كذلك ما ذكره سفر الأعمال أيضاً عن المؤمنين الذين قبلوا دين المسيح فى أفسس، أن القديس بولس.. قال لهم: «هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا: فقال بولس: إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده، أى بالمسيح يسوع... **فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع، ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون**» (أع ١٩ : ١ - ٧).

* * *

وبعد، فهذا هو سر حلول الروح القدس الذى لا يناله غير المؤمنين المعتمدين باسم الثالوث الأقدس، والذى أطلق عليه الرسل فى رسائلهم بعد ذلك اسم المسحة أو التثبيت: «ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح، وقد مسحنا هو الله، الذى ختمنا أيضاً، وأعطى عربون الروح فى

قلوبنا» (٢. كو ١ : ٢١، ٢٢) . ولقد احتفظت كنيستنا فى طقس هذا السر، بهذه التعبيرات التى أوردها الرسول فى مقالته: فتسمية «سر التثبيت»، وسر «المسحة» وعندما يدهن الكاهن كل عضو من أعضاء المؤمن يقول: («ختم» موهبة الروح القدس، آمين) .

وهكذا الرسول يوحنا يسميه المسحة: «وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم، بل تعلمكم هذه المسحة عينها، عن كل شيء» (١. يو ٢ : ٢٧) ومنه تعرف أن سر المسحة هو بعينه سر الروح القدس، لأنه هو الذى وصفه السيد المسيح بأنه، «يعلمكم كل شيء» (يو ١٤ : ٢٦) .

ولعل السر فى هذا التحول بين سفر الأعمال، والرسائل، أن الرسل كانوا أولاً يتممون هذا السر بوضع أيديهم على المؤمنين بعد العماد، فلما كثر عدد المؤمنين، وأصبح من المتعذر على الرسل أن يضعوا أيديهم على هذا العدد الكبير من المؤمنين، فقد اتفقوا بارشاد الله على أن يصنعوا دهن المسحة أو الميرون من حنوط السيد المسيح، مضافاً إليه نحو ثلاثين صنفاً من العطور والأطياب الواردة بسفر الخروج (ص٣٠)، وبعد تكريسها بكلمة الله والصلاة، يوزعوها على صغار الكهنة من القسوس فى الكنائس، فيدهنوا المعتمدين بدهن كرسه الرسل وهم أصحاب السلطان فى وضع الأيدى لحلول الرح القدس.

الضمير وروح الله

أما الضمير، فليس هو الروح القدس. لأن الضمير يوجد عند جميع الناس. بينما أن الروح القدس على ما أوضحنا لا يسكن فى غير المؤمنين المعتمدين (ونحن بطبيعة الحال نفرق بين حلول الروح القدس: فى العهد القديم كان يحل حلولاً خاصاً على بعض الناس ذوى المراتب الخاصة كالملوك، والكهنة، والأنبياء فقط، كما أنه كان يحل عليهم حلولاً موقوتاً بأداء مهمتهم، وقد يفارقهم بعد ذلك. أما بالنسبة للمؤمنين المعمدين فى العهد الجديد فبمجرد نوالهم سر الميرون يحل فيهم حلولاً دائماً، ويبقى فيهم، ويسكن فيهم، كما يقول السيد المسيح. وإذن فكل مسيحى معمد ينال بالميرون ما كان وقفاً على الملوك والكهنة والأنبياء فى العهد القديم، وبهذا المعنى نفهم كيف صرنا بالميرون «ملوكاً وكهنة لله»)

قلت، إن الضمير فى جميع الناس، مؤمنين وغير مؤمنين. أما الروح القدس فلا يقيم فى غير قلوب المؤمنين المعمدين وأظنك تعرف أن كلمة الضمير توجد فى جميع اللغات، وينطق

بها جميع الناس على إختلاف بيئاتهم وعصورهم. وهو هذا الشعور الباطنى الذى يلح على الإنسان باتباع الخير واجتناب الشر... أو هذا التمييز الطبيعى الذى يفرق به الإنسان بين الخير والشر كما يفرق بلسانه بين الحلو والمر، وبلمسة بين الناعم والخشن. وقد تحدث الرسول عن غير المؤمنين فقال إنهم يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم، شاهداً أيضاً **ضميرهم**... (رو ٢ : ١٥) كما أنه فى رسالته إلى تلميذه تيطس يقول: كل شيء طاهر للطاهرين؛ وأما للنجسين **وغير المؤمنين**، فليس شيء طاهراً، بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم (تى ١ : ١٥) فلغير المؤمنين إذن ضمائر؛ وكل ما هنالك من فارق بينهم وبين المؤمنين، أن ضمائر غير المؤمنين قد تنجست وفسدت وفقدت كثيراً من خصائص التفريق بين الخير والشر، بسبب الخطيئة، الأمر الذى اقتضى تدخل الشريعة الموسوية أولا لإصلاح هذا الفساد مؤقتاً، إلى أن أتى زمن الإصلاح الحقيقى بمجيء السيد المسيح وعمل الفداء والتبرير والتطهير الذى قام به والذى يناله المؤمن بفاعلية سرى المعمودية والميرون «دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب، **يطهر ضمائركم** من أعمال ميته لتخدموا الله الحى» (عب ٩ : ١٤) «لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان، مرشوشة قلوبنا من **ضمير شرير**، ومغتسلة أجسادنا بماء نقى» (وهو إشارة واضحة إلى فعل سر المعمودية فى ضمائرنا البشرية) (عب ١٠ : ٢٢).

فالضمير صوت من الله فى باطن الإنسان، لكنه صوت طبيعى للنفس الناطقة العاقلة التى خلقت على صورة الله، والتى تمقت الشر بطبيعتها من حيث هى نفخة من الله. ولكنه مع ذلك غير الروح القدس الذى هو موهبة أو عطية مفاضة على الطبع الآدمى من قبل الأقنوم الثالث من اللاهوت القدوس، حتى يكون ناراً تحرق الفساد، ونوراً يكشف الطريق إلى الكمال، وقد خص بهذه الموهبة من آمن بالمسيح، ومات معه فى المعمودية «ليثبت» فى المسيح، وينال «خاتم البنوة»، «وختم الروح»، ونور المعرفة والحكمة «والعلم»، والإرشاد إلى «أمور آتية».

٣ ـ عند نضح الميرون

سؤال : من الأخ چورچ حبيب بباوى بجامعة كامبريدج بانجلترا يقول:

كيف يطلب الكاهن حلول الروح القدس عند نضح الميرون، ويكرر هذا الطلب فى الرشومات الستة والثلاثين؟

الجواب : أقول أن الميرون رسم من الرسل الأطهار ليتحقق به حلول الروح القدس على من يدهن به، لأن الميرون قد تقدس بكلمة الله والصلوات(١)، وبالأطياب التى وضعت على جسد الرب(٢). وهذا لا يمنع أن يسأل الكاهن الله أن يمنح الميرون فعاليته فى قابله بلا مانع ولا عائق. وهو أمر لائق ومناسب حيث أن الأسرار هبات سماوية، ولله أن يعطى ويمنح بناء على استحقاقاته تعالى، وعلى أن لا يكون ثمت عائق أو مانع من قبل الإنسان نفسه. فالطلب من جانبنا دليل على شعورنا بحاجتنا إلى المواهب السماوية، وعلى أننا نحن الذين نطلبها ونرغب فيها، ولا نساق إليها أو تفرض علينا. ثم إذا طلبناها بأنفسنا كان فى طلبها معنى تقديرنا لها ومسئوليتنا بالتالى نحوها، لنصونها ونحفظها ونحفظ لها قدسيتها. ولهذا يقول المسيح له المجد فى هذا الصدد «فإذا كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه» (٣).

وأما فى الرشوم الستة والثلاثين، فالكاهن إذ يدهن كل عضو ويقول «مسحة نعمة الروح القدس، آمين».. الخ. **فهنا فى كل رشم يقرر** (ولا يطلب) **أن هذه المسحة هى مسحة نعمة الروح القدس**. وبالدهن بالميرون يقدس الروح القدس العضو المدهون ويتسلم رعايته وحمايته من نفاذ الشيطان إليه بعد أن تم طرده منه. والحق أن هذا الطقس المقدس يذكرنا باسلوب الاحتلال الوطنى بعد طرد الاحتلال الاجنبى فى دولة كانت مستعبدة فأصبحت حرة، أى أن جنود الوطن يستردون المواقع التى كان يحتلها جنود الاستعمار بعد جلاء العدو من البلاد.

---

(١) تيموثيئوس الأولى ٤ : ٥.

(٢) (مرقص ١٦ : ١)، (لوقا ٢٣ : ٥٦)، (٢٤ : ١)، (يوحنا ١٩ : ٤٠).

(٣) (لوقا ١١ : ١٣)، قارن (متى ٧ : ١١).

٤ ـ هل للقسيس أن يضع يده بالميرون وينفخ بالروح القدس؟

سؤال : من الأخ چورچ حبيب بباوى ـ بجامعة كيمبريدج بانجلترا.

يرد فى كتاب طقس المعمودية أن الكاهن يصلى صلاة وضع اليد ثم ينفخ فى وجه المعتمد ويقول «اقبل الروح القدس». فهل أبقت الكنيسة المرقسية، كنيسة الأسكندرية على سر المسحة فى شكله الرسولى القديم أو الأصلى وهو وضع اليد والنفخة.. ثم أضيف إلى هذا، الرشم بالميرون عندما حل الميرون محل وضع اليد؟ ومما يؤيد هذا صلاة اليد المذكورة حيث يقول الكاهن فيها «أنت أيضاً الآن يا مالكنا أرسل عليهم نعمة روحك القدوس المعزى وأشركهم فى الحياة الأبدية...». هذا سؤال وهناك سؤال آخر: هل للقسيس أن يقوم بوضع اليد والنفخة؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يؤيد هذا مزاعم بعض الفرق البروتستانتية التى تدعى أنه ليس هناك تفريق بين إختصاصات الأسقف واختصاصات القسيس؟

الجواب :

إن كتاب طقس المعمودية لم يذكر لا كلمة «أسقف» ولا كلمة «قسيس» وإنما ذكر كلمة «كاهن». **والكاهن كما تعلم يشمل الأسقف كما يشمل القسيس**. ويبدو أنه فى بعض الأحيان كان الأسقف يشترك فى بعض طقوس المعمودية وفى الدهن بالميرون المقدس خاصة بالنسبة للموعوظين (وهم غير المؤمنين الراغبون فى دخول الايمان المسيحى فى سن البالغين)، فكان الأسقف يفحصهم ويعاونه فى ذلك القسوس. ليختار منهم اللائقين لقبول سر العماد المقدس، وكان بالطبع يعظهم ويشرح لهم حقائق الإيمان الجديد يعاونه فى ذلك القسوس.

ولا يفوتنا أن نشير مرة أخرى إلى أن منح حق التعميد والدهن بالميرون، للقسوس، ليس معناه أن الأسقف لا يعمد ولا يدهن بالميرون. وإنما معناه أن أول اختصاص للأساقفة هو الكرازة والتعليم، فلكى لا يتعطل الأساقفة عن قيامهم باختصاصهم الأول والأعظم وهو الكرازة والتعليم، قدس أباؤنا الرسل الميرون ليمكنوا القسوس من القيام به بدلاً منهم. أما إذا كان الأسقف موجوداً واتسع وقته للتعميد وللدهن بالميرون ـ ولو فى بعض المناسبات على الأقل ـ فهو أولى من القسيس بذلك، لأن له كل ملء الكهنوت، والقسيس أخذ الموهبة بوضع يد الأسقف عليه.

وتاريخ الكنيسة يدلنا على أن البابوات البطاركة كانوا يعمدون فى بعض المناسبات. وفى تاريخ كنيستنا الأرثوذكسية كثير من الشواهد على ذلك: فالبابا ثاؤنا (وهو السادس عشر) هو الذى عمد الطفل بطرس الذى أصبح فيما بعد البابا بطرس خاتم الشهداء (وهو السابع عشر). والبابا الكسندروس (وهو التاسع عشر) هو الذى عمد الطفل أثناسيوس الذى أصبح فيما بعد البابا أثناسيوس الرسولى (وهو العشرون)، والبابا بطرس خاتم الشهداء هو الذى عمد ولدى المرأة الانطاكية فتجمد الماء كالحجر (١) لأن المرأة سبقت فعمدت طفلها بدمها عندما ثارت فى البحر عاصفة هوجاء وخافت على ولديها من الغرق والموت من غير عماد.. والأمثلة من غير ما ذكرنا كثيرة.

لذلك فإن كتاب المعمودية المقدسة والميرون المقدس لم يخص التعميد أو الدهن بالميرون المقدس بالقسيس، بل بالكاهن عموماً على أساس أنه يمكن أيضاً للأسقف فى بعض الظروف أن يقوم بتعميد الموعوظين أو الأطفال فى بعض المناسبات إذا سمح وقته بذلك. أو إذا اقتضت الظروف الملحة ذلك.

وبناء على هذا. إذا وضع الأسقف يده على المعمد عند الدهن بالميرون ونفخ فى وجهه، فهذا من حقه واختصاصه كأسقف، له أن يضع اليد، وأن ينفخ نفخة الروح القدس. وفى هذه الحالة يكون الدهن بالميرون ليس عملاً اضافياً على وضع اليد، بل طقساً مسانداً ومؤيداً لفعالية هذا السر المقدس. وكلا وضع اليد والدهن بالميرون واسطتان لسريان عمل الروح القدس الواحد وفعاليته فى قابل السر. لكن حلول الروح القدس واحد، وهو لا يتكرر بتغير الواسطة أو باستخدام الواسطتين معاً. ومثلنا فى هذا مثل الكهرباء فإنها فى جوهرها لا تتغير بتعدد الأسلاك الموصلة. وكذلك الماء لا يتغير فى جوهره بتغير الأنابيب (المواسير) الحاملة له أو الصنابير التى يصل عن طريقها الماء إلى الناس.

وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نقف هنا هنيهة لنشير إلى أنه إذا كان من الممكن للاسقف أن يعمد وأن يدهن بالميرون، فإن فى هذا حلاً طبيعياً مناسباً لمشكلة السيدات والفتيات اللاءى يتقدمن لسر الميرون فى سن البالغين. إذ يكفى فى هذه الحالة أن يقوم الأسقف بوضع اليد على رأس المرأة ودهن جبهتها والأعضاء الظاهرة (الرأس فالجبهة فالأنف فالأذن اليمنى فالعين اليمنى فاليسرى فالأذن

---

(١) أنظر السنكسار تحت اليوم التاسع والعشرين من شهر هاتور.

اليسرى، ومفصل عرقوب الرجل اليمنى وأعلاه وعرقوب الرجل اليسرى وأعلاه) **ولا داعى للحرج الكبير الذى يقع فيه القسيس بدهن المرأة البالغ فى ستة وثلاثين موضعاً من جسمها، كما هو الحال بالنسبة للبالغين من الرجال أو بالنسبة إلى الأطفال.**

ولما كان تعميد البالغات من السيدات والفتيات نادرا، فلن يضيق وقت الأسقف عن القيام بدهنهن بالميرون المقدس فى المواضع الظاهرة التى ذكرناها.

أما إذا كان الكاهن قسيساً ووضع يده على المعمد. فوضع اليد فى هذه الحالة هو للبركة فقط، وليس كما يضع الأسقف يده لحلول الروح القدس. وإذا نفخ القسيس فى وجه المعمد وقال له «اقبل الروح القدس» فهذه النفخة جائزة للقسيس فى أحوال كثيرة، وهو ينفخ فى الماء للبركة، كما ينفخ أحياناً فى وجوه المؤمنين. ذلك لأن القسيس هو كاهن أيضاً من قبل الروح القدس بوضع يد الأسقف عليه وقد أخذ منه وعن طريقه نعمة الروح القدس، فيمكنه أن يهب كما أخذ من موهبة الروح القدس الذى حل عليه واستقر فيه بالخلافة الرسولية.
ومثل القسيس بالنسبة للأسقف فى هذا الأمر مثل المصرف أو القناة بالنسبة إلى النهر الذى يخرجان منه. فالقناة أو المصرف فرع وأما النهر فهو الأصل، لكن الماء الذى فى المصرف أو القناة هو نفس الماء الذى يجرى فى النهر، لأن منه وعنه قد أخذ.

أما قول الكاهن بعد دهن الميرون «أنت أيضاً الآن يا مالكنا أرسل عليهم نعمة روحك القدوس المعزى» فليس هذا معناه أن الروح القدس لم يحل بعد وإنما هذه الصلاة هى جزء متمم للطقس. ولعل الكاهن لا يطلب هنا نفس النعمة التى حلت أثناء الدهن بالميرون المقدس، وإنما يطلب عملاً آخر للروح القدس مكملاً وتابعاً من سر الميرون أو التثبيت وهو «الامتلاء من (عمل) الروح القدس»، حينما يبدأ الميرون يفعل سره فى المؤمن، ويبدأ المؤمن يهيىء للميرون استعداده الشخصى لفعالياته الكثيرة، فيثمر فى حياة المؤمن مواهب روحية جديدة، بعضها للنمو والتقدم فى حياة القداسة، وبعضها لخدمة جسد المسيح أى الكنيسة خدمة عضو حى فيها، وذلك الثمر وهذه المواهب الروحية الجديدة تتولد من سر الميرون بممارسة الرياضات الروحية من صلوات وأصوام وقراءات وتأملات وتناول من الأسرار المقدسة وغيرها من وسائط التقوى التى تضرم موهبة الروح القدس التى نالها المعمد فى سر الميرون.

ودليلك على أن نعمة جديدة للإمتلاء بالروح القدس مطلوبة مع حلول الروح القدس فى سر الميرون أن الكاهن يعود بعد ذلك ليطلب طلبات روحية لأجل الذين قبلوا المعمودية والميرون فيقول فى صلاة «وضع الأكاليل» على المعمدين : «قوهم لكى يكملوا وصاياك وأوامرك» ويفوزوا بخيرات ملكوت السماوات» ثم يقول أيضاً «امنح عبيدك أن يكونوا مملوئين من نعمة روحك القدوس» .

القيم الروحية

فى سر القربان المقدس

القيم الروحية فى سر القربان المقدس

فى سر القربان المقدس

وهو سر جميع الأسرار(١) به يغتذى المؤمن روحياً بجسد المسيح إلهنا وبدمه الثمين تحت أعراض الخبز والخمر، فبصلوات الكاهن المرتبة بالقداس الإلهى على الخبز والخمر يحل الروح القدس عليهما فيتحول ويتغير ويتبدل جوهر الخبز إلى جسد المسيح، وجوهر الخمر إلى دمه!! وعلى ذلك فالمؤمن لا يتناول خبزاً وخمراً على بسيط الحال وإنما يتناول فعلاً جسد المسيح الحى ودمه الطاهر المسفوك عن خلاصنا.

هذه هى عقيدتنا الأرثوذكسية فى سر الاستحالة، وهى قائمة على النطق الإلهى **«أنا الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذى سأعطيه(٢) أنا هو جسدى الذى سأبذله عن حياة العالم.. لأن جسدى هو مأكل حقيقى ودمى هو مشرب حقيقى»**(٣)، وقائمة أيضاً على فاعلية أمر مخلصنا وشهادته **«خذوا كلوا، فإن هذا هو جسدى... اشربوا من هذا كلكم فإن هذا هو دمى»**(٤).

وليست هذه العقيدة للنظر والجدل بين من يؤمن بها ومن لا يؤمن ولكنها لفوائد روحية جزيلة.

ومن ذلك :

أولاً: بسر القربان ننال الخلاص وغفران الخطايا.

إن المسيح له المجد مات بديلاً عنا، وبموته فدانا من خطايانا(٥)، وعتقنا من الحكم علينا بالموت الأبدى الذى كان قد تقرر على جنسنا بخطيئة أبينا آدم وصرنا ننال إستحقاقات هذا الفداء فى المعمودية المقدسة. فقد أصبحت هى وسيلتنا للحصول على إستحقاقات الخلاص الذى تم فى الصليب مرة، بها نتطهر من خطايانا الجدية، وخطايانا الفعلية التى قد نكون قد ارتكبناها قبل المعمودية إذا كنا قبلنا المعمودية كباراً.

---

(١) عن صلاة الحجاب لقداس القديس مرقس الرسول المعروف بالقداس الكيرلسى «لأن القديس كيرلس الأول الشهير بعمود الدين هو الذى دونه».

(٢) فى صيغة المستقبل، والإشارة إلى زمن تسليمه السر المقدس ليلة آلامه (لوقا ٢٢ : ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٤).

(٣) يوحنا ٦ : ٥١، ٥٥.

(٤) (متى ٢٦ : ٢٦ ـ ٢٨)، (مرقس ١٤ : ٢٢ ـ ٢٤)، (لوقا ٢٢ : ١٩ـ٢٠)، (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٤، ٢٥)

(٥) (عبرانيين ١ : ٢).

أما الخطايا اليومية التى تقترف بعد المعمودية، فهذه تغتفر بسر القربان المقدس إذا قدمت عنها توبة صادقة، لأن سر القربان هو أيضاً ذبيحة الصليب عينها التى تمت بها الكفارة، ولا تزال استحقاقاتها تشملنا إلى الأبد.

من نصوص الكتاب المقدس:

قال مخلصنا فى بيان قيمة سر القربان من جهة غفران الخطايا: «والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى **سأبذله عن حياة العالم»** (١).

وقال الوحى الإلهى(٢) عن سيدنا فى ليلة تسليم هذا السر العظيم: **«وأخذ يسوع خبزاً، وشكر** وباركه(٣)، وقسمه(٤) وأعطى تلاميذه قائلاً خذوا كلوا(٥) فإن هذا هو جسدى(٦) الذى يقسم عنكم(٧) ويبذل من أجلكم(٨)لمغفرة الخطايا (٩) هذا اصنعوه لذكرى (١٠). وكذلك

---

(١) (يوحنا ٦: ٥١).

(٢) النص مأخوذ مما ورد فى الإنجيل للقديسين (متى ٢٦: ٢٦ ـ ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٢ ـ ٢٤)، (لوقا ٢٢: ١٩ ـ ٣٠)، ومما ورد فى رسالة مار بولس الرسول الأولى إلى (١ ـ كورنثوس ١١: ٢٣ ـ ٢٦).

(٣) (متى ٢٦: ٢٦)، (مرقس ١٤: ٢٢).

وجاء فى القداسات «وباركه، وقدسه» والتقديس أجمعت عليه جميع القداسات فى الكنائس الرسولية التقليدية وإليه يعزى معنى القداس ولفظه. أنظر قداس القديس باسيليوس، وقداس القديس غريغوريوس وقداس القديس كيرلس (وهو قداس القديس مرقس الرسول)، وقداس القديس يعقوب الرسول المستعمل فى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وقداس الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، وقداس القديس يوحنا ذهبى الفم (المستعمل فى الكنيستين اليونانية والروسية وما يتبعهما)، وسائر القداسات.

(٤) تبعاً للنص القبطى الوارد فى جميع الأناجيل ورسالة ماربولس الأولى إلى كورنثوس، فقد جاء هكذا ⲁϥⲫⲁϣϥ كما ورد هذا فى جميع القداسات القبطية. راجع (متى ٢٦: ٢٦)، (مرقس ١٤: ٢٢)، (لوقا ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤).

(٥) (متى ٢٦: ٢٦)، (مرقس ١٤: ٢٢)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤).

(٦) (متى ٢٦: ٢٦)، (مرقس ١٤: ٢٢)، (لوقا ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤).

(٧) (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤). (٨) (لوقا ٢٢: ١٩).

(٩) وقد أجمعت على ذلك كل القداسات فى الكنائس الرسولية التقليدية ومنها كذلك قداس القديس يعقوب الرسول أنظر كتاب A.A.King, The Rites of Eastern Christendom Rome, 1947.

وقداس الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية أنظر كتاب : The Divine Liturgy of the Armenian Apostolic Orthodox Church, New York 1950 p.68,69.

(١٠) (لوقا : ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤).

أخذ (١) الكأس أيضاً من بعد العشاء (٢) وشكر (٣) قائلاً : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى(٤) الذى يسفك عنكم (٥) وأعطاهم قائلاً: خذوا اشربوا منها كلكم(٦) فإن هذا هو دمى للعهد الجديد (٧) الذى يسفك من أجل كثيرين (٨) لمغفرة الخطايا(٩)، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى(١٠).. فشربوا منها كلهم» (١١).

من صلوات القداس الإلهى:

وجاء فى القداس الإلهى ما ينص على أن ذبيحة القداس هى لمغفرة الخطايا.

ففى الصلاة التى بعد الاستعداد لبدء القداس، وعند تقديم الحمل يقول الكاهن «امنح يارب أن تكون ذبيحتنا مقبولة أمامك عن **خطاياى خاصة وعن جهالات شعبك**».

وفى وقت حلول الروح القدس على الخبز والخمر لينقلهما إلى جسد الرب ودمه يقول الكاهن مرتين وهو باسط يديه وخاضع برأسه «ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، **يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه**».

وبعد السجود وحلول الروح القدس وحصول الاستحالة يصلى الكاهن قائلاً: «إجعلنا كلنا مستحقين يا سيدنا أن نتناول من قدساتك **طهارة لأنفسنا وأجسادنا، وأرواحنا**».

وفى الاعتراف المقدس الأخير يقول الكاهن وهو رافع الصينية بيديه «آمين، آمين، آمين أؤمن، أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير، أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.. **يبذل عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا** وحياة أبدية لمن يتناول منه».

---

(١) (متى ٢٦ : ٢٧)، (مرقس ١٤ : ٢٣).

(١) (لوقا ٢٢ : ٢٠)، (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٤).

(٣) (متى ٢٦ : ٢٧)، (مرقس ١٤ : ٢٣). وجاء فى جميع القداسات «وشكر، وباركها وقدسها» قياساً على ما فعل مخلصنا بالنسبة إلى الخبز (أنظر حاشية رقم ٣ صفحة ٢٥٩).

(٤) (لوقا ٢٢ : ٢٠)، (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٥).

(٥) (لوقا ٢٢ : ٢٠).

(٦) (متى ٢٦ : ٢٧).

(٧) (متى ٢٦ : ٢٨)، (مرقس ١٤ : ٢٢).

(٨) (متى ٢٦ : ٢٨)، (مرقس ١٤ : ٢٢).

(٩) (متى ٢٦ : ٢٨).

(١٠) (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٥).

(١١) (مرقس ١٤ : ٢٣).

وفى الصلاة التى قبل التناول يقول الكاهن:

«إجعلنا كلنا مستحقين يا سيدنا أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم **طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، ومغفرة لخطايانا وآثامنا**، «ولا يكون لنا دينونة لكن كما قلت لتلاميذك الأطهار خذوا من جسدى ودمى **لمغفرة خطاياكم**(١) يكون لنا شركة مع تلاميذك الأطهار، لننال بتناولنا من أسرارك المحيية **مغفرة لخطايانا وصفحاً لآثامنا، وطهراً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا..**»

وفى صلاة القسمة للقداس الغريغورى يقول الكاهن:

«أعددت لنا خبزاً سمائياً جسدك المقدس هذا السرى والطاهر فى كل شىء، ومزجت (٢) لنا كأساً من كرمة حقيقية التى هى جنبك الإلهى غير الدنس،... هذان الصائران **طهراً لكل العالم**».

وفى صلاة القسمة للصوم الكبير المقدس يقول الكاهن:

«الذى أنقذنا من الموت وأعطانا جسده المقدس ودمه الكريم، لغفران خطايانا».

وفى صلاة القسمة التى تقال بمناسبة القيامة المجيدة يقول الكاهن:

«الذى أنعم علينا بهذا السر العظيم هو جسده المقدس ودمه الكريم، **لغفران خطايانا**».

---

(١) (متى ٢٦ : ٢٧) وأنظر الحاشية رقم ٩ صفحة ٢٥٧.

(٢) ولئن لم ينص الإنجيل المقدس صراحة على أن مخلصنا مزج الخمر بالماء فى ليلة آلامه، لكن التقليد المقدس إدخر لنا هذا الصنيع. وقد نصت عليه صراحة القداسات المستخدمة فى الكنائس الرسولية. راجع القداسات المستعملة فى كنيستنا المرقسية الأرثوذكسية. والقداسات الأربعة عشرة المستعملة فى الكنيسة الأثيوبية. كما أشار الآباء إلى هذا التقليد، منهم مثلاً إيريناوس فى كتابه الرد على الهراطقة كتاب ٥ فصل ١ فقرة ٣، ومنهم القديس يوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول وتاريخه ١٥٠م يصف عمل الكاهن فى القداس الذى «يؤتى إليه بخبز وكأس خمر ممزوجاً بالماء» (الدفاع ١ فصل ٦٥).

ومنهم أيضاً القديس أثناسيوس الرسولى الذى يقول «ثم ناولهم (مخلصنا) كأساً فيها **مزيج خمر وماء**، وقال لهم اشربوا منها كلكم» (كمال البرهان على حقيقة الإيمان. القاهرة ١٩٤٧ صفحة ٨٨) ويكرر القديس أثناسيوس فى نفس الفصل مراراً تعبير «**مزيج الخمر والماء**» من صفحات ٨٦ - ٨٨ من نفس الكتاب. ويقول القديس كبريانوس: «فاعلم أننا قد أوصينا بأن نحفظ فى تقدمة الكأس تقليد الرب. وليس لنا أن نعمل شيئاً غير ما عمله الرب لأجلنا. وهو أن تكون الكأس المقدمة تذكاراً وتقدمه خمر ممزوجة بماء» (رسالة ٦٢ : ف٢). =

من أقوال الآباء:

وما أكثر أقوال آباء الكنيسة التى تشرح هذه الحقيقة: أن بالتناول من جسد الرب ودمه ينال المؤمن التائب غفران خطاياه اليومية الفعلية التى يكون قد ارتكبها بعد المعمودية، وخلاصه من الهلاك الأبدى.

قال القديس أثناسيوس الرسولى (٢٩٩ - ٣٧٣م):

«ثم أعطانا دواء آخر لمن أخطأ بعد تنقية المعمودية وتدنس بالذنوب، وهو القربان الذى يغفر الخطايا لمن تقرب إليه بإيمان به أنه جسد المسيح ودمه.. حقاً أعطانا إياه لمغفرة الخطايا».. لأن المسيح الذى ناول تلاميذه الخبز فقال لهم خذوا كلوا هذا هو جسدى

= وقال القديس كبريانوس أيضاً «حالما تمتزج الخمر التى فى الكأس بالماء حينئذ يتحد الشعب بالمسيح» (رسالة ٦٢ : ف ١٣).

وجاء فى القانون ٤٤ من قوانين مجمع قرطاجنة المنعقد فى قرطاجنة بأفريقيا عام ٤١٩/٤١٨م «لا يجوز أن يقدم فى الهيكل شيء آخر غير جسد الرب ودمه، كما أمر الرب نفسه أعنى خبزاً وخمراً ممزوجة بالماء»

أنظر كتاب The Rudder, by D. Cumings, Chicago, 1950 p. 630.

وممن تكلموا عن طقس مزج الخمر بالماء فى القداس ثيودوروس أسقف المصيصة (٣٨٣ - ٤٢٨)م فى كتاب (المواعظ التعليمية ١١٨، ١١٩).

ولعل مزج الخمر بالماء تذكار وإشارة إلى الدم والماء اللذين خرجا وجريا من جنب فادينا، بعد موته، متميزين، عندما طعن أحد العسكر جنبه بحربة (يوحنا ١٩ : ٣٤)، مما دل على أنه وإن كان قد مات بالجسد، «وانفصلت نفسه (الإنسانية) عن جسده» لكنه كان حياً بلاهوته «إذ أن لاهوته لم ينفصل قط لا عن نفسه، ولا عن جسده» ولذلك لم ير جسده فساداً (مزمور ١٥(١٦): ١٠)، (أعمال ٢ : ٢٧).

ومما يشهد على أن خروج الدم والماء من جنب الفادى بعد موته حقيقة لاهوتية هامة لها دلالتها الخطيرة على «أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين» أن القديس يوحنا الرسول يعقب على هذه الحادثة مباشرة بقوله «والذى عاين شهد، وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» (يوحنا ١٩ : ٣٥).

ولابد أن الرسول نفسه كان يتأمل مخلصنا مصلوباً والدم والماء يخرجان من جنبه الإلهى عندما قال فيما بعد فى إحدى رسائله «هذا هو الذى أتى **بالماء والدم**، يسوع المسيح، لا بالماء فقط بل **بالماء والدم**» (يوحنا الأولى ٥ : ٦).

وقال القديس كيرلس الأسكندرى عمود الإيمان إن الماء يشير إلى المعمودية وأما الدم فيشير إلى الإفخارستيا، وهما سرا الخلاص العظيم النابعان من جنب الفادى. وعلى ذلك فمزج الخمر بالماء فى القداس يشير إلى هذه الحقيقة المسيحية ذات الدلالة اللاهوتية الخلاصية.

الذى يصنع من أجلكم ومن أجل كثيرين ويقسم **لمغفرة الخطايا** (١) . ثم ناولهم كأساً فيها مزاج خمر وماء (٢) فقال لهم أشربوا منه كلكم هذا هو دمى الذى يسفك عنكم وعن كثيرين **لمغفرة الخطايا** ثم قال افعلوا هذا لأجل ذكرى فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت ابن الإنسان وتبشرون بقيامته إلى أن يجىء(٣)، (٤) .

وقال القديس أمبروسيوس (٣٤٠ ـ ٣٩٧م) :

«إن تناولت منه قليلاً، أو شربت منه كثيراً تنال نعمة الفداء عينها كاملة بالمقدار عينه» (٥) .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧ ـ ٤٠٧م) :

«حكم اليهود بأن المسيح لا يقدر أن يعطيهم جسده ليأكلوه، وأكدوا أن هذا مستحيل. ولكنه أبان لهم أنه ممكن. وليس ممكناً فقط بل ضرورى وإضطرارى وشرط لازم للحياة الأبدية، وإن لم يبين كيف يصير ذلك. فكما أنه فى الفصح اليهودى كان لحم الخروف ودمه ضروريين لنجاة الإسرائيليين من الهلاك الذى نزل بالمصريين، كذلك لا ينجو المؤمن من هلاك الخطيئة ولا تكون له حياة فيه مالم يأكل جسد ابن الإنسان ويشرب دمه» وقال «فياللعجب من كون المائدة مهيأة، وحمل الله قد قدم لأجلك ذبيحة، والنار الروحية قد أشرقت من مطلع المائدة الرهيبة، والكاروبيم محدقون بها والسارافيم ذو الستة الأجنحة يتطايرون وهم يحجبون وجوههم خوفاً، والقوات العلوية بأسرها المنزهة عن الأجسام تبتهل مع الكاهن فى شأنك، والنار الإلهية منحدرة من فوق لأجلك والدم الكريم مسفوك فى الكأس من الجنب الطاهر لتطهيرك وأنت تنهى عنها غير خائف ولا مرتعد!!» (٦) .

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ ـ ٤٣٠م) :

«هذه التى نسميها جسد المسيح ودمه هى جوهر مأخوذ من أثمار الأرض، ولكنها إذ تقدست بصلوات التقديس فهى تناول لنا لخلاص نفوسنا» (٧) .

---

(١) وورد هذا فى رشوم تقديس الخبز فى صلوات القداس «وقسمه وأعطاه لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً: خذوا كلوا منه كلكم لأن هذا هو جسدى الذى يقسم عنكم وعن كثيرين، **يعطى لمغفرة الخطايا**. هذا اصنعوه لذكرى.

جاء هذا فى صلوات قداس القديس باسيليوس والقديس أغريغوريوس والقديس كيرلس.

(٢) أنظر حاشية رقم ٢ صفحة ٢٥٩ – ٢٦٠ . (٣) قارن (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٦) .

(٤) كمال البرهان على حقيقة الإيمان للقديس أثناسيوس الرسولى، القاهرة ١٩٤٧ صفحة ٨٦ ـ ٨٨.

(٥) (رسالة ٧ إلى يوستوس : ٨) . (٦) المقال ١٩ على (إشعياء ٦ : ١ ـ ٧) .

(الدر المنتخب فى مقالات القديس يوحنا فم الذهب) نقله من اليونانية إلى العربية السيد أثناسيوس البطريرك الأنطاكى، وطبعه ناشد سركيس. القاهرة ١٩٢٨ ـ صفحة ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٧) فى الثالوث، كتاب ٣ فصل٤ ، فقرة ١٠ .

الغفران بين سرى التوبة والقربان

وقد يسأل سائل ويقول إذا كنا بسر التناول ننال غفران خطايانا، فما هى قيمة سر التوبة، لأننا به أيضاً ننال غفران الخطايا؟.

أقول، وليس فقط بسرى التوبة والتناول ننال غفران الخطايا وأنما أيضاً بسر المعمودية (١) وبسر مسحة المرضى. فعن سر المعمودية قال الروح القدس على فم القديس بطرس:

«توبوا وليعتمد كل واحد منكم على إسم يسوع المسيح. **لغفران الخطايا**» (٢). وقال على فم حنانيا الرسول: «قم فاعتمد واغسل خطاياك» (٣). وعن سر مسحة المرضى قال الكتاب المقدس «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة وليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب، فإن صلاة الإيمان تخلص المريض. والرب يقيمه، وإن كان قد ارتكب **خطايا تغفر له** » (٤).

ذلك لأن الأسرار السبعة جميعاً قائمة على إستحقاقات ربنا يسوع المسيح الكفارية، الذى قدم نفسه مرة على الصليب ذبيحة غفران عن خطايانا. وليس كفارة عن خطايانا فقط بل وعن خطايا كل العالم (٥) أيضاً. والروح القدس ينقل إلينا عن طريق الأسرار جميعاً بركات الخلاص الذى تم فى ذبيحة الصليب والتى بها نلنا ولا نزال ننال غفران خطايانا.

لكن لكل سر عملاً خاصاً به، ينفرد به عن غيره، وإن كانت الأسرار جميعاً ينقل بها الروح القدس إلينا إستحقاقات المسيح الكفارية وعن طريقها ننال غفران خطايانا، فهى جميعاً تعمل بفعالية الروح القدس فيها، وهى جميعا قنوات لتوصيل بركات الفداء لغفران خطايانا.

ففى المعمودية ننال فضلاً عن غفران الخطايا الفعلية ـ إذا وجدت قبل المعمودية ـ غفران الخطيئة الجدية ـ كما ننال التبنى والميلاد الثانى من فوق وفى سر القربان لا ننال غفران خطايانا اليومية الفعلية فقط، وإنما ننال أيضاً به قوتاً لأرواحنا ينفعنا للحياة الأبدية، كما ننال ثباتاً فى المسيح واتحاداً به ومعه وحياة أبدية، وهو فى نفس الوقت ذبيحة قائمة إستغفارية عن جميع الناس لا سيما عن الذين قدمت عنهم، والذين قدمت بواسطتهم، كما أنه كذلك قربان وضحية عن الراقدين. وفى سر مسحة المرضى ننال لا غفران الخطايا الفعلية فقط بل ننال أيضاً الشفاء من أمراضنا الجسدية لا سيما المتسببة عن علل روحية ونفسية.

---

(١) أنظر الكتاب من ص ١٦ ـ ٢٢ ومن ص ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) (أعمال ٢ : ٣٨). (٣) (أعمال ٢٢ : ١٦) قارن (أعمال ٩ : ١٨).

(٤) (يعقوب ٥ : ١٤، ١٥). (٥) (يوحنا الأولى ٢ : ٢).

وأما سر التوبة فهو السر المختص بفاعلية الروح القدس فى الخاطىء التائب بعد أن يظهر ندامه كاملة شاملة على خطاياه التى فعلها بنفسه، ولا سيما المميتة منها (١) وبعد أن يتعهد بعزيمة صادقة أمام الكاهن المعرِّف على أن لا يعود إلى فعلها، معترفاً علانية وصراحة أمام الكاهن بهذه الخطايا، مبرهناً على صدق توبته بقبوله التأديبات التى يفرضها الكاهن عليه، وبإستعداده التام لتصحيح أخطائه وتحمل تبعات هذه الخطايا بالنسبة للذين أساء إليهم بخطاياه فيمنحه الكاهن الحل من خطاياه بعد أن يتثبت من صدق توبته ومن أنه يرجى منه فعلاً إصلاح سيرته. فحتى يطمئن الخاطىء التائب إلى قبول الله لتوبته لابد أن يسمع من الكاهن ما يطمئنه إلى رضى الله عنه، ولذلك فإن الكاهن يمنحه الغفران باسم الله بموجب السلطان الممنوح له من الله كوكيل لله على أسراره المقدسة.

وهذا هو السبب فى أن سر التوبة يلازم جميع الأسرار الأخرى، وتلزم ممارسته قبلها. فهو عادة يسبق سر المعمودية و(الميرون) والتناول، ومسحة المرضى، والزواج، والكهنوت. لأنه هو السر الذى يتأهل به قابله لأن ينال بإستحقاق سائر الأسرار الأخرى وينال مفاعيلها الروحية النابعة كلها من إستحقاقات المسيح الكفارية.

ولهذا أيضاً يتطلب الكتاب المقدس ممن يتقدم إلى سر التناول أن يختبر نفسه، قبل التناول وإلا كان غير مستحق وبالتالى يكون مجرماً إلى جسد الرب ودمه.

«فأى من يأكل من هذا الخبز أو يشرب من كأس الرب بغير استحقاق يكون مجرماً إلى جسد الرب ودمه. ولكن فليختبر الإنسان نفسه، وهكذا فليأكل من هذا الخبز، ويشرب من هذه الكأس. لأن من يأكل ويشرب بغير إستحقاق، إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه، إذ لم يميز جسد الرب» (٢).

ويقول بعض العلماء إن ممارسة سر التوبة ضرورية بالنسبة للخطايا العظيمة، فبدون ممارسة سر التوبة وإستكمال شروط التوبة الحقيقية ونيل الحل عن الخطايا لا يجوز التقدم بتاتاً لسر التناول، أما بالنسبة للخطايا غير الإرادية أو العرضية أو العفوية، فيمكن أن تغفر بفاعلية سر التناول طالما أننا خطئنا بغير إرادتنا وبسبب ضعف طبيعتنا، وقد طلبنا رحمة الله بحزن عميق على خطايانا مع عزم واضح على تلافى ضعفاتنا ومواصلة جهادنا فى طريق الفضيلة.

---

(١) توجد خطيئة للموت (يوحنا الأولى ٥: ١٦).

(٢) (كورنثوس الأولى ١١: ٢٧ ـ ٢٩).

ثانياً : سر القربان ذبيحة مرفوعة عن جميع الناس لا سيما عن الذين قدمت عنهم.

والغفران الذى نناله فى سر القربان هو بإستحقاقات المسيح الذى فدانا بموته على الصليب لأن الذبيحة واحدة وهى المسيح الذى ذبح مرة واحدة على الصليب (١)، ولكن إستحقاقات هذه الذبيحة الطاهرة إستحقاقات أبدية وشاملة لأنها إستحقاقات المسيح الإله نفسه الذى بإتحاد لاهوته مع ناسوته أعطى لموته بالجسد قيمة أبدية هى قيمة اللاهوت نفسه.

ذبيحة الإفخارستيا بعينها ذبيحة الصليب:

وإذن فذبيحة الأفخارستيا هى بعينها - فى طبيعتها وجوهرها - ذبيحة الصليب (٢). كل ما هنالك أن ذبيحة الصليب ذبيحة دموية، سفك فيها دم المسيح الرب بطريقة مادية منظورة ملموسة محسوسة؛ وأما ذبيحة الأفخارستيا فغير دموية وتتم بطريقة سرية غير محسوسة ولا ملموسة أو منظورة، تتم تحت أعراض الخبز والخمر. تلك قدمت على الصليب مرة ولا تتكرر إلى الأبد، وأما هذه فتقدم فى كل يوم يقام فيه القداس: استرحاماً واستعطافاً لله عن خطايا جميع الناس ولا سيما الذين قدموها والذين قدمت بواسطتهم، كأمر مخلصنا الذى رسم إقامة هذه الذبيحة بل هذه الصناعة المقدسة بصفة متصلة بقوله لرسله ولكنيسته إلى إنقضاء الدهر: «إصنعوا هذا لذكرى». وتلك، أى ذبيحة الصليب، ساهم فى تقديمها يهود أشرار، وعسكر الرومان، بنية الإنتقام والغدر والخلاص من صوت الحق، وأما ذبيحة الأفخارستيا فيساهم فى تقديمها كهنة المسيح وخدامه وشعبه: توسلاً به وإستشفاعاً بإستحقاقاته الخلاصية والكفارية، لخلاص أرواحهم من الهلاك الأبدى. وذبيحة الصليب قبلت الألم والتعذيب والتمزيق والموت، وأما ذبيحة الأفخارستيا فلا تقبل شيئاً من هذا، لأن المسيح صلب مرة ومات مرة واحدة «ولا حاجة له أن يقرب كل يوم مثل رؤساء الكهنة ذبائح عن خطاياه أولاً، ثم عن خطايا الشعب،

---

(١) (عبرانيين ١٠: ١٢).

(٢) يقول الكاهن فى مطلع القسمة التى تقال فى أعياد السيدة العذراء والملائكة وجميع السمائيين «هوذا كائن معنا اليوم على هذه المائدة عمانوئيل إلهنا، حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم كله»، ويقول فى الاعتراف الأخير وهو يحمل الصينية المقدسة وبها السر المقدس الطاهر «آمين، آمين، آمين. أؤمن، أؤمن، أؤمن واعترف إلى النفس الأخير: أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه إبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير واعترف الإعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطى، وبذله عنا على خشبة الصليب المقدسة بإرادته وحده عنا كلنا».

لأنه فعل هذا مرة واحدة حين قرب نفسه» (١). لكن ذبيحة الأفخارستيا هى بعينها ذبيحة الصليب قائمة بصفة دائمة على مذبح (٢) الكنيسة المسيحية شفاعة متصلة.

ذبيحة الأفخارستيا شفاعة قائمة متصلة.

وبهذا المعنى نفهم إستمرار شفاعة المسيح الكفارية القائمة إلى الأبد على الرغم من أن المسيح قدم كفارته مرة بموته على الصليب بفاعلية أزلية (٣) «فلذلك هو قادر أن يخلص على الدوام الذين يتقربون به إلى الله إذ هو حى كل حين ليشفع فيهم» (٤). لأن ذبيحة الأفخارستيا شفاعة قائمة فينا عن خطايانا الفعلية التى قد نرتكبها بعد المعمودية. يقول ماريوحنا الرسول «أيها الأبناء إنى أكتب إليكم هذا لئلا تخطأوا. وإن خطىء أحدكم فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا، وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله أيضاً» (٥). وبهذا المعنى يهتف الكاهن فى القداس ويصرخ للسيد المسيح قائلاً «فإن شعبك وبيعتك يطلبون إليك، وبك إلى الآب (الكائن) معك» (٦).

* * *

وقد علمتنا الكنيسة المقدسة أن سر الشكر هو قربان وذبيحة استغفارية لله عن كل الشعب وجميع الناس وسائر الخليقة، وخصوصاً عن الذين قدمت عنهم والذين قدمت بواسطتهم.

---

(١) (العبرانيين ٧: ٢٧). ويقول الرسول أيضاً «إذ نعلم أن المسيح من بعد أن أقيم من بين الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت من بعد. لأنه من حيث أنه مات فقد مات للخطيئة مرة» (رومية ٦: ٩، ١٠). أنظر (بطرس الأولى ٣: ١٨) وأيضاً (العبرانيين ٩: ٢٧، ٢٨)، (١٠: ١٢).

(٢) قال ماريولس الرسول «إن لنا مذبحاً لا يحق للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه» (العبرانيين ١٣: ١٠) وهذا هو المذبح المسيحى الذى لا يباح لليهود من غير أن يؤمنوا بالمسيح أن يقتربوا إليه. وهو المذبح الذى تنبأ عنه إشعياء النبى عندما ترتد مصر من الوثنية إلى المسيحية «فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر.. فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر.. فيعرف الرب فى مصر، ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم، ويقدمون ذبيحة وتقدمة» (إشعياء ١٩: ١٩ - ٢١) كما تنبأ ملاخى النبى عن إنتشاره فى كل أمم الأرض على عكس المذبح اليهودى الذى لا يمكن أن يقام فى غير أورشليم (ملاخى ١: ١١). راجع أيضاً (إشعياء ٥٦: ٧)، (٦٦: ٢٠، ٢١).

(٣) (العبرانيين ٩: ١٤).

(٤) (العبرانيين ٧: ٢٥).

(٥) (يوحنا الأولى ٢: ١، ٢). أنظر أيضاً (العبرانيين ٩: ٢٤ - ٢٨)، (إشعياء ٥٣: ١٢)

(٦) عن قداس القديس غريغوريوس.

من نصوص الكتاب المقدس:

يقول ماربولس الرسول «انظروا إسرائيل الجسدى، أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح؟ فماذا أقول إن الوثن شيء أو إن ذبيحة الوثن شيء؟ بل إن الذى تذبحه الأمم إنما تذبحه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين. إنكم لا تستطيعون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين. ولا تستطيعون أن تشتركوا فى مائدة الرب، ومائدة الشياطين» (١). وهذه مقارنة ومقابلة الرسول بين ذبيحة إسرائيل وذبيحة الوثنيين من جهة، وذبيحة المسيحيين من جهة أخرى.

والرسول نفسه يشير بصراحة فى موضع آخر إلى ذبيحة العهد الجديد التى تقدم على مذبح الكنيسة المسيحية بقوله «إن لنا مذبحاً لا يحق للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه» (٢). وبهذا فرق مرة أخرى بين مذبح الكنيسة المسيحية ومذبح الكنيسة اليهودية، مشيراً أيضاً إلى الذبيحة التى تؤكل من فوق المذبح المسيحى والتى لا يحق لليهود بصفتهم هذه أن يأكلوا منها، لأنهم لم يؤمنوا باسم المسيح.

ومخلصنا نفسه كشف عن هذا السر ليلة آلامه، وأبان أن فصح العهد الجديد ذبيحة حقيقية لأنه أعطى جسده لتلاميذه وقال: «خذوا كلوا فإن هذا هو جسدى الذى يقسم عنكم ويبذل من أجلكم لمغفرة الخطايا، هذا اصنعوه لذكرى». وأعطاهم الكأس قائلاً: «خذوا اشربوا منها كلكم، فإن هذا هو دمى للعهد الجديد الذى يهرق عنكم ومن أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، هذا اصنعوه لذكرى» (٣).

وما من شك فى أنه إلى هذه الذبيحة المسيحية أشار النبى ملاخى متنبئاً عندما قال لليهود غاضباً «ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود، ولا أقبل تقدمة من أيديكم. لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها إسمى عظيم بين الأمم، وفى كل مكان يقرب لإسمى بخور وتقدمة طاهرة، لأن إسمى عظيم بين الأمم» (٤).

* * *

---

(١) (كورنثوس الأولى ١٠: ١٨ - ٢١).   (٢) (العبرانيين ١٣: ١٠).

(٣) (متى ٢٦: ٢٦ - ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٢ - ٢٤)، (لوقا ٢٢: ١٩، ٢٠).

(٤) (ملاخى ١: ١١).

من صلوات القداس الإلهى:

وقد ورد هذا التعبير (الذبيحة غير الدموية) مراراً فى خدمة القداس الإلهى.

ففى صلاة الحجاب فى قداس القديس باسيليوس: «نسألك يا سيدنا أن لا تردنا إلى الوراء، عندما نضع أيدينا على هذه **الذبيحة المخوفة غير الدموية**. لأننا لا نتكل على برنا بل على رحمتك».

وفى صلاة الحجاب الثانية لقداس القديس كيرلس: «اطلع على سؤالاتنا، وأعطنا قوة لهذه الخدمة المخوفة التى للسر العظيم السمائى الذى **لهذه الذبيحة غير الدموية**، الناطقة..» . وفى صلاة الصلح لذات القداس «ونقدم لك هذه **الذبيحة الطاهرة الناطقة الروحانية غير الدموية**».

وفى صلاة الحجاب الأولى لقداس القديس غريغوريوس «.. وإجعلنى مستحقاً أن أقف على مذبحك المقدس، بغير وقوع فى دينونة، وأقرب لك **هذه الذبيحة الناطقة غير الدموية** بسريرة نقية، صفحاً لخطاياى وسيئاتى وغفراناً لجهالات شعبك».

وفى قداس القديس يعقوب المستعمل فى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية يقول الكاهن بعد التقديس: «نقدم لك يارب **هذه الذبيحة الرهيبة وغير الدموية** لكى لا تصنع معنا حسب خطايانا».

وفى قداس الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية يقول الكاهن: «يا كلمة الآب الذى لا نهاية له، من قبل صلاحك الذى لا يحد صرت إنساناً وأظهرت ذاتك كرئيس كهنتنا، وكسيد الكل عهدت إلينا بكهنوت هذه الخدمة، **وهذه الذبيحة غير الدموية**» (١).

وفى قداس القديس يوحنا ذهبى الفم المستعمل فى الكنيستين اليونانية والروسية يقول الكاهن: «أنت الذى عهدت إلينا أن نحتفل بهذا الطقس **وبذبيحتك غير الدموية**... فامنحنى بقوة روحك القدوس وقد توشحت بنعمة الكهنوت، أن أقف أمام مائدتك المقدسة وأقدس جسدك المقدس الذى بلا عيب ودمك الثمين..».

من قرارات المجامع المسكونية:

وقد علّمت المجامع المسكونية بأن الأفخارستيا **ذبيحة حقيقية لكنها غير دموية**.

(١) انظر Divine Liturgy of the Armenian Apostolic Orthodox Church, New-York 1950 P . 55 b.

فالمجمع المسكونى الأول، مجمع نيقية الذى انعقد عام ٣٢٥م يقرر **هذه الحقيقة بقوله:** «لا ينبغى أن ننظر على المائدة المقدسة إلى الخبز والكأس كأنهما مقدمان على بسيط الحال، بل يجب أن نرفع الروح فوق الحواس، ونتفهم بالإيمان أن حمل الله الرافع خطيئة العالم (١) يستريح ههنا **مذبوحاً من الكهنة**، وأنهم يتناولون جسد الرب نفسه ودمه الكريم نفسه» (٢).

كما يقرر هذا المجمع المسكونى أيضاً أنه : «على المائدة المقدسة يوضع حمل الله الرافع خطايا العالم (٣)، ويذبح من خدام الله **ذبيحة غير دموية**» (٤).

والمجمع المسكونى الثالث (مجمع أفسس الأول) الذى انعقد عام ٤٣١م اعتمد وثبت رسالة البابا الأسكندرى كيرلس الأول التى يقول فيها: «إننا نتمم فى الكنائس **الذبيحة غير الدموية**. وهكذا نقترب من الأسرار المقدسة».

* * *

ومن أقوال الآباء:

ولآباء الكنيسة تصريحات كثيرة فى أن الأفخارستيا **ذبيحة حقيقية، وإن كانت غير دموية**، تمييزاً لها عن ذبيحة الصليب الدموية.

من ذلك ما قاله القديس أغناطيوس المتوشح بالله (ثيئوفوروس) المستشهد نحو عام ١١٠ تقريباً: «أن للرب يسوع المسيح جسداً واحداً، وهناك كذلك كأس واحد للإتحاد بدمه، ومذبح واحد (ἕν θυσιαστήριον)» (٥).

وقال القديس **يوستينوس** الشهيد (١١٠ - ١٦٥)م: «نقدم بإسمه **ذبيحة** قد أمر الرب يسوع أن تقدم، وذلك فى شكر الخبز والكأس ذبيحة مقدمة من المسيحيين فى كل مكان على الأرض، **ذبيحة** طاهرة ومرضية لله» (٦).

---

(١) يوحنا ١ : ٢٩.

(٢) قارن «الأنوار فى الأسرار» لجراسيموس - مسرة (بيروت ١٨٨٨) صفحة ١٤٥.

(٣) نفس المرجع السابق صفحة ١٧٩.

(٤) مجموعة منى (Migne) للآباء الذين كتبوا باليونانية (Patr.Gr.) الجزء ٧٧ - أعمال القديس كيرلس الأسكندرى الجزء العاشر عمود ١٠٥، أنظر كتابنا هذا صفحة ٢٧٠.

(٥) رسالة القديس أغناطيوس إلى أهل فيلاديلفيا فصل ٤.

(٦) خطاب إلى **تريفون** .TRYPHON فصل ١١٧.

ويقول القديس **إيريناوس** أسقف ليون (١٢٠/ ١٤٠ ـ ٢٠٢)م: «**إن المسيح علمنا ذبيحة جديدة للعهد الجديد**. فالكنيسة تسلمتها من الرسل، وتقدمها فى كل المسكونة بحسب نبوة أحد الأنبياء الإثنى عشر وهو ملاخى حيث يقول (لا إرادة لى بكم.. إلخ) (١). وينادى بأن الشعب الأول (أى اليهود) سيكف عن أن يقدم لله ذبائح وأنه فى كل مكان ستقدم **ذبيحة طاهرة** لإسمه الممجد فى الأمم» (٢).

ويقول القديس **هيبوليطوس** (١٧٠ ـ ٢٣٥)م «إننا بعد صعود المخلص نقدم بحسب وصيته **(ذبيحة) طاهرة وغير دموية**» (٣).

ويقول القديس **كبريانوس** (المتوفى ٢٥٨)م: «إن دم المسيح لا يقدم مالم يكن فى الكأس خمر، وتقديس **ذبيحة الرب** لا يتم قانونياً ما لم يكن **قرياننا وذبيحتنا** مطابقين لآلامه... لأنه إذا كان إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ـ وهو رئيس الكهنة العظيم لله الآب ـ قد قدم أولاً نفسه ذبيحة للآب، وأمرنا أن نصنع ذلك لذكره، فلا يتمم الكاهن على الحقيقة عمل المسيح ما لم يعمل كما عمل يسوع المسيح نفسه، أعنى أن يقدم فى الكنيسة للإله الآب، الذبيحة **الحقيقية بتمامها تابعاً** فى ذلك مثال المخلص نفسه» (٤).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ ـ ٣٨٦م): «**ثم بعد أن تتمم الذبيحة الروحية والخدمة غير الدموية**، نتجه نحو **الذبيحة الاستغفارية**، مبتهلين إلى الله من أجل سلام الكنيسة عامة، ومن أجل طمأنينة العالم، من أجل الملوك والجند والحلفاء، ومن أجل المرضى والمتضايقين. وبالإجمال فإننا نتوسل ونقدم هذه **الذبيحة** من أجل جميع المحتاجين إلى معونة» (٥).

ويقول القديس **أوغسطينوس** (٣٥٤ ـ ٤٣٠م): «ألم يذبح المسيح دفعة واحدة؟ لكنه فى سر الشكر ليس فى جميع أعياد الفصح فقط بل كل يوم أيضاً **يذبح عن الشعب**. والذى يسأل فيجيب **بأن المسيح سيذبح**، لا يكذب البتة» (٦).

---

(١) ملاخى ١: ١٠.

(٢) إيريناوس «الرد على الهراطقة» ٤: ١٧: ٥.

(٣) هيبوليطوس: «فى المواهب» فصل ٢٦».

(٤) رسالة ٦٢ فقرة ٢، ١٤.

(٥) فى الأسرار ٥: ٨.

(٦) رسالة ٦٨: ٩. قارن الأنوار فى الأسرار صفحة ١٨٤ حاشية رقم ٤.

ويقول القديس البابا كيرلس الأسكندرى (٣٧٦ ـ ٤٤٤م) : (١) فى رسالته الثالثة إلى نسطور والتى ثبتها واعتمدها المجمع المسكونى الثالث الذى انعقد بأفسس عام ٤٣١م:

«إننا إذ ننادى بأن ابن الله الوحيد، أعنى يسوع المسيح قد مات بالجسد، ونعترف بقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماوات، نتمم فى الكنائس **الذبيحة غير الدموية**. وهكذا نقترب من الأسرار المقدسة ونتقدس إذ نتناول من الجسد المقدس والدم الكريم» (٢).

ويقول القديس **غريغوريوس النيسى** (٣٣٥ ـ ٣٩٤م) «لأن المدبر كل شىء بحسب سلطانه السيدى لم ينتظر الاضطرار الناتج عن الخيانة ولا هجوم اليهود اللصى، ولا محاكمة بيلاطس الخارجة عن الشريعة كى لا يكون شر هؤلاء بدءا لخلاص الناس العام وعلة له، لكنه بتدبيره قد سبق هجومهم، وهو نفسه قدم ذاته بعمل التقديس الذى لا ينطق به وغير المنظور من البشر **قربانا وذبيحة عنا**، إذ هو كاهن معاً وحمل الله الرافع خطيئة العالم. وإن سألت متى كان هذا؟ فأجيبك: أنه كان عندما جعل جسده مأكلاً بصريح العبارة وأعطاه للأكل وصارت **ذبيحة الحمل** كاملة.. فلما منح تلاميذه أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه ضحى جسده بوجه لا ينطق به وغير منظور، مدبراً هذا السر كما أرادت سلطته» (٣). وقال هذا القديس نفسه فى بيان أن ذبيحة الأفخارستيا هى بعينها ذبيحة الصليب «نحن لا نقدم ذبيحة أخرى بل نتمم تذكار **تلك الذبيحة الخلاصية**».

وقال القديس يوحنا **ذهبى الفم** (٣٤٧ ـ ٤٠٧م): «ألسنا نحن نقدم كل يوم قرابين؟ نعم نقدم، ولكننا نصنع تذكار موته. **وهذه الذبيحة التى نقدمها كل يوم** هى واحدة لا أكثر لأنه قدم مرة واحدة.. لأننا دائماً نقدم حملاً واحدا بعينه، ولا نقدم الآن خروفاً وغداً خروفاً آخر، بل الحمل نفسه دائماً. **فالذبيحة إذن هى واحدة**. أو هل المسحاء كثيرون، لأن الذبيحة تقدم فى محلات كثيرة؟ حاشا، لأن المسيح واحد فى كل مكان وهو هنا بكليته جسد واحد. **وكما أنه يقدم فى أماكن متعددة ولا يزال جسداً واحداً لا أجساد كثيرة هكذا الذبيحة هى أيضاً واحدة**» (٤).

---

(١) توفى فى ١٠ يوليو ٤٤٤م.

(٢) مجموعة منى (Migne) للآباء الذين كتبوا باليونانية (Patr. Gr.) الجزء ٧٧. (أعمال القديس كيرلس الأسكندرى) الجزء العاشر عمود ١٠٥ وما يليه.

(٣) على قيامة المسيح خطاب ١.

(٤) على العبرانيين مقالة ١٦: ٣، ومقال ٢٤: ٤ على رسالة كورنثوس الأولى ١٠: ١٣ ـ ١٧.

ويقول أيضاً فى بيان أن ذبيحة الأفخارستيا هى بعينها ذبيحة الصليب «إن رئيس كهنتنا العظيم قدم الذبيحة التى تطهرنا. ومن ذاك الوقت إلى الآن نقدم نحن أيضاً **هذه الذبيحة نفسها. وهذه الذبيحة غير الفانية وغير النافذة** هى نفسها ستتمم إلى إنقضاء الدهر حسب وصية المخلص (هذا اصنعوه لذكرى) (١).

ويقول فى هذا المعنى غير هؤلاء من آباء الكنيسة وعلمائها مما يطول شرحه، ولا يمكن حصره فى كتاب كهذا الكتاب، كتب من أجل إثبات القيم الروحية المنطوية فى عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية فى سر المائدة الربانية.

* * *

وذلك كله معناه أن ذبيحة الأفخارستيا ليست ذبيحة أخرى غير ذبيحة الصليب عينها، التى قدمها ربنا يسوع المسيح بموته على الصليب، وبها - أى الأفخارستيا - ينقل إلينا الروح القدس (٢) بركات الصليب الخلاصية. وكما أننا بالمعمودية ننال التبرير عن خطايانا الجدية والفعلية السابقة للمعمودية، وذلك بإستحقاقات موت فادينا على الصليب، كذلك ننال بسر القربان المقدس غفران خطايانا الفعلية، وذلك بإستحقاقات فادينا نفسها التى نبعت من صلبه وموته. ولذلك فإن كانت ذبيحة الصليب ضرورية لخلاصنا من خطايانا الموروثة والفعلية، فإن ذبيحة الأفخارستيا ضرورية لنيل الغفران عن خطايانا التى نخطأها فى كل يوم لأننا بدون المسيح لا يمكن أن نخلص (٣).

فبذبيحة الأفخارستيا إذن نغترف من جديد من نبع الخلاص الذى تفجر فى الصليب. وإذا كانت ذبيحة الصليب هى نبع الخلاص، فذبيحة الأفخارستيا هى القناة التى توصل إلينا ماء الحياة الذى يجرى إلينا من ذلك النبع الحى، والماء الذى فى القناة هو من نفس الماء الذى فى النبع، ولا فرق بينهما، وهما متصلان معاً فى طبيعتهما وفعاليتهما.

---

(١) على خيانة يهوذا مقالة ١ : ٦.

(٢) هو يمجدنى لأنه يأخذ مما لى (يوحنا ١٦ : ١٥).

(٣) وليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال ٤ : ١٢).

ثالثاً : سر الشكر قربان أيضاً عن الراقدين

من نصوص الكتاب المقدس :

على أن سر الشكر قربان عن الأحياء وعن الأموات أيضاً، لأن الراقدين القديسين لا تخلو حياتهم على الأرض من دنس أو خطأ(١)، ولهذا تصلى الكنيسة من أجلهم وترفع ذبيحة الأفخارستيا إستغفاراً واستمطاراً لمراحم الرب عليهم عن خطاياهم، «إن كان قد لحقهم توان أو تفريط كبشر»، كما أمرت الكتب المقدسة(٢) وكما فعل القديس بولس الرسول عن أونيسيفوروس(٣)، وكما سارت الكنيسة ابتداء من عهد الرسل الأطهار(٤). لأنه كما غفرت بدم المسيح الذى سفك على الصليب خطايا جميع الناس السالفة (٥)، للأحياء والموتى وبإستحقاقات دم المسيح أطلق سراح المقبوض عليهم فى الجحيم (٦)، كذلك بإستحقاقات دم المسيح (٧) عينه فى ذبيحة الأفخارستيا تستشفع الكنيسة المجاهدة فى سؤالها من أجل الراقدين حتى يغفر الرب لهم خطاياهم غير المميتة (٨) التى سهوا بها (٩) أمامه (١٠).

---

(١) «من هو الإنسان حتى يزكو، أو مولود المرأة حتى يتبرر» (أيوب ١٥ : ١٤)، «فإنه لا يتبرر قدامك أحد من الأحياء» (مزمور ١٤٢ (١٤٣) : ٢)، «كل ذى جسد لا يتبرر أمامه» (رومية ٣ : ٢٠)، «لأنه ليس إنساناً لا يخطأ» (الملوك الأول ٨ : ٤٦)، (أخبار الأيام الثانى ٦ : ٣٦)، «ليس من صنع الصلاح ولا واحد» (مزمور ١٣ (١٤) : ٣)، «من يقول أنى زكيت قلبى تطهرت من خطيئتى» (أمثال ٢٠ : ٩)، «ليس من صديق على الأرض يصنع الخير بغير أن يخطأ» (الجامعة ٧ : ٢٠). أنظر أيضاً (أيوب ٩ : ٢)، (١٤ : ٤)،. (٢٥ : ٤)، (مزمور ٥٠ (٥١) : ٥)، (٥٧ (٥٨) : ٣)، (١٢٩ (١٣٠) : ٣)، (رومية ٣ : ٢٣)، (٥ : ١٢)، (كورنثوس الأولى ٤ : ٤)، (غلاطية ٢ : ١٦)، (٣ : ١١)، (أفسس ٢ : ٨، ٩)، (تيطس ٣ : ٥)، (يوحنا الأولى ١ : ٨، ١٠) وجاء فى أوشية الراقدين التى تصليها الكنيسة عنهم «فإنه لا أحد طاهر من دنس الخطيئة، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض».

(٢) (يوحنا الأولى ٥ : ١٦، ١٧). قارن (متى ١٢ : ٣٢).

(٣) (تيموثيئوس الثانية ١ : ١٦). قارن (تيموثيئوس الثانية ٤ : ١٩).

(٤) كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٩.

(٥) رومية ٣ : ٢٥.

(٦) (بطرس الأولى ٣ : ١٩)، (أفسس ٤ : ٨، ٩).

(٧) (أفسس ١ : ٧).

(٨) «من الخطيئة ما هى للموت، ولست من أجل هذه آمر أن يطلب ... ومن الخطيئة ما ليست للموت» (يوحنا الأولى ٥ : ١٦، ١٧).

(٩) «السهوات من يشعر بها» (مزمور ١٨ (١٩) : ١٢).

(١٠) من أوفى كتبنا الأرثوذكسية فى الصلاة عن الراقدين كتاب «القول اليقين فى الصلاة عن المنتقلين» للعلامة سمعان سليدس أستاذ اللاهوت الأسبق بالكلية الإكليريكية (نحو ٤٦٠ صفحة).

من صلوات القداس الإلهى:

يقول الكاهن فى صلاة الحجاب من قداس القديس اغريغوريوس: «.. نعم يارب لا تردنى ذليلاً مخزياً، بل أرسل علىّ نعمة روحك القدوس وإجعلنى مستحقاً أن أقف أمام مذبحك المقدس بغير وقوع فى دينونة، وأقرب لك الذبيحة الناطقة غير الدموية بسريرة نقية، صفحاً عن خطاياى وسيئاتى وغفراناً لجهالات شعبك، **راحة وبرودة لآبائنا واخوتنا الذين سبقوا فرقدوا فى الإيمان الأرثوذكسى**».

وقد جاء فى قداس القديس باسيليوس «لأن هذا يارب هو أمر ابنك الوحيد أن نشارك فى تذكار قديسيك، تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء، أبائنا الأطهار: رؤساء الآباء، والأنبياء والرسل، والمبشرين، والانجيليين، والشهداء، والمعترفين، وكل أرواح الصديقين الذين كملوا فى الإيمان...

اذكر أيضاً يارب **كل الذين رقدوا واستراحوا** فى الكهنوت، والذين فى كل رتبة المؤمنين، تفضل يارب أرح نفوسهم أجمعين فى حضن آبائنا القديسين إبراهيم وإسحق ويعقوب.. هؤلاء وجميع الذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم، والذين هم فى فكر كل واحد منا، والذين ليسوا فينا، **والذين رقدوا واستراحوا** فى إيمان المسيح.. أولئك الذين أخذت نفوسهم أرحهم فى فردوس النعيم، فى عالم الأحياء إلى الأبد، فى أورشليم السمائية».

وجاء أيضاً فى قداس يوحنا ذهبى الفم المستعمل فى الكنيستين اليونانية والروسية: «ونحن نقدم لك هذه الخدمة العقلية من أجل أولئك الذين رقدوا فى الإيمان، أسلافنا وآبائنا: البطاركة، والأنبياء والرسل والمبشرين، والإنجيليين والشهداء والمعترفين، والنساك، وكل أرواح الصديقين الذين كملوا فى الإيمان».

* * *

ومن أقوال الآباء:

يقول **العلامة ترتليانوس** (١٦٠ – ٢٤٥م): «إن الذبيحة غير الدموية تقدم عن الأحياء **والأموات**» كما يقول: «إننا نصنع تقدمات فى أيام معينة من السنة **عن الأموات**» (١).

---

(١) فى الإكليل فصل ٣، و «فى وحدة الزيجة» فصل ١٠.

ويقول القديس **كبريانوس** (المتوفى عام ٢٥٨م) : «إنها تقدم عن الأموات» (١) . ويقول أيضا: «**إننا نقدم دائماً الذبائح عنهم كلما احتفلنا التذكار الحولى لآلام الشهداء ويوم عيدهم**» (٢) .

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - ٣٨٦م) : «ثم نذكر أيضاً، أولاً، **أولئك الذين رقدوا من قبلنا**، البطاركة والأنبياء والرسل والشهداء، حتى يقبل الرب إبتهالنا بصلواتهم ووساطتهم. **بعد ذلك نذكر الآباء القديسين والأساقفة الذين سبقوا فرقدوا من قبلنا، وبالإجمال نذكر جميع الذين رقدوا من بيننا فى السنوات الماضية، مؤمنين أنه سيكون ثمت نفع جزيل للأرواح التى نضرع عنها، فى وقت تقديم الذبيحة المقدسة والرهيبة جداً.. فمع أنهم خطاة لكننا نقدم المسيح مذبوحاً من أجل خطايانا، مستغفرين إلهنا الرحيم من أجلهم ومن أجل نفوسنا أيضاً**» (٣) .

ويقول القديس كيرلس الأسكندرى المعروف بعمود الدين (المتوفى عام ٤٤٤م) : «يليق أن نصلى لأجل الموتى، وأن نقدم لأجلهم الذبيحة السرية لنجعل الله عطوفاً عليهم» (٤) .

ويقول القديس **كيرلس الأسكندرى أيضاً** «ما الذى يناقض العقل فى كون المسيح الحاضر بجسده (على المذبح) **يقبل تضرعات لأجل الذين رقدوا فى الإيمان؟... إذن تقديم الذبائح لأجل الآخرين (الذين رقدوا) فعل لا يرذله الله بل يسوغ فعله بلا ريب ولا خطأ** (٥) .

ويقول الكاهن **افسطاثيوس** القسطنطينى معقباً على أقوال القديس كيرلس الأسكندرى: «إن ذلك الأب الحكيم الصالح (أى القديس كيرلس) يبرهن بإسهاب على **فائدة الذبائح والصلوات والصدقات لأجل الموتى**، مستعيناً لذلك بالكتب المقدسة وبقوانين وعوائد الكنيسة الجامعة المقدسة» (٦) .

ويقول القديس **يوحنا الذهبى فمه** (٣٤٧ - ٤٠٧م) فى مقالة له على رسالة كورنثوس الأولى يخاطب المرأة التى مات رجلها: «**وقد يحتاج (الميت) المساعدة على قدر ما يكون ممكناً لا بالدموع بل بالصلوات والتوسلات والصدقات وتقدمة القرابين،**

---

(١) رسالة ٦٥ فقرة ٢ .

(٢) رسالة ٣٣ فقرة ٣ .

(٣) فى الأسرار فصل ٥ فقرة ١٠ .

(٤) أنظر كيريليانا صفحة ١٢٣ .

(٥،٦) أنظر كتاب كيريليانا صفحة ١٢٤ .

لأنه لم يرتب هذا الترتيب على بسيط الحال **ولا باطلاً نذكر المتوفين على الأسرار الإلهية، إذ نقدمها لأجلهم مبتهلين إلى الحمل الموضوع الحامل خطيئة العالم، ليكون لهم من ذلك نفع ما. ولا عبثاً يصرخ الواقف على المذبح عند تتميم الأسرار الرهيبة من أجل جميع الذين رقدوا بالمسيح** والذين يصنعون التذكار من أجلهم. ولو لم يقم التذكار من أجلهم لما قيلت هذه الكلمات، لأن أعمالنا ليست هي ملاعب، معاذ الله، بل هي مقامة كلها لأن الروح أمر بها **فسبيلنا إذن أن نساعدهم ونكمل من أجلهم التذكارات... لماذا تشكين إذن في أن يصير نفع ما للأموات مما يقدم عنهم،** لأن من عادته تعالى أن يهب لأناس لأجل آخرين.. **فلا نكل إذن عن مساعدتنا الراقدين وتقديمنا الصلوات من أجلهم**.. فلماذا إذن تحزنين، إذا كان يمكن أن يصير للمتوفى نفع بهذا المقدار؟» (١).

ويقول القديس نفسه في موضع آخر: «**لم يشرع عبثاً من الرسل إقامة تذكار الراقدين حين تتميم الأسرار الرهيبة، لأن الرسل يعرفون أن للراقدين ربحاً عظيماً ونفعاً جزيلاً من ذلك**» (٢).

ويقول القديس **أوغسطينوس** (٣٥٤ - ٤٣٠م): «ينبغي أن لا نرتاب أبداً في **أن صلوات الكنيسة، والذبيحة الإلهية، والصدقات تسعف المنتقلين الذين تقدم لأجلهم** لكي يكثر لهم الرب رحمته غير ناظر إلى ما استحقته خطاياهم. هذا ما سلمه إلينا الآباء وتحفظه الكنيسة» (٣).

---

(١) مقال ٤١ : ٨ على رسالة كورنثوس الأولى ١٥ : ٣٥ - ٤٦.

(٢) مقال ٣ على رسالة مار بولس إلى فيلبي.

(٣) خطاب ١٧٢ : ٢، أنظر أيضاً رسالته عن الرعاية الواجبة نحو الموتى. فصل ٢٢.

رابعاً : سر القربان ذبيحة شكر لله

وسر التناول هو ذبيحة شكر دائمة تقدمها الكنيسة تمجيداً لله وإعترافاً بآلائه ونعمائه على الخليقة عموماً، وعلى الكنيسة خصوصاً. ولهذا فإن صلاة القداس تبدأ بالإشادة بأعمال الله فى الخلق منذ إبتداء الوجود، وتستعرض آيات محبة الله للعالم وعنايته بجبلته، وإفتقاده لها بالشريعة المقدسة وبالأنبياء، وأخيراً بظهوره فى الجسد، وبصلبه، وموته وقيامته وصعوده إلى السماوات، وبإرساله الروح المعزى ليرشد كنيسته ويلهمهما ويؤازرها دائماً وفى أثناء هذا الإستعراض الشامل لأعمال الله فى الوجود، وآيات محبته ورعايته، ومجالى عنايته التى ظهرت لا سيما فى سرى التجسد والفداء تتغنى الكنيسة فى خدمة القداس بصفات الله، وتستغرق فى حالة من الوجد الصوفى، معبرة فى قوة وعمق عن تعلقها بعريسها الإلهى وساكبة ذاتها فى شكر متصل وتمجيد دائم وتسبيح لا ينقطع...

من الكتاب المقدس:

لهذا فإن سر التناول يسمى أيضاً سر الشكر وذبيحة الشكر (= الأفخارستيا *εὐχαριστία*)، ولعله أيضاً سمى كذلك بالنسبة لما فعله مخلصنا عند تسليمه هذا السر ليلة آلامه «وأخذ يسوع خبزاً، **وشكر**.. وكذلك أخذ الكأس أيضاً من بعد العشاء، **وشكر**...» (١).

* * *

من صلوات القداس الإلهى:

وقد رتبت الكنيسة فى جميع القداسات أن يردد الشعب والشماس كلمة «آمين» بعد أن ينطق الكاهن بما فعله رب المجد ليلة آلامه قائلاً «وشكر». ومعنى هذا أن الشعب يؤمن مصادقاً على ما يرويه الكاهن عن مخلصنا كما أنه فى نفس الوقت يعبر عن شكره وامتنانه لمخلص الأنام على آلامه ونعمائه وخيراته التى لا تستقصى.

وفى مطلع القداس ينادى الكاهن الشعب قائلاً: فلنشكر الرب فيرد الشعب ويقول: **«مستحق وعادل»**، **«مستحق ومستوجب»** ويعيد الكاهن بعد ذلك ما يقوله الشعب ثلاث مرات. وبعد أن يفرغ الكاهن من إستعراض أعمال الله فى الخليقة الأولى وأعماله فى الخليقة الجديدة، ويتلوها بتقديس الخبز والخمر ليكونا طهراً وخلاصاً ونعمة وغفرانا للخطايا، يصرخ الشعب بتمجيد الله ويقول: **«نسبحك، ونباركك، ونشكرك يارب، ونتضرع إليك يا إلهنا»**.

(١) (متى ٢٦: ٢٧)، (مرقس ١٤: ٢٣)، (لوقا ٢٢: ١٩، ٢٠)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤، ٢٥).

ومن أقوال الآباء:

وفى كتابات آباء الكنيسة إشارات واضحة إلى الدور البارز «للشكر» فى العبادة الجمهورية وفى سر القربان المسمى أيضاً سر الشكر أو «الأفخارستيا εὐχαριστία».

من ذلك ما يقوله القديس يوستينوس الشهيد فى دفاعه الشهير الذى كتبه فى سنة ١٥٠م يروى ترتيب صلوات القداس:

«وبعد أن نفرغ من الصلوات نقبل بعضنا بعضاً. ثم يؤتى إلى رئيس الإخوة(١) بخبز وكأس خمر ممزوجاً بالماء(٢). فيأخذهما ويرفع **الشكر** والتمجيد (لله) الآب، (آب) الكون باسم الابن والروح القدس، ويقدم شكراً وافراً، لأننا صرنا مستحقين أن ننال هذه الأشياء منه. فإذا فرغ من الصلوات والشكر يؤمن جميع الشعب الحاضرين قائلين: آمين...» (٣).

(١) وهو الكاهن (القسيس) أو رئيس الكهنة (الأسقف). (٢) أنظر حاشية رقم ٢٨ صفحة ١٣ ـ ١٥.
(٣) الدفاع ١ فصل ٦٥. (٤)، (٥) (لوقا ٢٢ : ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٤، ٢٥).

خامساً: سر القربان ذكرى عينية بالرب إلى مجيئه الثانى.

لما كانت ذبيحة الأفخارستيا هى بعينها ذبيحة الصليب، فهى إذن ذكرى قائمة لها، وتذكار متصل لكل ما احتمله مخلصنا عنا من صلب وألم وعذاب فى سبيل فدائنا وخلاصنا، وقد تحقق هذا الخلاص. ونحن فى ذبيحة الأفخارستيا نغترف من نبع الخلاص الذى تفجر من ذبيحة الصليب، إذ أن سيدنا قوى على الموت، وقام من بين الأموات. ولولا القيامة لما كان للصليب قوة وبالتالى لما كان للأفخارستيا معنى. **لهذا فإننا إذ نصنع الأفخارستيا نصنع ذكرى صلب مخلصنا وموته وقيامته إلى أن يجىء فى مجيئه الثانى للدينونة والجزاء.** ولهذا إشتملت جميع القداسات على صلوات تتضمن الإشادة بموت المسيح مخلصنا وقيامته وما استتبع الموت والقيامة من أعمال خلاصية.

الذكرى عينية:

وهذا هو ما قاله فادينا ليلة آلامه التى صنع فيها سر القربان وأسسه «هذا اصنعوه لذكرى» (١).

والذكرى هنا ليست صورية: لأن الأفخارستيا ليست صورة منظورة لذبيحة الصليب، ولا هى ذكرى أثرية لأنها ليست شيئاً باقياً من مخلفات حادثة الصلب، ولا هى ذكرى خبرية لأنها ليست خبراً ولا رواية. ولكنها شىء يصنع **«هذا اصنعوه»** (٢) فيكون بعد أن يصنع تذكاراً لذبيحة الصليب. وإذن فذبيحة الأفخارستيا «ذكرى عينية» لذبيحة الصليب.

من الكتاب المقدس:

وذبيحة الأفخارستيا مثلها مثل قسط المن الذى كان أمر الله بأن يحفظ فى قدس الأقداس، وهو من ذات المن الذى كان يأكله بنو إسرائيل فى البرية: «خذ قسطاً واحدا واجعل فيه ملء العمر مناً، وضعه أمام الرب للحفظ فى أجيالكم. فوضعه هرون أمام الشهادة للحفظ كما أمر الرب موسى» (٣). وسيدنا نفسه بيّن هذه العلاقة بين المّن الذى أكل منه بنو إسرائيل، والخبز السمائى الذى وعد أن يعطيه للمؤمنين فى العهد الجديد، وهو جسده المقدس ودمه الكريم، وإن كان قد أبان فى نفس الوقت أن الخبز الحى الذى سيعطيه هو أعظم من المن الذى أكل منه

---

(١)، (٢) (لوقا ٢٢: ١٩)، (كورنثوس الأولى ١١: ٢٤، ٢٥).

(٣) (سفر الخروج ١٦: ٣٣، ٣٤). وقد ردد القديس بولس فى رسالته إلى العبرانيين هذه الواقعة «وتابوت العهد المغشى بالذهب من كل جهة، فيه قسط من ذهب فيه المن» (العبرانيين ٩: ٤).

بنو إسرائيل، لأن الذين أكلوا المن ماتوا، أما من يأكل من خبز الحياة الذى يعطيه رب المجد فيحيا إلى الأبد «آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا... أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله عن حياة العالم... من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير لأن جسدى هو مأكل حقيقى، ودمى هو مشرب حقيقى.. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء، ليس كالمن الذى أكله آباؤكم وماتوا. من يأكل هذا الخبز، يحيا إلى الأبد» (١).

وقد بر مخلصنا فى ليلة آلامه (٢) بما وعد به فى الأصحاح السادس من إنجيل القديس يوحنا فقد أعطى لتلاميذه من جسده ودمه وأمرهم أن يصنعوا هم ما صنعه هو، وفى هذه الصناعة المقدسة التى يصنعون بها الأفخارستيا، يصنعون ذكرى آلامه وموته وقيامته. وقد ردد الرسول فيما بعد ما قاله سيده مذكراً أهل كورنثوس بأنه تسلم من الرب ما سلمهم «.. **فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز، وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء**» (٣).

لقد كان ذبح خروف الفصح فى العهد القديم ذكرى (٤) لخلاص بنى إسرائيل من ضربة الملاك المهلك الذى رأى الدم على أبواب بيوت العبرانيين، فعبر عنهم (٥). وخروف الفصح نفسه كان رمزاً وإشارة إلى وسيط العهد الجديد فادى نفوسنا يسوع المسيح الذى سفك دمه الطاهر عنا، وبذل جسده عن حياة العالم(٦). وكما صار الأمر إلى بنى إسرائيل أن يصنعوا خروف الفصح تذكاراً لذلك الخلاص الذى تم مرة، صار كذلك الأمر إلى كنيسة المسيح من قبل الرب نفسه أن يصنعوا سر التناول، فصح العهد الجديد، تذكاراً دائماً لموت الفادى الوحيد وخلاصه العجيب، إلى أن يجىء.

* * *

---

(١) يوحنا ٦: ٤٩ ـ ٥٨.

(٢) وهذا هو السبب فى أن القديس يوحنا الرسول لم يورد فى إنجيله حديث رب المجد عندما سلم تلاميذه سر الشكر، مكتفياً بما أورده هو فى الأصحاح السادس من إنجيله، وإن كان مجرد وعد بما حققه الرب فعلاً ليلة آلامه.

(٣) كورنثوس الأولى ١١: ٢٦.

(٤) «وكلم الرب موسى وهارون.. كلِمَا كل جماعة إسرائيل.. ويكون هذا اليوم لكم ذكرى فتعيدون عيداً للرب» (الخروج ١٢: ١، ٣، ١٤).

(٥) الخروج ١٢: ١٣، ٢٣، ٢٧.

(٦) يوحنا ٦: ٥١.

من صلوات القداس الإلهى:

وقد رتبت الكنيسة فى جميع قداساتها أنه بعد أن يتلو الكاهن كلمات المخلص فى تقديس الخبز والخمر وقوله «لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى، وتذكروننى إلى أن أجىء» يرتل الشعب مجيباً «آمين، آمين، آمين، بموتك يارب نبشر، وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف».

ويعود الكاهن فيقول «ففيما نحن نصنع ذكرى آلامه المقدسة، وقيامته من بين الأموات، وصعوده إلى السماوات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب، وظهوره الثانى الآتى من السماوات، المخوف المملوء مجداً، نقرب لك قرابينك من الذى لك...».

وإذن فمع أن ذبيحة الأفخارستيا ذبيحة حقيقية كاملة (١)، وهى بعينها ذبيحة الصليب (٢) لكنها من حيث هى جديدة فى كل يوم، وتفيض منها دائماً بركات الخلاص التى تفجرت من ذبيحة الصليب (٣)، التى تمت مرة واحدة على الصليب، فهى من هذه الوجهة تذكار عينى لذبيحة الصليب.

* * *

ومن أقوال الآباء:

قال القديس **أمبروسيوس** (٣٤٠ – ٣٩٧م) «كلما تناولنا القرابين المقدسة التى تتحول سرياً بالطلبة المقدسة إلى جسد المسيح ودمه **نخبر بموت الرب**» (٤).

---

(١) صفحة ٢٦٤– ٢٦٧ .

(٢) صفحة ٢٦٤ – ٢٦٥.

(٣) صفحة ٢٧١.

(٤) (فى الايمان ٤ : ١٠ ـ ١٢٤) الأنوار فى الأسرار صفحة ١٤٩.

وقال القديس **أوغسطينوس**: «هذه التى نسميها جسد المسيح ودمه هى جوهر مأخوذ من أثمار الأرض، ولكنها إذ تقدست بصلوات التقديس، فهى تناول لنا لخلاص نفوسنا، **ولتذكار آلام المخلص وموته الذى إحتمله من أجلنا»** (١).

وقال القديس **غريغوريوس النيسى** (٣٣٥ - ٣٩٤م): «إننا لا نقدم ذبيحة أخرى، بل نتمم **تذكار** تلك الذبيحة الواحدة الخلاصية».

وقال القديس **يوحنا الذهبى فمه** (٣٤٧ - ٤٠٧م): «إن رئيس كهنتنا العظيم قدم الذبيحة التى تطهرنا. ومن ذاك الوقت إلى الآن نقدم نحن أيضاً **هذه الذبيحة نفسها**. وهذه الذبيحة غير الفانية وغير النافذة هى نفسها ستتم إلى إنقضاء الدهر حسب وصية المخلص **«هذا اصنعوه لذكرى»**... فبعملنا إذن تذكار تلك الذبيحة على الصليب **نتمم الذبيحة التى تممها رئيس الكهنة العظيم نفسها»** (٢).

ويقول **الأنبا ساويرس** أسقف الأشمونين المعروف بإبن المقفع من رجال القرن العاشر.

«قال المسيح: كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس تذكروننى وتنادون بموتى. لأن بموته عتقنا من عبودية إبليس، وجعل لنا جسده ودمه نقربه فى كل يوم عن خطايانا، حتى إذا رأيناه وهو ملفوف من أجلنا بالخرق ومطروح فى الصينية نذكر أنه كذا كان من أجلنا، ملفوفا بالأكفان مطروحاً فى القبر وإذا رأينا دمه مهراقاً فى الكأس، نذكر أنه هكذا كان إهراقه من أجلنا لما طعن فى جنبه، ونشكره، ونعترف له على ما صنع معنا ونجاهد على العمل بمرضاته» (٣).

كما يقول فى موضع آخر من مقالة له فى «إيضاح تأنس ابن الله وصلبه»: «لأنهما (جسد المسيح ودمه) سر موته. وهو ميت عنا، ملفوفاً بالخرق فى الصينية كما كان ملفوفاً فى القبر بالأكفان. ودمه مهرق فى الكأس كما أهرق فى الجلجثة لما طعن» (٤).

---

(١) فى الثالوث، كتاب ٣ ، فصل ٤ ، فقرة ١٠ .   (٢) (على العبرانيين مقالة ٢٢ : ٣). الأنوار صفحة ١٨٤ .

(٣) «الدر الثمين فى إيضاح الدين» لساويرس ابن المقفع القاهرة ١٩٢٥ صفحة ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) نفس المرجع. المقالة الثانية صفحة ٨٠.

سادساً: سر القربان غذاء للنفس وقوت للروح

من الكتاب المقدس:

وكما أن الجسد فى حاجة دائماً إلى الطعام يغذيه ويقويه هكذا الروح أو النفس الناطقة هى أيضاً فى حاجة إلى طعام آخر(١)، طعام روحانى يناسب طبيعتها الروحانية غير المادية. هذا الطعام الروحانى هو الوسائط التقوية جميعها وعلى رأسها سر التناول المقدس فهو على حد تعبير الكنيسة فى القداس «السر العظيم الذى للتقوى» (٢). فالروح تغتذى بالصلوات والتأملات، والقراءة فى الكتب المقدسة والوعظ وسماع سير القديسين الشهية، ولكن الرب من فرط حبه للذين إفتداهم بدمه الكريم شاء حناناً ولطفاً أن لا يكتفى بتلك الوسائط، فأضاف إليها أعظم الوسائط طراً وأفعلها فى الروح، وأعظمها دلالة على عمق حبه وشدته، وهى سر التناول الذى فيه نغتذى بجسد الرب ودمه هو نفسه، وبه نحيا إلى الأبد.

فيا لعناية الرب بخليقته الجديدة. إنه يدبر لها قوتاً روحياً يغذيها ويبنيها، ويكفل لها النمو والقوة والإزدهار والبلوغ إلى الكمال.

عندما أقام السيد المسيح ابنة يايرس رئيس مجمع اليهود، من الموت، لم يشأ أن يتركها منهكة ضعيفة «فأمر بأن تعطى (طعاماً) لتأكل» (٣).

وهكذا أمر الرب بالنسبة للمؤمنين الذين دفنوا معه فى المعمودية (٤)، وقاموا معه من بين الأموات (٥) بمجد الآب ليسلكوا فى جدة الحياة (٦) ، **أن يأكلوا طعاماً جديداً** مجيداً يناسب الخليقة الجديدة (٧)، وهو سر التناول الذى رسمه طعاماً وغذاء روحانياً لمن يسلكون بالروح.

قال مخلصنا «أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء لكى لا يموت **كل من يأكل منه**، أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. **إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد**. والخبز الذى أنا سأعطيه هو جسدى الذى سأبذله عن

---

(١) (يوحنا ٤: ٣٢).

(٢) العبارة التى يفتتح بها الكاهن صلوات التقديس على الخبز والخمر فى قداس القديس باسيليوس.

(٣) (لوقا ٨: ٥٥)، (مرقس ٥: ٤٣).

(٤) (رومية ٦: ٤)، (كولوسى ٢: ١٢).

(٥) (رومية ٦: ٤)، (٨: ١١)، (كورنثوس الأولى ٦: ١٤)، (كورنثوس الثانية ١٣: ٤)، (أفسس ٢: ٦)، (كولوسى ٢: ١٢)، (٣: ١).

(٦) (رومية ٦: ٤)، (أفسس ٤: ٢٤)، (كولوسى ٣: ١٠).

(٧) (غلاطية ٦: ١٥).

حياة العالم. فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله. فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: **إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم فى أنفسكم**.. كما أرسلنى الآب الحى، وأنا أيضاً أحيا بالآب، فمن يأكلنى يحيا هو أيضاً بى. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء، ليس كالمن الذى أكله آباؤكم وماتوا. **من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد**» (١).

وليس أقوى من هذه العبارات القدسية دلالة على أن الرب جعل جسده ودمه طعاماً روحانياً تغتذى به نفوس المؤمنين وأرواحهم وبه يحيون (٢) لأنه جسد حى بنفسه الناطقة وبلاهوته المحيى.

ولعله إلى هذا الغذاء العجيب، الذى يسمو سرّه على جميع الأسرار وإعجازه على كل المعجزات، يشير النبى فى المزمور «جعل لمعجزاته ذكرا. الرب حنان ورحيم. أعطى الذين يتقونه غذاء. ذكر ميثاقه إلى الأبد» (٣). فليست ثمت معجزة أعظم من تحويل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه وليس ثمت غذاء أجدر بالذكر من هذا الغذاء السماوى الذى يمنحه الرب لأتقيائه حناناً منه ورحمة، وهو فى ذات الوقت عهد وميثاق الرب إلى الأبد.

* * *

ومن أقوال الآباء:

قال القديس الفيلسوف **يوستينوس** الشهيد: «هكذا تعلمنا أن الغذاء الذى يتقدس بألفاظ الصلوات التى نطق بها هو (أى يسوع المسيح مخلصنا)، وبه يتغذى لحمنا ودمنا بواسطة الإستحالة (٤) هو لحم ودم يسوع ذاك المتجسد» (٥).

---

(١) (يوحنا ٦: ٤٨ - ٥٩).

(٢) ومن العبارات الواردة فى القداس والمقتبسة من كلمات المسيح إلهنا عن سر التناول، ما جاء فى لحن التوزيع فى نهاية القداس «**خبز الحياة الذى نزل إلينا من السماء، ووهب الحياة للعالم**».

Ⲡⲓⲱⲓⲕ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡ̀ⲱⲛϧ ⲉ̀ⲧⲁϥⲓ̀ⲉⲡⲉⲥⲏⲧ ⲛⲁⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗϧⲉⲛ ⲧ̀ⲫⲉ ⲁϥϯ ⲙ̀ⲡⲓⲱⲛϧ ⲙ̀ⲡⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ.

(٣) (مزمور ١١٠ (١١١): ٤).

(٤) يلاحظ أن تعبير «الإستحالة» فى كتاب لأحد قديسى الكنيسة كتبه فى سنة ١٥٠م أى بعد وفاة القديس يوحنا الرسول بخمسين سنة. يدل على أن عقيدة «الإستحالة» عقيدة قديمة جداً وهى عقيدة الكنيسة فى العصر الرسولى الأول.

(٥) الدفاع الأول ليوستينوس : فصل ٦٦.

وقال العلامة ترتوليانوس: «**إننا نغتذى بجسد المسيح ودمه**» (١)

وقال القديس **يوحنا الذهبى فمه**:

«إن الذى لا تنظر إليه الملائكة إلا بالخوف والرعدة من أجل البهاء الصادر من إقنومه **يغذينا بجوهره**.. من يتكلم بعظائم الرب ويجعل تسابيحه مسموعة؟! **أى راع يغذى خرافه بأعضائه** ؟! ومالى أذكر الراعى؟ كثيراً ما دفعت أمهات أولادهن بعد أوجاعهن إلى مرضعات أخَر. وهو لم يطق أن يفعل ذلك. بل شاء هو نفسه أن يغذينا بدمه..» (٢).

* * *

خبز الحياة، والخبز السماوى:

فسر التناول غذاء روحانى، وخبز الحياة، وقد وصفته الكنيسة فى طقوس القداس وصلواته بأنه «الخبز الحقيقى الذى نزل من السماء مانح الحياة لمن يتناول منه» (٣) تمييزاً له عن الخبز المادى الزائل، وأنه «الخبز السماوى» (٤) والطعام غير المائت السماوى (٥).

شجرة الحياة:

ومن ثم فهو شجرة الحياة (٦) يأكل منها المؤمن فيحيا إلى الأبد ولقد منع عنها آدم الأول عندما سقط لئلا «يأكل منها فيحيا إلى الأبد» (٧).

أما الذين جحدوا الشيطان وتبرروا فى دم المسيح، فصار «لهم سلطان على شجرة الحياة» (٨)، وأن «يأكلوا من شجرة الحياة» (٩).

---

(١) «فى قيامة الأجساد» فصل ٨.

(٢) عظة ٨٣: ٥ على إنجيل متى. ثم عظة ٢٤ على رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس.

(٣) من صلاة الكاهن قبل التناول.

(٤) جاء فى صلاة القسمة من قداس القديس اغريغوريوس التى يتلوها الكاهن وهو يقسم القربان الطاهر « يا من بواسطة تجسدك الذى لا يمكن ادراكه، أعددت لنا خبزاً سماوياً هو هذا: جسدك الطاهر، الذى هو سرى وطاهر فى كل شيء».

(٥) من صلاة الشكر بعد التناول للقداس المرقسى الكيرلسى.

(٦) (التكوين ٢: ٩). قارن (أمثال ٣: ١٨)، (١١: ٣٠)، (١٣: ١٢)، (١٥: ٤)، (الرؤيا ٢٢: ٢)، (٢: ٧).

(٧) التكوين ٣: ٢٢). (٨) (الرؤيا ٢٢: ١٤). (٩) (الرؤيا ٢: ٧).

جاء فى صلوات القداس قول الكاهن. وهو يقسم القربان الطاهر «أتيت يا سيدنا وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقية. وأنعمت علينا بشجرة الحياة التى هى جسدك الإلهى ودمك الحقيقى» (١).

ويقول الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين الشهير بابن المقفع «وفى الكنيسة شجرة الحياة الحقيقية أى جسد المسيح ودمه اللذان قال المسيح عنهما أن من يأكل جسدى ويشرب من دمى يعيش إلى الأبد» (٢).

المن العقلى:

بل سر التناول هو المن العقلى (٣). Ⲡⲓⲙⲁⲛⲛⲁ ⲛ̀ⲛⲟⲏⲧⲟⲛ تمييزاً له عن المن الأرضى الذى أكله الإسرائيليون وماتوا (٤). أما المن العقلى فهو النازل من السماء الذى من يأكل منه يحيا إلى الأبد (٥). لعل إهتمام الشريعة بأن يحفظ بنو إسرائيل قسطاً من المن (٦). فى تابوت العهد، ليس فقط لمجرد الذكرى بالنسبة لما حدث لهم فى الماضى، وإنما ليكون رمزاً وإشارة إلى المن العقلى والسماوى الذى تحيا به وعليه نفوس المؤمنين وأرواحهم مدة غربتهم فى برية هذا العالم إلى أن يعودوا إلى وطنهم الحقيقى الذى ينتظرونه (٧). ولذلك فإن الرسول القديس بولس لم ينس أن يردد فى العهد الجديد الكلام عن قسط المن (٨)، وهو يتكلم عن كهنوت المسيح وسموه عن الكهنوت اللاوى.

* * *

المن المخفى:

ولعله أيضاً هو «المن المخفىَ» (أو الخفى) الذى جعله الرب من نصيب الغالبين المنتصرين «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفىَ»(٩). ولا شك أن سر التناول هو «من مخفى» لأنه مستور عن الحواس الظاهرة يتناوله المؤمنون تحت أعراض الخبز والخمر.

---

(١) صلاة قسمة سبت الفرح المسمى بسبت النور.

(٢) الدر الثمين فى إيضاح الدين، طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥، المقالة الثالثة صفحة ١٢٠.

(٣) من لحن التوزيع فى أثناء التناول. قارن (بطرس الأولى ٢ : ٢).

(٤) (يوحنا ٦ : ٤٩، ٥٨، ٣١).

(٥) (يوحنا ٦ : ٥٠، ٥١، ٥٨).

(٦) (الخروج ١٦ : ٣٣، ٣٤).

(٧) (العبرانيين ١١ : ١٤)، (كورنثوس الثانية ٥ : ٦ ـ ٨).

(٨) (العبرانيين ٩ : ٤).

(٩) (الرؤيا ٢ : ١٧).

جاء فى صلاة الحجاب للقداس المرقسى (أو الكيرلسى) قول الكاهن «... عندما أتقدم إلى قدس أقداسك، وألمس **هذا السر المخفى المقدس**.»

كما جاء فى صلاة الشكر التى يقولها الكاهن بعد التناول: «.. أنعمت علينا بالحرية، وأعطيتنا من هذا الطعام غير المائت والسماوى وأظهرت لنا كل هذا السر، **هذا المخفى** منذ الدهور والأجيال» (القداس المرقسى الكيرلسى).

ويقول ابن كاتب قيصر فى تفسيره لهذا النص من سفر الرؤيا: «يريد بالمن المخفى جسد سيدنا المسيح متحداً بلاهوته الذى يتناوله المؤمنون. والدليل على أن مراده ذلك قول هذا الرسول يوحنا فى الفصل السادس من إنجيله «أنا هو الخبز النازل من السماء ليس كالمن الذى أكله آباؤكم فى البرية وماتوا» (١) فقوله «ليس كالمن» مشعر بأنه سماه مَناً. ولكن لا كالمن المأكول فى البرية فجهة المشابهة لهم فى إسم المن. ووجهة الفرق بينهما أن ذلك مَنّ ظاهر، باللفظ والمعنى، وقد مات آكلوه، وهذا مَنّ مخفى يفوز من يستحق أكله وآكله، بحلول الابن فيه فى الدنيا، مع خلوده فى الحياة الأبدية، بدليل قوله: من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد (٢) فقد ظهر أنه سماه على الترادف بالمن المخفى، وبالخبز النازل من السماء، وبخبز الحياة، كل ذلك باللغة الروحانية» (٣).

وفى هذا النص من سفر الرؤيا عن المن المخفى ما يطمئننا على أن الإغتذاء بجسد المسيح، خبز الحياة». والمن العقلى، وشجرة الحياة، وسوف لا يقتصر على الحياة الحاضرة، ولكنه سيصير أيضاً هو الغذاء الوحيد الذى سيحيا به وعليه المؤمنون فى الدهر الآتى فتكون لهم به الحياة الأبدية (٤).

خبزنا للآتى:

وهو كذلك «خبزنا للآتى» (٥)، أو «خبزنا للغد»(٥). الذى نسأل فى الصلاة الربانية أن نعطى

---

(١) (يوحنا ٦: ٤٩، ٥٠، ٥٨)

(٢) (يوحنا ٦: ٥١، ٥٨).

(٣) تفسير رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى لابن كاتب قيصر طبعة القاهرة ١٩٣٩ صفحة ٤٦.

(٤) أنظر (الرؤيا ٢: ٧).

(٥) هكذا ترجم علماء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية العبارة اليونانية الواردة بالصلاة الربانية كما جاءت فى (متى ٦: ١١)، (لوقا ١١: ٣) ونصها:

τὸν ἄρτον ἡμῶν τὸν ἐπιούσιον

منه اليوم أى فى الدهر الحاضر، فهو الخبز الحى السماوى الذى نتزود به للدهر الآتى.

من أقوال الآباء:

يقول القديس كيرلس الأورشليمى فى تفسيره للطلبة الخاصة بالخبز فى الصلاة الربية: «إن الخبز العادى ليس هو الخبز فوق المادى» (١) ولكن هذا الخبز المقدس (القربان) ἄρτος δὲ οὗτος ὁ ἅγιος هو الخبز فوق المادى أعنى المعين لجوهر النفس ἐπὶ τὴν οὐσίαν τῆς ψυχῆς . فإن هذا الخبز لا يمضى إلى الجوف، ولا يندفع

– فقد نقلوها باللسان القبطى فى (متى ٦ : ١١) ⲡⲉⲛⲱⲓⲕ ⲛ̀ⲧⲉ ⲣⲁⲥϯ «خبزنا للغد»، وذلك فى اللهجتين البحيرية والفيومية، أما فى الصعيدية فقد ورد ⲡⲉⲛⲟⲉⲓⲕ ⲉⲧⲛⲏⲩ «خبزنا الآتى». وكذلك نقلوا النص الوارد فى (لوقا ١١ : ٣) ⲡⲉⲛⲱⲓⲕ ⲉⲑⲛⲏⲟⲩ «خبزنا الآتى».

يدل على أنه حتى لو كان لهذه الكلمة باللغة اليونانية أكثر من معنى كما هو الحال بالنسبة لأى كلمة أخرى، لكن المعنى الوحيد الذى أستخدمت به فى العهد الجديد، فى الصلاة الربانية، هو خبزنا للغد أى للآتى:

والمقصود «بالغد» طبعاً ليس اليوم التالى مباشرة بل «الدهر الآتى» أى الحياة الأخرى، بمعنى أن الخبز الذى نطلبه هو الخبز الحى والسماوى، الذى هو زادنا للحياة الأخرى وللدهر الآتى.

ولا يغيب عن الذهن أن علماء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية الذين ترجموا العهد الجديد من لغة اليونان إلى لغة القبط فى القرنين الثانى والثالث للميلاد - وهى تعد لذلك أول ترجمة فى القرون الأولى المسيحية - كانوا يجيدون اللغتين اليونانية والقبطية إجادة تامة، كلاماً وكتابة فقد كان شعب مصر بصفة عامة، والأسكندرية بصفة خاصة، ولا سيما العلماء ممن يصدق عليهم أنهم «ذوو لغتين» أو «ناطقون بلغتين» (bilinguals) . ولذلك فإن الترجمة القبطية تعد - ولا سيما اليوم عند الباحثين فى «نقد النصوص»، (Biblical Criticsm) أهم وأدق ترجمة للكتاب المقدس ويضعها بعض علماء الغرب فى نفس درجة الأهمية للنص اليونانى الحاضر، على أساس أن كليهما - النص اليونانى والنص القبطى - أخذا عن نص يونانى أقدم عهداً. (انظر مقالاً للمؤلف فى الموضوع نشر بمجلة مدارس الأحد، السنة العاشرة، العدد السابع (سبتمبر ١٩٥٦ - توت ١٦٧٣) صفحة ٣٣) .

ومما هو جدير بالذكر أن القاموس اليونانى للعهد الجديد المطبوع بأوكسفورد Oxford سنة ١٩٥٣ لواضعه A.SOUTER يعطى فى صفحة ٩٣ المعنى المقابل لكلمة ἐπιούσιος اليونانية وهو معنى واحد، «الخبز» المختص بالغد.

(belonging to the morrow) مما يدل على أنه حتى لو كان لهذه الكلمة باللغة اليونانية أكثر من معنى كما هو الحال بالنسبة لأى كلمة أخرى، لكن المعنى الوحيد الذى أستخدمت به فى العهد الجديد، فى الصلاة الربانية، هو خبزنا للغد أى للآتى:

وللمرحوم الأستاذ يسى عبد المسيح أمين المتحف القبطى والأستاذ بالكلية الإكليريكية سابقاً - بحث قيم نشرته مجلة مدارس الأحد فى السنة الخامسة، العدد ٦ (يوليو ١٩٥١) صفحة ٢٣ - ٣٥.

(١) ترجمت فى الإنجليزية Super-Substantial Bread وبالعربية «الخبز الذى فوق المادة»، «فوق الجوهر»، «الخبز الفائق»، «الخبز الأعلى»، «الخبز الخالى من المادة»، «الخبز الذى بلا مادة»، وفى اللاتينية Su-persubstantialem «الخبز الذى يفوق الجوهر» وهو التعبير الوارد فى الترجمة اللاتينية المعروفة بالفولوجاتا.

إلى المخرج (١)، **لكنه ينتشر فيك كذلك لفائدة الجسم والنفس» (٢).**

ويقول القديس قبريانوس الإفريقى اسقف قرطاجنة فى تفسير الخبز الوارد فى الصلاة الربانية:

«فخبز الحياة هو المسيح. وهذا الخبز ليس لأى كان، إنما هو لنا، هو خبزنا. وكما ندعو الله أبانا لأنه أبو المؤمنين، **فهكذا ندعو المسيح خبزنا لأنه خبز من يتحدون بجسده».**

«نطلب الحصول على هذا الخبز كل يوم. ولكن يجب علينا نحن الذين نقبل الخبز المقدس يومياً، غذاءً خلاصياً ، ألا ننفصل عن المسيح بذنب كبير يحرمنا من أن نكون مع الآخرين ومن أن يكون لنا نصيب فى هذا الخبز السماوى: «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أنا سأعطيه هو جسدى الذى سأبذله عن حياة العالم(٣). ففى تصريحه بأن من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، دليل على دوام الحياة **لمن يتحد بجسده ويتناول القربان المقدس**، تناولاً لائقاً» (٤).

(١) (متى ١٥ : ١٧)، (مرقس ٧ : ١٩). ولعل فى هذا جواباً على الذين يسألون عن مصير التناول فى جهازنا الهضمى.

(٢) فى الأسرار المسيحية فصل ٥ فقرة ١٥.

(٣) (يوحنا ٦ : ٥١).

(٤) رسالة القديس قبريانوس فى الصلاة الربية : ١٨.

سابعاً: سر القربان يقاوم الضعف الطبيعى ويقى الروح من الأمراض.

وإذا كان سر التناول للمؤمنين طعاماً لأرواحهم وغذاء لنفوسهم، فإن للطعام بالنسبة للجسم مهمة مزدوجة. فهو:

أولاً: يقاوم الضعف الطبيعى من إستهلاك القوى البدنية فى نشاط الحياة، ويقى الجسم من الأمراض التى تتسبب عن الضعف، ويحميه من الميكروبات التى تهاجمه وتفتك به. والمعروف أنه كلما كان الجسم ضعيفاً أمسى عاجزاً عن مقاومة شر الميكروبات وضررها.

وأما ثانياً : فالطعام يقوى الجسم ويبنيه، ويجدد ما تهدم من خلاياه ويعوضه ما يستهلكه يومياً من خلايا وأنسجة ودم، ثم ينعشه، وينشطه، ويساعده على الحركة وضروب النشاط المختلفة.

هكذا سر التناول يفعل فى أرواح المؤمنين الذين يقبلونه باستحقاق. فيه نتنقى من الخطيئة، وننجو من دنس العالم وشروره، ونتخلص من الأخطار الضارة بحياتنا الروحية، فتحترق بناره الأشواك الخانقة للنفس، ونشفى من الضعف الذى ينهك قوانا الباطنية، ومن الفتور الذى يدرك حرارة النفس وأشواقها الإلهية بسبب الشهوات التى تحارب النفس. وبعبارة أخرى إن سر التناول إذا تقدمنا إليه بإستحقاق، يميت فينا تدريجياً الإحساسات النجسة، ويصلب فينا وعنا إنسان الخطيئة، ويقوى أرواحنا على مغالبة الشهوات وقهر ميول الجسد، وينصرنا على أعداء خلاصنا، ويحفظ الحياة الروحية ويصونها. هو إذن دواء يقينا من الموت، وحرز للخلاص من الهلاك الأبدى، به نطفىء جميع سهام الشرير النارية (١).

فما أجمل ما يقوله صاحب المزمور بروح النبوءة عن هذا السر العظيم الذى للتقوى: «تهيىء أمامى مائدة تجاه مضايقى.. إنما خير ورحمة يتبعاننى كل أيام حياتى» (٢).

---

(١) (أفسس ٦: ١٦).

(٢) (مزمور ٢٢ (٢٣): ٥، ٦).

فى هذا المعنى كتب آباء الكنيسة عن المائدة وأنها المائدة الربانية فى سـر القربان. ومن بينهم هيزيخيوس الأورشليمى Hesychius (٤١٢ - ٤٥٠م تقريباً).

أنظر Johannes Quasten, Patrology, Vol. iii (1960) p.492

إننا نؤمن بفاعلية هذا السر المقدس فينا، لأننا نؤمن بقدرة مخلصنا على أن ينتهر فينا كل القوى الشريرة المضادة والمقاومة لنا. وإذا كان لبعض المشروبات وبعض الحبوب التى يتعاطاها الإنسان بالفم قدرة على تهدئة إنفعالات النفس وثورة الجسم وإضطرابات الهرمونات فى الدم، فكيف لا نؤمن بالأحرى بفاعلية سر القربان وقدرته على أن يسكنٌ حركات الآلام، ويبطل شغب الجسم، ويهدىء حرارة الجسد، ويخمد طياشة المخيلة الحسية، وهياج الشهوة البدنية، ليس فقط بحرارة المحبة الإلهية التى يشعلها فى قوى النفس الباطنة بل وأيضاً بالقوة الذاتية الصادرة من قدرة لاهوته المتحد بناسوته والذى نقتبله فى سر التناول المقدس، «إن القوة التى كانت تخرج منه، وتشفى الجميع (١). هى هى بذاتها لا تزال معه فى سر القربان فتشفى النفس من متاعبها وجراحاتها وآلامها. وهو بذات القدرة يقف معنا ليهدىء العواصف التى تثور فينا وعلينا حتى لتكاد تجرفنا فى تيارها، فننساق مع دفعها وجذبها، ويوقف قوة الأمواج التى تضرب سفينة حياتنا حتى تكاد تدخل فيها فتملأها من محبة العالم وتغرقها فى لجحه العاتية. هو نفسه يفعل فى سر الأفخارستيا فيقوم وينتهر الريح المضادة لنا، ويقول للبحر: اسكت، أبكم. فتسكن الريح، ويحدث هدوء عظيم (٢)، فإن الريح والبحر يطيعانه (٢).

من أقوال الآباء:

يقول القديس **قبريانوس**: «من الواجب أن نعطى المناولة للمضطهدين، حتى لا نترك عزلا بلا سلاح، أولئك الذين نحثهم ونحرضهم على الجهاد. بل فلنحصنهم ولنسلحهم بحماية دم المسيح وجسده.. فكيف نعلمهم وندفعهم إلى هرق دمهم إعترافاً به، إذا كنا نرفض دم المسيح عنهم؟» (٣).

ويقول القديس **أمبروسيوس**: «إتخذْ الرب يسوع ضيفاً لروحك: لأنه حيث المسيح فهناك جسده. فإذا رأى العدو هذا الضيف يغلق فى وجهه أبواب تجاربه، فيفر هارباً، فتقضى ليلك ناعم البال، خالى البلبال» (٤). ويقول هو نفسه أيضاً: «**كيف يموت، من كان طعامه الحياة!**» (٥).

---

(١) (لوقا ٦: ١٩)، (مرقس ٥: ٣٠)، (لوقا ٨: ٤٦).
(٢) (مرقس ٤: ٣٩، ٤١)، (لوقا ٨: ٢٤، ٢٥).
(٣) رسالة ٥٣ فقرة ٢.
(٤) (عظة ٨ على المزمور ١١٨ عدد ٤٨).
(٥) عظة ١٨ على المزمور ١١٥).

ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه: «كما أنه فى الفصح اليهودى كان لحم الخروف ودمه ضروريين لنجاة الإسرائيليين من الهلاك الذى نزل بالمصريين، **كذلك لا ينجو المؤمن من هلاك الخطيئة ولا تكون له حياة فيه، ما لم يأكل جسد ابن الإنسان ويشرب دمه. وكما أن الخبز والشراب ضروريان لحياة الجسد، كذلك جسد المسيح ودمه ضروريان لحياة النفس**»، ويقول: «فلنقترب منه بإيمان نحن المرضى. فإن الذين كانوا يلمسون طرف ثوبه، كانوا ينالون موهبة هكذا عظيمة. فكم بالأحرى ينال منه الذين يحصلون عليه كله، ويتناولونه» (١).

ويقول الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين المعروف بابن المقفع (من رجال القرن العاشر للميلاد):

«المؤمن إذا شرب دم المسيح يلطخ شفتيه، وصفى أسنانه. فيكون علامة له. وإذا رآه الملاك المفسد المهلك ـ الذى هو الشيطان ـ يهرب منه ولا يدخل جسد المؤمن، ولا يفسد روحه، كما يفسد أرواح غير المؤمنين، الذين لم يتلطخوا بدم المسيح. ويحق قول الله: إنى إذا رأيت الدم على باب بيوتكم يكون لى علامة وأستركم. ولا أدع الملاك المفسد أن يدنو منكم (٢). لأن دم المسيح الذى يشربه المؤمن هو علامة المسيح بها يحفظه ويستره من هلاك الشيطان المفسد.. فإذا خرجت (نفسه) من الجسد لكى تصعد إلى الفردوس، ينظرها جند الشيطان الذين فى الهواء، مختومة بدم المسيح فلا يستطيعون أن يدنوا منها ولا يعيقوها عن الصعود، كما يعيقون غيرها» (٣).

ويقول أيضاً: «.. وفى كل يوم يذبح المؤمنون هذا الخروف (٤)، يعتقون من الأعمال الدنياوية. ومن خطاياهم الكبيرة، وينالون الخلاص من عبودية إبليس» (٥).

---

(١) (ميمر ٥٠: ٣ على إنجيل القديس متى ١٤: ٢٣، ٢٤).
(٢) الإشارة إلى (الخروج ١٢: ٧، ١٢، ١٣، ٢١ ـ ٢٣).
(٣) الدر الثمين فى إيضاح الدين تأليف الأنبا ساويرس «ابن المقفع» طبعة القاهرة، سنة ١٩٢٥. المقالة الرابعة صفحة ١٣٤، ١٣٥.
(٤) الإشارة إلى سر التناول.
(٥) (نفس المرجع صفحة ١٣٩). أنظر أيضاً صفحة ١٤٠.

ثامناً: سر القربان هو رأس وسائط النمو والتقدم

بيد أن لسر التناول عملاً آخر وفعالية أبعد مدى. فليس هو درعاً واقياً فقط وإنما هو قوة دافعة للأمام. وبعبارة أخرى كما أنه سر الصون والحفظ هو **أيضاً سر النمو والتقدم**.

إن يوناثان بن شاول الملك كان معيى مكدوداً هزيلاً بسبب الحرب مع أعداء الشعب، فأخذ قليلاً من العسل فانجلت عيناه وإستنارتا (١) . هكذا يفعل الطعام المادى بالجسد، فكم يفعل الطعام الروحى بالروح والجسد؟! وكم يفعل بالأحرى جسد الرب ودمه بالمؤمنين إذا قبلوه باستحقاق؟!.

إننا بالأفخارستيا ننال شيئاً فشيئاً صحة روحية وقوة ونشاطاً للنفس الناطقة. به يستنير الذهن إستنارة روحانية وتسترد النفس جمالها وصفاءها. وبه أيضاً نتقدس ويثبت فينا الإيمان، ويقوى الرجاء، وتضطرم المحبة نحو الله ونحو القريب. وبه أيضاً ننمو فى الفضيلة، ونسمو فى التقوى والحساسية الروحية، ونتقدم فى الحكمة والنعمة والقامة عند الله والناس، ونسلك فى طريق الكمال المسيحى، فنحيا حياة الإيمان، إيمان ابن الله الذى أحبنا وبذل ذاته لأجلنا (٢) .

إن تلميذى عمّاوس، لوقا وكليوباس، لما تناولا من يد السيد المسيح الخبز الذى باركه، انفتحت أعينهما وعرفاه (٣) . فلم يعد هذا الخبز العادى بسيطاً بعد أن باركه الرب، لكنه صار ذا فاعلية روحية وقدرة على الإنارة الذهنية وتوليد المعرفة.

لذلك فإن جسد المسيح إلهنا فى سر التناول ليس حياً فقط وإنما هو «**باعث الحياة**» فيمن يتناولونه باستحقاق، ومحيى للنفس والجسد والروح، بقوة اللاهوت المتحد به.

يقول مخلصنا : «لأن خبز الله هو النازل من السماء، والواهب الحياة للعالم» (٤) .

ومن نصوص القداس الإلهى:

هكذا يصرخ الكاهن فى الإعتراف الأخير وهو يحمل الصينية المقدسة بكلتا يديه وبها القربان المقدس، ويقول: آمين، آمين، آمين. أؤمن، أؤمن، أؤمن واعترف إلى النفس الأخير. أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح..».

---

(١) (صموئيل الأول ١٤ : ٢٦، ٢٩، ٤٣).

(٢) غلاطية ٢ : ٢٠)، (أفسس ٥: ٢).

(٣) (لوقا ٢٤: ٣٠، ٣١).

(٤) (يوحنا ٦: ٣٣).

ويقول الكاهن أيضاً فى صلاة القسمة: «وكما طهرت شفتى عبدك إشعياء النبى، إذ أخذ أحد السارافيم جمرة بملقط من على المذبح، وطرحها فى فيه، وقال له: ها إن هذه قد مست شفتيك فتزيل آثامك، وتطهر جميع خطاياك (١). هكذا نحن أيضاً الضعفاء الخطاة، عبيدك السائلين رحمتك. تفضل طهر أنفسنا، وأجسادنا، وشفاهنا، وقلوبنا، وأعطنا **هذه الجمرة الحقيقية الواهبة الحياة للنفس، والجسد، والروح، التى هى الجسد الطاهر، والدم الكريم اللذان لمسيحك..»** (٢).

وفى صلاة الشكر التى يرفعها الكاهن بعد التناول يقول:

«.. وأنعمت علينا **بالحياة** بواسطة جسدك الطاهر ودمك الكريم، هذين اللذين جعلتنا مستحقين الآن أن نتناول منها» (٣).

ولبيان مختلف المفاعيل الروحية لسر التناول نورد كذلك بضع فقرات من صلوات القداس الإلهى.

يقول الكاهن بعد حلول الروح القدس على القربان وتحوله إلى جسد الرب ودمه: «لكى يكون لنا جميعاً نحن المتناولين منهما إيماناً بغير فحص، ومحبة بلا رياء، وصبرا كاملاً، ورجاء ثابتاً، وإيماناً وحراسة، وصحة، وفرحاً، وتجديداً للنفس والجسد والروح.. ومشاركة لسعادة الحياة الأبدية وعدم الفساد وغفران للخطايا» (٤).

وفى صلاة الخضوع التى قبل التناول يقول الكاهن سراً: «.. حتى بتناولنا من أسرارك الإلهية نصير ممتلئين من روحك القدوس، وثابتين فى إيمانك المستقيم، ومفعمين من شوق محبتك الحقيقية، وناطقين بمجدك كل حين» (٥).

وبعد التناول من الأسرار المقدسة يرفع الكاهن صلاة شكر يقول فيها: «فأنت أيها الرب الصالح محب البشر، احفظ موهبة نعمتك فينا.. للتمتع بالمجد، وإقتناء الحياة، وقيام

---

(١) (سفر إشعياء ٦: ٦، ٧).

(٢) صلاة القسمة للقداس الكيرلسى.

(٣) من القداس الغريغورى.

(٤) من القداس المرقسى الكيرلسى.

(٥) من قداس القديس باسيليوس.

النفس، وطهارة الجسد، حتى إذ نحيا فيك، ونغتذى بك، نكمل البر فى كل حين، ويتمجد إسمك القدوس فينا، (١).

ومن أقوال الآباء:

ويقول القديس **يوحنا الذهبى فمه**: «لنعد من هذه المائدة كأسود، تضطرم فينا نار المحبة، وترتعب منا الشياطين» (٢).

قال العلامة **أوريجينوس** (١٨٥ - ٢٥٤م): «ونأكل خبز التقدمة بعد أن يصير بالدعاء جسداً مقدساً، ويقدس الذين يأكلونه بطوية صالحة» (٣).

وقال القديس **كيرلس الكبير المعروف بالأسكندرى** فى رسالته الثالثة إلى **نسطور والتى ثبتها مجمع أفسس الأول (المسكونى الثالث) عام ٤٣١م**: «إننا نتمم فى الكنائس الذبيحة غير الدموية، وهكذا نقترب من الأسرار المقدسة المباركة، ونتقدس بإشتراكنا بالجسد المقدس، جسد يسوع المسيح، مخلص العالم كله، وبدمه الكريم» (٤).

فصل فى
وجوب تناول الأطفال

ولما كان سر التناول غذاء للنفس وقوتاً للروح وهو الذي يكفل للمؤمن الحياة الصحية من الوجهة الروحية كما يكفل لهذه الحياة النمو والتكامل، فقد حرصت الكنيسة الأرثوذكسية لهذا السبب على ألا تحرم الأطفال الصغار من أن ينالوا سر التناول بعد نيلهم سرى المعمودية والميرون مباشرة، لأنها تعلم كوصية المخلص أنهم إن لم ينالوا السر فلا حياة فيهم (٥)، ولكى تتيح لهم أيضاً أن ينالوا السر الذى يزودهم بإمكانيات التقدم والنمو الروحى مع نمو أجسادهم وقواهم العقلية والذهنية.

* * *

---

(١) من قداس القديس اغريغوريوس الثيئولوغوس. (٢) ميمر ٦٤ على يوحنا.

(٣) (الرد على كلسس، كتاب ٨).

(٤) مجموعة منى (Migne) للآباء الذين كتبوا باليونانية (Patr. grace) الجزء ٧٧، (أعمال القديس كيرلس الأسكندرى الجزء العاشر) عمود ١٠٥ وما يليه.

(٥) (يوحنا ٦: ٥٣).

ومن أقوال الآباء:

يقول القديس **أوغسطينوس** : «إن الخلاص والحياة الأبدية من دون هذين السرين (أى المعمودية والأفخارستيا) يوعد بهما الأطفال باطلاً» (١).

ويقول أيضاً : «وحقاً من يتجاسر ويقول إن هذا الرأى لا يخص الأطفال، وإنهم يستطيعون أن تكون لهم حياة فيهم من دون مشاركة الجسد والدم» (٢).

---

(١) (فى الخطايا المميتة كتاب ١ باب ١٤).

(٢) (فى الساقطين ١ : ٢٠).

تاسعاً : سر القربان هو سر الاتحاد

ليس هناك سر آخر بين جميع الأسرار يمنحنا إمتيازات أعظم من إمتيازات هذا السر الذى يمنحنا الإتحاد مع الله بتناولنا جسد المسيح الطاهر ودمه الكريم، فنصير معه واحداً.

لكن هذا الإتحاد درجة من الحب لا تعلوها درجة أخرى. هى قمة الإتفاق، وغاية الإنسجام، وتمام الإندماج والتلاشى فى الإرادة والمشيئةالإلهية. هو سقوط الرغبات والميول الإنسانية سقوطاً تاماً، وفناء الإنسان عن نفسه، فلا تبقى له رغبة بشرية أو شهوة ذاتية، بل يصير واحداً مع الله.

ولن يبلغ المؤمن إلى هذه الدرجة من الإتحاد مرة واحدة، ولكن بتواتر التناول من الأسرار المقدسة بإستحقاق، يدخل فى علاقة مع الله تنمو شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى درجة الإتحاد الكامل.

(١) درجة الدخول فى عهد مع الله

وأول خطوة فى هذه العلاقة المتدرجة إلى الكمال هى الدخول فى عهد مع الله، لأن التناول هو نفسه عهد وميثاق بين المؤمن وبين الله وإذا كان الإتفاق بين طرفين يثبت عادة بطعام يأكلانه معاً (١) ويعتبرانه عهداً لا يجوز لأحدهما أن ينقضه، وإلا عد خائناً، فإن الرب شاء أن يدخل معنا فى عهد مقدس. غير أنه لم يثبت هذا العهد بطعام عادى، ولا حتى بفريضة مقدسة كفريضة الفصح القديم، ولكنه ثَبّت العهد الجديد بجسده هو نفسه ودمه الكريم بقوله: «خذوا كلوا هذا هو جسدى.. خذوا اشربوا من هذا كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا» (٢). ولذلك كتب الرسول بولس يبين جسامة شر الذين يدنسون العهد الجديد الذى ثبته المسيح بدمه: «فإنه من تعدى ناموس موسى، فبقول شاهدين أو ثلاثة شهود يقتل بلا رحمة. فكم تظنون يستوجب عقاباً أشد من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به نجساً وازدرى روح النعمة» (٣).

من الكتاب المقدس:

ومن يطالع الكتاب المقدس بعهديه يجد أن الرب يجعل الدم علامة العهد بينه وبين شعبه.

ففى العهد القديم كان دم الخروف هو الذى تلطخ به قائمتا باب البيت وعتبته العليا (٤)، فيكون علامة الخلاص من ضربة المهلك(٥). ولم يكن دم الخروف ذا قيمة فى ذاته. وإنما كل قيمته فى أنه إشارة ورمزاً إلى دم الفادى، وسيط العهد الجديد الذى صار لنا بدمه الكفارة والفداء. لذلك تنبأ أنبياء العهد القديم بالروح القدس إلى العهد الجديد بدم الفادى كعهد يربط بين المؤمنين وبين الله فى المسيح، وتنبأوا عن عهد جديد يقطعه الرب مع شعبه، وليس كالعهد القديم: «ها إنها تأتى أيام، يقول الرب، أقطع فيها مع آل إسرائيل وآل يهوذا عهداً جديداً، لا كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أخذت بأيديهم لأخرجهم من أرض مصر، لأنهم نقضوا عهدى فأهملتهم أنا يقول الرب ولكن هذا العهد الذى أقطعه مع آل إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب هو: «إنى أجعل شريعتى فى ضمائرهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم

---

(١) كما فعل مثلا يعقوب ولابان (التكوين ٣١: ٥٤).

(٢) (متى ٢٦: ٢٦، ٢٧، ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٢ - ٢٤)، (لوقا ٢٢: ١٩، ٢٠).

(٣) (عبرانيين ١٠: ٢٨، ٢٩).

(٤) (الخروج ١٢: ٧، ٢٢).

(٥) (الخروج ١٢: ١٣).

يكونون لى شعباً.. لأنى سأغفر آثامهم، ولن أذكر خطاياهم من بعد» (١). وقد أورد الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين هذه النبوءة بنصها (٢)، وربط بينها وبين ما تم فى المسيح فى العهد الجديد، وهو (أى الرسول) فى صدد المفاضلة بين العهد الجديد والعهد القديم، مبيناً سمو العهد الجديد القائم على دم المسيح الفادى، ويعقب أخيراً قائلاً «فبقوله جديداً، جعل الأول عتيقاً» (٣).

وهذا ما حدث فعلاً فى ليلة آلام مخلصنا فقد ختم العهد القديم بإتمام الفصح القديم وبدأ بالأفخارستيا العهد الجديد. ولذلك سمى هذا اليوم عند المسيحيين «بخميس العهد» إذ قطع الرب فيه عهداً جديداً بدمه: «وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم، وقال اشربوا من هذا كلكم لأن هذا هو دمى **للعهد الجديد** الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا» (٤).

* * *

ومن أقوال الآباء:

قال القديس **يوحنا ذهبى الفم**: «إن الخروف (الفصحى) كان رمزاً لخروف آخر روحانى، وتلك النعجة كانت ترمز إلى نعجة أخرى. فكان ذلك ظلاً، وهذه هى الحقيقة. فلما ظهرت شمس العدل تقلص الظل، وزال إزاء الشمس. على مائدة واحدة، تم كل من الفصحين، الرمز والحقيقة.. كان الفصح اليهودى، فانحل وحل مكانه الفصح الروحى، الذى وضعه المسيح. فبينما هم يأكلون ويشربون، أخذ خبزاً وكسر وقال: «هذا هو جسدى إلخ..» (٥).

فيا له من عهد قطعه الرب بدمه. ويا له من ميثاق ثبّته بجسده ودمه. والمؤمن الذى يتناول من جسد الرب ودمه يدخل قطعاً فى عهد جديد مع الرب. وهو الخطوة الأولى والدرجة الأولى من درجات سلمّ الإتحاد مع الله.

---

(١) (أرميا ٣١: ٣١ ـ ٣٤)، (٣٢: ٤٠).
(٢) (العبرانيين ٨: ٨ ـ ١٢).
(٣) (العبرانيين ٨: ١٣).
(٤) (متى ٢٦: ٢٧، ٢٨).
(٥) عظة فى خيانة يهوذا.

(٢) درجة الثبات فى المسيح

وأما الخطوة الثانية فى هذه العلاقة المتدرجة التى تنتهى بالإتحاد الكامل، فهى درجة الثبات فى المسيح له المجد.

يقول المخلص، حبيب نفوسنا: «من يأكل جسدى ويشرب دمى **يثبت فىّ، وأنا أيضاً أثبت فيه**» (١).

والثبات ضد السقوط، وضد الفناء. الثبات معناه البلوغ إلى حالة من شدة ودوام الترابط والتماسك بين إثنين، مع التوطد، والتمكن، والرسوخ، بل والتداخل (٢)، والنفاذ، والتغلغل (٢) أحدهم فى الآخر.

وبعبارة أخرى إن هذه العلاقة هى من المتانة والقوة بين الإثنين بحيث لا يفارق أحدهما الآخر لأن أحدهما أصبح مشدوداً إلى الآخر برباط وثيق لا ينفك ولا ينحل ولا يسقط بل ولا يتقلقل أو يتزحزح أو يتزعزع أو يتحرك أمام أى شك من الشكوك أو صدمة من الصدمات، أو تجربة من التجارب. ولا تصل هذه العلاقة إلى هذه الدرجة من القوة بحيث تسمى ثباتاً ما لم يعرف أحدهم الآخر حق المعرفة، إذ أن نقص المعرفة وقلة الخبرة تهدد هذا الثبات. فمع التمكن والتوطد هناك أيضاً التحقق والتوكد.

هكذا تبلغ علاقة الحب والتفاهم والتعارف بين السيد المسيح وبين المؤمن الذى يتناول بتواتر من جسده الطاهر ودمه الكريم، وهو (أى المؤمن) مدرك لجلال السر، ويتقدم إليه عن تقوى حقيقية ومحبة حارة صادقة.

* * *

---

(١) (يوحنا ٦ : ٥٦).

(٢) العبارة اليونانية التى ترجمت فى النسخ العربية «يثبت فىّ» ***ἐν ἐμοὶ μένει*** نقلتها الترجمات الحديثة من إنجليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية.. بمعنى «يقيم فى». اما القبطية فاستخدمت تعبيراً أقوى دلالة على الثبات: **ϥⲛⲁϣⲱⲡⲓ ⲛ̀ϧⲣⲏⲓ ⲛ̀ϧⲏⲧ.** لاحظ خصوصاً إستعمالها للفظى **ⲛ̀ϧⲣⲏⲓ** ثم **ⲛ̀ϧⲏⲧ** وهذا يفيد شدة الترابط ومتانته وعمقه وقوة نفاذه والتداخل بين المسيح وبين من يتناول من جسده ودمه.

الثبات بالميرون، والثبات بسر القربان:

وليس الثبات الذى يبلغ إليه المؤمن عن طريق سر القربان هو الثبات الذى يصل إليه عن طريق سر الميرون الذى يسمى أيضاً بسر التثبيت. إنه يختلف عنه فى الدرجة، وإن كان لا يختلف عنه فى النوع.

فالثبات بسر الميرون فيض من موهبة الروح القدس يكفل للمؤمن البقاء فى حالة عدم العبودية التى أعتق منها بالمعمودية المقدسة. ولا يناله المؤمن إلا مرة واحدة فهو لا يتكرر، ولكنه قابل للنمو باستخدام وسائط التقوى المتنوعة من صوات، وتأملات، وأصوام، وقراءات ، وسماع المواعظ، وسير القديسين، وإتساع دائرة الخبرات الروحية، ومن بين هذه الوسائط بل وعلى رأسها جميعاً التناول بتواتر من الأسرار المقدسة. **إن التناول من الجسد الطاهر والدم الكريم ينمو بدرجة الثبات التى حصل عليها المؤمن بسر التثبيت إلى أن يبلغ بها إلى الثبات الكامل**. ولذلك كان هذا السر من الاسرار التى يجب أن يقبلها المؤمن مراراً بينما أنه لا يقبل الميرون إلا مرة واحدة.

وإذا كان المؤمن بمثابة غصن يتطعم بالمعمودية فى الزيتونة الجيدة (١) بأن يقتلع من الزيتونة البرية (٢)، ويدخل إلى جرن المعمودية، كما يدخل الغصن المطعم فى حفرة تحفر له بالشجرة، فالميرون هو بمثابة الأربطة التى تشد الغصن إلى جزع الشجرة وتثبته فيها حتى لا يقع أو يسقط. لكن هذا الثبات يزداد ويتقوى ويتوطد منذ اللحظة التى يبدأ الغصن أن يغتذى فيها بعصارة الحياة التى فى الشجرة. وبذلك يصبح شريكاً فى أصل الشجرة ودسمها (٣).

فتسرى الحياة منها إليه. يوم ذاك يصبح الغصن حياً بالشجرة، ولن يموت مادامت الشجرة حية، وما دام الإتصال قائماً بين الشجرة وغصنها.

هذا التشبيه قد إستخدمه السيد الرب ليبين لنا علاقتنا به. فالمؤمن هو الغصن. وأما فادينا فهو الكرمة الحقيقية (٤). وبتناول المؤمن من جسد الرب ودمه يثبت فيه كما يثبت الغصن فى الكرمة، ويزداد الثبات فيه بتواتر التناول من جسده ودمه، لأنه به يحيا، وبدونه لا تكون له حياة ولا يكون له ثمر. قال المسيح له المجد: «إثبتوا فىّ وأنا أيضاً فيكم. **كما أن الغصن لا يستطيع**

---

(١) (رومية ١١: ٢٤). (٢) (رومية ١١: ١٧، ٢٤).
(٣) (رومية ١١: ١٧).
(٤) تمييزاً لها عن الكرمة الذهبية التى تزين واجهة باب الهيكل انظر (يوحنا ١٥: ١، ٥، ٦).

أن يأتى بثمر من عنده إن لم يثبت فى الكرمة، كذلك أنتم أيضاً لن يمكنكم إن لم تثبتوا فىّ. أنا هو الكرمة وأنتم الأغصان. من يثبت فىّ، وأنا أيضاً فيه، فهذا يأتى بثمر كثير، لأنكم بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فىّ يطرح خارجاً كالغصن، فيجف، فيجمعونه، ويطرحونه فى النار، فيحترق» (١). ويقول «فمن يأكلنى يحيا هو أيضاً بى» (٢).

ويقول مار بولس الرسول: «إن الحياة لى هى المسيح» (٣).

ويقول القديس أوغسطينوس فى هذا المعنى: «يا سر الإحسان، يا سمة الوحدة، يا وثاق المحبة! فمن أراد أن يحيا بك يغنم الحياة، فليقترب ويتناول هذا الجسد فيحيا» (٤).

هذا الثبات ليس ضرورياً للإثمار والإنتاج فقط، ولكنه كذلك مصدر سعادة للمؤمن لا يعبر عنها فالإغتذاء بجسد المسيح ودمه كما هو مصدر قوة للمتناول فهو مصدر لذة روحية له. لأنه إذا كان التناول للمؤمن غذاء وقوتاً، فالغذاء أيضاً مبعث لذة، هذه اللذة التى تنتج من إلتقاء الجسم أو عضو منه بموضوعه الذى يقوم عليه ويقوى به. كذلك يثير التناول من السر المقدس، السرور والمتعة الروحية، ويضرم الأشواق المقدسة فى نفوس المتناولين. ولذلك يرددون بمعنى روحى وحسى ما قاله النبى قديماً بروح النبوءة.

«ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (٥)، «حلقه حلاوة، وكله مشتهيات» (٦). «هذا حبيبى وهذا خليلى يا بنات أورشليم» (٦).

يقول الكاهن تعبيراً عن هذه المتعة الروحية ونعيم القديسين بتناولهم من جسد الرب ودمه، فى صلاة حددت الكنيسة تلاوتها بعد التناول مباشرة: «فمنا امتلأ فرحاً، ولساننا تهليلاً، لتناولنا من أسرارك غير المائتة، يارب. فإن ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، الذى أعددته يا الله لمحبى إسمك القدوس، أعلنته للأطفال الصغار (٧) الذين لبيعتك المقدسة» (٨).

---

(١) (يوحنا ١٥: ٤ ـ ٦).
(٢) (يوحنا ٦: ٥٧).
(٣) (فيلبى ١: ٢١).
(٤) (مقالة ٢٦ على يوحنا).
(٥) (مزمور ٣٣ (٣٤): ٨). (بطرس الأولى ٢: ٣)، (العبرانيين ٦: ٥).
(٦) (نشيد الأناشيد ٥: ١٦).
(٧) قارن (لوقا ١٠: ٢١).
(٨) من القداس الباسيلى.

ومع الثبات يتولد أيضاً الإستقرار، والإتكال، والتوكل، والتسليم وما إليها من فضائل فى مراحل الإيمان الوطيد.

لذلك يقول الكاهن فى صلاة الخضوع السابقة للتناول من السر المقدس «نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر.. من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية، لكى نصير ممتلئين من روحك القدوس، وثابتين فى إيمانك المستقيم» (١) ويقول فى صلاة أخرى «إجعلنا مستحقين أن نتناول من جسدك الطاهر ودمك الكريم.. لننال بتناولنا من أسرارك المحيية مغفرة لخطايانا... وثباتاً على الإيمان بإسمك القدوس إلى النفس الأخير» (١).

(٣) درجة الاتحاد الكامل

وأما الدرجة الثالثة، ولعلها العليا فهى درجة الإتحاد الكامل. فيها يفنى المؤمن عن نفسه فناء تاماً، ولا تبقى له إرادة خاصة، ولا رغبة، بل يصل إلى مرتبة إختيارية يصبح مشبعاً فيها بإرادة الله ومشيئته، وملتهباً بمحبة الله إلتهاباً كاملاً مع تمام الإيمان به، والتوكل عليه، والتسليم له، والثقة بمحبته وصلاحه وخيريته وقداسته وعدالته وعمق حكمته وكمال صفاته، ثقة بغير حدود. هنا فى بهاء هذا النور وشدة لمعان هذا الضياء وكشف ما وراء الحجاب، يحتقر المؤمن إرادته الخاصة، ومشيئته الخاصة فيهملها راضياً مختاراً، مسلماً قياد حياته لله فى إيمان ورضى وسرور وفرح.

المؤمن لا يفقد بالتناول شخصيته:

ثم إن المؤمن الذى يقتبل السر المقدس بإستحقاق، وبتواتر، فيسكن فيه المسيح له المجد ويكون حقاً الملك فى بيته، حراً، وقد طرد من حضرته كل أعدائه المقاومين لإرادته الخيرة، يشرع فى أن يكشف عن مجده ويظهر ذاته للمؤمن الذى اتحد بجسده ودمه. وشيئاً فشيئاً يطلق بحرية أشعة مجده وأضواء لاهوته، على قدر ما تحتمل قوى المؤمن السعيد، وحسبما تقوى عيناه الباطنيتان على احتمال الرؤيا الطوبانية. وكلما تناول المؤمن من جديد، وبإستحقاق، تمتد أشعة النور فى قلبه. وشيئاً فشيئاً يتوهج قلبه بنور قوى كشاف، قد ينعكس بعضه على وجهه الظاهر. ولكن النور الباطنى على كل حال كاف جداً ليحيله إلى كائن من علٍ، كل ميوله مقدسة

---

(١) من القداس الباسيلى.

ورغباته طاهرة، لأن النور الذى إنبثق فى أعماقه هو من القوة بحيث أحاله إلى شيء من طبيعته، فصار المؤمن «شريكاً للطبيعة الإلهية» (١).

وليس هذا معناه أن المؤمن يفقد بسر التناول شخصيته وفردانيته وحقيقة وجوده الشخصى، وكيانه الطبيعى كإنسان. وليس معناه أن المؤمن يصبح - بسر التناول - من طبيعة الله وجوهره، كما يذهب إلى ذلك بعض الفلاسفة من أهل الصدور كالرواقية وابن جبرول ومن إليهم، الذين يزعمون أن الإنسان صادر من طبع الله وجوهره وهو جزء من هذا الجوهر خرج منه ثم يرتد إليه فى النهاية. وكأنه على زعمهم لا خلود للإنسان فى ذاته ولا وجود له مستقلاً عن وجود الله.

كلا، فلا يزال المؤمن محتفظاً بكيانه الطبيعى ووجوده الشخصى، ولكنه يتحد بالله فيصير معه إرادة واحدة، ومشيئة واحدة، ومحبة كاملة واحدة. فالإتحاد هنا إتحاد بالمشيئة لا بالجوهر.

* * *

إن التأمل فى صورة أو فى شخص، وقتاً ما، يطبع صورته فى المخيلة.. وكلما طال هذا التأمل إزدادت الصورة وضوحاً فى النفس، وزادت إنطباعاتها. فإذا صاحب هذا التأمل إعجاب ورضى، ساعد هذا على تقارب الميول والرغبات.

هذا يحدث أيضاً، وبكيفية أعظم فاعلية فى نفس المؤمن المتناول الذى يدخل المسيح الحى إلى أعماقه ومداخله ويتحد جسده ودمه بجسده ودمه، ويملأ مشاعره وإحساساته بهمسات محبته الغامرة، فيزداد الحب ويضطرم الشوق فيصبح عشقاً إلهياً. ويتحول الإنسان شيئاً فشيئاً إلى صورة ابن الله فى طهره وقداسته ومحبته وعدالته وأمانته وخيريته وكل كمالاته الإلهية: «ونحن جميعاً فننظر بوجه مكشوف كما فى المرآة، مجد الرب، فنتحول إلى تلك الصورة بعينها، من مجد إلى مجد، كما يكون من الرب الروح» (٢).

---

(١) (بطرس الثانية ١: ٤).

والتناول يجعل الإنسان شريكاً للطبيعة الإلهية من حيث أنه يوحدنا بجسد المسيح الذى نتناوله، ولما كان ناسوت المسيح متحداً بلاهوته فى طبيعة واحدة، فنصبح نحن مشاركين للطبيعة الإلهية بهذه النسبة، لا بمعنى أن نصير من طبع الله ومن جوهر لاهوته، كما يزعم فلاسفة الصدور.

(٢) (كورنثوس الثانية ٣: ١٨).

هذا هو مقام الفناء». والبقاء بعد الفناء الذى تحدث عنه مار بولس الرسول، فقال: «مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ. فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنى وبذل نفسه لأجلى» (١)، وفى هذا يعبر الرسول القديس عن مقام الفناء الذى يفنى فيه المؤمن عن نفسه إرادياً، ومن طول خبرته وعشرته الباطنية مع الله. ولكنه مع ذلك باق، ويبقى، لا بإرادته الخاصة وميوله البشرية الإنسانية الحسية، وإنما بصفات أخرى وميول أخرى، هي الميول الجديدة التى كسبها من طول عشرته الباطنية مع المسيح الساكن فيه مع الآب والروح القدس، ومن شدة فعالية النور الساطع على قلبه يكتسب قلبه نوراً من السماء، هو نور الآب والابن والروح القدس الذى اتخذ قلبه مسكناً (٢).

هذا هو الإتحاد الكامل التام الذى يسعى إليه القديسون، ويبلغ إليه الذين يتناولونه بإستحقاق، وتواتر، من الأسرار الطاهرة المقدسة.

* * *

ومن نصوص القداس الإلهى:

وتعبيراً عن هذا الإتحاد الذى يصير للمتناولين يقول الكاهن فى صلاة الخضوع قبل التناول «نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر.. **أن توحدنا معك** (حرفيا تؤلف (٣) بيننا وبينك)، عن طريق تناولنا من أسرارك الإلهية» (٤).

وفى إحدى الصلوات التى قبل التناول يقول الكاهن «... وليصيرنا تناولنا من أسرارك المقدسة **واحداً معك** إلى الأبد» (٥). وفى صلاة أخرى: «إجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا، أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم، طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا.. **لكى نصير جسداً واحداً وروحاً واحداً معك**» (٦). وفى صلاة أخرى «.. طهر إنساننا الباطن كطهر ابنك الوحيد هذا الذى ننتوى أن نتناوله... حتى نتناول بطهارة من هذه الأسرار الطاهرة،

---

(١) (غلاطية ٢ : ٢٠).
(٢) «ويحبه أبى، وإليه نأتى، وعنده نصنع مسكناً» (يوحنا ١٤ : ٢٣).
(٣) (ⲚⲦⲈⲔϨⲞⲦⲠⲈⲚ ⲈⲢⲞⲔ) وهذا معناه أن الإتحاد ليس إتحادا فى الطبيعة والجوهر وإنما فى الإرادة والمشيئة.
(٤) من القداس الباسيلى.

ونتطهر كلنا ونصبح كاملين فى أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، إذ نصير **شركاء فى الجسد** (١)، **وشركاء فى الصورة** (١) (= صورة جسد مجده) (٢)

* * *

ومن أقوال الآباء:

يقول القديس **أثناسيوس** الرسولى: «**إن إتحادنا بالمسيح**، بتناولنا من جسده ودمه، أسمى من كل إتحاد» (٣).

ويقول القديس **كيرلس الأورشليمى**، إننا بالتناول «نصبح جسداً واحدا، ودماً واحداً مع المسيح *σύσσωμος καὶ σύναιμος αὐτοῦ* (٤). ويقول هو نفسه كذلك: «بتناولك من جسد المسيح ودمه تصير متحداً معه جسداً ودماً. فإننا بهذه الكيفية نصير حاملين للمسيح فينا *χριστόφοροι* لأن جسده ودمه ينتشران (يتغلغلان) فى أعضائنا وبهذا نصبح شركاء الطبيعة الإلهية (٥) كما قال المغبوط بطرس» (٦).

ويقول القديس **يوحنا ذهبى الفم**: «إنه لم يكتف بأن يصير إنساناً، ويضرب ويذبح عنا، بل أراد أيضاً أن يمزج ذاته فينا، وأن نصير معه جسداً واحداً، ليس فقط بالإيمان بل فعلياً، وفى الحقيقة أيضاً.. فإن الذى لا تنظر إليه الملائكة إلا بالخوف والرعدة من أجل البهاء الصادر من إقنومه يغذينا بجوهره... ونصير معه جسداً واحداً» (٧). ويقول أيضاً «كما تفعل النار بالشمع، كيف أنها تذيبه من وجهها، ولا تبقى له أثراً، هكذا آمن بأن هذه الأسرار الإلهية تتحد فى إقنوم الجسد» (٨). كما يقول كذلك «إننا نتحد بالمسيح فى الأفخارستيا لا بالمحبة ورضى الإرادة فقط، بل بالحقيقة والجوهر» (٩).

---

(٦) من القداس المرقسى الكيرلسى. أنظر أيضاً (أفسس ٣ : ٦).
(٢) (فيلبى ٣ : ٢١).
(٣) «كمال البرهان على حقيقة الإيمان» طبعة القاهرة ١٩٤٧ القسم الرابع، صفحة ٨٦.
(٤) فى الأسرار، المحاضرة ٤ فقرة ١. (٥) (بطرس الثانية ١ : ٤).
(٦) فى الأسرار، محاضرة ٤ فصل ٣. (٧) عظة ٨٣ : ٥ على إنجيل متى.
(٨) الدر المنتخب فى مقالات القديس يوحنا فم الذهب لناشره ناشد سركيس، القاهرة ١٩٢٨ صفحة ٢٥٩.
(٩) عظة على يوحنا ٦. انظر كتاب تفسير إنجيل القديس يوحنا البشير الثيؤلوغوس للقديس يوحنا الذهبى الفم أخرجه من اللغة اليونانية إلى العربية عبد الله بن الفضل الإنطاكى، بيروت ١٨٦٣ مسيحية، العظة ٤٦ صفحة ١٥٢.

ويقول القديس **أوغسطينوس**، بلسان السيد المسيح: «إنى مأكل عظيم. أنم، وكلنى، فإنك بذلك لا تحيلنى إليك كما تحيل الأكل إلى جسدك، بل أنت تستحيل إلىّ» (١).

ويقول القديس **إفرآم السريانى** المعروف بكنارة الروح القدس (٣٦٣ - ٣٧٩م): «إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به، ودمه أيضاً الطاهر يصب فى شرايينا، وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا» (٢).

ويقول القديس **كيرلس الأسكندرى**: «كما أن الذى يريد أن يمزج بالشمع المذاب شمعاً آخر، يلزمه أن يذيب الثانى، وحينئذ يختلطان معاً، فيصبحان جسماً واحداً، أحدهما فى الآخر، هكذا فإن من يقبل جسد الرب ودمه، **يتحد به** شديداً، فيكون المسيح فيه وهو نفسه فى المسيح» (٣).

---

(١) الإعترافات، كتاب ٧، فصل ١٠. (٢) جزء ٣: ٤٢٤. (٣) كتاب ٤، فى يوحنا ، فصل ١٧.

عاشراً : سر القربان هو سر الشركة

وإذا كان سر التناول يوحدنا مع المسيح له المجد، فى جسده الطاهر ودمه الكريم، فهو إذن سر **الشركة** بيننا وبينه من جهة، وفيما بيننا مع بعضنا بعضاً من جهة أخرى. قال الرسول معبراً عن هذا السر بوصفه شركة جسد المسيح ودمه: «كأس البركة التى نباركها، أليست هى **شركة** دم المسيح. والخبز الذى نكسره، أليس هو **شركة** جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين، خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد». ثم يقول «لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين. لا تقدرون أن **تشتركوا** فى مائدة الرب، وفى مائدة الشياطين» (١).

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم تعليقاً على هذا النص المقدس: «لماذا لم يقل مساهمة بل قال شركة؟ لأنه شاء أن يوضح ما هو أكثر، ويثبت الإنضمام والإتحاد أبلغ لأننا لا نتناوله بالمساهمة فقط بل نشاركه للإتحاد به. لأنه كما أن ذلك الجسد اتحد بالمسيح (أى باللاهوت) هكذا نحن بهذا الخبز ونتحد به» (٢). ويقول تعليقاً على قول الرسول: «نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد»: «كما أن الخبزة تتألف متحدة من حبات كثيرة، حتى أن الحب لا يستبان قط، إلا أنه موجود، وبالإتحاد صار فرقه غير واضح، هكذا يكون إتحادنا مع المسيح، أحدنا مع الآخر. لأنك لا تتغذى أنت من جسد، وذاك من جسد آخر، بل نتغذى كلنا من جسد الواحد نفسه..» (٣).

وعلى ذلك فبتناولنا من جسد المسيح الواحد نصير متحدين مع بعضنا بعضاً فى جسد المسيح السرى: «فنحن أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه» (٤)، ولكن الجسد واحد «كذلك نحن الكثيرين جسد واحد «فى المسيح، وكل واحد منا عضو للآخرين» (٥).

* * *

---

(١) كورنثوس الأولى ١٠: ١٦ ـ ٢١.

(٢) مقالة ٢٤ على كورنثوس الأولى ١٠: ١٦ فقرة ٤.

(٣) مقالة ٢٤ على كورنثوس الأولى ١٠: ١٧ (فقرة ٤).

(٤) (أفسس ٥: ٣٠).

(٥) (رومية ١٢: ٥). انظر أيضاً (رومية ١٢: ٤)، (كورنثوس الأولى ١٢: ١٢، ١٤، ٢٠، ٢٧)، (أفسس ٤: ٤).

ومن نصوص القداس الإلهى:

وفى هذا المعنى يقول الكاهن فى القداس عقب السجود وحلول الروح القدس على الخبز والخمر لنقلهما إلى جسد المسيح ودمه: «إجعلنا مستحقين كلنا، يا سيدنا، أن نتناول من قدساتك، طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا. لنصير جسداً واحدا، وروحاً واحدا، ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين الذين أرضوك، منذ البدء» (١).

وفى صلاة تقدمة القسمة يقول: «.. هو أيضاً فلنسأله أن يجعلنا مستحقين لشركة وإصعاد أسراره الإلهية غير المائتة» (٢).

* * *

ومن أقوال الآباء:

يقول القديس كيرلس عمود الدين فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا: «إن ابن الله الوحيد لما رام أن يوحدنا مع الله ذاته وبعضنا مع بعض، وإن نكن مفترقين مختلفين بالأجساد والأرواح، قد وجد لذلك وسيلة هى ثمرة حكمته ومشورة أبيه، فقد جمع فى التناول السرى بين المؤمنين بواسطة جسد واحد هو جسده الخاص، وصيرهم جسداً واحداً معه وبعضهم مع بعض. فمن يستطيع إذن أن يفصل ويفصم عرى الإتحاد الطبيعى بين المرتبطين بوحدة يسوع المسيح بواسطة هذا الجسد السرى؟ فإذا كنا نشترك كلنا فى الخبز الواحد فنحن كلنا جسد واحد، لأن يسوع المسيح لا يمكنه أن يكون مقسماً. لذلك تسمى الكنيسة جسم يسوع المسيح، وندعى نحن أعضاءه بحسب تعليم القديس بولس. فإننا جميعاً متحدون بيسوع المسيح بواسطة جسده المقدس، إذ نقبل فى أجسادنا الخاصة ذلك الجسد الواحد غير المنقسم. ومن ثم فأعضاؤنا تخصه، وهى له أكثر مما هى لنا» (٣).

---

(١) من القداس الباسيلى.

(٢) من القداس المرقسى الكيرلسى، ومن القداس الباسيلى.

(٣) كيريليانا صفحة ١٢٢.

حادى عشر: بسر القربان نحصل على إمتياز القيامة المجيدة.

فقد قال مخلصنا «من يأكل جسدى ويشرب دمى، فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير، لأن جسدى هو مأكل حقيقى، ودمى هو مشرب حقيقى» (١).

وليست هذه القيامة بالمعنى الواسع للقيامة العامة التى لابد حاصلة لجميع الناس قبل أن يقفوا أمام منبر الديان: «لأننا جميعنا لابد من أن نظهر أمام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان أو شراً» (٢)، والتى قال فيها رب المجد وهو ذاته الديان «تأتى ساعة يسمع فيها جميع من فى القبور صوت ابن الله. فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (٣).

هذه القيامة الموعود بها لمن يتناول جسد الرب ودمه هى قيامة للحياة الأبدية، وهى قيامة للمجد العظيم مع جمهور القديسين. وقد صارت حقاً منعماً بها على الذين اتحدوا بجسد المسيح فى سر القربان، فإنه لما كان جسد المسيح ممجداً، وغير قابل للفساد (٤) أو الموت من حيث هو أيضاً جسد القيامة (٥)، فمن يتناول منه يكتسب بتناوله منه وبفعالية الإتحاد به، عدم الموت وعدم الفساد(٦)، على الرغم من الموت الطبيعى الذى لابد أن يدرك الأجساد، لكنه بالنسبة لها لايعد موتاً بالمعنى الحقيقى ولا يعد إنحلاله فساداً، لكنه فى حقيقته تحلل مؤقت للعناصر الطبيعية إلى أن يجىء اليوم الذى عينه الرب للقيامة والدينونة (٧).

* * *

من نصوص القداس الإلهى:

ويظهر هذا الإعتقاد أيضاً فى ترتيب صلوات القداس، ففى الصلاة التالية للسجود وحلول الروح القدس على الخبز والخمر لتحويلهما إلى جسد الرب ودمه، يقول الكاهن «.. لكى يكون لنا جميعاً، نحن المتناولين منهما... مشاركة لسعادة الحياة الأبدية وعدم الفساد...» (٨).

---

(١) (يوحنا ٦: ٥٤، ٥٥). (٢) (كورنثوس الثانية ٥: ١٠)، (رومية ١٤: ١٠).
(٣) (يوحنا ٥: ٢٨، ٢٩) (٤) (مزمور ١٥ (١٦) : ١٠)، (أعمال ٢: ٢٧، ٣١)، (١٣: ٣٥).
(٥) (كورنثوس الأولى ١٥: ٢٠) (يوحنا ٢٠: ١٩، ٢٦)، (لوقا ٢٤: ٥١، ٥٢).
(٦) (كورنثوس الأولى ١٥: ٥٠، ٥٢ ـ ٥٤).
(٧) (أعمال ١٧: ٣١)، (رومية ٢: ١٦). (٨) من القداس المرقسى الكيرلسى.

ومن أقوال الآباء:

يقول القديس إيريناوس أسقف ليون:

«هكذا أجسادنا التى قبلت الأفخارستيا ليست بقابلة للفساد لأن فيها رجاء القيامة» (١). ويقول أيضاً « كيف يقولون: «إن ذاك الجسد الذى إغتذى من الرب ودمه، يصير إلى الفساد، ولا ينال الحياة؟! إذن فليعدلوا عن زعمهم، أو فليكفوا عن الذبيحة» (٢).

ويقول القديس غريغوريوس النيسى: «الجسد غير المائت لما يصبح داخل الذى يتناوله، إنما يحيله كله إلى طبعه غير المائت. ولكنه لا يمكن أن يكون شيء ما داخل جسدنا ما لم يختلط بأحشائنا بالأكل والشرب. فإنه تعالى من أجل وفور نعمته، قد دخل بالجسد ممتزجاً بجميع أجساد المؤمنين... لكى يشترك الإنسان **بعدم الفساد**، بإتحاده بالجسد غير المائت» (٣). ويقول أيضاً «بما أن هذا الجسد الذى اتخذه الله، قد قبل هذه النعمة (نعمة إحياء الموتى)، فليكن معلوماً أنه لا يمكن أن يشترك جسدنا **بالخلود وعدم الموت**، ما لم يصر مشتركاً بعدم الفساد بإشتراكه بذلك الجسد غير المائت» (٤).

ويقول القديس كيرلس الكبير بابا الأسكندرية المعروف بعمود الدين «أعطانا جسده الحقيقى ودمه، **لكى تتلاشى بهما قوة الفساد**، ويسكن فى أنفسنا بالروح القدس، ونصير شركاء بالقداسة، وإناساً روحيين أعلى من السماويين» (٥). ويقول أيضاً «ولو كان الموت الذى استولى علينا بسبب المخالفة قد أخضع الجسد البشرى لضرورة الفساد، فمع ذلك بما أن المسيح هو فينا بجسده، فإنا سنقوم بالتمام. **لأنه غير معقول، وغير ممكن، أن الحياة لا تُحيى الذين هى فيهم.. فكما أننا نُدْخِل شرارة النار فى التبن المجموع لتحفظ فيه مادتها. هكذا سيدنا يسوع المسيح فإنه بجسده يخفى حياته فينا، ويدخلها كأنه بذار عدم الموت، فيلاشى كل الفساد فينا** (٦)». ثم يقول هو نفسه كذلك: «كما أنه إذا ذوب أحد شمعاً بالنار ملتصقاً بشمع آخر، إنما يجعل من الإثنين شمعاً واحداً، هكذا المسيح عينه بإشتراكنا بجسده ودمه الثمين، يتحد بنا، فنستحيل إليه، ونتحد به، **ولا يمكن أن يحيا ذاك الذى من طبعه قابل الفساد ما لم يتحد جسدياً بجسد الذى هو الحياة طبعاً، أى الابن الوحيد**» (٧).

---

(١) الرد على الهراطقة كتاب ٤ فصل ١٨ فقرة ٥.
(٢) الرد على الهراطقة كتاب ٤ فصل ١٨ فقرة ٥.
(٣) خطابه التعليمى فصل ٣٧.
(٤) خطابه التعليمى فصل ٣٧.
(٥) فى (متى ٢٦: ٢٦).
(٦) فصل ٦: ٥٥ فى إنجيل يوحنا ٤: ٢.
(٧) كتاب ١٠، فصل ٢، يوحنا ١٥: ١.

ثانى عشر: سر القربان يعدُّنا للأبدية السعيدة وللأمجاد السمائية

قال له المجد «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز، **يحيا إلى الأبد**.. من يأكل جسدى ويشرب دمى **فله الحياة الأبدية**.. هذا هوالخبز الذى نزل من السماء من يأكل هذا الخبز، **فإنه يحيا إلى الأبد**» (١).

فما دام سر التناول هو «خبزنا للآتى» (٢) الذى نتزود به للدهر الآتى وللحياة الأبدية، وما دام هو ذاته «شجرة الحياة» (٣) فإن من يأكل منه يحيا إلى الأبد. لأن «الله أعطانا الحياة الأبدية وهذه الحياة هى فى إبنه» (٤)، «الذى فيه كانت الحياة» (٥) وهو « الطريق والحق والحياة» (٦)، **فكل من يتناول من جسده ودمه يحيا إلى الأبد.**

* * *

ولهذا يقرر الكاهن وهو يعدد فى صلوات القداس الإلهى بركات سر التناول «لكى يكون (جسد الرب ودمه) لنا نحن المتناولين منهما.. **مشاركة سعادة الحياة الأبدية**» (٧).

* * *

من أقوال الآباء:

يقول القديس **إيريناوس** «كيف يستطيعون أن يقولوا أن هذا الجسد الذى يغتذى من جسد المسيح ودمه لا يشترك بموهبة الله التى هى **الحياة الأبدية**» (٨).

* * *

ويقول القديس **أمبروسيوس** «إن المقصد الأصلى من الإشتراك بالأسرار الطاهرة هو **الإشتراك بالحياة الأبدية**» (٩).

* * *

---

(١) (يوحنا ٦: ٥١، ٥٤، ٥٨). أنظر أيضاً (يوحنا ٦: ٢٧، ٤٠، ٤٧).
(٢) انظر الكتاب صفحة ٤٠ـ ٤٢.
(٣) انظر الكتاب صفحة ٤٧.
(٤) يوحنا الأولى ٥: ١١.
(٥) (يوحنا ١: ٤)، (يوحنا ٥: ٢٦).
(٦) (يوحنا ١٤: ٦).
(٧) الصلاة التى تلى الرشومات الثانية والسجود وحلول الروح القدس، من القداس المرقسى الكيرلسى.
(٨) الرد على الهراطقة، كتاب ٥ فصل ٢ فقرة ٣.
(٩) كتاب ١٠: ٤٩.

ويشبه الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين .. الكهنة الذين يناولون المؤمنين من القربان المقدس بالجواسيس الذين ذهبوا ليتجسسوا أرض كنعان وعادوا يحملون إلى بنى إسرائيل من ثمارها (١) ليشوقوهم إلى أرض كنعان ويشجعوهم على إحتمال المتاعب فى سبيل الوصول إليها. ثم يقول: «كذلك الكهنة يأتون إلى شعب المؤمنين بلحم المسيح ودمه، ليروهم ويذيقوهم إياهما، فيشتاقون إلى ملكوت السماوات الذى فيه يعيشون حياة مؤبدة.. فالقربان هو عربون ثمار ملكوت السماوات الذى يحيى به المؤمن هناك» (٢).

* * *

وبعد، فماذا يعوزنا من خير ومن نعيم على الأرض أو فى السماء؟!

إننا بسر التناول نصير متحدين مع المسيح له المجد فى الأرض، وفى السماء. نحن فيه وهو فينا (٣). ماذا أقول «إذا كان الله معنا، فمن علينا» (٤) فماذا يعوزنا؟ «**الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء**». إنه لا يعوزنا معه شيء (٥). إنه لا يكون معنا فقط، بل يكون فينا. وما دام فينا ففيه لنا كل الغنى (٦).

وإذن «فمن يفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف.. إنا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا. فإنى لواثق بأنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أشياء حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبه الله التى هى فى المسيح يسوع ربنا» (٧).

* * *

(١) سفر العدد ١٣: ٢٣.

(٢) الدر الثمين فى إيضاح الدين، طبعة القاهرة ١٩٢٥. المقالة الثالثة صفحة ١٢٢، ١٢٣.

(٣) يوحنا ٦: ٥٦.

(٤) (رومية ٣: ٣١)، (العدد ١٤: ٩)، (مزمور ١١٧ (١١٨) : ٦).

(٥) رومية ٨: ٣٢.

(٦) مزمور ٢٢ (٢٣) : ١.

(٧) كورنثوس الثانية ٨: ٩.

(٨) رومية ٨: ٣٥، ٣٧ - ٣٩.

فصل فى وجوب
التناول بتواتر من الأسرار المقدسة

تلك هى أهم القيم الروحية لسر التناول، وهى تكفى لبيان أهمية هذا السر، وأن حكمة الله رتبته لخير نفوسنا وبنيان أرواحنا.

وبالتالى يتضح لنا مما سبق أنه لا قيمة لإيماننا بهذا السر وإعتقادنا فيه، ما لم ننتفع ببركاته. بل إن إيماننا بالسر وإعتقادنا فى حقيقة الإستحالة الجوهرية، يحسب دينونة علينا، إذا أهملنا التقدم للسر وإستغلاله عملياً لفائدة أرواحنا ونفوسنا. فإهمال التناول شر وإستهتار وعدم تقدير، ولو كان بحجة نقص الإستعداد اللائق بجلاله.

* * *

إن سر الشكر هو محور عبادتنا الجمهورية، ومركزها الذى تدور حوله. وحضور القداس معناه حضور المائدة الربانية والوليمة السمائية. فما معنى حضور الوليمة إذا لم نأكل منها؟! فمن يدعى إلى وليمة ويلبى الدعوة إليها، يجب أن يكون مستعداً لأن يأكل منها، وإلا فإن حضوره يصبح لا معنى له، ويثير تساؤل الناس وإشمئزازهم، كما يعد إهانة لصاحب الوليمة ومدعويه، وإحراجاً لهم جميعاً.

إن عدداً كبيراً من المسيحيين لا يتقدمون إلى المائدة الربانية إلا فى مناسبات خاصة، وقليلة. فمنهم من لم يتناول من الأفخارستيا إلا مرة واحدة، يوم عماده. ومنهم من تناول يوم عماده ويوم زواجه ولم يتناول بعد ذلك. ومن الناس من يتقربون فى مناسبات عامة ومواسم كنسية كبيرة، كيوم خميس العهد وبعض الأعياد السيدية، أو عندما ينجح فى إنتخابه أو إختياره عضواً فى هيئة عامة.

وبعض الناس يتناولون من الأسرار المقدسة كلما كانوا إزاء مشكلة عسيرة أو موقف صعب، كبعض التلاميذ وطلبة المدارس والكليات الذين يتناولون قبيل الإمتحانات طلباً لمعونة الله ومساعدته. وبعض آخر يتناولون من السر المقدس للخلاص من مرض مستعصٍ، أو للتغلب على صعوبة خاصة أو أزمة أو ضيقة شخصية أو عائلية أو مصلحية.

وليس الخطأ فى أن يتناول المؤمن من الأسرار المقدسة فى تلك المناسبات. ولكن الخطأ هو فى أن يكتفى بتلك المناسبات وحدها. والخطأ أيضاً فى أن يظن أن هدف التناول قاصر على تلك الأغراض الخاصة.

* * *

التناول عهد وميثاق:

إن التناول عهد وميثاق، بين المؤمن وبين الله، يجب تجديده دائماً حتى يذكره الإنسان ولا ينساه، أو يتحلل من إرتباطاته وإلتزاماته. وقد قال السيد المسيح (١): «اشربوا من هذا كلكم لأن هذا هو دمى للعهد الجديد».

التناول تذكار:

والتناول تذكار دائم لموت الرب وقيامته وعمله الفدائى. قال فادينا «اصنعوا هذا لذكرى» (٢). فهذا التذكار يجب إذن أن يكون عملياً لا نظرياً. فلا يكفى حضور القداس، والإستماع إلى الوعظ، بل يجب أن نحفظ وصية الرب ونطيع أمره. وهو يطالبنا لا بذكرى نظرية بل بصناعة عملية. ويقول: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء» (٣).

هذا وتذكار عمل الفداء دائماً فضيلة رئيسية فى حياتنا المسيحية. وإذن فالمواظبة على التناول ضرورة مسيحية تقوية.

التناول سر إتحادنا:

والتناول سر إتحادنا بالمسيح من جهة، وشركتنا مع بعضنا بعضاً من جهة أخرى.

«فإننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد، لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد» (٤).

وهذه الشركة وذاك الإتحاد يقتضيان المواظبة على التناول، حتى تبقى عضويتنا فى جسد المسيح حية وقائمة دائماً.

---

(١) (متى ٢٦: ٢٧، ٢٨)، (مرقس ١٤: ٢٤)، (لوقا ٢٢: ٢٠).
(٢) (لوقا ٢٢: ١٩).
(٣) (كورنثوس الأولى ١١: ٢٦).
(٤) (كورنثوس الأولى ١٠: ١٧).

والتناول كما قلنا غذاء للنفس وقوت للروح، وكما أن الإنسان لا يكتفى بالطعام المادى مرة واحدة، وإنما يتناول منه فى كل يوم لتجديد قواه واستمرار نشاطه، وإلا أصابه الذبول والضعف، كذلك يجب التناول من الأسرار المقدسة بتواتر واستمرار لتجديد قوى النفس والذهن ومواصلة نشاطها.

* * *

من الكتاب المقدس:

وقد كان المسيحيون الأوائل منذ فجر العصر الرسولى الأول: «**يواظبون** على تعليم الرسل، **والشركة وكسر الخبز** والصلوات» (١).

* * *

ومن قوانين الكنيسة:

وفى قوانين الكنيسة وطقوسها أوامر صريحة لمختلف درجات الإكليروس والشعب بوجوب المواظبة على التناول، والتقدم إلى الأسرار المقدسة فى كل خدمة يحضرونها. وإلا فإن الحضور مع عدم التناول يعد استهتاراً من جهة، وعثرة للباقين من جهة أخرى.

ففى الدسقولية (تعاليم الرسل) أوامر صريحة بذلك. منها على سبيل المثال:

«ويتناول (الأسقف) هو أولاً من السرائر (٢) المقدسة. ثم يعطيهم **كلهم** منها على الطقس»، **أى القسوس ثم الشمامسة وبعد ذلك كل الشعب: الرجال ثم النساء».**

«وبعد هذا فليكمل (الأسقف) القداس، **وكل الشعب** قيام يصلون بسكوت. وإذا فرغوا... فلتتقرب **كل رتبة وطقس** من الجسد الطاهر والدم الجليل بطقس، وخوف ورعدة، ونية، كمن يتقدم إلى جسد الملك» (٣).

ومن قوانين الرسل أيضاً...

«أيما أسقف أو قسيس أو شماس أو أحد من زمرة الكهنوت، لا يتناول عندما تصير تقدمة القربان، يجب أن يذكر السبب فى ذلك. فإذا كان سبباً مقبولاً عفى عنه. وأما إذا لم يذكر السبب،

---

(١) (أعمال ٢: ٤٢)، أنظر (أعمال ٢٠: ٧).
(٢) الدسقولية، باب ٣٦.
(٣) الدسقولية، باب ١٠.

فليفرز، لأنه صار سبب ضرر للشعب، وأما الشك فى من رفع القربان أنه لم يقدمه على نحو سليم» (١).

«وليقترب الأسقف أولاً، وبعده القسوس والشمامسة، وبعدهم **سائر الشعب**، وبعد الذكور تتناول النساء. وليرتل إلى أن يتناول القربان **كافة** المؤمنين» (٢).

* * *

من ترتيب طقوس القداس...

هذا وفى **ترتيب طقوس القداس** ما يدل على أن جميع الحاضرين من المؤمنين يتقدمون بلا تأخير للتناول من الأسرار المقدسة، ولا يستثنى من ذلك إلا الممنوعون قانوناً من الشركة المقدسة (٣). لذلك كان محظوراً على غير المؤمنين والهراطقة، والموعوظين (الذين لم يتعمدوا بعد) أن يبقوا فى الكنيسة عند بدء قداس المؤمنين المتناولين.

وكان على الشماس (الدياكون) أن ينادى بصوت عال يأمر الموعوظين بالخروج، وكان على الإيبودياكونيين (نواب الشمامسة) أن يغلقوا الأبواب ويقوموا على حراستها ولا يسمحون لأحد بدخول الكنيسة أثناء قداس المتناولين:

«ولا يفتحون الأبواب فى وقت القداس الطاهر، ولو كان على الباب، مؤمن» (٤).

ولما كان المسيحيون الحاضرون جميعاً يتقربون من الأسرار المقدسة فى كل مرة، فقد أمرت الكنيسة فى بدء القداس بقبلة المصافحة الرسولية (٥)، حتى يتأهلوا للتناول من جسد الرب ودمه. وتظهر هذه العلاقة بين القبلة الرسولية وبين التناول فى صلاة الصلح التى يقول فيها الكاهن: «واجعلنا مستحقين كلنا، يا سيدنا، أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة طاهرة، لكى نتناول، بغير طرحنا فى دينونة من موهبتك غير المائتة السمائية» (٦).

---

(١) قانون ٦ من الكتاب الثانى، ويقابل القانون الثامن فى نسخة الروم. (٢) قانون ٥٢ من الكتاب الأول.

(٣) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة للأسقف ايسيذوروس الجزء الأول، القرن الثانى - الرأس الرابع (طبعة القاهرة ١٩٢٣) صفحة ١٥٧.

(٤) قانون ٥٢ من الكتاب الأول من قوانين الرسل الأطهار.

(٥) (رومية ١٦ : ١٦)، (كورنثوس الأولى ١٦ : ٢٠)، (كورنثوس الثانية ١٣ : ١٢)، (تسالونيكى الأولى ٥ : ٢٦)، (بطرس الأولى ٥ : ١٤).

(٦) من قداس القديسين باسيليوس وإغريغوريوس. قارن القداس المرقسى الكيرلسى.

وعندئذ ينادى الشماس ويقول للشعب «قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة طاهرة، وطهروا قلوبكم من كل شر. وتأهلوا لموهبة الله، لكى تتناولوا من هذه الأسرار. فبها نفوز بالرحمة ومغفرة خطايانا كعظيم رحمته» (١).

من أقوال الآباء:

وكتابات الآباء فى القرون المسيحية الأولى تؤيد هذه القضية، وتثبت أن جميع المؤمنين الحاضرين بالكنيسة كانوا يتناولون من الأسرار المقدسة فى كل مرة:

وعلى سبيل المثال فقط، نذكر ما كتبه القديس الفيلسوف يوستينوس الشهيد، فى كتابه الإحتجاج الذى يرجع تاريخه إلى نحو سنة ١٥٠م، وهو بلا شك يصف ترتيب القداس فى زمن سابق على سنة ١٥٠م، لأنه يتكلم عن تقليد مسيحى مستقر:

«وبعد الفراغ من الصلوات (٢) نصافح بعضنا بعضاً بقبلة. ثم يؤتى إلى رئيس الإخوة (وهو الكاهن أو رئيس الكهنة) بخبز وكأس من خمر ممزوجة بالماء، فيأخذهما ويرفع الشكر والتمجيد.. وعند نهاية الصلوات والشكر يؤمن كل الشعب الحاضر قائلاً آمين.. فإذا قدم الرئيس الشكر، وآمن كل الشعب الحاضرين، يقوم الذين نسميهم بالشمامسة بتقديم جزء من الخبز المقدس والخمر.. لكل واحد من الحاضرين، كما يحملون جزءاً إلى الغائبين» (٣).

ويقول هو نفسه فى فصل تال:

«وفى اليوم المسمى الأحد، يجتمع فى مكان واحد جميع سكان المدن والأرياف حيث تقرأ كتابات الرسل أو أسفار الأنبياء بقدر ما يسمح الوقت.. وكما قلنا سابقاً، يؤتى بخبز وخمر وماء ويرفع الرئيس الصلوات ويقدم الشكر... ويؤمن الشعب الحاضرون قائلين: آمين. وتوزع الأسرار المقدسة ويتناول كل واحد منها، ويرسل قسم منها إلى الغائبين عن طريق الشمامسة» (٤).

ويقول القديس باسيليوس الكبير:

«إن **الإشتراك** فى جسد ودم المسيح المقدسين والتناول منهما فى كل يوم جيد ومفيد. لأنه هو (أى المسيح) يقول صريحاً (من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية) (٥) فمن

---

(١) من قداس القديسين باسيليوس وإغريغوريوس. قارن القداس المرقسى الكيرلسى.

(٢) هى الصلوات والأواشى السابقة لقداس المؤمنين.

(٣) الإحتجاج ١: فصل ٦٥.

(٤) الإحتجاج ١ : فصل ٦٧.

(٥) يوحنا ٦: ٥٤.

يرتاب فى أن الإشتراك فى الحياة **على وجه متواصل** ليس إلا حياة متنوعة! إنى فى الواقع أتناول من سر الشركة أربع مرات فى الأسبوع: فى يوم (الأحد)، وفى يوم الأربعاء، وفى يوم الجمعة، وفى يوم السبت، وفى الأيام الأخرى التى يكون فيها تذكار لأحد القديسين» (١).

ويقول القديس أوغسطينوس فى إحدى رسائله:

«يجب أن لا يمنع الإنسان نفسه عن **التناول يومياً** من جسد الرب لشفاء نفسه، إلا إذا كانت خطاياه عظيمة جداً بحيث تجعله مستوجباً لحكم الحرمان من الشركة المقدسة» (٢).

---

(١) رسالة ٩٣ إلى السيدة قيصرية فى عام ٣٧٢م.

(٢) رسالة ٥٤، فصل ٣ : ٤.

إبتهـــــــال

أيهـا السيـد الرب يسوع المسيح إلهنا. إنى أطأمن بقلبى، وفكرى ، وكل حـواسى البـاطنة، والظاهرة، تعبداً وشكراً، وتمجيداً، لمحبتك التى لا توسع، وغنى نعمتك الذى لا يعبر عنه.

أن تتنازل وتتجسد من أجلى، متخذاً صورتى وشكلى، وتشاركنى فى اللحم والدم، هذا حنان عظيم، أنا لا أستحقه...

وأن تتفضل فتفدينى بدمك وتذوق الموت بالجسد بدلاً عنى، لتعتقنى من عبودية إبليس ومن أسره، وتفتح لى الفردوس من جديد، فهذا حب كبير ليس له فى الدنيا مثيل. كلما تأملته وتفكرت فيه لم أجد له نظيراً فى كل تصورات بنى البشر الذين تأملوا آلهتهم وتغنوا بصفاتها.

لكنك يا خالقى لم تصنع ذلك كله فقط من أجلى. وإنما من فرط حبك أردت لى أن أحيا بك وفيك. فوهبتنى أن أجرؤ لا على الكلام معك فحسب بل أن أقترب للمس جسدك ودمك، بل أن تدخل بهما إلى جوفى، فيتحد بهما جسدى ودمى، فنصير معاً، أنت وأنا جسداً واحداً.

هذا هو سر الزواج الروحانى الذى يقرن نفسى بك، فتصبح به نفسى عروساً لك تصب فيها حبك ودمك لتحيا به وتثمر وتلد أولاداً لملكوت السماوات.

كيف لى يا إلهى أن أفهم هذا السر العميق! إنه أعلى من منسوبى، وأسمى من تفكيرى. إنى أؤمن به يارب فأعن إيمانى، وارفع عن عينى الحجاب لتبصرا مجدك وتعاينا جلالك. واسكب فىّ «إيماناً بغير فحص، لأصدق وعدك وأثق فى قولك وقدرتك ثقة بغير حدود.

ارفع يا سيدى عقلى فوق إحتمال الحواس وامنحنى أن أسمو فوق الحسابيات والهندسيات والكيمائيات، وأعلو فوق مقاييس العقل المادى والمنطق البشرى..

أعطنى الرهبة التى تليق بهذا السر العظيم، والورع المناسب الذى أستقبل به موهبتك التى تعلو على الطبيعة...

هبنى فهماً أقوى من فهمى، وبصيرة أنفذ من بصيرتى الطبيعية...

اجعلنى أن أُسكب أمامك انسكاباً، وأَنطرح أمامك بالتمام، لتحل فى حلولاً حقيقياً، لا مجازياً، وتدخل إلى بيتى، إلى نفسى.

قل لى يارب: «إنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك»، «اليوم قد حصل الخلاص لهذا البيت» «لأنه هو أيضاً ابن إبراهيم» بل هو ابنى الذى ولدته فى الجلجثة، ودفنته معى فى المعمودية، وأقمته معى للمجد..

تعالَ يارب وكلمنى «كلاماً به أخلص» وأحيا. ونَاجِ نفسى مناجاة العريس لعروسه التى أَخلص لها الحُبّ وأَخلَصْت له الطاعة والوفاء «قل لنفسى خَلاصك أنا».

ها أنت مزمع يا إلهى «أن تدخل تحت سقف بيتى»، وأنا غير مستحق، فماذا أصنع بك يارب؟ لا أدرى! لذلك أصرخ من أعماقى، وبإتضاع من لا يفهم: «يارب، ماذا تريد أن أصنع»! ولما كنت أيضاً لا أعرف كيف أرضيك كما ينبغى، فإنى أهتف مع أحد قديسيك وأقول «مر بما تريد، واصنع ما تأمر به».

هأنذا يارب. فأدخُل إلىّ، لا على سبيل المجاز، أو الكناية، أو الإستعارة ادخل إلىّ بكل ما فى هذه الكلمة من معنى. بل أيضاً بكل مالا يدخل فى لغة الناس من مَعنى ومن مبنى. ادخل إلى بيتى يارب، بالمعنى الذى تريده أنت، لا بالمعنى الذى أفهمه أنا وأتصوره.

ادخل يا مخلصىّ، ادخل أيها الإبن الوحيد ومعك الآب والروح القدس، اصنع من بيتى مقراً ومنزلاً. لا ليوم واحد بل لجميع أيامى فى الأرض، وفى عالم الأبد.

ليكن اليوم الذى تقبل أن تدخل بيتى فيه، وأقبلك أنا فى بيتى فى سعادة لا توصف، هو يوم الدخول الذى لا خروج لك من بعده. ولتأت«ملائكة السماء فى خدمتك» فتحيط بى أيضاً من كل جهة.

* * *

ها أنا يارب أعددت بيتى وسريرى على قدر ما أفهم! نعم يا صاحب الجلالة إنه إعداد ناقص جداً، ولا يليق بتاتاً بإستقبالك يا إلهى. ولكننى أخشى أن أتباطأ عن قبولك بحجة إعداد نفسى الإعداد الكامل فأتلكأ أياماً وأتكاسل زماناً، وأحرم من وجودك معى دائماً، ولذلك فقد حزمت أمرى وقلت لنفسى: لن أتأخر عن اليوم بحجة إستعداد أكبر. ولعلك يا جابلى تكمل بنعمتك ومراحمك ما نقص من إستعدادى.

أُدخُل يارب، وافتح بيدك منافذ نفسى المغلقة لتستنشق من روحك القدوس ما يردّ إلى نفسى المتعبة «بهجة خلاصك» وتنعشها بفاعلية هذا القوت السماوى، أيها «الخبز الحى الذى نزل من السماء»، «الذى من يأكله يحيا إلى الأبد».

والآن، يارب، أريد أن أعطيك شيئاً إكراماً لدخولك فى بيتى، ولكن، ماذا أعطيك يارب! وهل أنا أملك شيئاً فى الحقيقة؟ أو هل أزعم أن شيئاً ما هو لى حتى يمكننى أمنحه لمن تحبه نفسى؟! لا، يا سيدى وملكى، كل شيء هو لك ومنك. وهذه النفس أيضاً. نفسى. هى أيضاً لك. فأنت الذى خلقتها على صورتك ومثالك. ولما بعتها للخطيئة بإرادتى وندمت وصرخت إليك، جئت أنت واشتريتها من جديد بثمن غال وغال جداً، اشتريتها بدمك. وإذن فنفسى لم تعد بعد لى. ولكنها للذى مات من أجلى، وقام.

إن كل ما أملك هو إرادتى. إرادتى هى وحدها لى. وأنت لم تشأ أن تحرمنى منها، ولا حتى أن تصيرها لك، إلا إذا أسلمتها أنا لك بإختيارى، لقد علمتنى يارب أنك تحترم إرادتى. وحتى عندما أغلق الباب دونك، تقف أنت على الباب تقرع، ولكنك لا تدخل إلا إذا فتحت أنا لك الباب!.

ومادام الأمر كذلك، فها أنا يارب أسلمك إرادتى بإرادتى، وأهبك مشيئتى بمشيئتى، حتى أصير كلى لك، بل ولكى أصير معك إرادة واحدة، فقد جعلتنا «شركاء الطبيعة الإلهية». فإننى آمنت بعد طول إختبار أنه لا خير لى إلا معك ولا سعادة لى إلا بك. «ومعك لا أريد شيئاً على الأرض». وكما قال أحد قديسيك «إن النفس تظل قلقة حتى تجد الراحة فيك».

* * *

يارب! وما دمت ستدخل بيتى، فسأشكو لك من نفسى، لكنى لست أريد أن أحزنك بأنبائى، فأنت تعرفها أكثر مما أعرفها أنا. ولست أروم أن أضايق حضورك، ولكنك لم تأت إلىّ لخير يعود عليك، بل لخير نفسى أنا «ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتى بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك». فلا زلت أريد أن أشكو لك من نفسى، فإن دخولك إلىّ دخول الطبيب ليعالج المريض، ولابد لك أن تصنع بى خيراً حتى يزداد فرحى بك وإيمانى بمحبتك ثم بقدرتك، لأننى بدونك لا أستطيع شيئاً. وأنا أيضاً «لا أطلقك إن لم تباركنى».

ولكن بماذا أشكو يارب، وأنت لا تعلمه! أنت يا سيد «تعلم كل شيء»، ولست «محتاجاً إلى شهادة أحد عن الإنسان»، لأنك «تعلم ما فى الإنسان» وأنا لا أعرف نفسى كما يجب. إننى لم أبلغ إلى هذه الفضيلة بعد. أما أنت «يارب فقد فحصتنى وعرفتنى.. فهمت أفكارى من بعيد.. قبل أن يكون كلامى على لسانى. أنت يارب عالم به كله.. علم عجيب فوق طاقتى، أرفع من أن أدركه».

وكيف أشكو يارب، وأنا لا أعلم مم أشكو، ولا كيف أشكو! وإذا شكوت من أمر فإننى لا أحسن الشكوى، ولا أفهم مصدر الشكوى، ولا علة الداء.

* * *

يكفينى يارب، أن تدخل إلى بيتى، وبعد ذلك ستعرف أنت طريقك إلى نفسى، أنا لا أرشدك إلى نفسى، حاشا! ستدخل أنت إلىّ، بلاهوتك المتحد بجسدك ودمك. ولاهوتك كفيل بأن يكشف أغوار نفسى ويعرف طرقها وأخاديرها. وهو نار آكلة «تحرق جميع الأشواك الخانقة لنفسى» ولن تحرق فقط، بل بعد أن تحرق، تبدأ فتنير، وتنير جوانب نفسى. وبعد أن تستنير نفسى تصبح هى ذاتها نيرة وقادرة على أن تنير، وبالنور الذى دخل فيها. وسيظل يسطع عليها فيزداد توهجها ولمعانها ومن ثم يخرج النور من خارجها. فتبدأ هى أيضاً أن تنير من خارج ذاتها لأشخاصاً آخرين.

وهكذا يارب، يا «نور العالم»، تصيرنى أنا أيضاً «نوراً للعالم»، ولست أنا وحدى، بل كل الذين يقتبلون نعمتك، وتدخل أنت إلى نفوسهم، يصبحون بدورهم «نوراً للعالم» «يرى الناس أعمالهم الصالحة»، فيمجدون «أباهم الذى فى السموات».

* * *

نعم يارب «هكذا صارت المسرة أمامك» أن تدخل بيتى، وتطعمنى بيدك من جسدك الطاهر، ودمك الكريم. فلست إذن أنا المضيف. إنما أنت المضيفُ والمَضيفُ معاً. وأنا لم أنفق فى ضيافتى لك شيئاً ولم أفقد شيئاً، بل لقد انتفعت وكسبت. إنما أنت الذى تنفق، ومع ذلك لا تفقد.

ها أنا يارب «أفغر فاى». وأنت تملؤه».

القيم الروحية

فى سر القربان المقدس

موضوعات وإجابات على أسئلة ٣٢٣

موضوعات وإجابات على أسئلة

١ - الاستحقاق للمائدة الربانية

سؤال : من الابن مجدى بديع لبيب المحامى: نرجو إلقاء الضوء حول المقصود من:

١ ـ التناول باستحقاق

٢ ـ التناول بدون استحقاق

الجواب :

جاء فى الكتاب المقدس:

«وإذن فمن أكل من هذا الخبز أو شرب من كأس الرب بغير استحقاق، يكون مجرماً إلى جسد الرب ودمه ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، ومن ثم فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن من يأكل ويشرب بغير استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه، إذ لم يميز جسد الرب. من أجل هذا كثر فيكم المرضى والضعفاء، وكثيرون منكم يموتون. فلو أننا حاسبنا أنفسنا لتجنبنا الحكم علينا. وإذ قد حكم الرب علينا، إنما يؤدبنا الرب، حتى لا ندان مع العالم» (١. كورنثوس ١١ : ٢٧ – ٣٢).

أما الاستحقاق لغوياً فهو الإستيجاب، والاستئهال، والأهلية. ويقال (عن استحقاق) أى (عن جدارة)، (عن أهلية)، والاستئهال للأمر.

وعلى ذلك، فعلى قول الكتاب المقدس إن من يتقدم للمائدة الربانية، وهو ليس أهلاً لها، وغير جدير بها، وغير خليق لها، فقد أوقع نفسه تحت دينونة إلهية. وأمسى مغضوباً عليه من الله، لأنه تجاسر واقتحم الأقداس بغير الأهلية التى يتطلبها الاقتراب من المقدسات. وبدلاً من البركة والنعمة يجلب على نفسه اللعنة والنقمة.

لذلك جاء فى كتاب الافخولوجيون (كتاب صلوات القداس) أن الكاهن بعد الفراغ من صلوات القداس، وقبيل التقرب من المائدة الربانية يصيح بصوت واضح «**فليدن من كان طاهراً من الأسرار المقدسة. ومن كان غير طاهر، فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت**» «**إنها هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح**».

١ ـ ولعل أول ما ينبغى أن يتوافر فى من يتقرب إلى المائدة الربانية أن **يكون مؤمناً، مسيحياً تقياً، ومن ثم مؤمناً بحقيقة المائدة الربانية، وماهيتها، وأنها المن**

السماوى (يوحنا ٦ : ٤٩ ـ ٥١) وأنها شجرة الحياة (التكوين ٢ : ٩)، (٣ : ٢٢)، (الجليان ـ الرؤيا ٢ : ٧)، (٢٢ : ٢، ١٤)، وأن يرتفع بروحه وإيمانه فوق الحسابيات والهندسيات، على ما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم، وهذا هو المقصود من وصف من يتقرب بغير استحقاق بأنه «**غير مميز جسد الرب**» (١ . كورنثوس ١١ : ٢٩) ومن قول الكتاب المقدس: «ولكن ليمتحن الإنسان نفسه . ومن ثم فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس **لأن من يأكل ويشرب بغير استحقاق ، يأكل ويشرب دينونة لنفسه**» (١ . كورنثوس ١١ : ٢٨ ، ٢٩) .

٢ ـ ومن ثم، مع الإيمان العميق، **يجب أن يتقدم المؤمن إلى المائدة الربانية فى رهبة ، ومخافة ، وخشوع ، وتوقير، وأدب ، وإحترام ، وإجلال ، وسجود ، وإنسحاق ، وشعور عميق بعدم الإستحقاق ، وعدم الأهلية** ، «ومن هو كفؤ لهذه الأمور» (٢ . كورنثوس ٢ : ١٦) «وكان المنظر رهيباً حتى إن موسى قال: «أنا مرعوب ومرتعد» (العبرانيين ١٢ : ٢١)، (التثنية ٩ : ١٩) .

على أن جلال المائدة الربانية يقتضى أن يكون المتقدم إليها، **طاهراً ، روحاً ونفساً ، وفكراً وجسداً . والطهارة** هى النقاء، وهى الخلو من الدنس والنجاسة ومن كل تلوث، فى الروح والنفس والجسد.

وحقاً إنه ليس ثمت من يزعم أنه طاهر تماماً من كل دنس للروح والنفس والبدن. ولكن لا أقل من أن «**يمتحن الإنسان نفسه**» (١ . كورنثوس ١١ : ٢٨) فلا يتقرب وقلبه وفكره ملوث بالنجاسة والشهوة الرديئة، أو قلبه ملوث، وفكره مشتعل محترق بالحقد أو البغضة أو الكراهية لأحد من الناس، ولا يتقرب وجسده غير نظيف من التلوث والفساد والدنس وإلا فإنه يأخذ نقمة بدلاً من النعمة، ودينونة بدلاً من الغفران «فإن هذه هى مشيئة الله، قداستكم، فتمنعوا عن الزنا، وأن يعرف كل واحد منكم كيف يصون جسده فى القداسة والكرامة. فلا يدع الشهوة تستولى عليه كالوثنيين الذين لا يعرفون الله» (١ . تسالونيكى ٤ : ٣ ـ ٥) .

ولا يحتج أحد بقوله: لماذا إذن يتقرب المؤمن للمائدة الربانية؟ أليس فيها التطهير مع الغفران؟ فالحق الإلهى أن مهمة المائدة الربانية **الأولى هى أنها خبز الحياة الأبدية ، لمن يتقدم إليها باستحقاق ، ومعها وفيها ينال الخلاص وغفران الخطايا** على أن يكون المتقدم طاهراً فى نيته وقصده، ولا يطوى قلبه أو فكره على رغبة فى شهوة رديئة، أو حقد أو حسد أو كراهية لأحد.

ولذلك يردد الكاهن أثناء خدمة القداس أن فعاليات الخبز السماوى هى أنه **يعطى خلاصاً وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه**. وطبعاً هذه الفعاليات هى لمن يتقدم باستحقاق، خالياً قلبه وفكره من الشهوة الرديئة ومن كل ما يلوث نيته وقصده وقلبه من الشر والخطيئة «**لأن الله لم يدعنا للنجاسة، بل فى القداسة**» (١. تسالونيكى ٤ : ٧).

وإلا فلماذا يقول الكتاب المقدس: **ليمتحن الإنسان نفسه**، ومن ثم فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس، **لأن من يأكل ويشرب بغير استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه،... من أجل هذا كثر فيكم المرضى والضعفاء وكثيرون منكم يموتون**» (١. كورنثوس ١١ : ٢٨ ـ ٣٠).

مبيناً بذلك النقمة على الذين يتقدمون للمائدة الربانية باستهتار، وقلة إيمان وقلوبهم وأفكارهم وأجسادهم ملوثة بالنجاسة والدنس، والنقمة الإلهية تدركهم روحياً وجسدياً... أما لأرواحهم فيأخذون لأنفسهم دينونة، ويجلبون على أنفسهم الغضب الإلهى لأنهم وهم نجسون، اقتحموا المائدة الربانية. وأما لأجسادهم فيدركهم المرض والضعف، وقد يسخط الله عليهم فيموتون، حالاً أو بعد حين. من ذلك ما ورد عن عير بكر يهوذا: «وكان عير بكر يهوذا شريراً فى عينى الرب، **فأماته الرب**» (سفر التكوين ٣٨ : ٧)، (١. أخبار الأيام ٢ : ٣).

لهذا كله يجب أن يمارس المؤمن **التوبة الصادقة عن خطاياه**، قبل أن يتقدم للمائدة الربانية.

والتوبة قوامها:

١ ـ الندم وانسحاق القلب والحزن على الخطيئة.

٢ ـ العزم الصادق على تجديد السيرة.

٣ ـ الرجاء فى مراحم الله وعدم اليأس.

٤ ـ الاعتراف العلنى بالخطايا إلى الله على يد الكاهن، وتنفيذ ما يأمره به الكاهن فيما يعرف بالتأديبات الكنسية، ومنها رد الحقوق المسلوبة لأصحابها، ورفع الظلم عمن يكون قد ظلمهم الخاطىء بالفعل أو بالفكر، ومنها الصوم والمطانيات (السجدات) والصلوات.. فإذا أقر الكاهن المسئول توبة الخاطىء منحه الحل للتقدم للمائدة الربانية، والمن السماوى لينال به (الخلاص) وغفران الخطايا والحياة الأبدية لمن يتناول منه».

وهنا، تتجلى مسئولية الكاهن الرهيبة فإنه وكيل سرائر الله ، ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً، (١ . كورنثوس ٤ : ١ ، ٢) .

جاء في الوصية التى يتلوها الأسقف على القسيس يوم رسامته أو سيامته كاهناً قوله:

«والواجب عليك.. الاحتراز فى توزيع أسرار الرب المحيية.. وكن على يقين من أن الشاروبيم والسارافيم وقوف بالمخافة والارتعاد... وكن حارساً لهذه الذخيرة المقدسة كحراسة الشاروبيم لشجرة الحياة. واحترز على هذه السرائر احترازاً يخلصك من الجرائر. ولا تناوله إلا للحسن السيرة، الصالح السمعة، الطاهر السريرة. وردّ من كانت طريقة شريرة، لئلا يقتل نفسه، تكون أنت السبب فى الجريرة (=الذنب والجناية) واحذر من الإهمال فتحصل المضرة، فإن العالم كله لا يساوى منه مثقالاً من ذرة...» .

٢ - الخبز المختمر فى ليلة الفصح فى خميس العهد

سؤال : من الإبن نشسأت عبده ميخائيل - شبرا الخيمة.

يقول إن كثيرين من الآباء المعاصرين وعامة الخدام بالتربية الكنسية ينادون بأن المسيح له المجد قد احتفل قبل تأسيس الأفخارستيا ليلة خميس العهد بخروف الفصح وأكله مع تلاميذه رغم أن هذا يؤدى بنا إلى الاعتقاد بممارسة سر الأفخارستيا بالفطير وليس بالخبز الخمير.. إذ لا يجوز وجود الخمير بعد ذبح خروف الفصح.

الجواب :

نعم إن المسيح له المجد احتفل بالفصح فى مساء الخميس، المعروف بخميس العهد، ليلة الجمعة التى تم فيها الصلب.

جاء فى الإنجيل:

«وفى أول أيام الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه أين تريد أن نمضى ونعد لك لتأكل الفصح؟ فأرسل إثنين من تلاميذه (بطرس ويوحنا) قائلاً لهما: إذهبا إلى المدينة، وهناك سيلقاكما رجل يحمل جرة ماء فاتبعاه وحيث يدخل قولا لرب البيت إن المعلم يقول أين المكان الذى سآكل فيه الفصح مع تلاميذى؟ ولسوف يريكما قاعة عليا مؤثثة ومهيأة فأعدا لنا هناك فخرج التلميذان وحين أتيا إلى المدينة وجدا كما قال لهما، فأعدا الفصح» (مرقس ١٤ : ١٢ - ١٦)، (متى ٢٦ : ١٧ - ١٩)، (لوقا ٢٢ : ٧ - ١٣).

ومعنى ذلك أن المسيح له المجد قد باشر الفصح فى اليوم «**الذى كان ينبغى أن يذبح فيه الفصح**» (لوقا ٢٢ : ٧)، وهو اليوم الرابع عشر من شهر أبيب.

غير أن رؤساء الكهنة أتخذوا قراراً خاصاً فى تلك السنة أن يؤخروا عيد الفصح يوماً ليتمكنوا من صلب المسيح، حتى إنهم فى يوم الجمعة الذى تم فيه صلب المسيح (لوقا ٢٣ : ٥٤)، كما يقول الإنجيل «أما يسوع فجاءوا به فى الصباح الباكر من عند قيافا إلى دار الولاية، **ولم يدخلوا هم دار الولاية مخافة أن يتنجسوا فلا يتمكنوا من أن يأكلوا الفصح**» (يوحنا ١٨ : ٢٨) أى أن أكل الفصح كان يوم الجمعة مساء، وعيد الفصح السبت (يوحنا ١٩ : ٣١).

أما المسيح فقد باشر الفصح فى الخميس مساء، وهو اليوم الرابع عشر من أبيب، اليوم «الذى

كان ينبغى أن يذبح فيه الفصح، (لوقا ٢٢ : ٧)، ولذلك لم يحدث أن إعترض اليهود على المسيح أو إتهموه بأنه باشر الفصح في غير موعده. أما هم - أى اليهود - فقد أجلوه يوماً حتى **إنهم لم يدخلوا فى صباح الجمعة دار الولاية مخافة أن يتنجسوا فلا يتمكنوا من أن يأكلوا الفصح (يوحنا ١٨ : ٢٨)**.

من هنا، وبحسب أوامر القيادات اليهودية لم يكن قد بدأ أكل الفطير، **فالمسيح له المجد باشر الفصح ثم العشاء الربانى بخبز مختمر**، ومما تجدر ملاحظته أن الكلمة اليونانية فى قوله (أخذ خبزا). (متى ٢٦ : ٢٦)، (مرقس ١٤ : ٢٢)، (لوقا ٢٢ : ١٩) هى λαβὼν ἄρτον وباللغة القبطية ⲁϥϭⲓ ⲛⲟⲩⲱⲓⲕ علماً بأن ARTOS ἄρτος هو (**الخبز المختمر**) وكذلك **ⲰIK** بالقبطية OIK بينما أن الكلمة اليونانية التى تعنى (الفطير) هى ἄζυμος AZYMOS أى الخبز غير المختمر - أو الفطير كما فى قوله «سبعة أيام تأكلوا **فطيراً**» (سفر الخروج ١٢ : ١٥)، (١٢ : ٨، ١٧، ١٨).

والكنيسة الأرثوذكسية لهذا السبب تباشر الأفخارستيا **بالخبز المختمر، إقتداء بالسيد المسيح له المجد الذى باشره بالخبز المختمر.**

٣ - الرُّوح هو الذى يحيى وأما الجسد فلا يجدى نفعاً

سؤال : من الإبن متياس رفائيل القس بطرس ـ الأسكندرية.

يقول: قال السيد المسيح له المجد «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم «ويقول الإنجيل. فأخذ اليهود يجادلون بعضهم بعضاً قائلين: «كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله «فقال لهم يسوع: «الحق الحق أقول لكم: مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلن تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير لأن جسدى هو طعام حقاً، ودمى هو شراب حقاً. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى، وأنا أيضاً أقيم فيه. كما أن الآب الحى قد أرسلنى، وأنا كذلك أحيا بالآب، هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء قالوا: «إن هذا الكلام عسير من يستطيع أن يستمع إليه»..

قال لهم: ... «أهذا يجعلكم ترتابون؟ فماذا لو رأيتم ابن الانسان صاعداً إلى حيث كان من قبل؟ إن الروح هو الذى يحيى، وأما الجسد فلا يجدى نفعاً. والكلام الذى قلته لكم هو روح وحياة. ولكن قوماً منكم لا يؤمنون». (يوحنا ٦: ٥١ ـ ٦٤).

أفهل يُفهم من كلام السيد المسيح أن جسده له المجد لا يُجدى نفعاً؟ وإنما الذى ينفع هو المعنى الروحى لكلامه؟

الجواب :

فى هذا الحوار أظهر المسيح له المجد أنه هو (شجرة الحياة). عندما خلق الله آدم وجعله فى جنة عدن، أظهر له (شجرة الحياة) فى وسط الجنة (التكوين ٢: ٩). وذلك ليأخذ من (شجرة الحياة) ويأكل ويحيا إلى الأبد (التكوين ٣: ٢٢). لأنه حيث أن آدم قد خلق فى الزمان، فهو كائن قابل للفناء، ولكن الله من فيض حبه للإنسان أراد له الحياة إلى الأبد، فكان لابد أن يمنحه الله ما يكفل له الحياة إلى الأبد، فجعل له (شجرة الحياة) فى وسط الجنة، وأظهرها له كما جاء أيضاً فى القداس الإلهى، على أن آدم رغب أن يأكل من شجرة معرفة الخير والشر التى نهاه الله عن أن يأكل منها وقال له «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (التكوين ٢: ١٦)، فمد آدم يده وأكل من الشجرة المنهى عنها، فمات، وبالتالى لم يعد مستحقاً لأن يأكل من (شجرة الحياة)، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن، وطرده منها، وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة، ليمنع الإنسان

من دخول الجنة التى طرد منها ومن أن يأكل من (شجرة الحياة)، إذ لم يعد مستحقاً للحياة الأبدية بعد أن أراد لنفسه الموت بأكله من الشجرة المنهى عنها.

ومنذ ذلك التاريخ لم يستطع آدم أن يعود إلى الجنة التى طرد منها، وبالتالى لم يستطع أيضاً أحد من أبناء آدم جميعاً أن يعود إلى الجنة. فقد إنتقلت إليهم، وسرت فيهم لوثة الخطيئة، ولذلك فإن جميع بنى آدم، نزلت أرواحهم بعد الموت إلى الجحيم.

وظل الأمر كذلك، فأشفق الله على آدم وبنيه وأراد أن يخلصهم من عبودية الخطيئة ومن حكم الموت ومن مصير الهلاك الأبدى فى جهنم النار الأبدية «فإن جميع الناس قد خطئوا، فأعوزهم مجد الله» (رومية ٣ : ٢٣) لهذا شاء الله أن ينزل بنفسه من السماء ويخلص آدم وبنيه. وحتى لا تحترق الأرض من بهاء لاهوته «تخلى عن مجده واتخذ صورة العبد، وصار فى شبه البشر بهيئة إنسان» (فيلبى ٢ : ٧، ٨)، وجعل ذاته بدلاً من الإنسان، وقبل الموت فى جسده ليفدى الإنسان من الموت، فكان هو الفادى والمخلص وحده «والذى ليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال الرسل ٤ : ١٢) وبذلك جعل نفسه «حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم» (يوحنا ١ : ٢٩، ٣٦) . ليفدى الإنسان.

وهذا هو المعنى من قوله له المجد «أنا هو الخبز الحى النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء» (يوحنا ٦ : ٥١) .

ومن فيض حبه ونعمته لم يكتف لعمل الفداء والخلاص بقبول حكم الموت فى جسده بدلاً من الإنسان ليفدى الإنسان، وإنما شاء أيضاً أن يمنح الإنسان الذى فداه بموته، الحياة الأبدية التى كان قد فقدها بالخطيئة، فأعطى للإنسان أن يأكل من جسده ويشرب من دمه، ليحيا بهما إلى الأبد، وبهذا يسترد الإنسان ما كان قد فقده بالخطيئة من إمتياز الحياة إلى الأبد، بشرط أن يأكل الإنسان من جسد المسيح ويشرب من دمه ليأخذ منه الحياة، فالمسيح إذن هو شجرة الحياة التى إذا أكل منها الإنسان يحيا إلى الأبد (الجليان ـ الرؤيا ٢ : ٧)، (٢٢ : ٢، ١٤) .

وكما أن الجنين فى بطن أمه وهو كائن ضعيف، يحيا من دم أمه الذى ينتقل إليه من خلال المشيمة، فليس له حياة من ذاته، وإنما يأخذ حياته من أمه، وكذلك بعد أن يشرب من دمها ويولد منها، بأن يرضع من لبن ثدييها، كذلك شاء المسيح الإله من فيض حبه أن يعطينا من جسده ودمه، لتكون لنا منه الحياة كما قال «فإن الذى يأكلنى يحيا بى» (يوحنا ٦ : ٥٧) فالمسيح إذن هو بحق (شجرة الحياة) التى أظهرها الله لآدم ليحيا بها إلى الأبد، ولكنه إذ فقد هذا الإمتياز

بأكله من الشجرة المنهى عنها، استرده فى العهد الجديد بالمسيح الذى نزل من السماء، بعد أن فدانا بدمه، جعلنا به مستحقين أن نأخذ منه الحياة، فنحيا إلى الأبد.

هذا هو المغزى من سر المائدة الربانية «الحق الحق أقول لكم: ما لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلن تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. لأن جسدى هو طعام حقاً، ودمى هو شراب حقاً. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا أيضاً **أقيم فيه هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى**» (يوحنا ٦: ٥٣ - ٥٧).

على أن **جسد المسيح له المجد ليس هو مجرد لحم وإنما هو الجسد الإلهى المتحد باللاهوت**، والحق أن فى هذا قوة ونفع التناول من جسده له المجد، **لأن المتناولين من جسده يتحدون بالمسيح بعمل اللاهوت المتحد بجسده وفعله**. وهذا هو المعنى من قوله له المجد «إن الروح هو الذى يحيى، وأما الجسد فلا يجدى نفعاً» وفى ذلك تصحيح لفهم اليهود الذين ظنوا أن المسيح بقوله «لأن جسدى هو طعام حقاً، ودمى هو شراب حقاً» إنه يعنى بجسده مجرد لحم جسده، وكأن المسيح يبيح للمؤمنين به أن يرتدوا إلى مستوى الشعوب آكلات اللحوم البشرية، وهو الخطأ الذى وقع فيه الوثنيون فى العصور القديمة فاتهموا المسيحيين بأنهم آكلة اللحوم البشرية، وذلك بسبب سوء الفهم الذى تسرب إليهم عن سر القربان والمائدة الربانية.

وهو ما نقرأ عنه فى كتابات ورسائل المدافعين عن المسيحية من أمثال أثيناغوراس وأكليمنضس الأسكندرى واوريجانوس ممن ترد فى كتاباتهم الردود على إتهام الوثنيين للمسيحيين بأنهم من آكلات اللحوم البشرية.

وعلى ذلك، فهذا هو المعنى من قوله له المجد «أما الجسد فلا يجدى نفعاً» أى الجسد من حيث هو لحم. أما الجسد الذى يفيد فهو (الجسد متحداً باللاهوت). فبفعاليات اللاهوت يحيا المتناولون فيخلق سر القربان فيهم الحياة التى تدوم إلى الأبد.

هكذا علم آباء الكنيسة، وقال البابا كيرلس الأول عمود الإيمان والقديس أوغسطينوس إن المعنى من قول المسيح هو أن جسده مجرداً عن الروح ومن دون اللاهوت المتحد به لا يمنح الحياة والقيامة، وإنما الذى يمنح الحياة والقيامة هو الروح أى اللاهوت المتحد بالجسد، فهو الذى يحيى النفس والجسد. وبهذا المعنى يقال إن العين لا تنظر والأذن لا تسمع بل الروح هى التى تنظر بالعين وتسمع بالأذن.

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم فى تفسير قول المسيح «وأما الجسد لا يجدى نفعاً» إذ ظننتم أنكم تأكلون جسدى فقط وتأكلونه كلحم الضأن فهو أمر لا يفيد شيئاً فى الحياة الأبدية، وإنما بالفهم الروحى تتبينون أنكم تأكلون جسدى متحداً بلاهوتى تحت أعراض الخبز والخمر وهو الذى يحيى النفس والجسد.

وقال أيضاً بعض القديسين فى فعاليات سر القربان إن دم المسيح يصب فى شرايينا، وجسده يتحد بجسدنا، وهو بلاهوته **يقيم فينا**، فنحيا به ويعمل هو فينا ويقدس طبيعتنا ويطهرنا، ويجعلنا واحداً معه. يقول المسيح له المجد «من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ، **وأنا أيضاً أقيم فيه فإن الذى يأكلنى يحيا بى**» (يوحنا ٦ : ٥٧).

٤ ـ متى يتحول الخبز والخمر

سؤال : من السيد لويز اسكتندر وهبة بملبورن ـ استراليا.

نعلم أن الخبز والخمر لا يتحولان إلى جسد ودم إلا بعد السجود الأول «اسجدوا لله بخوف ورعدة» فلماذا إذن يقال فى مرد الشماس «قبلوا الكبيرة» ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه» ؟

الجواب :

يبدو أن التقليد الذى كان سائداً منذ أقدم العصور فى الكنيسة الأرثوذكسية هو حفظ ذخيرة من الأسرار المقدسة لمنفعة المؤمنين المشرفين على الموت خصوصاً فى الأيام التى لا تقام فيها قداسات. فالمعروف أن القداس كان يقام فى العصور الرسولية الأولى فى أيام الأحد والسبت ثم الأربعاء والجمعة من كل أسبوع، ولم يكن ميسوراً ولا مألوفاً أن يقام القداس فى أيام الأسبوع الأخرى إلا إذا وقع فيها عيد أو مناسبة خاصة.

ولا زالت بعض الكنائس الأرثوذكسية الأخرى الشرقية القديمة، ومن بينها الكنيسة السريانية والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية تحفظ هذه العادة وتحتفظ بذخيرة من الأسرار المقدسة تضيفها فى القداس التالى إلى العناصر الجديدة كخميرة مقدسة وكذلك تصنع الكنائس البيزنطية التى تسمى أيضاً بالأرثوذكسية الشرقية الخلقيدونية فهى تحتفظ بذخيرة من الأسرار المقدسة للقداس التالى ولديهم طقس يعرف «بالقداس السابق تقديسه».

أما كنيستنا القبطية فلابد أنها كانت بالمثل تحفظ ذخيرة من الأسرار المقدسة ليتناول منها من تدعو الضرورة إلى مناولته فى وقت يتعذر إقامة القداس فيه، بدليل ما يردده الشماس فى الهيكل، فى مطلع القداس وقبل حلول الروح القدس على الخبز والخمر لنقلهما إلى جسد الرب ودمه «ارفعوا أعينكم تجاه المشرق، لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه والملائكة ورؤساء الملائكة قيام.. الخ».

ولا يستقيم لتفسير ذلك قول من يقول أن الكلام ينصرف إلى ما سوف يكون بعد حلول الروح القدس، فالعبارة واضحة وصريحة ولا تحتمل ذلك التفسير «ارفعوا أعينكم لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه».

إنما هناك سببان رئيسيان حملا آباء كنيستنا المرقسية القبطية إلى وقف عادة حفظ ذخيرة الأسرار المقدسة.

الأول : هو الظروف القاسية التى عانتها الكنيسة القبطية فى مصر فى أزمنة الاضطهاد حيث كان أعداء الدين المسيحى يقتحمون كنائسنا، ويهجمون على الكهنة فى الهيكل ويهينون الأسرار المقدسة.

وقد كان الإعتداء على حرمة الأسرار المقدسة سبباً فى بعض الإجراءات التى اتخذتها الكنيسة توقياً وتفادياً لهذه الإعتداءات والإهانات.

من ذلك: تغيير إتجاه موقف الشماس الخديم مع الكاهن أثناء القداس، فصار يقف فى شرق المذبح مواجهاً للكاهن حتى يرقب من مكانه باب الكنيسة فى الغرب، فإذا رأى دخيلاً اقتحم الباب، وأدرك إنه سيعتدى على شعائر العبادة ويهين الأسرار أسرع بتنبيه الكاهن، ليتخذ حيطته.

ولذلك يلاحظ فى بعض الكنائس القديمة مخبأ للأسرار المقدسة تحت المذبح من الجهة الشرقية، وكان لهذا المخبأ أحياناً دولاب من الخشب يغلق ويحكم إغلاقه عند الإعتداء.

وفى بعض الكنائس القديمة الأخرى، نجد هذا المخبأ فى الجهة الشرقية من المذبح يتصل بسرداب تحت الهيكل حيث كان الكاهن يهرب بالأسرار المقدسة ويجعلها فى مأمن من إعتداءات المعتدين.

كان إذن لابد فى مثل هذه الظروف ولهذه الأسباب أن لا يحفظ الكاهن ذخيرة من الأسرار المقدسة خوفاً من أن يصيبها ضرر، بالإعتداء من غير المسيحيين ومن جند الحكام والولاة الظالمين الذين كانوا يعتدون على حرمة الأسرار المقدسة.

والسبب الثانى : هو أن آباء كنيستنا القبطية الأرثوذكسية كانوا يخشون من أثر حرارة الجو ولا سيما فى فصل الصيف على العناصر المقدسة فتغيرها وتفسدها.

كما كان يخشون أيضاً من تسرب الحشرات ومنها العقارب والحيات، فضلاً عن القوارض والهوام وغيرها.

لهذين السببين على الأقل، توقف آباء الكنيسة القبطية فى مصر عن حفظ ذخيرة من الأسرار المقدسة، وصار يقام القداس فى أكثر أيام الأسبوع فى كثير من كنائسنا ولا سيما فى الأصوام العامة، بل فى بعض بلادنا صار يقام القداس يومياً لا فى أيام الأصوام فقط بل على مدار السنة كما هو الحال فى الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة، وأخذ بعض القبط يطالبون بإقامة قداسات خاصة فى غير الأيام العامة من أجل مرضاهم أو من أجل موتاهم أو لأسباب أخرى خاصة فردية أو عائلية، وصار فى معظم الكنائس يقام أكثر من مذبح، حتى يمكن أن يقام أكثر من قداس فى يوم واحد.

٥ ـ ما معنى الفصح
والفرق بينه وبين العشاء الربانى ؟

سؤال : من السيد عزت ناجى ارمانيوس ـ الأسكندرية.

١ ـ ما معنى الفصح ؟

الجواب :

الفصح كلمة عبرانية معناها (العبور) وسُمّى كذلك لأن الرب طلب من بنى إسرائيل أن تذبح كل أسرة حملا ابن سنة ويلطخون من دمه العتبة العليا من باب البيت وكذلك القائمتين، فيرى الملاك المهلك الدم (فيعبر) عن البيت فلا يهلك من فيه (انظر سفر الخروج ١٢) وكلمة (الفصح) بالعبرانية هى كلمة (البصخة) فى القبطية ⲡⲁ̀ⲥⲭⲁ .

٢ ـ هل الفصح هو العشاء الربانى أم غيره، وفيم يختلفان ؟

الجواب :

الفصح الذى أكله المسيح له المجد مع تلاميذه هو الطقس المأمور به فى التوراة: وهو ذبح حمل ابن سنة يؤكل مشوياً بالنار مع فطير على أعشاب مرة يأكلونه (الخروج ١٢: ٥ ـ ١٠). أما العشاء الربانى فقدمه المسيح له المجد بعد فراغه من الفصح، وغسل الأرجل، ففى خميس العهد مارس المسيح أولاً الفصح ثم بعد الفصح قام بغسل الأرجل، وبعد غسل الأرجل قدم العشاء الربانى.

فالمسيح له المجد ختم العهد القديم بعشاء الفصح ـ ثم بدأ العهد الجديد بغسل الأرجل (وهو يشير إلى المعمودية وهى مدخلنا إلى العهد الجديد، ثم العشاء الربانى (سر القربان والمائدة الربانية).

وهو ما تمارسه كنيستنا على وجه الدقة فى يوم خميس العهد ففى خميس العهد.

(١) نصلّى صلوات البصخة إلى الساعة التاسعة.

(٢) وبعد صلوات البصخة نمارس قداس اللقان ـ غسل الأرجل.

(٣) ثم قداس القرابين، وهو سر العشاء الربانى.

٣ ـ هل المسيح اجتمع بتلاميذه مرتين الأولى لأكل الفصح والثانية للتناول ؟

الجواب :

فى القاعة العليا من البيت مارس المسيح له المجد الفصح حسب طقوسه فى العهد القديم (ثم قام عن العشاء ـ عشاء الفصح ـ وغسل الأرجل (يوحنا ١٣ : ٤) ثم مارس العشاء الربانى بعد غسل الأرجل ـ أى فى نفس الليلة ثم تحدث معهم أحاديثه الوداعية (يوحنا ١٣ ـ يوحنا ١٧) ثم خرج مع تلاميذه إلى بستان جثسيمانى (يوحنا ١٨ : ١).

٤ ـ هل أكل يهوذا الفصح مع باقى التلاميذ؟

الجواب :

نعم، ولقد قال الإنجيل أيضاً (أجاب يسوع قائلاً: إنه هو الذى سأعطيه اللقمة التى أغمسها، **ثم غمس اللقمة وقدمها ليهوذا بن سمعان الاسخريوطى**، فبعد أن أخذ اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع ما أنت فاعله فافعله سريعاً... أما يهوذا فبعد أن **أخذ اللقمة** خرج على الفور، وكان الوقت ليلاً) (يوحنا ١٣ : ٢٦ ـ ٣٠) **واللقمة هنا هى لقمة الفصح القديم** التى كان يغمسها كل من يأكل الفصح فى القصعة ـ وهى طبق عميق كان يملأ بماء به أعشاب مرة ترمز للمرارة التى عاناها بنو إسرائيل فى مصر ـ (انظر متى ٢٦ : ٢٣).

٥ ـ هل تناول يهوذا من الجسد والدم فى ليلة العشاء؟

الجواب :

كلا، إن يهوذا أكل من الفصح القديم وخرج للوقت قبل أن يقدم السيد المسيح العشاء الربانى (يوحنا ١٣ : ٣٠).

٦ ـ بعض الآراء تقول إن السيد المسيح أكل الفصح وفريق آخر يعترضون على ذلك، ومعنى ذلك هل أمر السيد المسيح بتجهيز الفصح ولم يأكل منه ؟

الجواب :

إن السيد المسيح أكل الفصح مع تلاميذه بدليل قول الإنجيل للقديس مرقس.

(وفى أول أيام الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضى **ونعد لك لتأكل الفصح** ؟ فأرسل إثنين من تلاميذه قائلاً لهما: اذهبا إلى المدينة وهناك سيلقاكما

رجل يحمل جرة ماء، فاتبعاه، وحيث يدخل قولا لرب البيت إن المعلم يقول: أين المكان الذى سآكل فيه الفصح مع تلاميذى؟ ولسوف يريكما قاعة عليا مؤثثة ومهيأة فأعدا لنا هناك... وفى المساء جاء مع الإثنى عشر، وفيما كانوا جلوساً إلى المائدة يأكلون قال يسوع: الحق أقول لكم إن واحداً منكم يا من **تأكلون معى سيسلمنى**.... وقال لهم: إنه واحد من الإثنى عشر، وهو الذى **يغمس يده معى فى القصعة**) (مرقس ١٤: ١٢ - ٢٠).

وكذلك قال الإنجيل للقديس لوقا:

(ثم جاء الفطير الذى كان ينبغى إن يُذبح فيه الفصح، فأرسل يسوع بطرس ويوحنا قائلاً: اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكله. فقالا له: أين تريد أن نعده؟ قال لهما: متى دخلتما المدينة، فسيلقاكما رجل يحمل جرة ماء فاتبعاه إلى البيت الذى يدخله، وقولا لرب البيت: يقول لك المعلم: أين القاعة التى فيها سآكل الفصح مع تلاميذى... ولما حان الوقت جلس إلى المائدة مع الإثنى عشر. وقال لهم: **شهوة اشتهيت أن آكل فصحى** هذا معكم قبل أن أتألم) (لوقا ٢٢: ٧ - ١٥) وانظر أيضاً (متى ٢٦: ١٧ - ٢٣).

يتضح إذن مما أورده الإنجيل المقدس أن المسيح له المجد أكل فعلاً الفصح مع تلاميذه ثم بعد ذلك قام عن العشاء وغسل الأرجل، ثم قدم أخيراً مائدة العشاء الربانى.

٧ - ما هى أوجه الشبه والإختلاف فى الفصح اليهودى والفصح الذى أعده رب المجد يسوع المسيح؟

الجواب :

إن المسيح له المجد تمم الفصح على النحو الذى كان يمارسه اليهود، ولذلك لم يجد قادة اليهود سبباً لإتهامه بمخالفة ناموسهم فى ذلك.

وقد مارس المسيح له المجد الفصح على النحو الذى أمر به موسى النبى، وما أضافه الأنبياء الذين أتوا بعد موسى ومنهم النبى داود، حيث كانوا يرتلون بعد الفصح تلاوات وتسابيح من مزامير النبى داود. قال الإنجيل للقديس متى عن السيد المسيح وتلاميذه (ثم تلوا التسابيح. وبعد ذلك خرجوا إلى جبل الزيتون) (متى ٢٦: ٣٠).

٦ ـ ننال الغفران بحق دم المسيح

سؤال : من الآنسة س. ن. ب.

إن مشكلتى هى عذابى من تأنيب ضميرى الذى يبكتنى على كل كبيرة وصغيرة أنه يدعونى إلى التدقيق فى كل شيء، ويكاد يقتلنى الحزن والألم على كل خطيئة وعلى كل خطأ بحيث أعيش فى عذاب متصل. وعندما أذهب لمقابلة مرشدى فى الإعتراف، وأعود إلى البيت، وأرى أننى نسيت أن أعترف بخطيئة ما، يعاودنى الألم النفسى الممض، ويزاولنى الشك فيما إذا كنت قد نلت الغفران كاملاً، فهل هذا الشعور مجرد وسواس، هل طريقتى فى الإعتراف خاطئة؟

الجواب :

إننا ننصح لهذه الإبنة أن تضع سر الاعتراف فى مفهومه الصحيح بإعتباره جزءا من سر التوبة، وعنصراً من عناصر أربعة للتوبة الحقيقية، فالتوبة تقوم على أربع خطوات تكمل بعضها البعض، أولها ـ الندم على الخطيئة والانسحاق القلبى وتأنيب الضمير، ثانيها : العزم الصادق على تجديد السيرة، وتصحيح المسيرة. وثالثها: الرجاء فى الله والثقة فى أبوته الرحيمة وأنه يسر بعودة الخاطىء ويفرح بخلاص الخاطىء وتوبته، ورابعها: الاعتراف بالقلب وبالفم لله على يد الكاهن. والتوبة نوعان: توبة شاملة عن كل الحياة الفاسدة والشريرة، ثم التوبة اليومية.

أما التوبة الشاملة فهى لمن سار فى طريق الرذيلة طويلاً، وشرد بعيداً عن الإيمان وعن الفضيلة.

وأما التوبة اليومية فهى توبة السائرين فعلاً فى طريق السماء وهذه التوبة اليومية هى الناتجة عن مراقبة النفس كل يوم ومحاسبتها على أخطائها يوماً بيوم، والاستغفار عن كل خطيئة وخطأ أولا بأول، ومواصلة العبادة ووسائط الخلاص من صلاة وقراءة فى الكتب الروحية، وصوم وتأمل، واعتراف وتناول من الأسرار المقدسة.

وعلى المؤمن السائر فى طريق التوبة أن يتبين أن الغفران لا يتم باستحقاق الاعتراف، إنما يتم باستحقاق دم المسيح فى سر القربان المقدس. إن بسر التوبة يعود الخاطىء إلى المسيح ويتوب إلى الله، ولكن سر القربان هو دم المسيح الذى فيه يغتسل الخاطىء التائب فينال غفران خطاياه. وليست التقوى والتدين وكل ضروب العبادة إلا أعمال طاعات ودلائل على احترامنا لله ولشريعته، لكن الغفران يناله الإنسان باستحقاقات دم المسيح فى سر القربان المقدس.

لذلك ثقي أيتها الإبنة إنك طالما أنت لا ترتكبين خطيئة تمنعك من التقدم إلى سر القربان، فإن خطاياك الفعلية تغسل يومياً في دم المسيح بسر القربان «ودم يسوع المسيح.. يطهرنا من كل خطيئة» (١ . يوحنا ١ : ٧)، (العبرانيين ٩ : ١٤)، إن الاعتراف بالخطيئة برهان على طاعتك للشريعة، ودليل على عدم تشبثك بها وعلى عدم تعلقك بها.

فإذا نسيت أو سهوتَ عن ذكر خطيئة ما، فلا تنزعجي ولا يستبد بك الشك، طالما أن النسيان لم يكن بقصد إخفاء الخطيئة. فالكاهن عندما يمنح الحل الكهنوتي بعد الاعتراف، فهو يعطيه عن الخطايا المقترفة بعلم وبغير علم، عن الخطايا التي صنعت بالفعل أو بالقول أو بالفكر، ومما هو جدير بالذكر أن جميع الخطايا ينال الإنسان عنها الغفران ليس بحق الاعتراف بل بحق دم المسيح في سر القربان. يقول الكتاب المقدس «أيها الأبناء إني أكتب إليكم بهذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدكم فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا. وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله أيضاً» (١ . يوحنا ٢ : ١، ٢) فالغفران نناله إذن بحق دم المسيح «وليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال الرسل ٤ : ١٢).

٧ ـ هل يجوز التقرب للأسرار المقدسة لمن لم ينل سر العماد على الطقس الأرثوذكسى؟

سؤال : من الإبن رأفت شوقى فهمى.

إنسان بروتسانتى يريد أن يتناول من الأسرار المقدسة، فرفض الكاهن أن يجرى له شيئاً من ذلك ما لم يرَ دليلاً على استحقاقه لنيل تلك الأسرار فذهب إلى كاهن آخر فناوله على الفور.؟

الجواب :

نجيب بأنه من حق الكاهن بل من واجبه أن يتثّبت من استحقاق الشخص لنيل الأسرار المقدسة. وإذا لم يتريث الكاهن واندفع بدون حساب للعواقب، إلى تقديم الشخص للأسرار المقدسة، فإن الدينونة عظيمة لذلك الكاهن المهمل لمقتضيات مسئوليته الكهنوتية.

إن مثل الكاهن المؤتمن على الأسرار المقدسة مثل صراف البنك. فإذا صرف مبلغاً لإنسان ما لم يتثبت من استحقاق ذلك الإنسان للمبلغ فإنه يدان عن إهماله، فضلاً عن أنه يطالب بالمبلغ الذى صرف لإنسان لا يستحقه. إن دينونة الكاهن أعظم من دينونة صراف البنك، قال الرسول بولس (فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً) (١ . كورنثوس ٤ : ١، ٢).

هذا ومما يجب الإشارة إليه أن هذا الأخ البروتسانتى يلزم بعد أن يتقابل مع الكاهن ويتثبت منه، أن يقبل سر العماد أولاً قبل أن يتقدم إلى سر التناول، إلا إذا كان قد سبق عماده فى الكنيسة الأرثوذكسية. فنحن لا نعترف بمعمودية البروتستانت لعدد من الأسباب.

٨ ـ ارفع عقلك فوق الحسابيات والهندسيات

سؤال : من السيد / سامى چورچ ديمترى ـ مصر الجديدة.

يسأل عن مصير التناول من الأسرار المقدسة، وما إذا كان القربان المقدس يخضع للعمليات الطبيعية التى يخضع لها كل طعام، ويسأل عن سر التحفظ من البصق أو نزف الدم لمدة تسع ساعات بعد التناول؟

الجواب :

إن القربان المقدس طعام روحانى سماوى. وهو فى حقيقته وجوهره ليس كمظهره، ولذلك ينبغى أن لا نبحث عن مصيره مادياً، ولا نستطيع أن نتابع إنتقاله فى عمليات جسدية طبيعية. لأنه لا يخضع لشيء من هذا. وعلى المؤمن الذى يعى بقلبه وعقله أنه سر، بل «سر جميع الأسرار» أن يرتفع بالإيمان فوق الحسابيات والهندسيات على ما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم. إذا كان سرا، والسر هبة خفية مستورة عن الحواس، فلا نعود نحتكم إلى الحواس فى حقيقة ترتفع وتعلو عن الحواس، وعن عالم الحس بالكلية. وإلا لم يعد فى الأمر سر ولم يعد هناك مجال للإيمان، إذ «الإيمان هو الإيقان بأمور لا ترى» (العبرانيين ١١ : ١).

اذكر ولا تنس قول المسيح له المجد «إن الريح تهب إلى حيث تشاء وأنت تسمع صوتها، ولكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مولود من الروح» (يوحنا ٣ : ٨).

والمعنى إننا فى مجال الروحانيات لا نحتكم إلى الحواس، وإلى العقل المادى، ولا نخضع الروحيات للمكيال والمقياس والمخبار والميزان، ولا نبحث فيها عن الحجم والوزن والكتلة وما إليها من مقاييس مادية تخضع لها المادة ولا تخضع لها الروح.

ألا ترى أن هناك حقائق روحية مادية يعجز العقل المادى عن تفسيرها، كما أننا لا نستطيع أن نُخضعها للمقاييس المعروفة فى عالمنا المادى، عالم الحواس؟

من منا يستطيع أن يفسر عقلياً وحسياً الميلاد البتولى للسيد المسيح، وكيف يتكون له جسد فى بطن العذراء من غير زرع رجل؟ ثم كيف خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة؟ إن هذا الأمر مستحيل طبيعياً، ولا يمكن قبوله عقلياً وحسياً وطبياً.. ولكنه مع ذلك قد حدث بالفعل. أما تفسيره فيدخل فى دائرة الروحانيات العالية على الطبيعة، ولذلك فإن هذا الميلاد البتولى للسيد المسيح هو برهان لاهوته، لأنه قد تفرد هو به، ولم يحدث له نظير.

وبنفس التعليل والتفسير نفهم كيف قام المسيح من القبر بينما كان القبر مغلقاً، وكيف دخل إلى العلية وأبوابها مغلقة، ولذلك لما رآه تلاميذه فزعوا وارتعبوا وقد ظنوا أنهم يرون روحاً أى شبحاً (لوقا ٢٤ : ٣٧) فقال لهم: «ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم. انظروا إلى يدى وإلى قدمى. إنى أنا هو بنفسى، جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى» (لوقا ٢٤ : ٣٨ ـ ٤١).

أيها الشاب ارفع عقلك فوق الحواس، واعلم أن الحياة المادية ذاتها بها أسرار وألغاز لا يحلها إلا الإيمان والتصديق بالواقع الذى قد يخفى تماماً عن عالم الشهادة والحواس.

هناك فى حياة النبات سرّ نسميه (سرّ الحياة) : لقد عرفنا مثلاً التركيب الجزيئى لثمرة كالتفاحة أو البرتقالة أو الثوم أو البصل... ويبدو منطقياً أنه يمكن بتجميع الذرات خلق أو تكوين تلك الثمرة ولكن الثمرة مع ذلك لا تتكون بجمع الذرات، فلماذا؟ لأن هناك (سرّ الحياة) الذى لا يمكن للعلماء أن يتوصلوا إليه أو يخلقوه بتجميع الذرات والجزئيات... ومثله (سرّ النمو)، وأسرار أخرى فى الطبيعة وعلى قول بعض العلماء إن فى الطبيعة أسرار كثيرة لم يعرف العلماء عنها شيئاً، وأنها تند وتسمو عن ذلك، وهى تنتمى إلى دائرة أخرى غير دائرة الحسيات والماديات، دائرة الروحانيات.

عندما تكلم المسيح له المجد مع نيقوديموس عن الميلاد الثانى، الميلاد الذى من فوق، وقال له «الحق أقول لك إن الانسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله» «فسأله نيقوديموس ببلاهة الحسيين الماديين «كيف يمكن أن يولد إنسان وهو شيخ، ألعله يقدر أن يدخل مرة أخرى فى بطن أمه ثم يولد» «فأجابه الرب يسوع: «المولود من الجسد هو جسد، والمولود من الروح هو روح لا تعجب إذ قلت لك أنكم ينبغى أن تولدوا ثانية من فوق. فإن الريح تهب إلى حيث تشاء وأنت تسمع صوتها ولكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مولود من الروح» (يوحنا ٣ : ٣ ـ ٨) ثم أضاف المسيح له المجد قائلاً: «إن كنت قد كلمتكم عن الأرضيات ولم تؤمنوا، فكيف تؤمنون إن كلمتكم عن السمائيات» (يوحنا ٣ : ١٢).

إن خير تعبير عن مصير القربان المقدس فى المتناول منه هو ما قاله القديس افرآم السريانى (٣٧٣ ـ ٣٧٩) المعروف بكنارة الروح القدس «إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به، ودمه أيضاً الطاهر يصب فى شراييننا ـ وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا» ويقول القديس

أوغسطينوس بلسان السيد المسيح «فإنك بذلك لا تحيلني إليك كما تحيل الأكل إلى جسدك، بل أنت تستحيل إليّ» (كتاب الاعترافات ـ الجزء ٧، فصل ١٠).

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم «كما تفعل النار بالشمع كيف أنها تذيبه من وجهها ولا تبقى نه أثراً، هكذا آمن بأن هذه الأسرار الإلهية تتحد في اقنوم الجسد» (الدر المنتخب في مقالات القديس يوحنا فم الذهب).

ويقول القديس ذهبي الفم أيضاً «إنه (أي المسيح) لم يكتف بأن يصير إنساناً، ويضرب ويذبح عنا، بل أراد أيضاً أن يمزج ذاته فينا، وأن نصير معه جسداً واحداً، ليس فقط بالإيمان، بل فعلياً، وفي الحقيقة أيضاً»، فإن الذي لا تنظر إليه الملائكة إلا بالخوف والرعدة من أجل البهاء الصادر من اقنومه. يغذينا بجوهره... ونصير معه جسداً واحداً» (عظة ٨٣: ٥ على إنجيل متى).

أما الامتناع عن البصق لمدة ٩ ساعات بعد التناول من القربان المقدس فهذه المدة اصطلحت الكنيسة على أنها أقل ما يلزم الاحتراس فيها من البصق أو نزف الدم، توقيراً للنعمة، ولفتاً للنظر إلى قداسة الموهبة والعطية التي ينالها المؤمن في سّر القربان.

٩ ـ لا يتأخر المسيحى عادة عن التناول من المائدة الربانية أكثر من أربعين يوماً

سؤال : من الإبن إكرام برسوم جورجى ـ سوهاج.

سمعت من يقول إن من يمتنع عن التقرب من الأسرار المقدسة أكثر من أربعين يوماً يصير محروماً من شركة الكنيسة، فأنزَعَجْتُ، ولذلك أرجو توضيح هذا الأمر، والإفادة إذا كان هناك قانون كنسى ينص على ذلك.

الجواب :

إن تعليمنا الكنسى المنصوص عليه فى الكتب المقدسة أن المائدة الربانية هى الخبز الحى النازل من السماء، وهو لذلك (شجرة الحياة)،. قال المسيح له المجد إنه هو الكرمة الحقيقية، وتلاميذه والمؤمنون هم الأغصان فى الكرمة (يوحنا ١٥ : ١، ٥). وإذاً إنه لا حياة للغصن من ذاته وإنما حياته يستمدها من عصارة الحياة التى فى الكرمة (يوحنا ١٥ : ٤).

فلا غنى للمسيحى عن المائدة الربانية. وكما أن كل كائن حى لابد له أن يأكل ليحيا، هكذا الإنسان الروحانى لابد له أن يأكل من شجرة الحياة ليحيا (فإن الذى يأكلنى يحيا بى) (يوحنا ٦ : ٥٧).

لذلك توصى الكنيسة أبناء الإيمان المسيحى بالتناول بتواتر وإنتظام من المائدة الربانية، لأنه ما لم يأكلوا منها فلا حياة لهم روحية أو أبدية من غيرها. (يوحنا ٦ : ٥٣).

لذلك جاء فى كتاب القداس أو الخولاجى ما ينص على أنه بعد الإنتهاء من صلوات خدمة القداس، ويبدأون فى التناول من المائدة الربانية، ينص الخولاجى وهو كتاب القداس، نقلاً عن قوانين الرسل (قانون ٥٢) وقوانين مجمع نيقية المسكونى الأول (قانون ١٧):

(وليتقرب الأسقف أولاً، وبعده القسوس والشمامسة، وبعدهم جميع الشعب. وبعد الذكور يتناول النساء. وليرتل إلى أن يتناول القربان **كافة المؤمنين**).

وعبارة **جميع الشعب، وكافة المؤمنين**، تفيد أنه من المفروض أن يتقرب من الأسرار المقدسة **جميع الشعب المسيحى الحاضر**، إلا الممنوعين من ذلك بحكم كنسى.

على أن القاعدة الأساسية هى أن **القداس وليمة سمائية. وجميع المؤمنين من المسيحيين مدعوون لهذه الوليمة**، فليس من اللياقة، وقد لبوا الدعوة إلى الوليمة أن يمتنعوا عنها بغير عذر قانونى. إن إمتناعهم إهانه لصاحب الوليمة.

ولذلك نصت القوانين الكنسية على أنه إذا حضر المسيحى القداس، كاهناً كان أو شماساً أو عامة المؤمنين.. ثم امتنع عن التناول وجب عليه أن يبين سبب إمتناعه، وإلا عد إمتناعه إهانة.

جاء فى قوانين الرسل:

(أيما أسقف أو قس أو شماس أو أحد من الزمرة الكهنوتية لا يتناول من القربان المقدس عندما تصير تقدمة القربان، فليعلن عذره. فإن كان العذر مقبولاً، فليصفح عنه، وإذا لم يقل السبب فليقطع من الشركة، لأنه سبب شكاً ومعثرة للشعب، وسوء ظن فى الذى قدم القربان) (القانون الثامن من قوانين الرسل).

ويستفاد من كتابات الآباء ومن تعاليمهم الروحانية أنه يجب أن يقبل المؤمن على المائدة الربانية ليغتذى منها روحياً ويتقوت بها للحياة الأبدية.

وكما أنه من المعروف فى حياة الجسد، أن أقصى مدة يتحملها جسد الإنسان بغير طعام هى **أربعون يوماً، فإذا زادت المدة عن الأربعين تدهورت صحة الإنسان** وتدمر شيئاً فشيئاً جسده. ولذلك فإن أقصى مدة أمكن للأنبياء أن يمتنعوا فيها عن الطعام هى أربعون يوماً.

فموسى امتنع عن الطعام **أربعين يوماً** مرتين كما نعلم (الخروج ٢٤: ١٨) (٣٤: ٢٨)، (التثنية ٩: ٩، ١٨).

وإيليا النبى امتنع عن الطعام مرة **أربعين يوماً** ولم يزد (١. الملوك ١٩: ٨).

وكذلك المسيح له المجد عندما صام بعد عماده لم يزد عن **الأربعين** يوماً، (متى ٤: ٢) مع قدرته أن يفعل ذلك بسلطان لاهوته المتحد بناسوته. لكنه لم يشأ، وذلك ليرسم أمام الإنسان الطريق المثالى والنموذجى الذى ينبغى عليه أن يسلكه، (تاركاً لنا مثالاً لنتبع خطواته) (١. بطرس ٢: ٢١)، (يوحنا ١٣: ١٥)، (متى ١١: ٢٩)، (فيلبى ٢: ٥)، (١. يوحنا ٢: ٦).

لذلك وقياساً على هذه القاعدة فى حياة الجسد، قال بعض آباء الكنيسة **إنه ينبغى أن لا يمتنع المسيحى بإرادته عن المائدة الربانية أكثر من أربعين يوماً، وإلا فإنه بهذا الإمتناع من دون حكم كنسى يعرض حياته الروحية للتدمير. وقال بعض الآباء**

أيضاً إن من يمتنع عن المائدة أكثر من أربعين يوماً بدون ضرورة، يعطى فرصة للشيطان والأرواح النجسة أن تتسلط عليه، وتنفذ إلى جسده.

جاء فى كتاب (الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة تأليف العالم العلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع).

(.. والحذر من التأخير.. وإذا مر عليه أربعون يوماً ولم يتناول فيها القربان بدون أمر شرعى يمنعه، فقد حرم من الحياة باختياره، وفتح للعدو بابا للسكن فيه، ولم يتوجه إلى معلم البيعة ويعرض عليه أفكاره ويعطيه القانون اللائق بخطيئته لمدة معلومة ومطانيات وصلوات كثيرة، حتى إذا عمل ما يرضى معلمه ومرشده ومتولى خلاص نفسه، فحينئذ يعطيه الإذن بتناول القربان فيتقدم ويتناول) (الباب ١١٣).

واعلم أنه لهذا السبب تعد أقسى وأكبر عقوبة كنسية توقع على مسيحى هى منعه من المائدة الربانية، وهذا هو ما يعرف بالحرم أو الحرمان من شركة الكنيسة.

وعلىّ ذلك فإن من يمتنع بإرادته عن المائدة الربانية، إهمالاً وإستهتاراً، فإنه يكون قد قطع نفسه من شركة المسيح والكنيسة، أى أنه من دون قرار أو حكم كنسى هو الذى قطع الحبل والرباط الذى يربطه بالمسيح وبالكنيسة.

وإذا كانت المائدة الربانية هى سر الشركة، وسر القربان هو شركتنا مع المسيح وشركتنا مع بعضنا بعضا فى الكنيسة، فإن من يمتنع بإرادته عن المائدة الربانية بغير ضرورة قانونية، **أكثر من أربعين يوماً فقد قطع نفسه بإرادته من شركة المسيح والكنيسة.**

ألم يقل الكتاب المقدس (كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح؟ الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد..) (١. كورنثوس ١٠: ١٦ ـ ٢١)، (أعمال الرسل ٢: ٤٢، ٤٦)، (١. كورنثوس ١١: ٢٣، ٢٤) (١٢: ٢٧) (رومية ١٢: ٥)، (متى ٢٦: ٢٦ ـ ٢٨).

جاء فى سيرة القديس مقاريوس الكبير (كان فى مدينة مصر رجل مؤمن وكانت له إمرأة صالحة خائفة من الله، وكانت جميلة جداً. وقد أقامت مع زوجها زماناً طويلاً بتقوى الله. فحسدها الشيطان، وأرسل إليها إنساناً فاسقاً كان الشيطان ساكناً فيه، لأنه كان يعمل أعماله الشريرة. فهذا الرجل الشرير إلتمس من المرأة الصالحة مراراً كثيرة أن يزنى معها، فلم تسمع له،

وظلت على ودها لزوجها.. فلما رأى ذلك الرجل الشرير أن المرأة المؤمنة لم تذعن له فى شىء مما إلتمسه منها، مضى إلى السحرة وعرفهم خبره، وقال لهم: إن أمكنكم أن تجعلونى أن أصل إلى غرضى من هذه المرأة، فإنى أدفع لكم فضة ليست بقليلة، وإلا فاجعلوا الشيطان يدخل فيها ويطرحها فى النار لتهلك.

فأجابه السحرة وقالوا له: نحن نعمل خيالات مطغية مخفاة عن عيون الناس تجعلهم ينظرونها شبه فرس... فإذا رآها زوجها شبه فرس أبعدها عن بيته ومن ثم يمضى فيبيعها.

وقام السحرة بعملهم. ولما دخل زوج المرأة إلى بيته رآها بغتة شبه فرس مضطجعة على الفراش ولم تنطق بكلمة لمدة ثلاثة أيام. ولما قدم لها زوجها طعاماً لم تأكل، وشراباً فلم تذقه، فصار فى حزن عظيم. وعندئذ مضى فعرف الكهنة وشيخ القرية أو الضيعة، فلما جاءوا ونظروها تعجبوا تعجباً عظيماً.

ثم قال له أحد الكهنة. إن قبلت مشورتى التى أشير بها عليك أيها الإنسان، قم وخذ زوجتك وامض بها إلى عمود النور، الأب مقاريوس، فإن الرب الساكن فيه يشفيها ويعرفك خبرها فلما ذهب بها الرجل إلى الأب مقاريوس، تناول القديس ماء فى إناء من فخار وصلى عليه، ثم رش منه على المرأة ورشمها برشم الصليب المحيى. وللوقت ظهرت كما كانت أولاً إمراة حسنة المنظر فسبح زوجها الله بارىء الخليقة كلها، ومجده معه كل من كان حاضراً. والمرأة نفسها خرت ساجدة للقديس مقاريوس، وأخذت تقبل قدميه مسبحة الله تعالى.

فقال لها القديس مقاريوس: إن هذه التجربة لم تلحق بك **إلا لأنك مكثت خمسين يوماً لم تتناولى من الأسرار المقدسة** التى هى جسد ودم ربنا يسوع المسيح ابن الله، وإنما أكلت لحماً كل تلك المدة من الأيام. فلهذا السبب قوى عليك الشيطان، لأنك أحببت اللحم أكثر من القربان، فحلت بك هذه المحنة. أما الآن فصومى إلى المساء، **وتناولى من الأسرار المقدسة دائماً**، ولا تَفْتَرى دائماً عن الصلاة أمام الله، لئلا يصيبك أيضاً شىء ردىء آخر. وعاد الزوجان إلى بلدهما مسرورين).

(عن كتاب دير السريان يُقَدِّم سير ثلاثة المقارات القديسين صفحة ٤٠ ـ ٤٣).

١٠ ـ جسد المسيح الذى نتناوله
هو الذى ولد به والذى قام به

سؤال : من الإبن بطرس سعد بطرس ـ دير البرشا ـ ملوى.

هل جسد المسيح الذى نتناوله فى المائدة الربانية، هو جسده الذى أخذه من والدته العذراء مريم، وهل هذا وحده كاف لغفران الخطايا أم هو جسده الذى قام به.. لأنه معروف أن اللاهوت نار آكلة؟

الجواب :

نعم، إن **جسد المسيح الذى نتناوله فى المائدة الربانية هو بعينه الجسد الذى أخذه المسيح له المجد من العذراء القديسة مريم.**

وهذا هو ما يصرح به الكاهن صراحة ويعلنه فى الاعتراف الأخير فى القداس وهو حامل الصينية إلى فوق، ومشيراً بيديه قائلاً:

(آمين، آمين، آمين، أؤمن، أؤمن،أؤمن. وأعترف إلى النفس الأخير، أن هذا هو الجسد المحيى الذى اتخذه ابنك الوحيد ربنا، وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم وجعله متحداً مع لاهوته بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير وبذله عنا كلنا على خشبة الصليب المقدسة، بإرادته وحده. بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة، ولا طرفة عين يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه. أؤمن، أؤمن، أؤمن، أن هذا هو بالحقيقة، آمين).

واعلم أيها الابن أن المسيح له المجد قد **قام من بين الأموات بذات الجسد الذى اتخذه من العذراء القديسة مريم**، ولذلك فإنه **احتفظ فى جسده بالثقوب فى يديه وقدميه وجنبه** برهاناً محسوساً على أنه هو بعينه الجسد الذى ذاق فيه الموت بالصليب، وقال لتلميذه... توما (**هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى**، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً) (يوحنا ٢٠ : ٢٧)، وقال لتلاميذه مجتمعين (ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم؟ **أنظروا إلى يدى وإلى قدمى، إنى أنا هو بنفسى. جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى)، وفيما كان يقول هذا أراهم يديه وقدميه)** (لوقا ٢٤ : ٣٨ ـ ٤٠).

وإذن **فجسد المسيح له المجد الذى اتخذه من العذراء القديسة مريم، هو بعينه الجسد الذى ظهر فيه** كل مدة رحلته على الأرض، **وهو ذات الجسد الذى صلب فيه، وذاق الموت، وهو بذاته الجسد الذى قام فيه من بين الأموات، ولم يعتوره تغير.** وهو ما ينص عليه القداس الإلهى أيضاً فى صلاة الحجاب (للقداس الغريغورى) والتى يتلوها الكاهن ويقول فيها (أنت الذى أتى إلينا **بجسده الغير المتغير**، وملأت الكل بلاهوتك الغير المحصور).

ونحن حينما نتناول من المائدة الربانية نتناول جسد المسيح متحداً بلاهوته.

وحقاً إن (إلهنا نار آكله) (العبرانيين ١٢: ٢٩)، (الخروج ٢٤: ١٧) على أننا إذ نتناول من المائدة الربانية (دمه يصب فى شرايينا، وجسده يتحد بجسدنا، ولاهوته المتحد بجسده يدخل فينا)، فهو الجمر الذى يحرق خطايانا ويطهرنا من كل إثم وشر وفساد ونجاسة، ثم (ينير) بصائرنا بتوهجه فينا، ويفتح عيوننا، (ويلهب) قلوبنا بمحبته، و(يشعل) فينا نار محبته ويضرمها، فتتوقد بالروح دون أن تحترق الروح فينا، وإنما نبلغ إلى الاتحاد بالروح.

وحذار أيها الابن أن تتحدث عن جسد المسيح وتميز فى المسيح - على حد تعبيرك - بين جسد ممجد وجسد غير ممجد. **إن جسد المسيح واحد، هو بعينه الجسد الذى اتخذه من مريم العذراء، وهو بذاته الذى يتناوله المؤمنون فى المائدة الربانية. وهو المتحد بلاهوته منذ التجسد بغير اختلاط ولا امتزاج، ولا تغيير ولم، ولا، ولن، يفارقه لحظة واحدة ولا طرفة عين.**

١١ ـ ترتيب التناول من القربان المقدس

سؤال: من السيد/جميل عزمى يوسف ـ بنى عليج ـ اسيوط.

عندما أخذ المسيح له المجد الخبز شكر وباركه وكسر، وأعطى لتلاميذه (لوقا ٢٢ : ١٧)، وعندما أخذ الكأس شكر وبارك ودفعها لتلاميذه وقال لهم خذوا هذه اقتسموها بينكم (لوقا ٢٢ : ١٩) فهل يصنع الكاهن مثل ذلك، أى هل يعطى الشعب وجماعة المؤمنين كما أعطى السيد المسيح تلاميذه؟.

الجواب:

إن المسيح له المجد أخذ الخبز وبعد أن باركه وقدسه «قسمه وناول تلاميذه، وقال خذوا كلوا...» وبعد أن بارك الكأس وقدسها «ناولهم قائلا: اشربوا منها كلكم... فشربوا منها كلهم» (متى ٢٦ : ٢٦ ، ٢٧)، (مرقس ١٤ : ٢٢ ، ٢٣)، (لوقا ٢٢ : ١٩ ، ٢٠).

أما قوله «خذوا هذه واقتسموها بينكم» (لوقا ٢٢ : ١٧) فهذه العبارة قالها الرب يسوع لا عن كأس التناول بل عن كأس الفصح السابق على التناول، وقد كانوا يشربون أثناء أكل خروف الفصح أربع كؤوس من الخمر، وهم يرتلون المزامير: كأس المرارة، وكأس الفرح، وكأس البركة، وكأس التهليل وهذا طبقا للترتيب المعمول به بعد عهد داود النبى.

والدليل على أن الكأس التى تشيرون إليها فى سؤالكم هى كأس الفصح لا كأس العشاء الربانى، هو قول الإنجيل للقديس لوقا «وقال لهم: شهوة اشتهيت أن آكل فصحى هذا معكم قبل أن أتألم، لأنى أقول لكم إنى لم آكله بعد حتى يتم فى ملكوت الله ثم تناول كأساً وشكر وقال: «خذوا هذه اقتسموها بينكم فإنى أقول لكم إنى لن أشرب من عصير الكرمة بعد الآن حتى يأتى ملكوت الله، وأخذ خبزا وشكر وقسمه وناولهم قائلا: ... اصنعوا هذا لذكرى وكذلك ناولهم الكأس بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم...» (لوقا ٢٢ : ١٥ - ٢٠)

ولعل الكأس الأول التى يشير إليها الإنجيل للقديس لوقا هى الكأس الرابعة من كؤوس الفصح ولعلها «كأس التهليل» وقد تناولها أثناء تناول الفصح بدليل قوله «شهوة اشتهيت أن آكل فصحى هذا معكم قبل أن أتألم. لأنى أقول لكم إنى لن آكله بعد الآن حتى يتم فى ملكوت الله» (لوقا ٢٢ : ١٥ ، ١٦) مشيرا بهذا إلى أنه يختم العهد القديم بتناوله الفصح ويتممه بتأسيس العشاء الربانى للعهد الجديد (ملكوت الله).

أما أن المسيح له المجد قال لتلاميذه بعد أن بارك كأس العهد الجديد وقدسها: «اشربوا منها كلكم.. فشربوا منها كلهم..». فقد كان الوضع الأول أن يشربوا من الكأس مباشرة... أما استخدام الملعقة (المستير) فقد أمرت به الكنيسة بعد ذلك تمثلا بما صنعه أحد السيرافيم مع إشعياء النبى كقوله «فطار إلي واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، ومس بها فمي، وقال ها إن هذه قد مست شفتيك فأزيل إثمك وكفر عن خطيئتك» (إشعياء ٦ : ٦، ٧).

وفى صلاة (القسمة) الواردة فى القداس المرقسى الكيرلسى، ترد الإشارة واضحة:

وكما طهرت شفتى عبدك إشعياء النبى، إذ أخذ أحد السيرافيم جمرة بالكلبتين من على المذبح، وطرحها فى فيه، وقال له: إن هذه قد لمست شفتيك، ترفع آثامك، وتطهر جميع خطاياك... هكذا نحن أيضاً الضعفاء الخطاة عبيدك الطالبين رحمتك، تفضل طهر أنفسنا وأجسادنا وشفاهنا وقلوبنا، واعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التى هى الجسد المقدس والدم الكريم...».

وجاء فى صلاة التكريس للمستير (الملعقة) Myster :

يقول الأسقف: «يا الله الذى جعل عبده إشعياء النبى مستحقا لأن ينظر السيرافيم والملقط فى يده إذ أخذ بها الجمرة من على المذبح، وطرحها فى فمه، الآن، يا الله الآب القادر على كل شيء، ابسط يدك على هذه الملعقة التى يناولون بها الجسد المقدس الذى لإبنك الوحيد، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. باركها. قدسها. امنحها قوة وكرامة الملقط الذى كان بيمين أحد السيرافيم. فإن لك القدرة والمجد والعزة، مع ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا والروح القدس، الآن وكل أوان.....».

ويلاحظ أن إستخدام (الملعقة - المستير) فى التناول ترتيب قديم، تشاركنا فيه الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية، والكنيسة الهندية الأرثوذكسية، كما تشاركنا فيه جميع كنائس الروم التى تتبع الطقس البيزنطى، ومنها كنائس اليونان وروسيا ورومانيا وبلغاريا ويوجوسلافيا... على أن المتبع فى كنيستنا الأرثوذكسية والكنائس الأرثوذكسية الأخرى، أنه إذا كان البطريرك هو خادم القداس، ومعه مطارنة وأساقفة يشاركونه الخدمة، فإنه لا يناولهم بيده من الأسرار المقدسة وإنما يدعهم يتناولون بأيديهم مباشرة من الصينية ثم من الكأس. وكذلك يفعل المطران والأسقف مع زملائه المطارنة والأساقفة، وبالمثل يصنع القمص والقسيس مع زملائه القمامصة والقسوس.

ولا يناول الكاهن الخديم بيده إلا من هم دونه فى الدرجة، كما يفعل البطريرك أو المطران أو الأسقف بالنسبة للقسوس والشمامسة والشعب، أو كما يفعل القسيس بالنسبة للشمامسة والشعب.

١٢ ـ لماذا ذاق المسيح قبل أن يعطيهم الكأس؟

سؤال : من أحد الآباء الرهبان:

لماذا نقول فى القداس الإلهى: «وذاق وأعطاه لتلاميذه القديسين» والسؤال هو : لماذا ذاق قبل أن يعطيهم الكأس؟

الجواب :

على ما أعلم هو ـ أنه على الرغم من أنه لم يرد فى رواية الأناجيل والرسائل أنه «ذاق» (متى ٢٦ : ٢٧)، (مرقس ١٤ : ٢٣)، (لوقا ٢٢ : ٢٠)، (رسالة كورنثوس الأولى ١١ : ٢٥) إلا أنه قد ورد فى قداساتنا الثلاثة المعروفة ـ القداس المرقسى أو الكيرلسى، والقداس الباسيلى، والقداس الغريغورى، وكذلك فى قداسات الكنائس الرسولية الأخرى أنه «ذاق». من ذلك قداس الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية.

Divine Liturgy Of The Armenian Apostolic Orthodox Church, New York, 1950 p. 69 b.

The Liturgy Of The Ethiopian Church, 1959 p. 201.

أقول، إن هذا الدليل على أن التقليد المتواتر هو سندنا فى أن مخلصنا قد ذاق الكأس قبل أن يعطيها لتلاميذه القديسين ليشربوا منها.

ومع أنه لم يرد عن مخلصنا أنه أخذ من الخبز الذى أعطاه لتلاميذه (متى ٢٦ : ٢٦)، (مرقس ١٤ : ٢٢)، (لوقا ٢٢ : ١٨)، (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٣، ٢٤)إلا أن التقليد، بين، كما قلنا أنه ذاق من الكأس قبل أن يعطيها لتلاميذه.

ويبدو أن السر فى ذلك هو أن الكأس ـ فيما هى كأس دم المسيح المسفوك من أجلنا ـ هى أيضاً تشير حسيا وظاهريا إلى آلامه التى سيذوقها على الصليب فى اليوم التالى.

وهو تعبير استخدمه رب المجد فى هذا المعنى فى أكثر من موضع.

فعندما سألته أم ابنى زبدى عن إبنيها يعقوب ويوحنا أن يجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فى مملكته الآتية، وجه الرب خطابه إلى التلميذين وقال» أفتستطيعان أن تشربا الكأس التى سأشربها أنا»، «ولما قالا له «نستطيع، قال لهما: أما الكأس التى سأشربها أنا فستشربانها...» (مرقس ١٠ : ٣٥ – ٣٩)، (متى ٢٠ : ٢٠ – ٢٣) وهو يعنى هنا بالكأس كأس الآلام بالصليب.

واستخدم أيضاً كلمة الكأس بمعنى الألم فى صلاته ليلة آلامه فى بستان جثسيمانى حيث كان يصلى قائلا «يا ابتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس» (متى ٢٦ : ٣٩) «ثم ذهب ثانية وصلى قائلا: «يا ابتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس ولم يكن بد من أن أشربها فلتكن مشيئتك» (متى ٢٦ : ٤٢) انظر أيضاً (مرقس ١٤ : ٣٦)، (لوقا ٢٢ : ٤٢).

وعندما ضرب سمعان بطرس أذن عبد رئيس الكهنة فقطعها قال الرب يسوع لبطرس «رد سيفك إلى مكانه، الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها؟» (يوحنا ١٨ : ١١).

والإشارة نفسها صريحة إلى الألم وقد ورد عنه أنه قبيل الصلب «أعطوه خمرا ممزوجة بمرارة ليشرب. فلما ذاقها أبى أن يشربها» (متى ٢٧ : ٣٤).

ولذلك فإن من هنا جاء تعبيرنا الكنسى المستخدم فى الأجبية وفى مواضع أخرى «يامن ذاق الموت بالجسد...» (مطلع أولى قطع صلاة الساعة التاسعة).

والخلاصة إن ربنا يسوع المسيح قد ذاق الكأس قبل أن يعطيها لتلاميذه إشارة إلى كأس الآلام التى سيشربها. وقد شربها بالفعل.

أما الخبز فلم يأكل منه قبل أن يعطيه لتلاميذه لأن فعل الكسر فى جسده هو فعل اليهود والرومان. لافعله هو.

فالاستعارة فى الكأس واضحة وكذلك وجه الشبه بين ذوق كأس دمه وذوق كأس الآلام.

١٣ ـ الوضع الأمثل فى توزيع الأسرار على المتناولين

سؤال : من العزيز المبارك الأب الموقر القمص منسى فلتاءوس.

ما هو الموضع الأمثل والأصح فى توزيع الأسرار المقدسة على المتناولين؟ وما إذا كان يجوز فى بعض الأحيان فى كنيسة لا يوجد بها غير كاهن واحد وشيخ متقدم فى الأيام، أن يقرب الشعب من جسد المسيح ودمه معاً وفى وقت واحد، وذلك بأن يسكب من الدم المقدس على الجواهر المقدسة فى الصينية.

الجواب :

أقول إن الوضع الأمثل، بل هو الوضع الأصيل أن يقرب الكاهن المتناولين من جسد المسيح أولاً، وبعد ذلك يقربهم من الكأس المقدسة.

وغير خاف أن مخلصنا وفادينا يسوع المسيح هكذا صنع: (أخذ يسوع خبزاً وباركه وقسمه، وناول تلاميذه، وقال: خذوا كلوا، فإن هذا هو جسدى. ثم أخذ كأسا وشكر، وناولهم قائلا: اشربوا منها كلكم، فإن هذا هو دمى للعهد الجديد، الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة خطاياهم. فشربوا منها كلهم) (متى ٢٦ : ٢٦ – ٢٨)، (مرقس ١٤ : ٢٢ – ٢٤)، (لوقا ٢٢ : ١٩، ٢٠)، (١ . كورنثوس ١١ : ٢٣ – ٢٥).

وهكذا جرى التقليد فى جميع الكنائس الرسولية منذ الابتداء، كما هو واضح فى كتب الخولاجى Ⲉⲩⲭⲟⲗⲟⲅⲓⲟⲛ وكما هو منصوص عليه فى كتابات الآباء فى العصور الأولى، وفى كتب التاريخ الكنسى.

ولهذا السبب، يقتضى الأمر فى أيام الآحاد والأعياد، ولا سيما فى المدن الكبرى، أن يخدم القداس أكثر من كاهن وشماس. فإن للشماس الدياكون (وهو الشماس الكامل) أن يقرب الشعب من الكأس المقدسة.

ونحن نرى إلى اليوم، فى البلاد التى يكثر فيها المسيحيون، وخصوصا فى أيام الآحاد والأعياد والمناسبات الكبيرة (مثل خميس العهد)، يقوم الكاهن الخديم أو الخادم الأساسى عند نهاية القداس، بتوزيع (الحمل) على عدد من الصوانى (جمع صينية) وكذلك يصب ما فى الكأس المقدس على عدد من الكؤوس. ثم يقوم عدد من الكهنة، وعدد من الشمامسة الدياكونيين (والدياكون هو الشماس الكامل الذى يحق له تقريب الشعب من الكأس المقدسة) بتوزيع الأسرار المقدسة، وبهذا يتمكنون من تقريب المتناولين جميعا فى زمن قصير.

وإذا كانت الكنيسة فى أزمنة ماضية قد أباحت للضرورة القصوى، فى الآحاد والأعياد وحيث يكون عدد المتناولين من الأسرار المقدسة كبيراً، ولا يوجد بالكنيسة غير كاهن واحد خديم، أن يقرب المتناولين من القربان المقدس بسكب الدم المقدس على الجواهر المقدسة من جسد المسيح، أو يغمس كل جوهرة فى الكأس ثم وضعها فى فم المتناول.

وهذا هو المسموح به والمعمول به، فعلاً، عندما يحمل الكهنة الأسرار المقدسة فى (حق الذخيرة) إلى بيوت المؤمنين المرضى، أو من هم فى المستشفيات أو فى السجون (كما كان يحدث فى الأزمنة القديمة).

وذلك كما ورد فى كتاب (الخولاجى الكبير) (١) فى نهاية القداس فى باب (ترتيب التناول)، قوله:

(وإذا ناول الكاهن الخدام وجميع الشعب، الجسد الطاهر بلا دم، يقول (الجسد الذى لعمانوئيل إلهنا. هذا هو بالحقيقة آمين... وإذ ناول **الجسد مصبوغا بالدم**، يقول: الجسد والدم الذى لعمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين).

ولكن الوضع الأمثل بل الوضع الأصيل كما قلنا أن يقرب الكاهن المتناولين من جسد المسيح أولاً، وبعد ذلك يقربهم من الكأس المقدسة.

---

(١) الخولاجى المقدس - كتاب الثلاث القداسات مع صلوات أخرى - وهو مصحح ومستوفى الترتيب على يد القمص عبد المسيح صليب - ص ٤١٦ - القاهرة ١٩٠٢م - ١٦١٨ش.

١٤ ـ الغفران بدم المسيح

سؤال : من أحد الآباء الكهنة.

يقول بلسان بعض المسيحيين إذا كان عطاء المسيح له المجد فى سر القربان والمائدة الربانية هو عطاء آخر غير ذبيحة الصليب، فما هو الفرق بين الغفران الذى يناله المؤمنون بتناولهم من المائدة الربانية، والغفران الذى يناله المؤمنون من ذبيحة الصليب، أو بالأحرى لماذا كانت ذبيحة الصليب؟

الجواب :

الفرق بين الغفران الذى يناله المؤمنون فى المائدة الربانية، والغفران الذى ينالونه فى ذبيحة الصليب، **أن الغفران فى سر القربان والمائدة الربانية هو عن الخطايا الفعلية اليومية التى ارتكبها ويرتكبها الإنسان بعد المعمودية. أما فى ذبيحة الصليب فقد قبل المسيح الفادى موت الصليب فى جسده بدلاً من آدم وبنى آدم**، ففداهم من الحكم بالموت المحكوم به عدلاً على آدم وبنيه (**إن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعاً أخطأوا فيه**) (رومية ٥ : ١٢)، (التكوين ٢ : ١٧)، (٣ : ٣، ١٩)، (٦ : ٢٣)، (يعقوب ١ : ١٥)، (١ . كورنثوس ١٥ : ٢١)، (رومية ٥ : ١٧).

إن المسيح بموته على الصليب كان كفارة عن آدم وبنيه (**فهو كفارة عن خطايانا**، وليس عن خطايانا وحدها، بل عن خطايا العالم كله) (١ . يوحنا ٢ : ٢)(ولكنهم نالوا البر مجانا بنعمته، **بفضل الفداء الذى قام به المسيح يسوع، والذى جعله الله كفارة فى دمه لكل من يؤمن به**) (رومية ٣ : ٢٤، ٢٥) (بل هو الذى أحبنا وأرسل ابنه **كفارة لخطايانا**) (١ . يوحنا ٤ : ١٠)، (٢ . كورنثوس ٥ : ١٨، ١٩) (**فإذا كنا، ونحن أعداء قد تصالحنا مع الله بموت ابنه**) (رومية ٥ : ١٠)، (أفسس ٢ : ١٦) (**الذى لم يضن بابنه، بل بذله إلى الموت من أجلنا أجمعين**) (رومية ٨ : ٣٢).

والغفران الذى حققه المسيح الفادى بموته على الصليب بدلاً من الإنسان، يناله المؤمنون فى المعمودية، ذلك أن المعمودية هى القناة التى ينقل بها الروح القدس فى سر العماد استحقاقات المسيح الفادى الكفارية

(فمن آمن واعتمد خلص) (مرقس ١٦ : ١٦) (توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح فتغفر خطاياكم) (أعمال ٢ : ٣٨)، (أعمال ١٦ : ٣٠- ٣٣) (وكان هذا رمزا **للمعمودية التى تخلصكم** الآن أنتم أيضاً، لا بإزالة وسخ الجسد، بل بعهد صادق النية مع الله بقيامة يسوع المسيح) (١. بطرس ٣ : ٢١) (أحب المسيح الكنيسة **وضحى بنفسه من أجلها ليقدسها ويطهرها بماء الاغتسال وبالكلمة**) (أفسس ٥ : ٢٦)، (الجليان - الرؤيا ١ : ٥).

أما الخطايا التى يرتكبها المؤمن بعد المعمودية، وبها يكرر من جديد خطيئة آدم الأول، الأمر الذى يحتاج إلى دم المسيح (وليس بأحد غيره الخلاص) (أعمال الرسل ٤ : ١٢)، (متى ١ : ٢١) **هذه الخطايا تغفر فى سر القربان** (ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة)، (١. يوحنا ١ : ٧)، (١. كورنثوس ٦ : ١١)، (أفسس ١ : ٧)، (العبرانيين ٩ : ١٤)، (١. بطرس ١ : ١٩).

من هنا فإن المائدة الربانية وسر القربان هى بعينها ذبيحة الصليب ولكن من غير سفك دم المسيح من جديد، لأنه سفك مرة واحدة على الصليب، وأما إستحقاقاته فتشمل الذين يأخذون منه فى سر القربان إلى الأبد، وهذا هو معنى قوله **(إذ هو حى كل حين ليشفع فيهم)** (العبرانيين ٧ : ٢٥)، (٩ : ٢٤)، (رومية ٨ : ٣٤)، (١. تيموثيئوس ٢ : ٥)، (١. يوحنا ٢ : ١).

١٥ ـ بالتناول ننال الخلاص والغفران والحياة الأبدية

سؤال : من أحد الآباء الكهنة فى المهجر.

معروف كما تعلمنا فى الكنيسة أن كل الأسرار الكنسية تستمد قوتها وفاعليتها من ذبيحة الصليب بما فى ذلك سر الأفخارستيا، سر الشكر والقربان ومعروف كتابيا أن المسيح سلم هذا السر لتلاميذه قبل أن يقدم ذبيحة نفسه على الصليب، أى فى يوم الخميس، خميس العهد. فهل ما سلمه المسيح له المجد لتلاميذه كان هو رسم هذا السر أى طريقة تقديمه أم حسب منطوق الإنجيل كان هو سر جسده ودمه بعينه... وإذا كان ذلك كذلك، فكيف نوفق بين هذا الأمر وبين إيماننا الذى تسلمناه أن كل الأسرار بما فى ذلك سر الأفخارستيا تستمد فاعليتها وقوتها من ذبيحة الصليب، التى لم تكن قد قدمت بعد؟ (متى ٢٦ : ٣٦)، (مرقس ١٤ : ٢٥)، (لوقا ٢٢ : ١٤– ٢٠).

الجواب :

الحقيقة الجوهرية أن المسيح له المجد هو الفادى والمخلص وهو الذى أعطى تلاميذه القديسين فى ليلة آلامه، المائدة الربانية (١ . كورنثوس١٠ : ٢١)، خبز الحياة (يوحنا ٦ : ٣٥، ٤٨)، وهو فى الحق هو ذاته (**شجرة الحياة**) (التكوين ٢ : ٩)، (٣ : ٢٢، ٢٤)، (الرؤيا ٢ : ٧)، (٢٢ : ٢، ١٤) التى من يأكل منها يحيا إلى الأبد (التكوين ٣ : ٢٢) قال له المجد (أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أعطيه أنا هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم) (يوحنا ٦ : ٥١) وهذا هو أقصى الحب.

أما الفداء بذبيحة الصليب فعطاء آخر من أجل الغفران عن الخطايا.

وإذن فالمسيح له المجد أعطى الغفران، بتقديم جسده ذبيحة حب، بأن سكب للموت نفسه، وحمل خطيئة آدم وذريته (إشعياء ٥٣ : ١٢)، فصار هو الخاطىء بدلاً من الخطاة (إشعياء ٥٣ : ٦، ٩)، وهذا هو المعنى من قول الوحى (ذاك الذى لم يعرف خطيئة جعله الله خطيئة من أجلنا، لنصير نحن بر الله فيه) (٢ . كورنثوس ٥ : ٢١)، (غلاطية ٣ : ١٣)، (١ . بطرس ٢ : ٢٢، ٢٤)، فكان هو الحمل البرىء الذى يحمل خطيئة العالم) (إشعياء٥٣ : ٦، ٧)، (يوحنا ١ : ٢٩، ٣٦)، (١ . بطرس ١ : ١٩)، (أعمال ٨ : ٣٢)،

(الرؤيا ٥: ٦- ١٢) إن عمل الفداء، عطاء عظيم من المسيح، لأنه حمل على جسده خطايانا (١. يوحنا ٣: ٥)، وصار كفارة عنا (١. يوحنا ٢: ٢) بقبوله حكم الموت بالصليب، بدلاً منا، فافتدانا بدمه (غلاطية ٣: ١٣)، (٤: ٥). من حكم الموت الذى نستحقه عدلاً (رومية ٨ : ٣).

على أن فى المائدة الربانية عطاء آخر، مضافاً إلى عمل الفداء الذى تم بالموت بالصليب.

فالمسيح له المجد، لم يقف عطاء حبه عند الفداء بقبوله حكم الموت بدلاً منا، لكنه شاء من فيض حبه أن يعطينا ذاته، غذاء، فنحيا به وفيه (فدمه يصب فى شرايينا وجسده يتحد بجسدنا) على قول بعض آباء الكنيسة.

وعلى غرار الأم التى تعطى الحياة لجنينها فى بطنها من ذات دمها الذى ينتقل منها إليه من خلال المشيمة، هكذا شاء المسيح من فيض حبه فضلا عن الفداء، والخلاص، أن يعطينا من ذاته لنحيا منه وبه، فهو وحده (شجرة الحياة) الحقيقية التى من يأكل منها يحيا إلى الأبد.

وعلى ذلك، فالمائدة الربانية بها ينال المؤمنون الآخذون منها خبز الحياة، كما جاء فى القداس الإلهى (**ربنا يسوع المسيح يعطى خلاصاً وغفراناً للخطايا ثم حياة أبدية لمن يتناول منه**).

حقا إن المعمودية ومواهب الروح القدس الأخرى لم تكتسب قوتها إلا بعد الفداء، لأنها تقوم كلها على بركات الخلاص الذى تفجر فى الصليب، فالروح القدس يأخذ من استحقاقات المسيح الكفارية فى الصليب ويعطى المؤمنين كقول المسيح إن الروح القدس (يأخذ مما لى ويعطيكم) (يوحنا ١٦: ١٤، ١٥).

أما المائدة الربانية ففيها عطاء الحياة من شجرة الحياة، وهو عطاء متميز عن عطاء الفداء.

إن المسيح له المجد فى ليلة آلامه أو خميس العهد وقبل الصلب وقبل إتمام الفداء، أعطى تلاميذه مائدة حبه بأن **أعطاهم من جسده ودمه... وهذا عطاء غير مرتبط ارتباطاً جوهرياً بعمل الفداء.**

وليس من شك، **إنه أعطاهم من جسده ودمه من غير انتظار للفداء.**

وكما يقول بعض الآباء القديسين إذا كان المسيح هو ذاته قال لتلاميذه (خذوا كلوا هذا هو جسدي... فمن هذا الذى يجرؤ على أن يشك فى أنه هو جسده على الحقيقة، أو يقول إنه ليس جسده...

أما كيف يعطى لهم من جسده وهو واقف بينهم فهذا يدخل طبيعيا فى نطاق قدرته الإلهية وسلطان عظمته الذى يعلو كثيرا على الادراكات البشرية. وهنا نستعير عبارة القديس يوحنا ذهبى الفم: ينبغى علينا أن نرتفع بالإيمان فوق الحسابيات والهندسيات. إن سر المائدة الربانية هو حقا سر جميع الأسرار، كما يرد فى صلوات القداس الإلهى.

١٦ ـ لماذا الصوم قبل تناول سر القربان؟

سؤال : من السيد الشماس جون داود نجيب ـ الأسكندرية.

يقول: لقد صنع السيد المسيح له المجد سر الشكر بعد أن احتفل مع تلاميذه بالفصح اليهودى مباشرة، أى أنهم لم يكونوا صائمين عند تناول العشاء الربانى، فلماذا إذن تشترط الكنيسة أن يكون المتقدم للتناول صائماً؟

الجواب :

للإجابة على هذا السؤال، نضع فى الاعتبار النقاط الآتية:

أولاً ـ **إن المسيح له المجد لم يصنع سر الشكر بعد أكل الفصح مباشرة فبعد الفصح مباشرة قام بغسل أرجل تلاميذه.** والدليل على ذلك قول الإنجيل: «قام من العشاء وخلع رداءه وأخذ منشفة وائتزر بها، ثم صب ماء فى مطهرة، وأخذ يغسل أرجل تلاميذه ويمسحها بالمنشفة التى كان مؤتزرا بها.» (يوحنا ١٣ : ٤ـ ١١).

وإذن فلم يصنع الرب يسوع سر الشكر بعد أكل الفصح مباشرة، إذ قام عن مائدة الفصح بعد الإنتهاء منها، وباشر غسل أرجل تلاميذه. وغسل الأرجل عملية تستغرق وقتا بين الإعداد لها وغسل أرجل اثنى عشر تلميذا، بما فى ذلك الحوار الذى جرى بين بطرس الرسول ومعلمه، إذ قال له بطرس أأنت يارب تغسل رجلى؟ «فأجاب يسوع وقال له: إن الذى أفعله أنا لا تدركه أنت الآن، ولكنك ستدركه فيما بعد. قال له بطرس: لن تغسل رجلى أبداً، فأجابه يسوع قائلاً: إن لم أغسل رجليك فليس لك معى نصيب. قال له سمعان بطرس: يارب، ليس رجلى فقط، بل يدى ورأسى أيضاً. فقال له يسوع: إن الذى استحم لا يحتاج إلا لأن يغسل قدميه، بل إنه طاهر كله، وأنتم أيضاً أطهار، ولكن لستم كلكم أطهارا. فقد كان يعلم بالمزمع أن يسلمه» (يوحنا ١٣ : ٦ـ ١١).

ثانيا ـ **بعد أن غسل الرب يسوع أرجل تلاميذه لم يصنع سر الشكر مباشرة، ولكنه جلس وأخذ يشرح لهم مغزى ماصنعه بغسل الأرجل.** ولابد أن يكون حديث المعلم الأعظم قد استغرق وقتا طويلا.

قال الإنجيل «وبعد أ ن غسل أرجلهم وأخذ رداءه عاد فجلس إلى المائدة متكئا وقال لهم: أتفهمون ماقد صنعت بكم؟ إنكم تدعوننى المعلم والرب، وحسنا تقولون لأننى أنا كذلك. فإن

كنت وأنا ربكم ومعلمكم قد غسلت أرجلكم فأنتم أيضاً ينبغى لكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأننى أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً بعضكم ببعض. الحق الحق أقول لكم أنه ما من خادم أعظم من سيده، وما من رسول أعظم ممن أرسله. إن عرفتم هذا فمباركون أنتم إن عملتم به. لست أقول هذا عنكم جميعا فأنا أعرف الذين اخترتهم...» (يوحنا ١٣ : ١٢- الخ).

ثالثا - ثم انتقل المسيح له المجد فى حديثه مع تلاميذه عن غسل الأرجل ومغزاه إلى أمور أخرى، فحدثهم عن المحبة التى ينبغى أن يحبوا بعضهم بها وهى العلامة التى تميزهم كتلاميذ للمسيح، وأنبأهم عن خيانة واحد منهم له، وقد أزعجهم هذا وأخذوا ينظرون بعضهم إلى بعض حائرين لا يدرون من الذى يعنيه بقوله هذا، إلى أن غمس اللقمة وأعطاها ليهوذا الاسخريوطى ليتبينوا أنه هو الذى سيسلمه لليهود.

وبعد هذا امتد الحوار بين مخلصنا وبين تلاميذه، هم يسألونه وهو يجيبهم عن عدد من الأمور، ووعدهم بحلول الروح القدس عليهم، وجعل يطمئنهم ويهدىء من روعهم وهو يحدثهم أحاديث الوداع والمفارقة فى ليلة صلبه، وهى هذه الأحاديث التى استغرقت فصولا طويلة تقرأ عادة فى ليلة الجمعة العظيمة من أسبوع الآلام وقد ضمنها الإنجيل حسب ما كتبه القديس يوحنا فى خمسة إصحاحات كاملة هى الإصحاحات ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ من الإنجيل.

رابعا - قصدنا مما سبق أن نبين أن مخلصنا لم يصنع سر الشكر مباشرة بعد الفصح، وإنما مرت فترة طويلة يمكن أن تقدر ببضع ساعات بين عشاء الفصح وغسل الأرجل والأحاديث الطويلة الوداعية التى تلت ذلك.

ومهما يكن من أمر فعشاء الفصح نفسه لم يكن عشاء عاديا وإنما كان طقسا دينيا يحمل المغزى الروحى وكانت تباشر فيه التسابيح وتتلى أثناءه المزامير.

خامسا - إذا كانت الكنيسة المسيحية قد اشترطت فيما بعد أن يكون الإنسان ممتنعا عن الطعام عددا من الساعات قبل أن يتقدم للتناول من الأسرار المقدسة، (هى فى العادة ٩ساعات على الأقل - تخفض بالنسبة للمريض إلى ٦ ساعات وبالنسبة للطفل إلى ٣ساعات) فهذا ليس من قبيل الصوم بمعناه الاصطلاحى ولكن من قبيل (الاستعداد) للتقدم إلى السر المقدس وهو سر الأسرار والمغزى الروحى من هذا (الاستعداد) هو جعل الجسد فى حالة جوع وعطش يتناسب

مع جوع الروح الإنسانية وعطشها إلى الخبز السماوى، والشراب السماوى (يوحنا ٦ : ٥٥- ٥٨) تمشيا مع قول المسيح له المجد وتطبيقا وتنفيذا له «سعداء هم الجياع والعطاش إلى البر فإنهم سيشبعون» (متى ٥ : ٦).

سادسا ـ ولعلنا ندرك روحيا ومنطقياً أنه ليس من اللياقة أن يتقدم الإنسان إلى المائدة السماوية مباشرة بعد أن يكون قد تناول طعاما ماديا، فإن تقديره للمائدة الروحانية واحترامه وتقديسه لها يملى عليه أن يؤخر طعامه المادى، وأن يؤثرها هى أولا شعورا منه بأهميتها وإبرازاً لكرامتها ـ تمشيا مع قول المسيح له المجد وتنفيذا له «اطلبوا أولا ملكوت الله وبره» (متى ٦ : ٣٣).

سابعا ـ ولعله ليس من اللائق روحيا أن يتقدم الإنسان إلى المائدة السماوية بعد أن يكون ممتلئا من الطعام الجسدى المادى، لأنه إذ يكون شبعان جسديا لا يتقدم إلى الأسرار المقدسة بالاشتياق اللائق بسر الأسرار.

فإن من يُدْعَى إلى وليمة عظيمة لمناسبة جليلة من شخصية جليلة لا يليق به أن يملأ معدته بالطعام مباشرة قبل أن يأتى إلى الوليمة، حتى لا يتقدم إلى المائدة العظيمة بشهية مفقودة، فيأكل متقززا متأففا، فتحصل الإهانة لصاحب الدعوة الكريمة وللآكلين معه من المدعوين، لقد كان خيرا لذلك الإنسان لو أنه اعتذر عن عدم الحضور إلى الوليمة من أن يأتى بمعدة ممتلئة فيأكل متغصباً فتحدث الإهانة.

ولقد حدث من بعض أهل كورنثوس بعض تصرفات كهذه لامهم الرسول بولس عليها فى رسالته إليهم، فمنهم من كان يأتى بطعام إلى الكنيسة ولا يطيق الانتظار للباقين قبل إنتهاء الخدمة فيأكل قبل إخوته. قال لهم «أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا أم تستهينون بكنيسة الله... ماذا أقول لكم؟ أأمدحكم على هذا؟ لست أمدحكم، لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً، إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا وشكر... إذن يا إخوتى حين تجتمعون للأكل (فى موائد الأغابى التى تمد بعد إنتهاء الخدمة) انتظروا بعضكم بعضاً. إن كان أحد يجوع فليأكل فى البيت كى لا تجتمعوا للدينونة» (١ ـ كورنثوس ١١ : ٢١- ٣٤).

والخلاصة أن ترتيب كنيستنا الأرثوذكسية بالامتناع عن الطعام عددا من الساعات استعدادا للتناول من الأسرار المقدسة ترتيب حكيم يلائم التوقير اللائق بالمائدة الروحانية والوليمة السمائية.

١٧ ـ واجبات مابعد التناول

سؤال: من السيد/ دكتور جابر جرجس نخله ـ دير مواس.

ما هى الإجراءات الواجب إتباعها بعد التناول من القربان المقدس مباشرة من أمثال عدم البصق على الأرض وما إليها؟

الجواب:

هذه الإجراءات بعد التناول من القربان المقدس بعضها واجبات روحية، وبعضها واجبات جسدية.

أولا ـ أما الواجبات الروحية فهى:

١ ـ الفرح بالنعمة التى نالها المؤمن بتناوله من سر القربان المقدس، والتأمل فى جلال السر المقدس، وشرف التناول منه.

٢ ـ الحرص على جمع الذهن وعدم تشتيته بالصور والخيالات والأفكار والأخبار المثيرة للخطيئة، أو التى تبعده عن التأملات والأفكار الصالحة والطاهرة.

٣ ـ التقليل بقدر الإمكان من النشاطات التى تشتت الانتباه، والبعد عن الأماكن غير النقية والمعاشرات الرديئة.

٤ ـ تجنب الضحك والهزل وما إليها من أمور تطفىء جذوة النعمة من القلب، كما يقول الآباء الروحانيون.

٥ ـ تجنب الغضب والإنفعالات غير الروحية.

٦ ـ التقليل بقدر الإمكان من الكلام عن الآخرين وإدانتهم ولومهم، وإساءة الظن بهم.

٧ ـ حفظ اللسان من كل ما يدنسه، من الكلمات العاطلة التى لا نفع منها والتى لا تصلح لبناء النفس روحيا ـ ويجمل بالأحرى التدرب على فضيلة الصمت ـ وعدم الكلام إلا للضرورة.

٨ ـ ويحسن كلما كان ذلك ممكنا ـ قضاء بقية اليوم فى القراءة الروحية، والصلاة والترنيم، وإراحة الجسد بعض الوقت بالنوم الذى يعمل على تسكين القلب والجسم.

ثانيا ـ أما من الناحية الجسدية:

١ ـ يجمل بالمتناول من القربان المقدس عدم البصق، وعدم إدخال شيء فى الفم يضطر المتناول إلى إخراجه مثل بذور البرتقال، أو بذور الزيتون، وبذور العنب وما أشبه.

٢ ـ يجمل أيضاً بالمتناول عدم الاستحمام بعد التناول مباشرة، وعدم قص الشعر أو الأظافر قبل يوم كامل أو تسع ساعات على الأقل.

٣ ـ يجمل عدم غسل الأسنان سواء بالصابون أو بفرشة ومعجون الأسنان، والمعروف أن غسل الفم والأسنان يجب أن يكون فى الليلة السابقة على يوم التناول من القربان المقدس.

٤ ـ يجب أيضاً عدم التدخين.

وإذا اضطر المؤمن ـ جهلا أو نسياناً ـ إلى مخالفة شيء مما سبق، عليه أن يستشير الكاهن، أبى ذمته، ومرشده فى الاعتراف.

١٨ ـ مصير القربان فى المائدة الربانية

سؤال: من الإبن نادى لويز روفائيل ـ ملوى.

ماهو مصير القربان المقدس الذى يتناوله المتناولون من المائدة الربانية؟ هل مساره مسار الطعام العادى من حيث عملية الهضم وما يتبعها ويلحق بها من عمليات بيولوجية وإفراز؟

ثم ما هو مصير من يتناول من المائدة الربانية من غير استحقاق، هل هناك آثار وأعراض جسدية يصاب بها، عقابا على تناوله من غير استحقاق؟

الجواب:

أما عن السؤال الأول وهو مصير القربان المقدس فى المائدة الربانية، وهل يمر بعملية الهضم، مثله مثل الطعام العادى من حيث العمليات البيولوجية، نقول **كلا، وحاشا، ومعاذ الله. إن المائدة الربانية هى «شجرة الحياة»** وهى كما يرد فى القداس وكتب الكنيسة وأقوال الآباء، إنها «سر الأسرار»، وكما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم «إن فى فهمنا للأسرار المقدسة ينبغى **أن نرتفع بأرواحنا وعقولنا فوق الحسابيات والهندسيات**. إنها سر مقدس، مائدة ربانية، طعام وشراب روحانى، يعلو على العقل ويسمو على العمليات البيولوجية التى يخضع لها الطعام العادى. إنها كما قال المسيح له المجد لليهود «وهو ليس كالمن الذى أكله آباؤكم ثم ماتوا» (يوحنا ٦ : ٥٨).

ويقول بعض القديسين فى مسار القربان المقدس فى المائدة الربانية بالنسبة للمتناولين منه «إن **دمه (دم المسيح) يصب فى شراييننا، وجسده يتحد بجسدنا وهو كله يدخل فينا**».

ولهذا يستعير المتناول فى صلاته قبل التقرب من المائدة الربانية عبارة قائد المائة **للسيد المسيح له المجد «يارب إننى لست مستحقا أن تدخل تحت سقف بيتى»** (لوقا ٧ : ٦)، (متى ٨ : ٨).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمى (٣١٥ ـ نحو ٣٨٦)م.

«بتناولك من جسد المسيح ودمه تصير متحدا معه جسداً ودماً. لأننا بهذه الحالة نصير لابسى المسيح، **أى بامتزاج جسده ودمه فى أعضائنا**. وبهذه الواسطة نصير مشاركى الطبيعة الإلهية كما يقول بطرس المغبوط (٢. بطرس ١ : ٤)،

فلا تنظر إلى الخبز والخمر كأنهما عاديان، إذ هما جسد ودم حسب القول السيدى، لأنه وإن كان الحس يظهرهما لك عاديين لكن الإيمان يحقق لك إنهما جسد المسيح ودمه **فلا تحكم إذن بحسب الذوق الحسى** بل تحقق من الإيمان وتأكد بلا ارتياب أنك قد أهلت لجسد المسيح ودمه» (فى الأسرار ٤ : ١، ٢، ٣– ٦) .

أما عن مصير الذين يتناولون من المائدة الربانية من غير استحقاق، فيكفى عنه ما ورد فى الرسالة إلى كورنثوس:

«ليمتحن الإنسان نفسه، ومن ثم فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس، **لأن من يأكل ويشرب بغير استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه** إذ لم يميز جسد الرب»

«**من أجل هذا، كثر فيكم المرضى والضعفاء وكثيرون منكم يموتون**. فلو أننا حاسبنا أنفسنا لتجنبنا الحكم علينا. وإذ قد حكم الرب علينا، إنما **يؤدبنا الرب** حتى لا ندان مع العالم» (١ . كورنثوس ١١ : ٢٨– ٣٢) .

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧– ٤٠٧)م

يجب أن نكون من كل جهة ساهرين، **لأن القصاص المعد للمشتركين على خلاف الاستحقاق ليس صغيرا**... فاحترس إذن من أن تصير مجرما لجسد المسيح ودمه فتقتبله بنفس دنسة...» (تفسير متى مقالة ٨٢: ٤، ٥)، ويرد فى كتاب (القوانين) - (فى القداس) :

«وإذا تكاملت الصلوات كلها ... وليقل الكاهن:

«من كان طاهراً فليدن من الأسرار المقدسة، **ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت**» (الباب الثانى عشر- فى القداس- ٢٤) .

١٩ ـ التقدم للمائدة الربانية يتطلب نظافة الروح والذهن والجسد

سؤال: من العزيز الإبن الشماس برسوم شهدى برسوم ـ أرمنت.

هل الاستحمام أو غسيل الفم قبل التناول من المائدة الربانية يعتبر إفطاراً؟

الجواب:

نجيب بأن القانون الكنسى يتطلب نظافة الروح والذهن والجسد قبل التقدم للمائدة الربانية. فالاستحمام وهو غسل البدن كله، وغسل الفم أيضاً، يجب أن يسبق التقدم للمائدة الربانية بمدة لا تقل عن تسع ساعات. هذه المدة تسمى فى المصطلح الكنسى (احتراسا) وهو التعبير الدقيق، فإنه لا صوم فى يوم الأحد.

لذلك اعتاد المسيحيون منذ القديم على أن يغتسلوا أو يستحموا استحماما كاملاً فى اليوم السابق على التقرب من المائدة الربانية. فإذا كان التقرب يوم الأحد اغتسلوا وإستحموا يوم السبت، وكذلك يغسلون الفم غسلاً تاماً فى الليلة السابقة، ولا يدخل بعد هذا شىء من الماء أو غيره حتى يتقربوا من الأسرار المقدسة.

والأمر كما جاء فى الكتاب المقدس قبل أن يذهب المؤمن إلى بيت الله (تطهروا وأبدلوا ثيابكم) (سفر التكوين ٣٥ : ٢)، (الخروج ١٩ : ١٠).

أما إذا حدث (عارض) بالليل، فالاستحمام وتغيير الملابس ضرورة قبل دخول الكنيسة، أما التقرب من المائدة الربانية فلا يجوز فى هذا اليوم، أى يجب أن يرجأ إلى يوم آخر.

٢٠ ـ من الذى يصلح لتوزيع الأسرار إذا توفى الكاهن أثناء الصلاة ؟

سؤال : من العزيز عادل ميخائيل عوض الله ـ طنطا .

إذا كان الكاهن الذى يقيم القداس قد توفى أثناء الصلاة وقبيل التوزيع للأسرار المقدسة، فمن الذى يصلح لتوزيع الأسرار المقدسة، فى هذه الحالة ؟

الجواب :

إذا لم يكن بالكنيسة كاهن آخر شريك، يمكن الاتصال فورا بكاهن آخر لكنيسة أخرى فى البلدة لتتميم الصلوات، وتوزيع الأسرار المقدسة ـ إذا كان فى البلدة أكثر من كنيسة.

على أنه فى جميع الأحوال يلزم الاتصال فورا بأسقف الإيبارشية أو المطران للتصرف.

وفى عهود ماضية أبيح للشماس إذا كان فى درجة (دياكون) (شماس كامل)، أن يقوم فى هذه الحالة بتكميل الصلاة وتوزيع الأسرار المقدسة، على أن يبقى بالكنيسة، لا يغادرها، حتى يأتى الأسقف ويتمم رسامته قسيساً.

٢١ ـ سر المائدة الربانية بعد عشاء الفصح بوقت غير قليل

سؤال: من الإبنة منى القس تادرس مرقس ـ زفتى.

تقول ـ ما الحكمة فى الامتناع عن الطعام قبل التناول من الأسرار المقدسة، علما بأن السيد المسيح باشر سر المائدة الربانية ليلة خميس العهد بعد عشاء الفصح مباشرة؟

الجواب:

إن المسيح له المجد **باشر سر المائدة الربانية بعد مضى وقت غير قليل من تناول عشاء الفصح**، فالإنجيل المقدس يروى أنه بعد صنع الفصح قام مخلصنا بغسل أرجل تلاميذه، وبعد غسل الأرجل الذى استغرق وقتاً جلس له المجد مع تلاميذه وتحدث إليهم حديثاً طويلاً تناول فيه مغزى ما صنعه بهم، وطالبهم بأن يحبوا بعضهم بعضاً، وأن يغسلوا بعضهم أرجل بعض، بل إن حديثه فى تلك الليلة استغرق أربع إصحاحات طويلة تتلى فى ليلة الجمعة الكبيرة.

قال الإنجيل للقديس يوحنا:

(**قام عن العشاء**، وخلع رداءه وأخذ منشفة وائتزر بها، ثم صب ماء فى مطهرة، وأخذ يغسل أرجل تلاميذه ويمسحها بالمنشفة التى كان مؤتزراً بها، حتى إذا جاء إلى سمعان بطرس... الخ.

(وبعد أن غسل أرجلهم وأخذ رداءه، عاد فجلس إلى المائدة وقال لهم: أتفهمون ما قد صنعت بكم. إنكم تدعوننى المعلم والرب، وحسنا تقولون لأننى أنا كذلك. فإن كنت وأنا ربكم ومعلمكم قد غسلت أرجلكم، فأنتم أيضاً ينبغى لكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأننى أعطيتكم مثالاً حتى تصنعوا أنتم أيضاً بعضكم ببعض كما صنعت أنا بكم. الحق الحق أقول لكم... الخ) (يوحنا ١٣ : ٤– الخ) (١٧ : ١– ٢٦).

مما تقدم يتبين:

أولا ـ أن المسيح له المجد صنع العشاء الربانى بعد فترة غير قصيرة من عشاء الفصح، صرفها فى غسل الأرجل، وفى أحاديث مستفيضة فى ليلة آلامه.

ثانيا ـ ومهما يكن من أمر فإن عشاء الفصح نفسه طقس دينى. فهو ليس ككل عشاء آخر.

ثالثا ـ كان لابد للمائدة الربانية أن تتم فى نفس الليلة بعد غسل الأرجل للعلاقة الرمزية بين عشاء الفصح وسر المائدة الربانية، لأن فصح العهد القديم كان رمزا لفصح العهد الجديد. وقد ختم المسيح العهد القديم بإتمام الفصح القديم، ليبدأ العهد الجديد بنفسه بتقديم المائدة الربانية. فكان لا بد للمائدة الربانية أن تقدم فى نفس الليلة، ولا تنتظر إلى يوم آخر، نظراً للرابطة الروحية بين العشائين، عشاء الفصح القديم، والعشاء الربانى، الذى بدأ به المسيح العهد الجديد عقب غسل الأرجل، وغسل الأرجل يشير إلى المعمودية التى تسبق فى العهد الجديد التناول من الأسرار المقدسة.

رابعا ـ هذا إلى أن ترتيب الانقطاع عن الطعام قبيل التقدم إلى الأسرار المقدسة لمدة تسع ساعات على الأقل ترتيب أمرت به الكنيسة بعد صلب المسيح وقيامته من بين الأموات.

أما **الحكمة** فى الامتناع عن الطعام لمدة لا تقل عن تسع ساعات قبيل التقدم للأسرار المقدسة فهو جعل الجسد فى حالة جوع يتناسب مع جوع الروح واشتياقاتها إلى طعام الحياة الأبدية. وهذا تطبيق عملى لقول المسيح له المجد (سعداء هم الجياع والعطاش إلى البر، فإنهم سيشبعون) (متى ٥: ٦)، (مزمور ٣٦: ١١).

٢٢ ـ الخمر فى سر التناول

سؤال :

هل هناك إشارة بين تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل وتحويل الخمر إلى دم المسيح فى سر القربان المقدس؟

الجواب :

إن المسيح له المجد إذ حول الماء عن طبعه، وصيره خمراً حقيقياً فقد برهن مسبقاً على قدرة لاهوته فى سر القربان المقدس. ففى ليلة آلامه (خميس العهد الجديد) «أخذ يسوع خبزاً وباركه وقسمه وناول تلاميذه، وقال: «خذوا كلوا فإن هذا هو جسدى». ثم أخذ كأسا وشكر وناولهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم. فإن هذا هو دمى للعهد الجديد الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة خطاياهم» (متى ٢٦ : ٢٦ – ٢٨)، (مرقس ١٤ : ٢٢ – ٢٤)، (لوقا ٢٢ : ١٩ ، ٢٠).

ولقد رأى آباء الكنيسة فى معجزة تحويل الماء إلى خمر، إشارة مسبقة إلى سر القربان المقدس، ليس فقط من جهة قدرة المسيح وسلطان لاهوته على تحويل المادة من صورة إلى أخرى، بل أيضاً من حيث أن الخمر ترمز إلى الصحة والقوة، فلئن كان الماء للتنظيف والتطهير ولا غنى عنه لنظافة البدن وسلامته، لكن الخمر تعطى الصحة والحيوية والقوة (مزمور ١٠٣ : ١٥)، (التكوين ٢٧ : ٢٥)، وهى غذاء يبنى صحة الجسم (التكوين ٢٧ : ٢٨ ، ٣٧)، (إشعياء ٣٦ : ١٧)، (عزرا ٦ : ٩)، (التثنية ٧ : ١٣)وتتحول الخمر إلى دم، (القضاة ٩ : ١٣)، (الجامعة ١٠ : ١٩) والدم قوام الإنسان، ولذلك يقولون فى الأمثال إن الإنسان من لحم ودم (غلاطية ١ : ١٦)، (متى ١٦ : ١٧)، (أفسس ٦ : ١٢).

لقد كان شرب الخمر جزءاً من الطقس الدينى فى العهد القديم، فكانوا يشربون أثناء تناول الفصح أربع كؤوس من الخمر (كأس المرارة، وكأس الفرح، وكأس البركة، وكأس التهليل) ثم يرتلون بتسابيح ومزامير البهجة والخلاص (مرقس ١٤ : ٢٦)، (متى ٢٦ : ٣٠). وجاء المسيح فى العهد الجديد فأخذ أيضاً كأساً وباركها وناول تلاميذه منها وقال لهم: اشربوا منها كلكم فإن هذا هو دمى للعهد الجديد.

ولقد أبان له المجد، فى أكثر من مناسبة، أهمية هذا الشرب السرى من دمه فقد قال: «أنا الكرمة الحقيقية... اثبتوا فىّ وأنا فيكم. فكما أن الغصن لا يمكن أن يأتى بثمر من ذاته إن لم

يثبت فى الكرمة، هكذا أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فىّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان، فالذى يثبت فىّ وأنا فيه يأتى بثمر كثير، لأنكم بدونى لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فىّ فينزع كالغصن، فيجف، فيأخذونه ويطرحونه فى النار، فيحترق..» . (يوحنا ١٥ : ١ – ٦)، ثم يعود فيقول «الحق الحق أقول لكم: مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، لا تكون لكم حياة فى أنفسكم... من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية... من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا أيضاً فيه» (يوحنا ٦ : ٥٣ – ٥٦) .

من هذه المشابهة بين المسيح والكرمة، وبين المؤمنين بالمسيح وأغصان الكرمة، تتضح حاجة المؤمنين إلى أن يغتذوا بدم المسيح سرياً، فيكون لهم الثبات فيه وبالتالى الحياة الأبدية، فلا حياة للغصن من دون الكرمة، إن منها يستمد غذاءه وبالتالى استمراره فى الحياة وثباته فيها، ومن غير ذلك يصيبهم الذبول فالجفاف فالموت فالهلاك الأبدى.

من هنا كان مدخل الخمر فى سر القربان المقدس، غير أن هذه الخمر التى نستخدمها فى سر القربان ليست من نوع ما يسمونه بالمشروبات الروحية أو المسكرات، وهذه الأخيرة يصنعونها بالتقطير، ويستخلصون (روح) المادة لا المادة نفسها ومن هنا كلمة المشروبات (الروحية) و (الروح) فى المسكرات هى ما يسمونه (السبيرتو) وهو الكحول. والسبيرتو هو النطق الطليانى لكلمة (روح) Spirto بمعنى الكحول.

أما الخمر المستخدمة فى سر القربان فيصنعونها بشىء من التخمير وذلك بتبليل العنب الجاف بالماء وتركه بعض الوقت، فتأتى الخميرة من الهواء وتحط على العنب المبلل بالماء، وتفرز إفرازها لتحلله وتغتذى عليه، فتصير له الرائحة الخاصة بالخمر. وأمر تخمير العنب هو بعينه الأمر فى تخمير الخبز ليكون سهل الهضم إذا تناوله الإنسان. وأمر تخمير العنب شبيه بما تقوم به المعدة عندما ينزل إليها الطعام الممضوغ فى الفم، فتفرز عليه الخمائر التى تساعد على تحطيمه، فيسهل هضمه.

فهذا التخمير إذن نافع ومفيد وضرورى لصحة البدن، ولذلك فإن الأطباء يركبون هذا الخمر فى الدواء لمن أصابهم فى المعدة داء أعجزها عن هضم الطعام. ولهذا السبب نصح القديس بولس الرسول تلميذه الأسقف تيموثيئوس ـ الذى كان مريضاً بالاستسقاء، فيشرب الماء كثيرا ولكن الماء يتجمع فى بطنه بطريقة غير سوية، فيضخمها ـ نصحه قائلا: «لا تكن شراب ماء فيما بعد، بل استعمل قليل من الخمر، من أجل معدتك وأسقامك المتواترة» (١. تيموثيئوس ٥ : ٢٣) .

أما الخمر المسكرة وما يسمونه بالمشروبات الروحية أو الكحولية بأنواعها، فقد نهتنا الكتب المقدسة عن شربها، وهى ضارة بالصحة العقلية والبدنية، وصدقوا إذ قالوا عنها «الخمر فى المعدة كالرمل فى العدة»

قال الكتاب المقدس:

«بالخمر الدعارة، وبالمسكر الجلبة، ومن يترنح بهما فليس بحكيم» (الأمثال ٢٠ : ١).

٢٣ ـ ليس من اللياقة إلقاء العظة أثناء توزيع الأسرار المقدسة

سؤال : من السيد/ ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ أمريكا.

هل يصح أن تلقى العظة بعد الإنتهاء من التناول مباشرة قبل صرف ملاك الذبيحة وقفل ستر باب الهيكل؟

الجواب :

الوقت الأنسب للعظة أو تفسير الإنجيل هو بعد تلاوة إنجيل القداس مباشرة.

أما إذا كان مجموع الشعب فاترا عن حضور القداس منذ بدء الخدمة، ورأى الكاهن أن يرجىء إلقاء العظة إلى ما بعد القداس، فليكن ذلك **بعد الفراغ من توزيع الأسرار المقدسة نهائيا**، وقبل صرف ملاك الذبيحة أو بعده، **ولكن قبل البركة الختامية.**

ومهما يكن من أمر فليس من اللياقة إلقاء العظة أثناء توزيع الأسرار المقدسة. وإنما يجب أن ترتل في هذه الأثناء الترانيم والمدائح المناسبة لجلال السر المقدس، سر التناول.

٢٤ ـ رحمة السلام، ذبيحة التسبيح

سؤال: من السيد/ ميشيل جرجس عبد المسيح ـ مينيسوتا ـ أمريكا.

ما هى الترجمة الصحيحة للعبارة **Ⲉⲗⲉⲟⲥ ⲓ̀ⲣⲏⲛⲏⲥ ⲑⲩⲥⲓ̀ⲁ ⲉ̀ⲛⲉⲥⲉⲱⲥ**

هل هى «رحمة السلام، ذبيحة التسبيح» أم «رحمة وسلام وذبيحة التسبيح»؟

الجواب:

الترجمة الصحيحة هى:

رحمة السلام، ذبيحة التسبيح ـ وهى مرد الشعب على الشماس فى بدء قداس المؤمنين، عندما ينذرهم بأن يقفوا جيدا، ويقفوا حسنا، وبإنصات، وبسلام ومخافة الله، وخشوع.

والعبارة هى يونانية التركيب والمعنى. وقد وردت بالقبطية على النحو التالى:

Ⲉⲗⲉⲟⲥ ⲓ̀ⲣⲏⲛⲏⲥ ⲑⲩⲥⲓ̀ⲁ ⲉ̀ⲛⲉⲥⲉⲱⲥ

أما باليونانية فتكتب على النحو التالى:

ἔλεος εἰρήνης θυσία αἰνέσεως

وتحليلها على النحو الآتى:

رحمة (فى حالة الفاعلية المرفوعة)= *ἔλεος* ـ السلام (فى حالة المضاف إليه)= *εἰρήνης* ـ ذبيحة (فى حالة الفاعلية المرفوعة) *θυσία* التسبيح (فى حالة المضاف إليه)= *αἰνέσεως*

والمعنى من العبارة أن **السلام رحمة** ـ لأنه يجلب رضى الله ورحمته على أهل السلام، كما أن السلام بين الناس يشيع فعل **الرحمة** بينهم.

أما **ذبيحة التسبيح** فهو تعبير ورد فى رسالة القديس بولس إلى العبرانيين:

«فلنقرب به إذن إلى الله **ذبيحة التسبيح** كل حين، وهى ثمر شفاهنا المعترفة باسمه» (العبرانيين ١٣: ١٥).

أى أن التسبيح باسم الله هو «**ذبيحة حمد وشكر**» نتقرب بها إلى الله بشفاهنا التى تعترف باسمه.

والقداس هو (ذبيحة الشكر) لله، ولذلك سمى سر التناول، بالأفخارستيا، أى الشكر. فبينما هو سر القربان، وسر التناول، وسر الشركة، وسر المائدة الربانية. هو أيضاً **ذبيحة التسبيح** بما تنطق به أفواه المؤمنين من صلوات الحمد والشكر لله، والاعتراف باسمه.

٢٥ ـ هل يحق للدياكون أن يحمل الكأس؟

سؤال: من الإبن ميلاد شهيد بسطا.

هل يحق للشماس الدياكون أن يحمل الكأس وأن يقرب الشعب من الكأس؟

الجواب:

أقول: **نعم، إن الشماس إذا كان في درجة (دياكون) وهو الشماس الكامل، له أن يحمل الكأس ويقرب الشعب من الدم المقدس.**

وقد ورد هذا صراحة في كتاب (ترتيب قسمة رتب الكهنوت) المستخدم في طقس الرسامة للشماس (الدياكون) بعد رسامته.

(افهم مقدار الكرامة التي أعطيتها. إذ تحمل الدم الحقيقي المعطى خلاصاً للعالم الذي سلم ليديك مجداً لإلهنا يسوع المسيح آمين).

ثم جاء أيضاً في الوصية التي تقرأ على الشماس (الدياكون) بعد وضع اليد عليه:

(إن الشماس يتشرف بتلاوة معاني الكتب الرسولية على أسماع الشعب، وقراءة الأناجيل... والتقديس والتسبيح في هياكله **وحمل الكأس الإلهي الذي به سبب الغفران لمن يتناوله** من الأنقياء الأطهار والأذكياء الأبرار....).

وجاء في طقس رسامة رئيس الشمامسة (الأرشيدياكون) يقول الأسقف (أنت الآن يا ملكنا محب البشر، اقبل سؤالنا نحن الخطاة، وأرسل نعمة روح قدسك على عبدك (فلان) الذي دعي لرياسة الشمامسة بحكم تزكية الذين قدموه في الوسط... املأه من القوة والفهم كمثل استفانوس أول رؤساء الشمامسة في بيعتك المقدسة بخدم غير دموية وصعائد نقية ناطقة، **وليمسك كأس الدم المكرم الذي للحمل الذي بلا عيب الذي لابنك الوحيد).**

ثم توكيدا لهذة المهمة التي صارت موكولة للشماس (الدياكون) وهي **حمل الكأس وتقريب الشعب من الدم الإلهي، يحمل الشماس الدياكون أثناء خدمة القداس (المستير) أي الملعقة، علامة ودليلاً على استحقاق الشماس (الدياكون) لهذه الكرامة المقدسة أن يحمل كأس الرب ، ويقرب الشعب من الدم الإلهي.**

جاء في كتاب (الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة) للعلامة يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع في (رسم الشماس) **(ويناوله (رئيس الكهنة) ملعقة الكأس ليحملها من أول القداس إلى آخره دليلاً على إذنه له في توزيع الدم)** (الباب السابع والسبعون).

٢٦ ـ هل يجوز توزيع القربان على الناس فى مناسبات الجنازات والأكاليل؟

سؤال: من السيد/ فرنسيس يعقوب القمص ـ بنها.

يقول إنه ذهب لحضور (صلاة الثالث) لأحد الناس، وبعد الصلاة قام أحد أقارب المتوفى بتوزيع السجائر على المعزين المجاملين، فأشعل بعض الناس سجائرهم. وفى هذه الأثناء قام شخص آخر يحمل على يديه صينية بها أجزاء من قربان، ومر على الموجودين، ليأخذ كل منهما نصيبيا من القربان، ـ فساءنى هذا وهمست لأحد الجالسين إلى جوارى ـ وهو شقيق من قام بالتوزيع ـ قائلا إنه لا يجوز توزيع القربان على المعزين والمجاملين بهذه الصورة وفى هذه المناسبة، خصوصاً وأن من بين المجاملين أشخاصاً غير مسيحيين. فرد على قائلاً: إن هذا القربان ليس من (الحمل)، ولذلك يجوز توزيعه على الناس من قبيل المحبة (الأغابى).

ولقد تحيرت فى الأمر، ولذلك أكتب لكم برجاء الإفادة فى هذا الأمـر؟

الجواب:

الأصل فى توزيع أجزاء من القربان المقدس بعد إنتهاء خدمة القداس هو منح الذين لم يتناولوا من الأسرار المقدسة، على الخصوص (بركة) من خبزات القربان اللاتى زاملت قربانه (الحمل) ولم يقع عليها الاختيار، ولكنها قد تباركت بعلامة الصليب، إذ رسم عليها الكاهن بعد اختيار قربانه (الحمل) باصبعه، فتباركت. ولذلك فإنها تسمى بالمصطلح الكنسى (اولوجية) أو (أزمو). أما (اولوجية) فهى لفظ يونانى εὐλογία أى (بركة). وأما (أزمو) فهو لفظ قبطى ⲥ̀ⲙⲟⲩ ومعناه أيضاً (بركة).

هذه (الأولوجية) أو (الأزمو) هى (بركة) يوزعها عادة بيده الكاهن الأكبر (البطريرك أو المطران أو الأسقف) إذا كان حاضراً، وإلا فالقسيس يوزعها على المؤمنين المسيحيين من شعب الكنيسة.

وفى صلاة الثالث، وما إليها من مناسبات دينية يمكن أن يوزع الكاهن الحاضر من القربان الذى يحمله معه على سائر الحاضرين من أبناء الكنيسة المسيحيين.

وفى هذه الحالة يتقدم الراغبون فى (البركة) من الكاهن، لينالوا من يده البركة، حتى يكون التوزيع على (الراغبين).

وليس من اللائق بكرامة القربان أن يحمله أحد الناس ويطوف به على صينية على نحو ما يطوفون بالسجاير وما إليها.

٢٧ ـ أكثر من صينية وكأس

سؤال: من الدكتور بباوى دوس ـ مدينة فيصل ـ السويس..

هل يجوز استخدام أكثر من صينية فى القداس فى توزيع الأسرار المقدسة؟

الجواب:

نعم، ذلك يجوز، وخصوصا فى أيام الأعياد والمناسبات التى يكون فيها عدد المتقدمين إلى الأسرار المقدسة كبيراً.

وفى هذه الحالة يوضع الحمل فى الصينية كالمعتاد، ويمكن تجهيز أكثر من صينية، ووضعها فارغة على المذبح المقدس محيطة بالصينية الرئيسية التى بها (القربانة ـ الحمل)، وكذلك يمكن وضع أكثر من كأس إلى جوار الكأس الرئيسية، على أن توضع هذه الصوانى والكؤوس الإضافية منذ بدء خدمة القداس إلى نهايته. وعند التوزيع فى نهاية القداس، ينقل الكاهن الخديم إلى الصوانى الإضافية بعض جواهر القربان المقدس وكذلك ينقل إلى الكؤوس الإضافية من الكأس الرئيسية. ويتم التوزيع على الشعب على هذا النحو، وفى هذا إقتصاد للوقت الذى يمكن أن يطول إلى أكثر من ساعة لو كان عدد المتقربين كبيراً.

وعلى هذا النحو تسير الكنائس الأخرى الأرثوذكسية والكاثوليكية وتسير عليه كنائسنا فى القاهرة إذا كان عدد الكهنة خدام القداس الإلهى كافياً بقدر عدد الصوانى والكؤوس.

٢٨ ـ معنى خروج الكاهن بالصينية إلى باب الهيكل

سؤال : من الإكليريكى زكريا فاخورى عبد السيد ـ بكوم أومبو.

أثناء خروج الكاهن بالصينية أمام باب الهيكل فى نهاية القداس وعند بدء التوزيع، هل يجوز التوقف عن متابعة ترتيل المزمور المائة والخمسين ليهتف الشعب «مبارك الآتى باسم الرب»؟

الجواب :

الوضع الأصيل أن خروج الكاهن بالذبيحة فى الصينية، أمام باب الهيكل هو لتوزيع الأسرار المقدسة على المتناولين فى الخورس الأمامى وهو خورس المتناولين وعندئذ يهتف الكاهن بصوت مرتفع «الأقداس للقديسين» ثم يتابع قائلا: من كان طاهرا فليدن من الأسرار المقدسة ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت» عندئذ يهتف المتناولون فى الخورس الأمامى (أمام باب الهيكل الرئيسى) قائلين «مبارك الآتى باسم الرب» ولذلك ترى فى الكنائس الأثرية طاقتين تطلان من الهيكل على الخورس الأمامى، هو خورس المتناولين، إحداهما على يمين باب الهيكل والأخرى على يساره، وعندما كانوا يستعملون قديما الطاقتين بحجاب الهيكل فى توزيع الأسرار المقدسة، كان الكاهن خادم الذبيحة يناول المتقدمين من القربان المقدس من إحدى الطاقتين المطلتين من الهيكل على خورس المتناولين، وكان الكاهن الشريك (أو الشماس برتبة دياكون) يقرب الشعب من الكأس من الطاقة الأخرى إذ لا يجوز لأحد أن يدخل إلى الهيكل مالم يكن كاهنا أو شماسا.

أما فى كنائسنا الحديثة فقد انتقل وضع خورس المتناولين من أمام باب الهيكل إلى جانب الهيكل من الجهة البحرية أو القبلية، وامتنع التناول من أمام باب الهيكل. لذلك وقد تغير وضع صف المتناولين، وجب أن لا يخرج الكاهن بالقربان المقدس إلى غير المتناولين، لأنه لا يجوز أن تكشف الأسرار لغير المتناولين. بل يلزم أن يسد ستر الهيكل من الأمام، ويكشف الستار عن خورس المتناولين من الجهة البحرية أو القبلية حيث يقف المتناولون.

وبناء على ذلك يستمر ترتيل المزمور المائة والخمسين، بغير توقف، لأن الترتيل يقوم به المرتلون الآن فى غير موضع المتناولين.

٢٩ - لماذا لا يقام أكثر من قداس على مذبح واحد؟

سؤال: من السيد نبيل القمص بطرس اسحق - بنى مزار.

يقول: لماذا لا يقام أكثر من قداس على مذبح واحد من دون التقيد بمدة زمنية بين قداس وآخر؟

الجواب:

إنه ترتيب كنسى قوامه احترام وتقديس لله، وتوقير الأسرار المقدسة، واجلال لسر القربان المقدس. فإن عدم إستخدام أوانى الخدمة بعد القداس لمدة لا تقل عن تسع ساعات، ينطوى على إحترام للأقداس وتعبير عن التوقير اللائق بها.

هذه الفترة الزمنية المصطلح عليها، وهى تسع ساعات، بوصفها الحد الأدنى لفترة (الاستعداد) السابقة على استخدام أوانى المذبح، هى بعينها الفترة الزمنية المصطلح عليها كحد أدنى (للاستعداد) عند الراغبين فى التقدم إلى سر القربان المقدس. والغاية منها بالنسبة للمتناولين جعل جسم الإنسان أو بدنه فى حالة جوع جسدانى يتواءم مع الجوع الروحانى إلى البر، عملاً بالقول الإلهى: «سعداء هم الجياع والعطاش إلى البر، فإنهم سيشبعون» (متى ٥ : ٦)، (إشعياء ٥٥ : ١)، (٦٥ : ١٣).

ولما كانت أوانى المذبح، هى أدوات يستخدمها الكاهن فى طقوس العبادة فتعامل معاملة الإنسان المتقدم للأسرار المقدسة، من قبيل اسقاط ما يليق به على جميع الأدوات التى يستخدمها فى عبادته، وذلك فى إطار التوافق والتطابق بين الباطن والظاهر.

أما لماذا كانت هذه الفترة (تسع ساعات) على الأقل، فهى على الغالب تشير إلى (تسعة الشهور) التى حملت فيها العذراء بالمسيح قبل أن يظهر مولودا منها، وهى أيضاً نفس المدة التى تحمل فيها كل أم جنينها قبل أن يخرج إلى الوجود.

هذا إلى أن الساعة (التاسعة) هى التى أكمل فيها المسيح عمل الفداء بموته (متى ٢٧ : ٤٥)، (مرقس ١٥ : ٣٣، ٣٤)، (لوقا ٢٣ : ٤٤)، (عاموس ٨ : ٩)، وفيها طلعت الشمس بعد أن خيم الظلام على كل الأرض... كما أن الصوم الإنقطاعى عند العابدين كان يمتد من منتصف الليل إلى الساعة التاسعة من نهار اليوم التالى (أعمال الرسل ١٠ : ٣، ٣٠) وفيها تجب الصلاة، وتعرف بصلاة الساعة التاسعة (أعمال الرسل ٣ : ١).

٣٠ ـ فترة إنقطاع الطفل الرضيع قبل التناول

سؤال: من الإبن الإكليريكى الشماس رفعت زكى نصير ـ الأقصر.

ما هى الفترة التى ينبغى فيها إنقطاع الطفل الرضيع قبل التناول من الأسرار المقدسة؟

ماهى الفترة التى ينبغى فيها إنقطاع طفل الحضانة قبل التناول من الأسرار المقدسة؟

الجواب:

المدة القانونية بالنسبة للطفل الرضيع **هى٣ ثلاث ساعات**، وهى المدة المقررة للرضيع بين كل رضعة وأخرى. ومع ذلك فللكاهن حق التصرف إذا رأى الضرورة تقتضى إنقاص هذه المدة إلى أقل من ٣ ساعات.

أما بالنسبة **لطفل الحضانة** وهو عادة يزيد على ثلاث سنوات، فالحد الأدنى المسموح به هو ثلاث ساعات وتزيد بالتدريج إلى أن يبلغ الطفل اثنتى عشرة سنة، وهى السن التى يجب أن ينقطع فيها الطفل عن الطعام، ست ساعات على الأقل. وللكاهن حق التصرف حسب ظروف الطفل الصحية.

٣١ ـ اللوح المقدس ومتى بدأ استعماله

أسئلة : من أحد الأباء الأساقفة.

أولا ـ ما هو اللوح المقدس ـ ماذا يكتب عليه، لماذا يوضع على المذبح؟

الجواب :

اللوح المقدس، قطعة مستطيلة من الخشب توضع عادة تحت الصينية والكأس، وهى تدشن وتمسح بالميرون، ويعتبر اللوح المقدس هو المائدة المقدسة، ولذلك يمكن أن يكون بديلا عن المذبح، عند الضرورة.

فإذا لم تكن الأحوال مستقرة، وفى الأسفار والانتقالات يمكن أن يستعاض عن المذبح بهذا اللوح المقدس والمدشن ليكون هو مائدة القرابين. لذلك يستصحب الكاهن أو الأسقف هذا اللوح المقدس معه فى انتقالاته ليضعه على مذبح مدشن أو غير مدشن ليكون مائدة القرابين.

ويجمل أن يكون هذا اللوح من الخشب الممتاز والمصقول، وأن يزخرف سطحه الأعلى بعلامة الصليب فى أركانه الأربعة وفى الوسط، ويمكن أن يكتب عليه عبارة تشير إلى وظيفته.

ويحسن أن يكون له فى المذبح الثابت مكان محفور يستقر فيه، فلا يكون قلقاً.

ثانيا ـ من الذى وضع طقسه، ومتى بدأ إستعماله، وهل من إثباتات من الكتاب المقدس أو قوانين الرسل لإستعماله؟

الجواب :

هناك إجماع على أن إستعماله بدأ فى العصور الأولى مع ظروف الاضطهادات التى كانت تضطر المؤمنين إلى الهجرة والسفر ومغادرة الكنائس المقامة، وأن الأصل فى إستخدامه أن يكون بديلا عن المذبح المدشن، وليكون هو نفسه بمثابة المذبح ومائدة القرابين توضع عليه الصينية والكأس عند التقديس.

ولا محل للبحث عنه فى الكتاب المقدس أو كتابات الرسل أكثر من أنه نوع من المذبح المتنقل فى ظروف السفر أو الاضطهاد أو الانتقال إلى مكان بعيد عن الكنائس المدشنة والمذابح المقامة.

ثالثـا ـ هل يجوز أن يصلى الأسقف بدون اللوح المقدس؟

الجواب:

يجوز أن يصلى الأسقف على مذبح مدشن، من دون اللوح المقدس، لأن اللوح هو بديل عن المذبح المدشن (الملوك الأول ٨: ٦٤). وعندنا فى الأحوال المستقرة نجمع بين المذبح واللوح معا، وإن كان يمكن أن يغنى أحدهما عن الآخر بشرط أن يكون مدشنا وممسوحا بالميرون المقدس.

رابعـا ـ هل عدم وجود اللوح يمنع تحويل الأسرار؟

الجواب:

إذا كان الله قد أمر فى العهد القديم بأن يمسح المذبح وكل آنيته بدهن المسحة ليكون المذبح قدس أقداس (الخروج ٤٠: ١٠)، (اللاويين ٨: ١١) مع أن هذا المذبح كان لتقديم ذبائح حيوانية، فنحن وقد صار لنا مذبح فى العهد الجديد لا سلطان لليهود أن يأكلوا منه (العبرانيين ١٣: ١٠) يجب أن ندشن مذابحنا بالميرون وهو المسحة المقدسة فى العهد الجديد فيصير مقدساً ومخصصا ومكرسا لله، موقوفاً عليه، ولكى يحل عليه روح الرب ومجده (الخروج ٤٠: ٣٥)، (الملوك الأول ٨: ١٠).

خامسا ـ لو تصادف واكتشف الكاهن أثناء القداس عدم وجود اللوح المقدس، كيف يتدبر؟

الجواب:

إن للأسقف ثلاثة إختصاصات أساسية:

١ ـ الكرازة والتعليم.

٢ ـ التدشين والتقديس.

٣ ـ الرعاية والتدبير.

إن مهمة الأسقف أن يوفر المذابح المدشنة. وفى الكنائس الجديدة، إذا لم يكن المذبح قد تدشن بعد، فيجب أن يوضع على المذبح اللوح المقدس المدشن. ويعتبر خطأ وإهمالا وتقصيرا أن يقام القداس من دون أن تكون متطلبات الذبيحة كلها متوافرة. ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بعد الخطأ ونتائجه لو أقيم القداس من دون أن تتوافر مسبقا كل العناصر المطلوبة لإقامته طبقاً للأوامر الإلهية وتعاليم الكنيسة المقدسة.

سادسا ـ هل يستعمل السريان والأرمن الأرثوذكسى اللوح المقدس؟

الجواب :

نعم، فالسريان يصنعونه من الحجر، واليونان من الكتان ويسمونه *ἀντιμνήσιον*

سابعا ـ هل يحق إقامة قداس قبطى قبل أو بعد قداس سريانى على مذبح واحد؟

الجواب :

يجوز ذلك بعد مضى ٩ ساعات على الأقل طبقا لطقس كنيستنا.

ثامناً ـ هل هناك عقوبات كنسية لمن يصلى بدون لوح مقدس وهل هناك سابقة تاريخية لهذا الأمر؟

الجواب :

العقوبات متروكة لتقدير أسقف الإيبارشية «حسب تقويمك يا كاهن» (اللاويين ٢٧ : ٢)، (العدد ١٨ : ١٦).

على أنه ينبغى أن نقرر أن الكاهن الذى يقدس بدون مذبح مقدس، أو لوح مقدس، قد وقع فى مخالفة لأمر إلهى لأن الله هو الذى أمر بأن يمسح المذبح بالمسحة المقدسة. (الخروج ٤٠ : ١٠)، (اللاويين ٨ : ١١).

٣٢ ـ لماذا يوضع الاسباديقون مقلوبا فى الكأس؟

سؤال : من أحد الكهنة.

يقول المفروض فى الرشم الثالث والأخير قبل الإعتراف الأخير، أن يرفع الكاهن (الاسباديقون) بيده ويضعه مقلوبا فى الكأس. فلماذا ذلك، ولماذا يوضع مقلوبا ولا يوضع معدولا؟

الجواب :

لما كانت قربانة الحمل تقسم إلى ثلاثة عشر جزءا، منها الإثنى عشر جزءاً التى تمثل تلاميذ المسيح الإثنى عشر، والجزء الأوسط وهو الثالث عشر يمثل المسيح له المجد، لذلك يسمى ب (الاسباديقون) أو بالأحرى والأصح (الديسبوديقون) Despotikon وهى كلمة يونانية معناها حرفيا: (السيدى) أو (الخاص بالسيد). لذلك فإن الكاهن يضع هذا الجزء أو القسم فى الكأس مشيرا بذلك إلى حقيقة الوحدة بين جسد المسيح ودمه (وأن هذا الجسد لهذا الدم، وهذا الدم لهذا الجسد).

أما أن (الاسباديقون) أو (الديسبوديقون) يوضع مقلوبا فى الكأس، فذلك إشارة إلى أن المسيح الفادى عندما صلبوه (أرقدوه على ظهره) وسمروه فى الصليب، فأهرق دمه، ولما رفعوه ـ وظهره على الصليب ـ وطعنوه فى جنبه بالحربة، (جرى منه دم وماء وتخضب بهما جسده).

فالمسألة إذن معنوية، والحكمة روحية، لاهوتية وعقائدية.

٣٣ ـ هل يضع البخور فى ملعقة الكأس ؟

سؤال : من أحد الكهنة.

عندما يقول الكاهن «أقدم لك ياسيدى مشورات حريتى... وذلك من صلوات القداس الغريغورى، جاء فى الخولاجى قوله «هنا يمسك الكاهن الملعقة بلفافة، ويرشم بها على درج البخور رشما واحداً. ثم يأخذ بها البخور من الدرج، ويضعه فى المجمرة، ثم يمسح الملعقة بلفافة ويضعها فى مكانها. كل ذلك وهو يقول: أقدم لك ياسيدى مشورات حريتى... فهل المقصود بالملعقة هنا هو (المستير) الخاصة بالكأس؟ أم ملعقة درج البخور العادية؟ وإذا كان المقصود هو المستير الخاصة بالكأس فما هو المعنى والمغزى من هذا الطقس؟ وهل هذا ينطبق أيضاً على القداس الباسيلى والكيرلسى؟

الجواب :

المعروف أن الملعقة المشار إليها هنا فى الطقس هى (المستير) أى ملعقة الكأس فإنه فى غير هذا الموضع يرد قوله (يضع الكاهن يد بخور) أى يأخذ البخور بيده من درج البخور. أما فى بدء التقديس فيضع الكاهن البخور فى ملعقة الكأس ـ المستير ـ مشيرا بذلك إلى ما فعله أحد السيرافيم إذ طار وبيده جمرة أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فم النبى إشعياء وقال: ها إن هذه قد مست شفتيك فأزيل إثمك وكفر عن خطيئتك (إشعياء ٦ : ٦، ٧).

وجاء فى صلاة التكريس والتدشين للملعقة ـ المستير ـ فى (كتاب تكريس أوانى المذبح) قول الأسقف:

«يا الله الذى جعل عبده إشعياء النبى مستحقاً لأن ينظر السيرافيم، والملقط فى يده، إذ أخذ به الجمرة من على المذبح ومس بها فمه. الآن يا الله القادر على كل شىء، ابسط يدك على هذه الملعقة ⲙⲩⲥⲧⲏⲣ Myster ... باركها، قدسها. امنحها قوة وكرامة الملقط الذى كان فى يمين السيرافيم، فإن لك القدرة والمجد...».

وجاء فى صلاة (القسمة) للقداس الكيرلسى «وكما طهرت شفتى عبدك إشعياء النبى، إذ أخذ أحد السيرافيم جمرة بالملقط من على المذبح وطرحها فى فيه وقال له: ها إن هذه قد مست شفتيك، فتزيل آثامك، وتطهر جميع خطاياك...».

لذلك فإن كتاب الخولاجى ينص قائلاً: «هنا يمسك الكاهن الملعقة بلفافة ثم يأخذ بها البخور من درج البخور ويضعه فى المجمرة **ثم يمسح الملعقة بلفافة ويضعها فى مكانها... ولو كان المقصود غير ملعقة الكأس - المستير - لما أمر بأن يمسح الكاهن الملعقة بلفافة المذبح، وأن يردها بعد ذلك إلى موضعها الأول.**

ناهيك بأنه فى غير هذا الموضع يأمر بوضع (يد بخور) أى من غير النص على وضعه فى الملعقة. ثم إن الملعقة فى المصطلح الكنسى فى القداس هى (**ملعقة الكأس**) وهى وحدها التى ينص عليها كتاب (تكريس أوانى المذبح) والمقابل لها بالنص القبطى هو المستير Myster **ⲙⲩⲥⲧⲏⲣ**.

كذلك ورد الأمر بعينه فى القداس المرقسى الكيرلسى، فقد جاء قوله عند بدء التقديس:

«هنا يمسك الكاهن الملعقة بلفافة ويرشم بها على درج البخور رشما واحدا ويضع بها البخور فى المجمرة. ثم يبخر يديه على المجمرة ثلاث دفعات كالعادة...».

ولا شك إن ما ورد فى القداس الغريغورى والقداس المرقسى الكيرلسى ينسحب أيضاً على القداس الباسيلى.

وواضح أن النص على وضع البخور فى ملعقة الكأس عند بدء (التقديس) للعناصر يلفت النظر إلى العلاقة بين ملعقة الكأس وملقط السيرافيم، والبخور العطر فى هذه الحالة يرمز إلى المسيح له المجد. جاء فى لحن العذراء الذى يرتله الشعب بعد تلاوة تحليل الخدام «المجمرة الذهب الحاملة العنبر... هى العذراء، وعنبرها هو مخلصنا...».

٣٤ ـ هل تغطى الصينية المقدسة باللفافة ؟

سؤال : من أحد الكهنة.

يقول عندما يحمل الكاهن الصينية وبها الأقداس وهو يتلو الإعتراف الأخير، هل يلزم أن تكون مغطاة باللفافة الخاصة بها أم يمكن أن يحملها الكاهن وهي مكشوفة ؟

الجواب :

جوابنا على ذلك بكل قطع أنه يجب أن تكون الصينية مغطاة باللفافة... فالأسرار المقدسة لا تكشف إلا عند التناول، وعندئذ كما ورد فى نهاية القداس الكيرلسي يقول الكاهن «ها قد كشفت الأسرار، فمن كان طاهراً فليدن. ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت» انظر أيضاً كتاب القوانين لابن العسال باب ١٢ ـ قوانين القديس باسيليوس ـ قانون ٩٧.

إن تغطية الصينية لها حكمتها الروحية، وفى ذلك بيان لعمق هذا السر وغموضه وهو (سر الأسرار)، وإعلان عن عظمته وسموه وجلاله وما يحوطه من رهبة الملائكة التى تشتهى أن تطلع على معرفته ورؤيته كما ورد فى بعض القسمات.

وبهذه المناسبة نرى أنه من الخطأ خروج الذبيحة وعرضها على عامة الشعب من غير المتناولين ـ **فإن الأسرار لا تكشف لغير المتناولين**. ولما كان قديما خورس المتناولين هو الخورس الأول من الأمام أمام الهيكل، فقد كان خروج الذبيحة من الطاقتين الأماميتين الموجودتين فى حجاب الهيكل هو للمتناولين الواقفين فى الخورس الأول. أما وأنه قد تغير وضع خورس المتناولين فى كنائسنا الحديثة، فصار المتناولين يتناولون من الجانب الأيمن والأيسر للهيكل، فيجب فى هذه الحالة شد الستر الخارجى للهيكل ليحجب الذبيحة عن غير المتناولين فلا تكشف الذبيحة إلا للمتناولين فقط.

انظر أيضاً كتاب (القوانين) لابن العسال باب ١٢ ـ القداس ـ ٩٧.

وفى الأديرة والكنائس القديمة يفصل ما بين خورس المتناولين وخورس السامعين والموعوظين، وهو الخورس الثانى، حجاب آخر أو ستارة ـ وفى هذا الخورس يقوم (المنبر) لأنه خورس السامعين، وهذا يؤكد أن الأسرار لا تكشف من الأمام إلا للمتناولين فى الخورس الأول.

٣٥ ـ اللفافة التى يلف بها الحمل

سؤال : من أحد الكهنة.

يسأل عن لف القربانة فى اللفافة بعد استبراء الحمل، وبعد أن يذكر الكاهن من يريد أن يذكرهم أمام الله مصليا من أجلهم، وما إذا كانت اللفافة تصير فى وضع مقلوب بحيث يكون الوجه المطرز للفافة من الداخل وملاصقا لقربانة الحمل، وهل هذا هو الوضع الأصح؟

الجواب :

لما كانت طقوس القداس وسائط ووسائل إيضاح تعليمية صامتة، ولما كانت اللفافة فى ترتيب القداس تمثل القماط الذى لفت به العذراء مريم يسوع المسيح عند ولادته (لوقا ٢ : ٧، ١٢)، فمن الأليق والأكرم أن يكون وجه اللفافة الملاصق هو الوجه المطرز بالصلبان.

٣٦ - أسئلة حول التناول من الكأس

أسئلة : من القس بولس القمص ميخائيل.

١ - هل يجوز للأب الأسقف أن يناول الكاهن المصلى من الجسد المقدس باليد مباشرة كما يناول الشمامسة والشعب. أم أن يضع له الجوهرة فى المستير ليتناولها الكاهن بنفسه؟

الجواب :

نعم، إنه يجوز للأسقف ذلك، بل هذا هو الوضع الطبيعى **(اعطوهم أنتم ليأكلوا)** فالأسقفية هى الدرجة الرسولية. وللأسقف كمال الكهنوت، وللقسيس التكميل.

إن وضع الجوهرة المقدسة من المائدة الربانية فى المستير للمتناول هو المتبع بالنسبة للمتساوين فى الدرجة الكهنوتية. فالبطريرك يعمل هكذا بالنسبة للمطارنة والأساقفة لأنهم شركاؤه فى الدرجة الكهنوتية. والقسيس يعمل هكذا بالنسبة للقسوس.

٢ - هل يجوز للكاهن الشريك أن يتناول من الكأس قبل مناولته للشمامسة والشعب، وقبل تناول الكاهن الخديم، من الكأس؟

الجواب :

أقول: نعم، هذا جائز.

ولعل الوضع الأفضل هو أن يقوم الكاهن الخديم بالتناول من الصينية، ومعه الكاهن الشريك - ثم يتناول الكاهن الخديم من الكأس، ويتناول معه الكاهن الشريك من الكأس، ثم بعد ذلك يقوما بمناولة الشمامسة والشعب رجالاً ثم سيدات.

٣ - هل يجوز للكاهن المصلى مع الأسقف أن يتناول الدم بنفسه من الكأس التى فى يده قبل الشمامسة والشعب، أم أنه يناول الشمامسة والشعب ثم يقدم الكأس للأسقف كى يناوله هو بنفسه؟

الجواب :

طالما أن الأسقف هو خادم القداس **فهو الذى يناول القسيس من الكأس. وبعد ذلك يناول الأسقف أو القسيس، الشمامسة والشعب رجالاً وسيدات.**

الوضع الأصيل أن الأسقف يتناول أولاً، ثم القسوس ثم الشمامسة ثم الشعب - الرجال وبعد ذلك النساء.

هذا هو الترتيب الذى يجب الحرص عليه، وهو أيضاً ما ينص عليه الترتيب المذكور فى الخولاجى الكبير.

٤ ـ من الذى يصلى (مجمع القديسين)، الكاهن الخديم أم الكاهن الشريك؟

الجواب :

ليس ثمت ما يمنع أن يصلى المجمع الكاهن الخديم أو الكاهن الشريك.

الكاهن الخديم هو الذى يستبرىء الحمل، وهو الذى يتلو صلوات التقديس للخبز والخمر وطلب حلول الروح القدس على الخبز والخمر وهو الذى يتلو صلوات (القسمة) والإعتراف الأخير، بكل مقدماته وإلى نهايته (ابتداء من اذكر يارب الذين قدموا لك هذه القرابين، والذين قدمت عنهم والذين قدمت بواسطتهم).

هذه إجابات مقتضبة، راجيا لكم كل بركة ونعمة.

٣٧ ـ هل يجوز مناولة النساء أكثر من مرة من الجسد والدم؟

سؤال : من القس كيرلس فرج عوض.

هل يجوزمناولة النساء أكثر من مرة من الجسد والدم؟

الجواب :

نعم، إنه جائز، وليس هناك سبب يمنع من ذلك طالما أن (الجواهر) متوافرة وعدد المتناولين والمتناولات ليس كبيرا. على أن كتب الكنيسة تنص على أن يتناول الكهنة ثم الشمامسة ومن بعد ذلك الرجال ثم النساء.

٣٨ ـ هل يجوز تناول مسيحى تعرض لقتل أحد أقربائه؟

سؤال : من الأب المحترم القس جبرائيل بشرى كامل ـ بمعصرة حجاج (المنيا).

الجواب :

إجابة على سؤالكم عن مسيحى تعرض لقتل أحد أقربائه، هل يجوز تناوله؟ نقول إن القتل خطيئة مميتة، فلا يجوز للقاتل أن يتناول من الأسرار المقدسة، إلا إذا قدم توبة كاملة بالندم والانسحاق، والدموع والإعتراف الصريح أمام الله على يد الكاهن، ولابد له من تأديب كنسى يفرضه عليه الكاهن قبل أن يسمح له بالتناول.

٣٩ - هل يحل التناول لمن طلق زوجته؟

سؤال: من الأب المحترم القس يوحنا اسحق يوسف - فاقوس شرقية.

رجل طلق زوجته لغير علة الزنى، وبموجب حكم قضائى، وتزوج بأخرى عند البروتستانت الإنجيليين، هل يجوز له التناول من الأسرار المقدسة، بموجب حل يمنحه الكاهن؟

الجواب:

لا يجوز لمن طلق زوجته التناول من الأسرار المقدسة إلا إذا أقر المجلس الإكليريكى الطلاق واعتمده، ومنحه تصريحا بالزواج.

فإذا منحه المجلس الإكليريكى التصريح بالزواج، يلزم أن تتم له مراسم الزواج طبقا لطقوس الكنيسة الأرثوذكسية. بعد ذلك يقرر أبوه فى الإعتراف إستحقاقه للتقرب من الأسرار المقدسة.

وعلى ذلك يلزم:

١ - إقرار المجلس الإكليريكى الطلاق ومنح التصريح بالزواج الثانى.

٢ - مباشرة مراسم الزواج طبقا لطقس الكنيسة الأرثوذكسية.

٣ - إقرار أب الإعتراف إستحقاق الرجل للتقرب من الأسرار المقدسة، ومنحه الحل بذلك.

٤٠ - الصوم الإنقطاعى بعد ممارسة سر التناول

سؤال: من الأب المحترم القس مينا عبد الله عبيد.

هل يجوز الصوم الإنقطاعى بعد ممارسة سر الأفخارستيا؟

الجواب:

نعم يجوز الصوم الإنقطاعى بعد التناول من الأسرار المقدسة. ولا يعد شرب قليل من الماء بعد التناول مباشرة، كما هى العادة المتبعة طقسيا، مانعا من إستمرار الصوم الإنقطاعى، سواء للكاهن أو الشماس، أو سائر المؤمنين. هذا فى الأحوال العادية.

كذلك إذا كان الكاهن سيحمل الأسرار المقدسة إلى أحد المؤمنين فى بيته أو فى المستشفى، فيلزم أن لا يشرب الماء بعد القداس، وإنما يعطى الماء بعد غسل الصينية والكأس للكاهن الشريك أو للشماس الخديم فى الهيكل.

٤١ - الترتيب المتبع لمناولة أحد المرضى

سؤال: من الأب المحترم القس مينا عبد الله عبيد.

طُلب منى مناولة أحد المرضى بالفراش فى المستشفى فأرجو أن أعرف طقس وترتيب الكنيسة فى هذا الشأن بعد أن أنتهى من مناولة الشعب بالكنيسة.

الجواب:

يلزم أولا بعد الإنتهاء من خدمة القداس، وبعد أن يتناول الكاهن من المائدة الربانية مباشرة، وقبل أن يشرب من الكأس، أن ينقل إلى حق الذخيرة المقدس (جوهرة) من جواهر القربان المقدس، ثم يصب عليها من الكأس ملء نصف (المستير) - وهى ملعقة الكأس - ثم يغلق حق الذخيرة بإحكام.

وبعد أن يفرغ الكاهن من مناولة الشمامسة والشعب ذكوراً، وإناثاً، وبعد أن يفرغ أيضاً من تقريب الكل من الكأس، ثم يغسل الأوانى، يقدم غسيلها للكاهن الآخر الشريك، إذا وجد، ثم إلى شمامسة الهيكل. ولا يجوز لغير الشمامسة المرسومين أن يشربوا من الصينية.

أما الكاهن الذى سيقوم بحمل حق الذخيرة لتقريب أحد المؤمنين فى البيت أو المستشفى من الأسرار المقدسة، فيمتنع عن شرب غسيل الأوانى، مرجئا ذلك إلى أن يفرغ من مناولة المريض، لأنه سيغسل حق الذخيرة، ويشرب الماء الذى فيه، كالعادة.

وعندما يصل الكاهن حامل الذخيرة إلى حيث المريض يجب أن لا يسلم على أحد من أهل البيت ثم يخلع حذاءه من رجليه، وينتعل (التليج) ويلبس الصدرة أو الصدرية الكهنوتية على صدره، ويقبل إعتراف المريض، لئلا يكون ضميره مثقلاً بخطيئة مانعة من استحقاقه للتناول من الأسرار المقدسة - ثم يمنحه الكاهن (الحل الكهنوتى)، أى يقرأ على رأسه (تحليلاً) كاملاً وبصوت واضح للمريض ثم يناوله الجوهرة المقدسة المبللة بالدم الكريم.

على أن يحرص الكاهن على عدم تقديم القربان المقدس للمريض إذا كان المريض فى حالة غثيان أو قىء أو استعداد للقىء - كما هى حالة المصدورين المصابين بالسل الرئوى فى مرحلة متأخرة بحيث تنتابه موجة سعال (كحة) تجعله يقذف بما هو فى فمه. فإنه من الخير، فى مثل هذه الحالة، أن يعود الكاهن بالقربان المقدس فى حق الذخيرة إلى الكنيسة، أو يتناوله هو بنفسه، من أن تقع عليه مسئولية إهانة الأسرار المقدسة، بقذفها من فم المريض.

فإذا تمم الكاهن تقريب المريض من الأسرار المقدسة، يغسل حق الذخيرة، كما يفعل فى الكنيسة تماما، ويشرب غسيلها ثم يصلى الصلوات الختامية، معطيا المجد لله فى الأعالى، ويصلى الصلاة الربانية ويمنح البركة الرسولية. ثم يخلع الصدرية، والتليج، وينصرف بسلام بعد أن يبارك المريض، وأهل البيت، أو الحضور فى غرفة المريض بالمستشفى.

٤٢ ـ لماذا لا يستبقى شيء من القربان المقدس؟

سؤال: من السيد الشماس جورج داود نجيب باكوس ـ الأسكندرية.

يقول إنه فى طقوس الكنائس اليونانية الأرثوذكسية والكاثوليكية يحتفظ بما تبقى من الأسرار المقدسة فى مكان خاص للتناول منها فى الأيام التالية، على حين تحرص كنيستنا القبطية الأرثوذكسية على تناول الأسرار المقدسة بالكامل. فما تفسير ذلك فى الطقس القبطى والطقوس الأخرى؟

الجواب:

منذ بدء التاريخ المسيحى كانت الكنيسة تقيم القداس فى يوم الأحد (يوم الرب) ويوم السبت (عيد الشريعة القديمة). وفى عصور تالية أمكن مع زيادة عدد المسيحيين وعدد الكهنة ومع توافر الإمكانيات والأسباب، إقامة القداسات فى أيام أخرى أيضاً من أيام الأسبوع.

لذلك نبتت الحاجة منذ بدء التاريخ المسيحى إلى إستبقاء شيء من الأسرار المقدسة محفوظة بكل التوقير فى مكان أمين لمنفعة المؤمنين فى أيام الأسبوع التى لا تقام فيها قداسات، خصوصا للمرضى والمشرفين على الموت والراغبين فى التزود بالأسرار المقدسة فى رحلة الأبدية.

هذا ما سارت ومازالت تسير عليه الكنائس الأرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى والكنائس الرومانية الكاثوليكية، ثم الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة كالسريان الأرثوذكسى والأرمن ومن يتبعهم.

أما كنيستنا القبطية الأرثوذكسية فيبدو أنها كانت تسير على ذلك فى مبدأ الأمر، على الأقل فترة ما، ثم أوقفته بعد ذلك لأسباب ثلاثة سنذكرها بعد قليل. والدليل على أن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية كانت فى وقت ما، فى فترة راحة من الاضطهادات العنيفة، تستبقى شيئا من الأسرار المقدسة لمنفعة المؤمنين فى الأيام التى لا يقام فيها القداسات هو ما جاء فى مرد الشماس فى بدء قداس المؤمنين، وعند رفع الأبروسفارين، وقبل حلول الروح القدس على العناصر من الخبز والخمر، قوله:... «أيها الاكليروس وكل الشعب، بابتهال وشكر، بهدوء وسكوت ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق، **لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا** موضوعين عليه، **والملائكة ورؤساء الملائكة قيام، السيرافيم** ذوو الستة الأجنحة

والشاروبيم الممتلئون أعينا، **يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور** والذى لا ينطق به».

على أنه للأسباب الثلاثة الآتية أوقفت الكنيسة الإبقاء على شىء من الأسرار المقدسة بعد تناول المؤمنين والمرضى فى بيوتهم:

أولاً- فى عصور الاضطهاد كان أعداء الإيمان المسيحى يقتحمون الكنيسة ويهينون الأسرار المقدسة. ولهذا السبب تغير موقف الشماس، فبينما كان الكاهن، ومازال، يواجه الشرق أثناء خدمة القداس، كان الشماس فى أزمنة الإضطهاد يواجه الغرب حتى إذا رأى المضطهدين اقتحموا الكنيسة كان يسرع بتنبيه الكاهن، فيحمل المائدة بما عليها إلى مخبأ فى الجانب الغربى من المذبح، أو يمضى بها إلى مخبأ بعيد عن الهيكل، عبر سرداب طويل. مازالت توجد أثار هذه المخابىء والسراديب فى بعض الكنائس والأديرة فى الوجه القبلى (ومن بينها أديرة اسنا المشهورة بمدينة الشهداء).

ثانيا- نظرا لحرارة الجو وخصوصا فى صعيد مصر تكثر العقارب والثعابين ويمكن أن تتسرب العقارب أو الثعابين إلى آنية المذبح. وعلى مدى التاريخ حدثت بعض وقائع من هذا النوع.

ثالثا- نظراً لحرارة الجو فى مصر عموما صار يخشى على العناصر من الخبز والخمر من أن تتلف أو يلحقها تغير من أى نوع.

لهذه الأسباب الثلاثة أوقفت كنيستنا القبطية الأرثوذكسية استبقاء شىء من الأسرار المقدسة إلى اليوم التالى.

ولعله إلى هذا السبب على الخصوص صارت الحاجة ماسة إلى أن تقام القداسات فى غير أيام الآحاد والسبوت من أيام الأسبوع، فضلا عن الأعياد الكبرى والصغرى.

٤٣ - لا يجوز أن يتسبب إنسان فرد في وقف خدمة القداس

سؤال : من الاستاذ الدكتور سليمان نسيم.

أحد الآباء الكهنة نكث وعدا كان قد تواعد به مع أحد أبنائه، ولأن هذا الوعد كان حول موضوع هام وخطير فقد اتصل به هذا الإبن وقال له تذكر يا أبي أنك خنت الوعد وكلما رفعت الذبيحة تذكر أنني لم أسامحك هل يجوز لهذا الأب أن يرفع الذبيحة بعد ذلك؟

وماذا لو جاء هذا الإبن في أحد القداسات وحين يقول هذا الكاهن سامحوني يرد هذا الإبن: «آسف ياأبي أنا مش مسامحك»؟

الجواب :

لا يجوز لإنسان فرد أن يوقف أو يتسبب في وقف خدمة القداس.

إذا كان لهذا الإنسان شكوى ضد الكاهن، فيمكن أن ترفع شكواه إلى رئاسة هذا الكاهن أي الأسقف التابع له، ويمكن أن تنظر الشكوى في مجلس إكليريكي.

٤٤ ـ مسئولية الكاهن كحارس لسر التناول

سؤال: من أحد الآباء الكهنة.

هل يجوز للكاهن أن يمنح الحل بالتناول من الأسرار المقدسة، لأحد المؤمنين لم يحضر القداس منذ بدء رفع الحمل، بل ولم يسمع حتى قراءة الإنجيل، مكتفيا بحضور ما مدته نصف ساعة أو ما إليه قبيل توزيع الأسرار المقدسة من المائدة الربانية؟

الجواب:

يجب أن نقرر من حيث المبدأ أولاً، أن الكاهن مسئول أمام الله وحسب مقتضيات مسئوليته الكهنوتية أن لا يقرب إلى الأسرار المقدسة إلا من يراه مستحقا لهذه الكرامة، فالكاهن فى وضع الكاروبيم الحارس لطريق شجرة الحياة (التكوين ٣: ٢٤)، وتلك هى مسئوليته التى أقيم من أجلها، ليس لأحد من الشعب أن يعترض على الكاهن الذى يقوم بمقتضيات مسئوليته كحارس للأسرار المقدسة، فإنه مكتوب «فمن أكل من هذا الخبز أو شرب من كأس الرب بدون استحقاق (أى لم يكن أهلا لهما) يكون مجرما (أى مذنبا) إلى جسد الرب ودمه.. فمن يأكل ويشرب بدون استحقاق غير مميز جسد الرب، يأكل ويشرب دينونة لنفسه». ولذلك فيكم كثيرون من الضعفاء والمرضى وكثيرون يرقدون» (١ . كورنثوس ١١: ٢٧– ٣٠).

جاء فى الوصية التى تتلى على الكاهن فى يوم رسامته «والواجب عليك (أيها الكاهن) أكثر من جميع الوصايا البيعية، وأفضل من كل ما سواه من الأوامر الرسولية: الاحتراس فى توزيع سرائر الرب المحيية... وثق أن الشاروبيم والسيرافيم وقوف بالمخافة والارتعاد. وتبين قدر من هو ذبيح بين يديك، وأنه المسيح عمانوئيل... واعلم أنك تقسم أعضاءه الناسوتية... واحرس هذه الذخيرة كحراسة الشاروبيم لشجرة الحياة... ولا تناوله إلا للحسن السيرة الصالح السمعة والطاهر السريرة، وإهد من كانت طريقته شريرة لئلا يقتل نفسه وتكون أنت السبب فى الجريرة (الجناية والذنب) واحذر الاهمال فتحصل المضرة (الضرر)، فإن العالم كله لا يساوى منه مثقال ذرة، ويكون توزيعك (للأسرار) بترتيب ونظام وهدوء وسكون وحرص وإحترس...».

وعلى ذلك فمن حق الكاهن أن يمنع من يرى كأب وكراع مسئول، أنه غير أهل للتناول من الأسرار المقدسة لأسباب روحية، ومنها عدم حضوره القداس من أوله، فإن القداس وليمة ومائدة سمائية ـ ومن آداب الوليمة أن يحضر المدعوون إن لم يكن قبل بدء الوليمة، فعلى الأقل عند بدء الوليمة.

ونحن نرى أنه من واجب الكاهن توعية الشعب فى أثناء تفسير القداس والعظة، فالكاهن معلم، وعليه أن ينبه الشعب إلى آداب الحضور فى الكنيسة، وترتيب التقرب إلى الأسرار المقدسة، حتى لا يقع الكاهن ومعه الشعب فى خطأ تجاوز القوانين الكنسية والتعدى على الشريعة الإلهية.

٤٥ ـ لامانع من التناول من الأسرار المقدسة (١)

العزيز السيد/عزت رمزى داود ـ بنى سويف.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

وصلنى خطابك وقرأته، وتبينت مشكلتك بتفاصيلها المعروضة بخطابك.

ورداً على أسئلتك أجيب بأن القرارات التى اتخذتها، هذه القرارات الأربعة، قرارات سليمة، وفيها إن شاء الله الحل المناسب.

وأما عن التناول من الأسرار المقدسة، فهذا ممكن ـ فأنت أرثوذكسى، ومعمد أرثوذكسى، وإكليلك مع زوجتك تم فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وطبقاً للطقس الأرثوذكسى، **فلا مانع من التناول من الأسرار المقدسة.**

وعليك أن تتخذ أحد شيوخ الكهنة أباً لذمتك وعن طريقه يمكن أن تتقدم للأسرار المقدسة. وإنى أقرك على قطع علاقتك بمن يعثرك، فهذا هو تعليم المسيح. وعلى المسيحى أن يكون من الشجاعة بحيث يصدر على نفسه هذا القرار أن يقطع صلته بكل إنسان يعثره أو يكون حجر عثرة فى سبيل سلامه وخلاصه الأبدى.

وأرجو أن تسير زوجتك معك، فإن الرابطة الروحية المقدسة التى ربطت بينكما، تقتضى أن تكون المرأة خاضعة لزوجها خضوع الجسم للرأس.

ونعمة الرب تشملكم...

---

(١) كتب فى ٣ من سبتمبر ١٩٨٥م ـ ٢٨ من مسرى ١٧٠١ش.

٤٦ ـ لايحق للرجل وزوجته أن يتقربا من المائدة الربانية إلا بعد الإنضمام للكنيسة (١)

سؤال: من الأب المحترم القس ى. ع. ع.

هل يجوز لرجل وإمرأته أن يتقربا من المائدة الربانية فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وهما قد تزوجا على يد قسيس بروتستانتى؟

الجواب:

إن الزواج بمعرفة قسيس بروتستانتى لا تقره كنيستنا الأرثوذكسية، وهو فى حكم الزواج المدنى. وبناء عليه لا يحق للرجل أو زوجته أن يتقربا من المائدة الربانية مالم:

١ ـ ينضم كل منهما إلى الكنيسة الأرثوذكسية وذلك بتعميد كل منهما فى الكنيسة الأرثوذكسية وطبقاً للطقس الأرثوذكسى فى سرى المعمودية، والمسحة المقدسة (الميرون).

٢ ـ فإذا كان الرجل والمرأة معمدين فى الكنيسة الأرثوذكسية وممسوحين بمسحة الميرون، فيلزمهما أن يعقد عليهما كنسيا بمباشرة كاهن أرثوذكسى.

فإذا تم ذلك يمكن أن يسمح لهما بالتناول من الأسرار المقدسة.

ونعمة الرب تشملنا جميعا...

---

(١) كتب فى ٣١ من أغسطس ١٩٩٠م ـ ٢٥ من مسرى ١٧٠٦ش.

٤٧ ـ المفطرون وتناولهم الأسرار المقدسة (١)

سؤال: من الأخ ميشيل لبيب منصور ـ بدمنهور.

إذا كنا حسب نظام الكنيسة ـ فى صوم الرسل مثلاً، وتقدم شخص «فاطر» لم يكن صائماً للتناول فهل يحق له أن يتناول أو قل رفض أن يصوم... فعلى من تقع العقوبة إذا تقدم وتناول من الأسرار؟

الجواب:

يجب على الكاهن أن لا يسمح لأحد بالتقرب إلى الأسرار المقدسة قبل أن يباشر سر التوبة أو الاعتراف أولاً، وأن لا يمنحه الحل الكهنوتى من خطاياه قبل أن يتثبت من صدق توبته ومن استعداده لحياة النعمة، ومن خضوعه لإرشاداته، ومباشرته للتأديبات الكنسية فى طاعة تامة إذا كان هناك ما يقتضى هذه التأديبات أو العلاجات الروحية. وقد تمر أيام كثيرة قبل أن يمنح الكاهن الأمين تلميذه الحل بالغفران. والصوم فضيلة من الفضائل التى ينبغى أن يمارسها من ينشد القداسة. وينبغى أن يتدرج الكاهن مع تلميذه فى الاعتراف، فى بلوغ مراتب الفضيلة درجة درجة. ولقد رتبت كنيستنا الأصوام المقدسة فى ثلاث مراتب:

جعلت صوم الأربعين وأسبوع الآلام والأربعاء والجمعة فى أول مرتبة، ثم صوم نينوى وأصوام البرامون، وفى المرتبة الثانية: صوم الميلاد، وصوم الرسل، وفى المرتبة الثالثة: صوم السيدة العذراء.

فقد يجوز أن يسمح الكاهن لتلميذه المبتدىء فى طريق الفضيلة أن يتقدم إلى التناول، إذا لم يكن قد تدرب بعد على الأصوام التى فى المرتبة الثانية أو الثالثة. وإنه يبدو لنا أيها الأخ، أن يتخذ المؤمن قاعدة التصرف والسلوك من المرشد فى سر الاعتراف لا من الكتب. فالمرشد هو الطبيب الروحانى الذى قد يجتزىء من الدواء وفقاً لقوة المريض ودرجة احتماله ولا يجوز لأحد أن يتخذ العلاج الذى يباشره المريض، قاعدة ليسير هو عليها فى زمن الصحة أو حتى فى زمن المرض، فما يصلح لشخص قد لا يصلح لشخص آخر.

من هنا يجب أن لا يدين أحد منا شخصاً، طالما أن هذا الشخص له مرشد أمين يرعاه ويقتاده إلى طريق القداسة ومن هنا أيضاً ترى خطورة المسئولية التى تقع على

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة الرابعة ـ العدد ٩ ـ فى نوفمبر ١٩٥٠م.

عاتق الكاهن المرشد، وإنه ينبغى أن يكون متصفاً بالفضيلة والعلم، محنكاً، حاذقاً، مجرباً، متزناً، موضع ثقة واحترام.

أما إذا كان الكاهن جاهلا بمسئوليته، ولم يردع المتجاسرين، مستهتراً بالسر المقدس، ولم يفحص المتقربين إليه فحصاً دقيقاً، فقد عرض نفسه لدينونة رهيبة. لأنه لم يكن أميناً للأسرار، وراعياً صالحاً للنفوس.

٤٨ ـ هل يجوز التناول للمنحرفين فى العقيدة؟ (١)

سؤال: من أحد قراء المجلة الكرام يسأل هل يجوز لشخص يضطهد الكنيسة ويرأس اجتماعا غير أرثوذكسى، ويحرص على عدم الذهاب إلى الكنيسة أو ممارسة أسرارها، ويعلن حربه وخروجه عليها علانية ـ هل يجوز لهذا الشخص أن يتناول من الأسرار المقدسة؟ وهل يجوز للكاهن أن يناوله؟.

وإن ناوله الكاهن، فما رأى الكنيسة فى هذا الكاهن؟! علماً بأن الرجل ما زال يضطهد الكنيسة، والكاهن يعلم بذلك..؟!

الجواب:

هذا أمر يأباه العقل والمنطق قبل أن يرفضه الدين... كيف لمن أقصى نفسه عن جماعة يعود فيشارك هذه الجماعة؟ وكيف لعدو أن يندس بين الأصدقاء؟ وإذا أمكن أن نتصور مخادعاً كهذا الرجل، يسلك ويتصرف بغير ما يؤمن، فكيف يسوغ للرقيب الحارس أن يسمح لعدو ماكر ومخادع خبيث أن يندس بين صفوف المؤمنين..؟! إما أن يكون الرقيب غافلا جاهلا، وإما أن يكون عالما، وفى الحالين يقع عليه عبء هذه الجسارة الآثمة والجريمة الشنعاء.

إن مثل هذا الشخص الذى ينكر عقائدنا ويعلن خروجه على كنيستنا، كيف يعود فيحتك بنا، ويخالط المؤمنين الأرثوذكسيين؟ كان يجب على الكاهن الأمين أن يحاول رده عن ضلاله، فإذا لم يرتدع يجب أن يقاومه ويمنعه من دخول الكنيسة، وبالتالى لا يمكن أن يسمح له بالتقرب من الأسرار المقدسة، التى لا يجوز لغير المؤمنين الأرثوذكسيين أن يتقربوا منها فى كنيستنا، وإلا لحق بالشخص المتجاسر والكاهن معاً مسئولية هذا التعدى الصارخ على الحق الإلهى وقوانين الكنيسة.

قطعاً لابد أن يكون هذا الرجل بروتستانتيا، أو ممن تشبعوا بالروح البروتستانتية، هذه الروح التى تخول المنساقين بها إلى الحيلة، والخداع، والرياء والتشكل بكل الشكول والألوان حسب الأهواء، ليكسبوا البسطاء، وما أكثر البسطاء والسذج بين الأقباط الذين قد تخدعهم مثل هذه المظاهر الماكرة!!.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة الرابعة ـ العدد ١٠ من ديسمبر ١٩٥٠م.

فإذا أردت أن تعرف حكم الكنيسة فى هذه المسألة، فها هو الكتاب المقدس يأمر الكاهن بصريح العبارة: «الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين، **أعرض عنه**. عالما أن مثل هذا قد انحرف، وهو يخطىء محكوما عليه من نفسه» (تى ٣: ١٠، ١١) ولا شك إنك تذكر النص الذى يأمرنا فيه سيدنا أن نعتبر من لم يسمع من الكنيسة **كالوثنى والعشار** (متى ١٨: ١٧).

وها هوذا الرسول يقول «وأطلب إليكم أيها الأخوة أن **تلاحظوا** الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافا للتعليم الذى تعلمتوه، **وأعرضوا عنهم**» (رو ١٦: ١٧) ثم نوصيكم أيها الإخوة بإسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا» (٢. تسا ٣: ٦) «وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة، فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل» (٢. تسا ٣: ١٤) وأما الرسول يوحنا فيوصينا بقوله: «إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة» (٢. يو ١٠) ... الخ

ومن هذه النصوص وغيرها كثير جداً، يتضح لنا أنه يجب أن نعرض عن هؤلاء المبتدعين وأن نتجنبهم، وأن لا نخالطهم، أو ندخل بيوتهم، فمن باب أولى أن لا نسمح لهم بدخول الكنيسة أو بالتقريب من الأسرار المقدسة!!.

وقد عقدت الدسقولية (تعاليم الرسل) فصلا كاملا لتحريض المؤمنين على عدم مخالطة الهراطقة (الخوارج عن الإيمان)، والهراطقة هم المنحرفون من المؤمنين. (راجع الباب ٣٢) ثم فى نهاية الباب ٣٨ تأمر الدسقولية «ولا يقرب أحد من القربان إلا المؤمنون فقط» ثم تأمل ما جاء بقوانين الرسل:

القانون العاشر: كل من يصلى مع من كان مفروزا، وإن كان داخل البيت، فليفرز هو أيضاً.

وقد حرصت الكنيسة على هذا المبدأ، وشددت على المؤمنين اجتناب مخالطة الهراطقة، حتى لقد روى التاريخ عن ماريوحنا الرسول، أنه رأى هرطوقيا فى أحد الحمامات، فخرج مهرولا ليتبعه الذين هناك، معلما إياهم أن يهربوا من مخالطة الهراطقة!!

وفى التاريخ أيضاً نقرأ عن العلامة أوريجينوس الفيلسوف المصرى، أنه بعد أن استشهد والده ليونيدس من أجل الإيمان بالمسيح، صودرت أملاكه على ما كانت تقضى به أوامر الدولة فى

ذلك الوقت، فأصبح أوريجينوس لا يملك شروى نقير، فضمته إليها سيدة مسيحية موسرة لتنفق عليه من مالها، فما لبث أوريجينوس أن تبين أن هذه السيدة غير أرثوذكسية، وإنها كانت خاضعة لتأثير معلم غنوسي يدعى بولس من بين هراطقة زمانه، فتركها أوريجينوس مع مسيس حاجته إلى المال «حتى لا يشارك فى صلاته هرطوقية» !!.

هذه هى تعاليم كنيستنا وقوانينها، فمن التعدى على تقاليدنا الرسولية ونظمنا الروحية أن يتجاسر من لايؤمن بها على مشاركتنا فى السر الإلهى. والكاهن الذى يتهاون فى منع هذا المخالف عن التناول مع علمه بفساد إيمانه ومقاومته لتعاليم الكنيسة، كاهن، أقل ما يقال فى عقيدته أنها منحرفة، وهذا سر تواطئه مع مثل هذا الرجل، وهو لا يصلح أن يكون كاهنا ورقيباً، وينبغى أن يرفع أمره إلى أسقفه أو مطرانه.

٤٩ ـ سر التناول هو مطهرنا اليومى (١)

العزيزة الابنة السيدة ف. ك.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح وأطيب التمنيات بالصحة لك ولابنتك العزيزة وللأسرة جميعاً.

قرأت أيتها الابنة خطابك، وتأثرت من لهجة خطابك وصدق اعترافك، ويقظة ضميرك. واطمئنى أيتها الابنة إلى أن الله أبونا ويسرّه إذا ندمنا على أخطائنا وخطايانا، واعترفنا بتقصيرنا وإهمالنا لوصاياه، أن يغفرها لنا ويغسلها فى دمه الكريم فى سر القربان المقدس، فسر التناول هو مطهرنا اليومى (لأن دمه يطهرنا من كل خطيئة).

لقد ندمت أيتها الابنة واعترفت بخطيئتك فى خطابك على الأقل، وعزمت على عدم العودة إلى تلك الخطيئة، وامتنعت عنها بالفعل، وقبلت بشعور الرضى والاستحقاق مرض ابنتك ومرضك كتأديب وعقاب. فليسر قلبك بالغفران الإلهى، وتقدمى إلى سر التناول بتواتر وانتظام، ولا تتأخرى عن أربعين يوماً إلا لعذر قهرى، وصلى صلواتك واقرأى فى الكتاب المقدس يوميا بانتظام، اصحاحاً على الأقل. وصلى أيضاً صلوات قصيرة أثناء عملك اليومى (ياربى يسوع المسيح اعنى ـ ياربى ارحمنى...) وعندما ترقدين على الفراش عند النوم لطرد جميع الأفكار.

وسلام الله الذى يفوق كل عقل، فليشملك. إننى أصلى أن يحفظ الله حياتك وابنتك وأسرتك فى طاعة المسيح مشمولين برضاه وعنايته وتدبيره الأبوى كل حين.

الرب يبارككم....

---

(١) كتب فى ١٤ من اكتوبر ١٩٨٨م ـ ٤ من بابه ١٧٠٥ش.

٥٠ ـ حقيقة إيماننا بتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم

العزيز المهندس عطية أنطون ـ بنى سويف.

أؤيد رأيكم فى حقيقة إيماننا بتحول الخبز والخمر فى القداس إلى جسد المسيح ودمه، ولست فى حاجة فى هذا الخطاب إلى ايراد أدلتنا التى زخرت بها كتبنا اللاهوتية والعقائدية الكثيرة، وإنما هذا أيضاً ماتنص عليه صلواتنا الطقسية أثناء خدمة القداس، ومنها مايقوله الكاهن فى أوشية حلول الروح القدس وهو ساجد «نسجد لك بمسرة صلاحك، ليحل روحك القدوس (ثم يشير بيديه إلى ذاته ثم إلى القرابين الموضوعة أمامه ويقول) علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ويطهرها (**وينقلها**) ويظهرها قدسا لقديسيك ـ ثم يرشم الكاهن القربان خاصة ثلاثة رشوم، وهو موضوع فى الصينية ويصرخ ويقول (**وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له**) ـ ثم يبسط الكاهن يديه ويخضع رأسه للرب ويقول (ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح يعطى لغفران خطايانا وحياة أبدية لمن ينال منه)ويرشم الكاهن الكأس أيضاً ثلاثة رشوم بسرعة ويصرخ ويقول (وهذه الكأس أيضاً **دما كريما للعهد الجديد الذى له**) ثم يبسط يديه ويخضع برأسه للرب ويقول (ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح يعطى لغفران خطايانا وحياة أبدية لمن ينال منه).

وهناك نصوص أخرى وردت فى طقوس القداس قاطعة الدلالة على حقيقة التحول، تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه ـ فهذه يقينا حقيقة إيماننا الأرثوذكسى فى سر القربان وسر الشكر، وسر المائدة الربانية.

ومن ذلك أيضاً مايقوله الكاهن فى القداس المرقسى وهو الكيرلسى أيضاً فى **سر حلول الروح القدس**.

«وأرسل إلى أسفل من علوك المقدس... **الباراقليط روحك القدوس** الكائن بالأقنوم... علينا نحن عبيدك **وعلى هذه القرابين المكرمة** (ثم يشير إلى الجسد والدم) ويقول (وعلى هذا الخبز وعلى هذه الكأس لكى يتطهرا **وينتقلا**) ـ ويصرخ الكاهن وهو يرشم على الجسد ثلاثة رشوم ويقول «**وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً للمسيح**) ـ ثم يرشم ثلاثة رشوم على الكأس وهو يقول: **وهذه الكأس أيضاً دما كريما للعهد الجديد الذى له**... ويتمم الكاهن وهو يأخذ الجسد على يديه ويقول «**الجسد المقدس والدم الكريم** اللذان لمسيحه الضابط الكل، الرب إلهنا».

وإلى أن يقول الكاهن فى (صلاة القسمة) وأعطنا هذه **الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التى هى الجسد المقدس والدم الكريم اللذان لمسيحك...»**

وبعد فإنى أحييكم على إنتباهكم وصحوتكم وعلى يقظتكم وعلى شدة استمساككم بالإيمان الأرثوذكسى فى حقيقة تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه.

ونعمة الرب تشملكم دائماً....

القيم الروحية

فى ســـر التوبة

القيم الروحية فى سر التوبة

سر التوبة و الاعتراف

رُتب هذا السر فى الكنيسة المقدسة ليكون سبيلاً لرجوع الخاطئ إلى الله وتجديد سيرته، وذلك بإظهار ندامته وباعترافه لله على يد الكاهن، فيحصل منه على الحلّ والغفران بموجب السلطان الممنوح له من الله كوكيل للأسرار المقدسة، بعد أن يتحقق الكاهن من صدق توبته وانسحاق قلبه وندامته، واعتزامه على تصحيح أخطائه وإصلاح سيرته، مع إيمانه الوطيد فى المسيح يسوع ورجائه فى تحننه. ومن بين وسائط التحقق من صدق توبة الخاطئ قيامه بالتأديبات الكنسية التى يفرضها الكاهن عليه كأدوية لأمراضه النفسية والروحية، وتنفيذه لها بروح الطاعة والخضوع والاستعداد الحسن للسير فى طريق التوبة.

وواضح أن الهدف من هذا السر إتاحة الفرصة أمام الخاطئ لقبوله من جديد، بعد أن يثبت ندامة كاملة على خطاياه، ورغبة صادقة فى إصلاح سيرته، وعزيمة واضحة على سلوك طريق الفضيلة . أما الحلّ فسلطان ممنوح من المسيح إلهنا الذى أعطاه لرسله وللكهنة من بعدهم قائلاً «فإن رفض أن يسمع للكنيسة فليكن بالنسبة إليك كوثنى وعشار. الحق أقول لكم إن كل ما تربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحلّونه على الأرض يحل فى السماوات» (متى ١٨ : ١٧ ، ١٨) «كما أرسلنى الآب كذلك أرسلكم أنا. قال هذا ثم نفخ فى وجوههم وقال لهم: «اقبلوا روح القدس من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم» (يوحنا ٢٠ : ٢١ – ٢٣).

وللاعتراف على يد الكاهن بالخطيئة أهداف روحية كثيرة، منها: أن الكاهن «وكيل أسرار الله» (١) ، وبهذه الصفة يكون مسئولاً عن الأسرار المقدسة فلا يقرب إليها إلا المستحقين لها، وإلا كان مقصراً فى وكالته مهملاً فى أمانته، متعدياً إرادة موكله، مستهيناً بها. ثم إنه أيضاً مسئول عن نفوس المؤمنين التى أوتمن عليها، وأقيم معلماً ومرشداً لها، فإذا أخطأت إلى الله فإنه يحمل إثمها إذا لم ينذرها ويردعها عن خطيئتها (حزقيال ٣٣ : ٧ – ٩).

وعلى ذلك فإن الخطيئة التى يرتكبها المؤمن، لم يخطأ بها إلى الله وحده، وإنما أخطأ بها ضد الكاهن أيضاً لأنه مسئول عنه أمام الله، وهو يجاوب عنه، وقد يحل عليه غضب الله بسببه.

لذلك **وجب على المؤمن أن يعترف بخطيئته على يد الكاهن** الذى اتخذه له مرشداً وأباً، لأن الكاهن أصبح بهذه الصفة شريكاً له فى حياته الروحية. ومن ثم فمن حق الكاهن على تلميذه أن يكشف له قلبه ويفشى إليه سره، ويوقفه على أعماق نفسه ، ليشارك معه فى تخليصه من خطاياه، ويجاهد معه فى إصلاح سيرته وتجديد ذهنه.

(١) (١ . كورنثوس ٤ : ١ ، ٢) . راجع أيضاً (١ .بطرس ٤ : ١٠)، (متى ٢٤ : ٤٥)، (لوقا ١٢ : ٤٢)، (تيطس ١ : ٧)، (متى ٢٥ : ١٤ ، ٢١).

٢ ـ **أما من جهة المؤمن التائب نفسه، فإن الاعتراف نافع له جداً**، لأنه يتح له فرصة ثمينة **يشكو فيها نفسه** إلى كاهن أمين ومؤتمن على أسرار تلاميذه. وفي الشكوى خلاص من المتاعب وتنفيس عن الألم، حتى لو لم يوفق الشاكى أحياناً إلى دواء لمرضه العضال. ونحن نعلم كيف أن الإنسان يميل إلى صديق مخلص يكاشفه بما فى نفسه، ويفضى إليه بسره فيستريح بهذه المكاشفة، ويحس كأن صديقه قد حمل نصف همه، وأنه شاركه متاعبه فيخف عليه ثقلها. بل إن الإفضاء بالألم الممض يريح أعصابه المتعبة، ويزيل التوتر النفسى الذى يكاد يقتله لو أنه لاذ بالكتمان واعتصم الصمت، وطوى نفسه على الألم. ولعلّ هذا هو ما عناه النبى بقوله «لما سكت بليت عظامى من زفيرى اليوم كله .. تحوّلت رطوبتى إلى يبوسة القيظ» (مزمور ٣١: ٣، ٤) كما عبّر عنه الحكيم فى أمثاله قائلاً «من كتم معاصيه لم ينجح ومن اعترف بها، وأقلع عنها يرحم» (أمثال ٢٨: ١٣).

قال العلامة ترتليانس من آباء القرن الثالث «كما أن من بقى فيهم الطعام غير مهضوم، أو تثقلت معدتهم بخلط أو بلغم، إذا تقيأوا استراحوا، كذلك من أخطأوا. فإن أخفوا الإثم فيهم تضايقوا داخلاً، وخنقهم بلغم الخطيئة وخلطها. **ولكن إن شكا أحد نفسه فبشكايته واعترافه يتقيأ الإثم وتزول علة المرض كلها**».

ويقول العلامة أوريجينوس (الذى توفى سنة ٢٥٣م) «فالخاطئ الذى لا يخجل من كشف زلاته لكاهن الرب كالذين يستفرغون من المعدة الأطعمة الثقيلة المتخمة العسيرة الهضم، إنهم حالاً يشعرون بالراحة والفرج. فالخاطئ الذى يخبئ خطاياه فى داخله تأخذه لذلك كظة ويختنق بالخطيئة. ولكن **إذا شكا نفسه بها وأظهر حالته واعترف بها فإنه حالاً يستفرغ مع الخطيئة علة مرضه الداخلى**» (١).

٣ ـ على أن الاعتراف فوق أنه شكوى وتنفيس، فإنه أيضاً طبّ وعلاج: يشكو المريض علته إلى الطبيب، فيشخص الطبيب المرض ويصف العلاج . فالكاهن المفوض له سر الاعتراف هو طبيب روحانى، يسمع شكوى الخاطئ التائب ويقف على علة نفسه، ثم يصف له العلاج المناسب حتى يشفى من دائه ويسترد قوته ونشاطه بل وحياته. فإذا لم يعترف الخاطئ بخطيئته ويكشف ما فى قلبه ونفسه للكاهن ويفضى إليه بهمومه ومتاعبه، كيف يمكن للكاهن أن يصف العلاج المناسب؟ والعلاج يختلف من حالة إلى أخرى فقد يكون العلاج بالامتناع عن بعض الأفعال والعادات الضارة، وقد يكون بفرض بعض أعمال مفيدة بطريق مباشر أو غير مباشر. والمثال فى الحالة الأولى الامتناع عن الكلام، أو الامتناع عن الطعام، أو الامتناع عن الذهاب إلى الملاهى أو أماكن معينة، أو الامتناع عن التدخين أو الخمر أو عادات أخرى ضارة أو

(١) ميمر ٢ على سفر اللاويين.

نجسة.. والمثال فى الحالة الثانية، فرض صلوات كثيرة أو إضافية فى أوقات معينة، أو فرض عدد معين من المطانيات أو الركعات والسجدات، والنصح بتلاوات وقراءات، أو الخروج إلى أماكن بعيدة فى الخلاء يتوافر فيها الهدوء اللازم للتأمل، أو التردد على مقابر الموتى للاتعاظ وتنمية روح الزهد فى الشهوات الجسدانية واحتقار أباطيل العالم وما إلى ذلك مما يسمى اصطلاحياً بـ «التأديبات الكنسية» بنوعيها. وهى لا تزيد عن كونها وسائط علاجية لتأديب الخاطئ وتبكيته ولمساعدته على التخلص من خطاياه وعاداته السيئة، ولتقوية المشاعر الروحية الغضة وتنميتها نحو الكمال المسيحى.

٤ ـ هذا **وللاعتراف على يد الكاهن مرارة** يهرب منها بعض الناس أحياناً بزعم أنهم يعترفون على الله. **لكن هذه المرارة نافعة للخاطئ التائب نفعاً جزيلاً** لا يحصله بمجرد الصلاة الانفرادية لله فى المخدع. ذلك أن ما يعانيه الخاطئ التائب من شعور بالخجل والخزى وهو يسرد خطيئته، كفيل بأن يردعه عن الخطأ نفسه والعودة إلى ارتكابه من جديد. هذا الشعور بالخجل والخزى وما إليهما شعور لا يتوافر للخاطئ أمام الله كما يتوافر له أمام الكاهن، لأنه فى المراحل الأولى للتوبة لا يتصور الخاطئ التائب حضور الله كاملاً، ولذلك لا يحس بالخجل من خطاياه كما يحس به فى حضرة الكاهن الذى يراه بعينيه وهو جالس أمامه.

قال العلامة ترتليانس من آباء القرن الثالث «إن كثيرين ينتبهون إلى الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من هذا العمل **(وهو الاعتراف)** سترة لهم أو يؤخرونه من يوم إلى يوم كمن أصابه مرض فى الأعضاء المستحى منها فأخفى على الأطباء مرضه فيباد بخجله.. فإذا أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس هل تخفى على الله؟ وهل الأولى لنا أن نهلك وذنوبنا مخفية، من أن نحل وهى مشكوفة فى التوبة؟»

هذه هى بعض مزايا سر التوبة أو الاعتراف فى الكنيسة، أو قل أيضاً بعض فوائده الروحية فى الكنيسة بعامة وبالنسبة للخاطئ التائب بخاصة. هذه الفوائد وتلك المزايا التى جعلت علماء النفس على الخصوص يشيدون بما للاعتراف من آثار بعيدة فى شفاء النفس البشرية من أمراضها وعللها وحلّ عقدها المستعصية. وقد استخرجوا من سر الاعتراف ما يعرف بالتحليل النفسى. وليس التحليل النفسى إلا جزءاً من عمل الكاهن فى سر الاعتراف، وهو يحاول أن يكشف مرض تلميذه بما يوجهه إليه من أسئلة حينما يكون تلميذه عاجزاً عن فهم نفسه وحل مشكلاتها الداخلية المعقدة. ومع أن البروتستانت قد أخطأوا كثيراً بإنكارهم لسر الاعتراف لكننا نجد لوثيروس نفسه وهو مؤسس المذهب البروتستانتى يشهد بفوائده. قال فى كتابه سبى بابل «إن الاعتراف السرى يعجبنى كثيراً وهو نافع بل لازم».

ضرورة الاعتراف السرى على الكاهن

يسأل أحدهم:

ما الدليل الكتابى على أن الاعتراف يمارس أمام الكاهن بمفرده سراً مع أن القديس يعقوب الرسول يقول: اعترفوا بعضكم على بعض بخطاياكم؟

الجواب:

لما كان الكاهن هو الحارس المؤتمن على الشريعة «وهو ملاك (أو رسول) رب الجنود» «ولا تقل أمام الملاك إنه سهو» (ملاخى ٢ : ٧)، (الجامعة ٥ : ٦) **فإن من يرتكب خطيئة لا يخطئ إلى الله فقط ولكنه يخطأ إلى الكاهن أيضاً.** ومثل الكاهن فى ذلك مثل الجندى الحارس المعين للحراسة على منطقة ما والمسئول أمام الدولة عن عمله، فإذا اعتدى لص على بيت أو على شخص فى المنطقة فإن اللص لم يخطئ ضد هذا الشخص أو صاحب البيت فقط لكنه أخطأ أيضاً ضد الجندى الحارس، لأن الجندى أيضاً رجل مسئول، وهو أول من يُسأل أمام الدولة إذا كانت السرقة قد تمت بسبب إهماله، أو فى غفلة منه، ولابد من أن ينال عقابه جزاء هذه الغفلة أو ذلك الإهمال. **وكذلك الكاهن رجل مسئول لأنه أقيم من الله رقيباً وحارساً على الشريعة**، يجب أن ينذر الشرير ويحذره وإلا فإنه يُسأل عن ذلك فى دينونة اليوم الأخير.

قال الوحى «إذا جلبت على أرض سيفاً، فأخذ شعب الأرض رجلاً من بينهم وجعلوه لهم رقيباً. فرأى السيف مقبلاً على الأرض، ونفخ فى البوق، وحذّر الشعب، فسمع السامع صوت البوق ولم يتحذّر، فجاء السيف وأخذه، فدمه يكون على رأسه. إنه سمع صوت البوق ولم يتحذّر، فدمه يكون على نفسه، لكنه لو تحذّر لخلص نفسه. فإن رأى الرقيب السيف مقبلاً ولم ينفخ فى البوق ولم يتحذّر الشعب، فجاء السيف وأخذ نفساً منهم، فهو قد أُخذ بذنبه. أما دمه فمن يد الرقيب أطلبه. وأنت يا ابن آدم فقد جعلتك رقيباً .. فتسمع الكلام من فمى وتحذّرهم من قبلى. فإذا قلت للشرير، يا شرير إنك تموت موتاً، فإن لم تتكلم لتحذّر الشرير من طريقه، فذلك الشرير يموت بذنبه. أما دمه فمن يدك أطلبه. وإن حذّرت الشرير من طريقه ليرجع

عنـه ولم يرجـع عن طريقـه فـهـو يموت بذنبه، أما أنت فتكون قـد خلّصــت نفـسـك، (حـزقيـال ٣٣: ٢ – ٧).

وعلى ذلك يجب على المؤمن أن يعترف بخطيئته إلى الله على يد الكاهن الذى اتخذه مرشداً وأباً ومعلماً، لأن الكاهن أصبح بهذه الصفة مسئولاً عنه، ويجيب عنه أمام الله. ومن ثمّ فمن حق الكاهن على تلميذه فى الاعتراف أن يكشف التلميذ قلبه له، ويفشى إليه بسره ويوقفه على متاعبه وآلامه، ليسهم معه فى حمل أثقاله. ويجاهد معه فى إصلاح سيرته وسريرته، وتجديد ذهنه وسلوكه، ويريحه من همومه ومتاعبه، ويمد له يد العون فى طريق الخلاص. **ويهذا يخلص المؤمن ويخلص مرشده الروحى الذى اتخذه له أباً ورقيباً. فإذا كتم التلميذ خطاياه ومتاعبه فإنه بذلك يسئ إلى نفسه فيهلكها، كما يسئ إلى معلمه الكاهن لأنه بهلاكه يهلك.**

منذ القديم:

ومنذ القديم كـان الكاهن منوطاً به أن يقف على خطايا شعبه ليصلّى عنهم ويكفّر عن أخطائهم، وبناء على تصريح الخاطئ بخطيئته كان الكاهن يفرض عليه نوع الذبيحة التى يقربها للرب ليغفر الرب له.

من ذلك قوله تعالى «.. وإذا حلف أحد وفرطت شفتاه لإساءة أو إحسان من جميع ما يفرط الإنسان به فى اليمين، وخفى عليه ذلك ، ثم عرف، فهو آثم بشئ من ذلك. فإذا أثم بشئ من ذلك **فليعترف بما قد أخطأ به**، وليأت بذبيحة إثمه الذى أخطأ به.. إلى الكاهن .. فيكفر الكاهن عنه **خطيئته التى أخطأ**، فيغفر له» (اللاويين ٥: ٤ – ١٠).

وقال الرب أيضاً «أى رجل أو امرأة فعل شيئاً من جميع خطايا البشر، وغدر بالرب، فقد أثم ذلك الإنسان. فليعترف بخطيئته التى فعلها» (عدد ٥: ٦، ٧) (اللاويين ١٦: ٢١) وكان يجرى هذا الاعتراف للكاهن لأنه هو حارس الشريعة وحاميها، وهو الذى يفرض على المخطئ التصرف الذى يصنعه لتصحيح الخطأ الذى ارتكبه «وكما يقومها الكاهن تكون» (اللاويين ٢٧: ١٢، ٨)، (العدد ١٨: ١٦).

ويقول الرب أيضاً «وتأتى إلى الكاهن الذى يكون فى تلك الأيام، وتقول له: أعترف اليوم للرب إلهك» (سفر التثنية ٢٦ : ٣) ويقول الرابى ابن عزرا «الاعتراف لازم، وإنهم عندما يقدمون الذبيحة، إذا لم يتوجعوا ويعترفوا اعترافاً مرتباً مبيناً الخطايا، لا تكون للذبائح قوة و فائدة لهم». وجاء فى التلمود «إنه يظهر من التقليد أن الخاطئ يلزمه أن يوضح فى الاعتراف جميع أعماله».

كيف اعترف الخطاة فى القديم:

اعتراف عخان بن كرمى على يد يشوع بن نون:

وقد قال يشوع بن نون **لعخان بن كرمى** الذى سرق من غنائم الحرب المحرمة «يا ابنى أعطِ الآن مجداً للرب.. **واعترف له وأخبرنى الآن، ماذا عملت. لا تخف عنى.** فأجاب عخان يشوع وقال: حقاً إنى قد أخطأت إلى الرب.. وفعلت كذا وكذا» (يشوع ٧ : ١٩ ، ٢٠)، وهذا اعتراف صريح بالإثم إلى الرب وإلى خادمه يشوع. وإن قول يشوع **«اعترف له واخبرنى» يدل على أن اعتراف الخاطئ بخطيئته على يد خادم الله هو فى نفس الوقت اعتراف لله، لأنه قد اعترف له بصفته خادماً لله.**

اعتراف شاول الملك على يد صموئيل النبى:

وكذلك **أخطأ شاول الملك** ولم يسمع كلام الرب فى شأن الغنائم، فوبّخه صموئيل نبى الله على سوء تصرفه وعدم طاعته وقال «فالآن بما أنك رذلت كلام الرب فقد رذلك الرب من الملك. فقال شاول لصموئيل: **«قد أخطأت حيث تعدّيت أمر الرب وكلامك، .. فاغفر الآن خطيئتى وارجع معى فأسجد للرب»** (١. صموئيل١٥ : ٢٣ ، ٢٥). ولا شك أن شاول شعر بأنه لم يخطأ إلى الرب فقط بل إلى نبى الله أيضاً. ولذلك فإنه وجه الكلام إلى صموئيل النبى قائلاً: **«فاغفر الآن خطيئتى» لأن خادم الله ونبيه وكاهنه ينوب عن الله ويمثله، فمن يعترف له يعترف لله، ومن يستغفره يستغفر الله نفسه.**

اعتراف داود الملك على يد ناثان النبى:

وبالمثل أخطأ داود إلى الرب واعترف لناثان نبى الله. قال ناثان لداود «فلماذا ازدريت كلام الرب، وارتكبت القبيح فى عينيه. قد قتلت أوريا الحثى بالسيف وأخذت زوجته لك.. **فقال داود لناثان : قد أخطأت إلى الرب**. فقال ناثان لداود: إن الرب أيضاً قد نقل خطيئتك

عنك، فلا تموت أنت» (٢ . صموئيل ١٢ : ٧ - ١٤) **لقد اعترف داود لناثان بأنه أخطأ إلى الرب، فكان إعترافه للنبى اعترافاً للرب فى نفس الوقت**. ولم يرجع ناثان بعد ذلك إلى الرب، وإنما أجاب داود فوراً بصفته خادم الله ونبيه «**وقال له: إن الرب أيضاً قد نقل خطيئتك عنك، فلا تموت أنت، تماماً كما يفعل الكاهن فى العهد الجديد فيعطى الحل الكهنوتى للخاطئ عندما يتبين صدق توبته**.

الاعتراف ضرورى فى العهدين:

ولايعترض أحد بأن النصوص التى أثبتناها هنا مستقاة من العهد القديم. إذ لافرق - فى هذا الموضوع - بين العهدين القديم والجديد. فالعهد الجديد لم ينقض العهد القديم بل جاء مكملاً له. وقد قال مخلصنا «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأتمم» (متى ٥ : ١٧) خاصة ونحن نتكلم لا عن رموز وإشارات، بل عن دور الكاهن باعتباره حارس الشريعة وحاميها والمكلف برعاية المؤمنين وتدبيرهم وخدمتهم.

الاعتراف فى العهد الجديد:

ومع ذلك رأينا فى العهد الجديد ما فعله الذين أقبلوا إلى نبى الله **يوحنا المعمدان الكاهن ابن الكاهن** «فلم يلبث أن خرج إليه أهل أورشليم وكل اليهودية وكل الأرجاء المحيطة بالأردن، ونالوا منه المعمودية فى نهر الأردن **معترفين بخطاياهم**» (متى ٣ : ٥، ٦).

كذلك فعل الذى آمنوا بالمسيح بكرازة الآباء الرسل «وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون فيعترفون ويقرون بأعمالهم» (أعمال ١٩ : ١٨).

سلطان ربط الخطايا وحلها:

كان الخطاة يأتون إلى الآباء الرسل ويعترفون للرب ولهم بخطاياهم، لأن الرسل هم الذين أخذوا سلطاناً من المسيح مخلصنا بأن يغفروا الخطايا للخطاة الراجعين ويحلّوهم من عقوبتها ورباطها. فقد قال الرب لماربطرس الرسول ومعه الرسل الآخرون بعد أن اعترف ماربطرس نيابة عن الرسل الاعتراف المشهور بلاهوت المسيح «**وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ماتربطه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحله على الأرض يحل فى السماوات**» (متى ١٦ : ١٩) وقال له المجد مرة أخرى يمنح هذا السلطان للرسل جميعاً ولخلفائهم فى كنيسته لكل الأجيال «**فإن رفض أن يسمع للكنيسة فليكن**

بالنسبة إليك كوثنى وعشار. الحق أقول لكم إن كل ماتربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ماتحلونه على الأرض يحل فى السماوات، (متى ١٨ : ١٧ ، ١٨) **. ولابد أن يكون المقصود من سلطان الربط والحل، القدرة على سن الشرائع والأحكام واصدار القرارات فى كل مايتصل بشئون المؤمنين وأعمال الرعاية والتدبير كما فعل الرسل عندما عقدوا المجمع الرسولى العظيم فى أورشليم سنة ٥١/٥٢م واصدروا قرارهم بالروح القدس ،...فقد ارتضى الروح القدس ونحن ألا نضع عليكم ثقلاً** فوق هذه الأشياء التى لابد منها، وهى أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن دم الميتة والمخنوق... **كونوا معافين،** (أعمال ١٥ : ٢٨ ، ٢٩) **. وينطوى تحت هذا السلطان القدرة على ربط الخطايا أو امساكها وعلى حلها أو غفرانها .** وقد أيد ذلك رب المجد نفسه بعد قيامته من بين الأموات عندما ظهر لتلاميذه فى العلّية وقال ،السلام لكم. كما أرسلنى الآب كذلك أرسلكم أنا. قال هذا ثم نفخ في وجوههم وقال لهم: **اقبلوا روح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم. ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم،** (يوحنا ٢٠ : ٢١ – ٢٣) **.**

ولا شك أن الغفران المقصود هنا هو ما يعرف بالحل الكهنوتى الذى يمنحه الرسل وخلفاؤهم للخطاة التائبين إلى الرب، ولايعقل أن يكون هو الغفران العادى الذى يمارسه كل مؤمن إزاء من يسئ إليه ثم يستغفره ـ كما يزعم بعض البروتستانت ـ لأن هذا النوع من الغفران لايحتاج إلى سلطان خاص كالذى منحه ربنا يسوع المسيح لتلاميذه الأطهار بعد أن نفخ فى وجوههم وقال لهم ،اقبلوا روح القدس... من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم، . لأن الغفران العادى ـ وهو غفران الإنسان لأخيه الإنسان ـ لم يجعله المسيح مقيداً بسلطان الرسل على منحه للبعض دون البعض كما يتضح من قوله ،من غفرتم لهم خطاياهم... من امسكتموها عليهم، وإنما جعله فضيلة مسيحية مرغوباً فيها ،ومتى قمتم للصلاة وكان لكم على أحد شئ فاغفروا له، لكى يغفر لكم أنتم أيضاً أبوكم الذى فى السماوات زلاتكم، (مرقس ١١ : ٢٥) بل جعله أيضاً شرطاً لنيل الغفران الذى من الله ،اغفروا يغفر لكم، (لوقا ٦ : ٣٧) ،لأنكم إن غفرتم للناس زلاتهم، فإن أباكم السماوى يغفر لكم أنتم أيضاً زلاتكم، أما إن لم تغفروا للناس زلاتهم فلن يغفر لكم أبوكم زلاتكم، (متى ٦ : ١٤ ، ١٥) (مرقس ١١ : ٢٦) **. بينما أن السلطان الذى أعطاه الرب للرسل ولخلفائهم شئ آخر، فقد**

جعله فى أيدى الرسل يتصرفون فيه تبعاً لما يرونه - كوكلاء أمناء - من استحقاق الناس لهذا الغفران: «من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم».

كيف مارس الرسل سلطان الربط والحل:

ولابد أن الرسل قد استخدموا سلطانهم فى ربط الخطايا وحلها. ومن آيات ذلك ما فعله ماربطرس الرسول بالنسبة لحنانيا وسفيرة اللذين كذبا على الروح القدس وعلى الرسول فعاقبهما بالموت (أعمال ٥: ٥، ٦، ٩، ١٠)، وما صنعه القديس بطرس الرسول أيضاً بسيمون الساحر الذى أعطى الرسول فضة ليمنحه هو أيضاً سلطان حلول الروح القدس بوضع يديه «فقال له بطرس: لتذهب فضتك معك إلى الهلاك لأنك ظننت أن موهبة الله تقتنى بدراهم. فلا حصة لك ولانصيب فى هذا الأمر... فإنى أراك فى مرارة العلقم ورباط المعصية» (أعمال ٨ :١٨- ٢٣).

وقد استخدم ماربولس الرسول هذا السلطان بالنسبة لعليم الساحر المسمى بار يشوع وربطه باطناً وظاهراً: فربطه باطناً فجعله ابن ابليس (أعمال ١٣: ١٠) وربطه ظاهراً فضربه بالعمى، «ففى الحال وقع عليه ضباب وظلمة وطفق يجول ملتمساً من يقوده بيده» (أعمال ١٣: ١١) واستخدمه أيضاً القديس بولس الرسول بالنسبة للرجل الكورنثى الذى زنى بامرأة أبيه فأوقع عليه قرار الحرم والفرز من شركة الكنيسة «أما أنا كغائب بالجسد، ولكنى حاضر بالروح، قد حكمت كأنى حاضر على الذى فعل هذا الفعل هكذا: **باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح، بأن يسلم مثل هذا إلى الشيطان لهلاك الجسد** لكى تخلص الروح فى يوم ربنا يسوع المسيح» (١ .كورنثوس ٥: ١ - ٥) **كما حكم عليه بأن يكون ممنوعاً من الاختلاط بالمؤمنين، معزولاً من شركتهم فلا يخالطوه ولا يؤاكلوه (١ .كورنثوس ٥: ١١).**

وكما استخدم الرسول بولس سلطانه فى فرز الكورنثى الذى زنى بامرأة ابيه عاد فاستخدم سلطانه فى حله من هذا الرباط، بعد أن تحقق من توبة الرجل وحزنه المفرط على خطيئته حتى كاد يقوده الحزن إلى اليأس، فكتب الرسول إلى الكنيسة فى كورنثوس يحله من خطاياه ويقول «**مثل هذا يكفيه هذا القصاص** الذى نزل به من الأكثرين (وهو فرزه من شركة المؤمنين، وعدم اختلاطهم به) حتى أنه أحرى لكم بالعكس أن

تسامحوه وتعزوه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط. فأسألكم أن تؤكدوا له محبتكم لأنى لهذا كتبت إليكم... فمن سامحتموه بشئ فأنا أيضاً مسامحه به **لأنى أنا إن كنت مسامحاً بشئ فإنما أنا مسامح به من أجلكم لوجه يسوع المسيح**، لئلا يطمع فينا الشيطان» (٢ .كورنثوس ٢ : ٦ - ١١) .

فما لم يقف الرسل أو خلفاؤهم على خطايا الناس، كيف يربطونها أو يحلونها؟ وكيف يقفون عليها أو يعرفونها ما لم يعترف بها أصحابها؟ فلا معنى إذن للسلطان الذى وهبه المسيح مخلصنا لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار من غير أن يكون هناك اعتراف صريح من جانب الخطاة التائبين بخطاياهم حتى ينالوا عنها الحل والصفح من خدام الله بصفتهم وكلاء عنه فى استخدام السلطان الممنوح لهم لخير النفوس وسلامها. وإذا كان الكاهن بمثابة الطبيب، بل هو طبيب روحانى، فأى طبيب يمكنه أن يصف دواء لمريض من غير أن يفحصه ويعرف علته، ويقف منه على سبب شكواه وتعبه؟! وإذا كان الكاهن بمثابة قاض، بل هو قاض يحكم فى الأمور باسم الله، فأى قاض عادل يستطيع أن يفصل فى قضية لم يسمعها ولم يدرسها ولم يقف على كل تفصيلاتها، ولم يفحص بواعث الفاعل وغاياته وظروف الفعل وملابساته وزمانه ومكانه وكل مايحيط بالقضية من كافة جوانبها؟

إن السلطان الذى أعطاه المسيح للرسل يصير لا معنى له فى الواقع ما لم يكن على أساس الاعتراف الصريح من جانب الخاطئ بجميع خطاياه.

يقول يوسيبيوس القيصرى المؤرخ الكنسى المشهور «وكان تلاميذ مخلصنا أشداء يتركون فى نفوس سامعيهم مناخس تدخل تعاليمهم فى صميم أفئدتهم حتى يبرزوا الخفايا من مطاميرها، **ويعترفوا جهاراً بقبائح سيرتهم الماضية**» وما يشهد به يوسيبيوس شهد به سفر أعمال الرسل«وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون فيعترفون ويقرون بأعمالهم. وكثيرون من الذين استعملوا السحر أتوا بكتبهم وأحرقوها أمام الجميع... وهكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة» (أعمال الرسل ١٩ : ١٨ - ٢٠) .

الاكتفاء بالاعتراف السرى دون الاعتراف العلنى:

من هنا يتضح أن الاعتراف كان يجرى فى العصر الرسولى الأول على نحوين كما يقول مؤرخو التاريخ الكنسى: على نحو سرى بالنسبة للخطايا الخفية والخاصة، وعلى نحو علنى وجهارى بالنسبة خصوصاً للخطايا التى كان يصنعها أصحابها فى العلانية. **وفى كلا الحالين كان يتم الاعتراف أمام الكهنة**، لأنهم هم وحدهم الذين منح لهم السلطان على مغفرة الخطايا وحلها. غير أن الكنيسة رأت رفقاً بأبنائها أن تكتفى بالاعتراف السرى، نظراً لما يترتب على الاعتراف العلنى من متاعب شخصية وعائلية واجتماعية تضر بالصالح العام والخاص. ويروى المؤرخون من أمثال سقراط SOCRATES وسوزومين SOZOMEN أنه كان فى الكنيسة الأولى كهنة معينون لسماع الإعتراف(١).

(1) Faiths of the World, a dictionary of all religions and religious sects, by J. GARKNER, Vol I, P. 582.

سلطان الربط والحل فى الطقوس الكنسية

تحليل الإبن:

وحرى بالذكر أن الكنيسة المقدسة تستعين بكلمات المخلص لبيان السلطان الممنوح للكاهن ليغفر الخطايا، وذلك فى نص التحليل الكهنوتى الذى رتبته بالروح القدس لحل التائبين والمتقدمين إلى المائدة الربانية، وهو ما يعرف بـ «تحليل الابن»:

«أيها السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد وكلمة الله الآب، الذى قطع كل رباطات خطايانا من قبل آلامه المخلصة المحيية. **الذى نفخ فى وجه تلاميذه القديسين ورسله الأطهار، وقال لهم: اقبلوا روح القدس من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم. أنت الآن أيضاً ياسيدنا من قبل رسلك الأطهار أنعمت على الذين يعملون فى الكهنوت فى كل زمان فى كنيستك المقدسة، أن يغفروا الخطايا على الأرض، وأن يربطوا ويحلوا كل رباطات الظلم**، الآن أيضاً نسأل ونطلب من صلاحك يامحب البشر عن عبيدك...».

وإعتماداً على هذا السلطان الممنوح للكهنة بالخلافة الرسولية من ربنا يسوع المسيح، رتبت الكنيسة «تحليل الخدام» و «وتحليل الكهنة» وسائر التحاليل المذكورة فى كتب الطقس الكنسى.

سر الرجعة:

ويبدو أنه إلى جانب فرص الاعتراف السرى التى تجمع بين الكاهن والمعترف فى أوقات خاصة، كان المعترفون يجدون حاجتهم إلى الاعتراف السريع بما عسى أن يكونوا قد أخطأوا فيه وهم قائمون فى الكنيسة أثناء صلوات القداس، أو فى الوقت الذى مر بعد الاعتراف السرى الأخير على أب الاعتراف، لذلك جاء فى ترتيب طقس العبادة فى رفع بخور عشية ورفع بخور باكر، وبعد بخور البولس والإبركسيس حيث ينزل الكاهن من الهيكل ويبخِّر الشعب، إن الكاهن بعد عودته إلى الهيكل يصلى صلاة (أوشية) خاصة تعرف بـ **«سر الرجعة»** أو **«سر اعتراف الشعب»** يقول فيها «يا الله الذى قبل إليه اعتراف اللص على الصليب المكرم، اقبل إليك **اعتراف شعبك، واغفر لهم جميع خطاياهم** من أجل إسمك القدوس الذى دعى علينا، كرحمتك يارب وليس كخطايانا». وهذا معناه أن الكاهن أثناء نزوله فى صفوف الشعب للتبخير كان يتلقى منهم بعض الاعترافات السريعة عما يكون قد صدر عنهم أثناء الصلاة، أو

فى الفترة القصيرة التى مرت بعد الاعتراف السرى الأخير. وهذا يؤكد مرة أخرى أهمية الاعتراف على يد الكاهن، وأصالة ترتيبه فى الكنيسة.

صفوف التائبين:

هذا والمعروف عن الكنيسة الأولى منذ القرنين الأول والثانى للميلاد كما يحدثنا القديس غريغوريوس صانع العجائب (١) والمصادر الكنسية الأخرى (٢)، أنها كانت ترتب التائبين فى أربعة خوارس (٣) أو صفوف تفصل بينها حواجز مازالت قائمة إلى اليوم فى الكنائس الأثرية القديمة وبالأديرة على النحو الآتى:

١- **صف الباكين**، وهم الممنوعون من بركة الدخول إلى الكنيسة، وكانوا يقفون ببابها فى الرواق أو الأيوان الخارجى يبكون خطاياهم التى حرمتهم من بركة المشاركة فى الصلوات الجمهورية، وكانوا يكتفون بأن يطلبوا من الداخلين أن يصلوا من أجلهم. ولعله إلى هؤلاء يشير الشماس فى الاعتراف الأخير حين يقول للمؤمنين «اطلبوا عنا وعن كل المسيحيين الذين سألونا: أن اذكرونا فى بيت الرب».

٢- **صف السامعين**، وهم المسموح لهم بدخول الكنيسة لسماع تلاوة الفصول المقدسة والعظة وبعض الصلوات، ولكنهم كانوا يخرجون مع الموعوظين قبل بدء قداس المؤمنين، عندما ينادى الشماس بصوت عال قائلاً «لايبقى هنا أحد من السامعين ولا من غير المؤمنين» وكانوا يقفون فى داخل الكنيسة فى القسم البعيد من صحن الكنيسة القريب من الأبواب.

٣- **صف الراكعين** - وهم يلازمون الصلاة راكعين، وكانوا يركعون فى صحن الكنيسة بالقرب من المنجلية أو المقرأة أو المنبر (الانبل).

٤- **صف المشاركين فى الوقوف**، وكانوا يقفون مع المؤمنين المتناولين ويحضرون القداس ولكنهم لايتناولون من الأسرار المقدسة.

هذا التقسيم للتائبين إلى أربعة صفوف يدل على أن الاعتراف بالخطيئة كان معمولاً به قديماً بالكنيسة، وإلا فمن ذا الذى يقوم بهذا التقسيم؟، وكيف يتم

---

(١) وهو من آباء القرن الثالث (٢١٣ - ٢٧٥م) وكان أسقفاً لقيصرية الجديدة.

(2) Faiths of The World, a dictionary of all religions and religious sects, by J. GARDNER, Vol.p. 258, 602,902, 956,; Vol. II. P. 645, 646.

(٣) الخوارس جمع خوروس وهى كلمة قبطية Ϫωpoc يونانية χώρος بمعنى صَف.

بدون معرفة بخطايا المعترفين؟، وكيف كان يجرى نقل التائبين من صف إلى صف إلا على أساس متابعة كهنة الاعتراف لأحوالهم ومعرفة مدى تقدمهم وطاعتهم فى تنفيذ التأديبات الكنسية التى كانت تفرض عليهم؟!

وقوانين الكنيسة:

وأما قوانين الكنيسة فقد نصت هى أيضاً على وجوب الاعتراف على الكهنة.

من ذلك ما جاء بالدسقولية (تعليم الرسل) للأسقف «يجب أن تعطى مغفرة لمن يتوب... واعرف رتبتك يا أسقف. **إنك كما نلت سلطاناً أن تربط، هكذا نلت** سلطاناً أيضاً أن تحل»(١).

وما جاء أيضاً بقوانين الرسل عن الآباء الروحيين «وقِّروهُم وأكرموهم، وقدموا لهم جميع أنواع الكرامة، لأنهم **أخذوا من الله سلطان الحياة والموت بأن يحاكموا الخطأة** ويحكموا بموت نار أبدى وأن يحلوا الراجعين عن خطاياهم»(٢).

وجاء أيضاً بقوانين مجمع اللاذقية المحلى المنعقد سنة ٣٤٣م(٣) «إن الذين يخطئون خطايا متنوعة ثم يقبلون إلى الاعتراف والتوبة ويرجعون رجوعاً تاماً عن الشر بعد أن يعطى لهم وقت للتوبة **مناسب لاختلاف الخطيئة**، فليتقدموا إلى التناول من أجل رحمة الله وجوده» (القانون الثانى).

وجاء بقوانين مجمع قرطاجنة المحلى المنعقد سنة ٣٩٧ «ليعين زمن التوبة للتائبين برأى الأسقف حسب اختلاف الخطايا» (قانون ٤٦).

وأقوال الآباء:

وأما أقوال الآباء فأكثر من أن تحصى:

يقول العلامة **ترتليانوس** من آباء القرن الثانى والثالث (١٦٠ - ٢٤٥م) «وإذا لم يخجل الخاطئ من أن **يبين خطيئته لكاهن الرب**، ويستمد العلاج بحسب قوله: قلت أعترف للرب بإثمى وأنت تغفر شر قلبى» (مزمور ٣١: ٥) وقال أيضاً «كما أن من بقى فيهم الطعام غير

(١) الدسقولية (تعاليم الرسل) الباب الرابع. (٢) أنظر أيضاً قانون من قوانين الرسل ـ المجموعة الثانية.
(٣) ويقول بعض المؤرخين أنه انعقد سنة ٣٤٨ وغيرهم سنة ٣٥٧ وآخرون سنة ٣٦٥م.

مهضوم أو تثقلت معدتهم بخلط أو بلغم فإذا تقيأوا استراحوا، كذلك من أخطأوا، فإن أخفوا الإثم فيهم تضايقوا داخلاً وخنقهم بلغم الخطيئة وخلطها. ولكن إن شكا أحد نفسه فبشكايته واعترافه يتقيأ الاثم، وتزول علة المرض كلها، فلا خطر يتحرز **من يلزمك أن تعترف له بخطيئتك**. وامتحن أولاً الطبيب الذى تعرض عليه مرضك». ويقول أيضاً ما الاجدر بالهالك أن يخفى خطيئته أو أن يحل منها علناً»(١).

ويقول العلامة **اوريجينوس** (١٨٥ - ٢٥٤م) «يوجد ترك آخر للخطايا مكرب جداً وصعب، وممكن الحصول عليه بالتوبة، وذلك عندما يبل الخاطئ فراشه بدموعه، وعندما تصير دموعه له خبزاً نهاراً وليلاً، وعندما لايخجل **بأن يكشف خطيئته أمام كاهن الله** طالباً منه الشفاء، أو عندما يقول بعد الخطيئة: قد عرفت خطيئتى ولم أخف إثمى. قلت أعترف للرب بذنبى. فإذا عملنا هكذا، وكشفنا خطايانا **ليس لله فقط بل للذين يستطيعون أيضاً أن يشفوا جراحنا ومآثمنا**، تمحى جهالاتنا من الله الذى قال: قد محوت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك»(٢).

ويقول اوريجينوس أيضاً «إننا ننال غفران خطايانا بالتوبة. فالخاطئ الذى لايخجل من كشف زلاته لكاهن الرب كالذين يستفرغون من المعدة الأطعمة الثقيلة المتخمة العسرة الهضم، فانهم حالاً يشعرون بالراحة والفرج. فالخاطئ الذى يخبئ خطاياه فى داخله تأخذه لذلك كظة ويختنق بالخطيئة. ولكن إذا شكا نفسه بها وأظهر حالته واعترف بها، فإنه حالاً يستفرغ مع الخطيئة علة مرضه الداخلى»(٣).

ويقول القديس **كبريانوس** (المتوفى سنة ٢٥٨م):

«إن هؤلاء قبل أن يتوبوا عن خطاياهم بانسحاق قلب وبساطة، **وقبل أن يعترفوا أمام كهنة الله العلى** ويطهروا ضمائرهم، **ويطلبوا من الكهنة علاجات خلاصية لجراحهم الروحية**، ويستعطفوا الرب على الاهانة التى أهانوا بها إيمانه العديم العيب، يتجاسرون بلا حياء أن يشتركوا بجسد الرب ودمه... فأطلب إليكم أيها الإخوة الأحباء **أن تعترفوا بخطاياكم** مادمتم فى الحياة الحاضرة، حيث الصفح عن الخطايا الممنوح من الكهنة مقبول ومرضى عند الله أيضاً»(٤). ويقول أيضاً «كم هو حىّ الإيمان... فى الذين جاءوا بكل سذاجة وتوجع القلب

---

(١) فى التوبة، فصل ١٠.
(٢) اوريجينوس تفسيره على اللاويين مقال ١٧.
(٣) ميمر ٢ على سفر اللاويين.
(٤) فى الساقطين ٢٨، ٢٩.

فاعترفوا بخطيئتهم إلى كهنة الله، وكشفوا لهم ضمائرهم، وألقوا ثقلها على أقدامهم، والتمسوا دواء خلاصياً لجراحاتهم».

ويقول **القديس أثناسيوس الرسولى** البابا العشرون من باباوات الأسكندرية (٢٩٩ – ٣٧٣م) «كما أن الإنسان الذى عمّده الكاهن يستنير بنعمة الروح القدس كذلك الإنسان **المعترف بخطاياه** فى سر التوبة، **يقبل من الكاهن المغفرة بنعمة المسيح**»(١).

ويقول **القديس باسيليوس الكبير** (٣٢٩ – ٣٧٩م) «**إن الاعتراف بالخطايا للمؤتمنين على تدبير (توزيع) أسرار الله ضرورى**. لأن الذين كانوا يندمون قديما نرى أنهم هكذا صنعوا نحو القديسين. وقد كتب فى الإنجيل أنهم كانوا يعترفون بخطاياهم ليوحنا المعمدان. وفى أعمال الرسل «إنهم كانوا يعترفون للرسل الذين كانوا يعمدون منهم»(٢). ويقول أيضاً «إذا كان الذين سقطوا فى الخطيئة قد برهنوا كثيراً على حرارة تقواهم بعد **الاعتراف**، فلا يستوجب اللوم ذاك الذى منحه الله من مجرد جوده، **سلطان الحل والربط**، إذا كان يستعمل الرحمة نحو أولئك التائبين»(٣).

والقديس **غريغوريوس النيسى** (٣٣٥ – ٣٩٤م) كان يقول للتائبين «اسكبوا قدامى دموعاً حارة وغزيرة وأنا أعمل معكم هذا العمل بعينه. **خذوا خادم** الكنيسة شريكاً أميناً لكم فى حزنكم، **وأباً روحياً**. وان الخادم يحزن على خطيئة ابنه كما حزن يعقوب عندما رأى ثوب ولده الحبيب يوسف. فينبغى إذن أن تعتبروا الذى ولدكم بالله أعلى من الذين ولدوكم بالجسد. فاكشفوا له أسراركم بجسارة أعظم. **اكشفوا له أسرار نفوسكم كما يكشف المريض جراحه الخفية للطبيب، فتنالون شفاء**»(٤).

ويقول **القديس امبروسيوس** (٣٤٠ – ٣٩٧م) «من يستطيع أن يترك خطايا إلا الله وحده، **والذين اعطاهم هو هذا السلطان**»(٥). ويقول أيضاً «**ان هذا الحق أعطى للكهنة وحدهم**»(٦) كما يقول فى موضع آخر بنفس المعنى «**إن البشر (= من الكهنة) يتممون سر التوبة لغفران الخطايا من دون أن يكون لهم سلطان فى ذلك باسمهم، وإنما يتممونه بالاسم الممجد، باسم الآب والابن والروح القدس. فهم**

---

(١) ضد نوفيسيانوس.

(٢) قوانينه المختصرة، جواب على السؤال ٢٨٨.

(٣) رسالة ٣ إلى امفيلوكيوس.

(٤) فى مقالة له ضد الذين يدينون بمرارة خطايا الآخرين.

(٥) جزء ٥: ١٣.

(٦) فى التوبة ١: ٢.

يطلبون، والله يعطى. وعلى البشر الطاعة هنا، ومن الله الهبة العظيمة»(١). كذلك يقول القديس امبروسيوس «ليس أحد يهين الله أكثر من الذين يريدون أن يقصروا وصاياه، وأن ينبذوا **المهمة التى وكلها إلى خدامه**. فبعد أن قال الرب يسوع فى إنجيله «اقبلوا روح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم»، من إذن يكرمه أكثر الذى يوافق أوامره أم الذى يقاومها؟ **إن الكنيسة تحفظ الطاعة فى كلا الحالين، أى فى أن تربط الخطيئة وتحلها...(٢)**.

ويقول القديس يوحنا الذهبى فمه (٣٤٧ - ٤٠٧م) «لأن ساكنى الأرض والقاطنين فيها قد خوّل لهم أن يسوسوا ما فى السماوات، **وأخذوا سلطانا لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة. لأنه لم يقل لأولئك قط كل ماتربطونه على الأرض يربط فى السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يحل فى السماء**.... إن ملوك الأرض لهم حقيقة سلطان أن يربطوا، ولكنهم يربطون أجساداً فقط. **وأما القيود والرباطات التى هى فى سلطان الكهنة فإنها تمس النفس عينها وتمتد حتى فى السماوات. وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق، ويؤيد السيد رأى العبيد»(٣). ويقول أيضاً عن سلطان الربط والحل «أى سلطان يمكن أن يكون أعظم من هذا السلطان؟ إن الآب أعطى القضاء كله للابن (يوحنا ٥ : ٢٢)... وأرى أن هؤلاء (= الرسل وخلفاءهم) تسلموه كله من الابن.... وقد كان لكهنة اليهود سلطان أن يُطهروا برص الجسد، أو بالأحرى لم يكونوا يطهرونه بل يفحصون المعتوقين منه. وأنت تعلم كم كان سلطانهم وقتئذ مشتهى. أما هؤلاء (= كهنة العهد الجديد) فقد نالوا سلطاناً لا ليطهروا البرص الجسدانى بل أقذار النفس، ولا ان يفحصوه بعد التطهير، بل أن يطهروه تماماً»(٤)** ويقول كذلك «قد نصب عرش للكاهن فى السماء. وأصبح له سلطان أن يدير السماويات... من يقول هذا؟... ملك السماء نفسه «مهما ربطتموه...». أى شرف يمكنه أن يقابل ويساوى هذا الشرف؟! **إن السماء تأخذ من الأرض سلطاناً خاصاً على الحكم**، لأن القاضى يجلس على الأرض، **والرب يتبع العبد. ومهما حكم هذا على المرؤوسين فذاك يثبته فى الأعالى»(٥)**.

---

(١) فى الروح القدس ٣ : ٨.
(٢) فى التوبة (الجزء ١، فصل ٨، عد ٦).
(٣) فى الكهنوت خطاب ٣ : ٤، ٥.
(٤) فى الكهنوت خطاب ٣ : ٥، ٦.
(٥) ميمر على كلام إشعياء.

ويقول القديس ايرونيموس (٣٤٢ – ٤٢٠م) «إذا كانت الحية الجهنمية (= الشيطان) قد أصابت أحداً فى الخفية بلسعة... قد ادخلت فيه سم الخطيئة، وكان هذا التاعس المسمم يصر على عدم الاقرار بها وعدم عمل التوبة، **إذا كان يصر على أن لايكشف جرحه للذى هو أخوه وسيده (أى الكاهن)، فالسيد الذى يقدر أن يشفيه بالكلمة (= الكاهن) لايستطيع أن يفيده بسهولة. لما يخجل المريض من كشف جراحاته للطبيب يصبح الطبيب غير نافع، لأن الطبيب لا يشفى ما هو جاهل له»**(١).

ويقول **القديس اوغسطينوس** (٣٥٤ – ٤٣٠م) «**لايقل أحد منا إنى أخطئ سراً، إنى اعترف أمام الله فهو يعرف قلبى فيعفو عنى وإلا فيكون إذن قد قال تعالى عبثاً ما تحلونه على الأرض يحل فى السماء. والمفاتيح لم تعط للكنيسة باطلاً**»(٢) ويقول أيضاً وهل لا توجد تلك المفاتيح فى الكنيسة حيث كل يوم تمحى الخطايا»(٣).

ويقول القديس **كيرلس الأسكندرى** البابا الرابع والعشرون من باباوات الأسكندرية (٣٦٦ – ٤٤٤م): «**ان المتوشحين بالروح القدس (= الكهنة) يتركون الخطايا أو يمسكونها** على نوعين كما أرى: إما بأنهم يدعون إلى المعمودية الذين اقتضى نيلهم اياها حسن سلوكهم وخبرتهم فى الإيمان، **وإما بأنهم يمنعون البعض ويحجبونهم عن النعمة الإلهية، لأنهم لم يصيروا بعد مستحقين لها**، أو على وجه آخر أيضاً **يتركون الخطايا ويمسكونها. وذلك إما بقصاصهم أبناء الكنيسة عندما يخطأون وإما بمسامحتهم إياهم عندما يندمون**»(٤).

(١) على الفصل العاشر من سفر نشيد الأناشيد.

(٢) عظة ٣٩٢.

(٣) عظة ١٤٩ عد ٧.

(٤) تفسير على إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٣.

القيم الروحية في ســــر التوبة

موضوعات وإجابات على أسئلة ٤٣٢

موضوعات
وإجابات على أسئلة

١- «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات»

سؤال:

ما معنى قول الكتاب «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات»؟

الجواب:

أما قول مار يعقوب الرسول «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات» (يعقوب ٥: ١٦)، فليس معناه كما يزعم البروتستانت اعتراف بعض الناس على بعضهم الآخر، من قبيل اعتذار المسئ لمن أساء إليه، إذ أن سياق النص يقتضى معنى آخر، والقرينة تدل على هذا. فقد كان الرسول بصدد الكلام عن سر مسحة المرضى، ودعوة المريض لكهنة الكنيسة ليصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفى المريض، والرب ينهضه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له» (يعقوب ٥: ١٤ - ١٦) ثم يقول بعد ذلك مباشرة «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات» **مما يدل على أن الاعتراف المقصود هنا هو اعتراف الخطاة التائبين لله على أيدى الكهنة**. فالبعض هم التائبون، والبعض الآخرون هم الكهنة. ومما له دلالة هنا أن كتاب طقس القنديل أو مسحة المرضى ينص أول ما ينص قبل كل شئ على وجوب اعتراف المريض بخطاياه على الكاهن قبل أن يباشر له سر مسحة المرضى.

ويقول القديس **أوغسطينوس** فى تفسير النص الذى نحن بصدده: **ليس المقصود أن يعترف الكهنة على العلمانيين كما يعترف هؤلاء لهم**. فإن هذا التعبير لا يوجب دائماً حصول المشاركة بين كل من الطرفين، أى لا يلزم منها أن يعترف الكهنة للشعب، بل هى على حد قولك: علموا بعضكم بعضاً، وعالجوا أحدكم الآخر، وليسعف الواحد منكم صاحبه، بمعنى أن العالم يعلّم الجاهل. والطبيب يعالج المريض، والقوى يشدد الضعيف. وقس على ذلك. **فقوله إذن اعترفوا بعضكم لبعض، أى ليعترف كل منكم لمن له سلطان الحل على الخطايا**.

٢ - هل يعترف بجميع خطاياه؟

يسأل أحد المسيحيين قائلاً:

«هل يعترف الإنسان - الذى لم يعترف بخطاياه من قبل بتاتاً - بجميع خطاياه، أم يرجئ بعضها لوقت آخر، نظراً إلى أن الاعتراف الشامل يحتاج إلى وقت طويل؟

الجواب:

إن إرجاء الاعتراف ببعض الخطايا إلى وقت آخر إحالة على زمن مجهول ليس ملكاً لك ولا ضمان لك فى أن تعيش إلى وقت آخر.

قيل عن الأنبا موسى الأسود إذ كان زعيماً لعصابة لصوص وكان سارقاً وقاتلاً ومن قطاع الطرق إنه إذ أفاق لنفسه ذهب - بناء على نصيحة بعض الناس - إلى أحد الأديرة البحرية فى وادى النطرون بقصد أن يسأل بعض الأسئلة الفلسفية عن الوجود وخالقه، وكان قد أثارها فى نفسه تأمله فى قبة السماء وما اشتملت عليه من نجوم موزعة فى نظام بديع وتناسق جميل مثير. ولما طرق باب الدير وسأل الدخول لم يمنعوه، وطلب رئيس الدير فقادوه إليه فى الكنيسة حيث كان يعظ الرهبان. وكانت العظة عن الدينونة الأخيرة، فاستمع موسى اللص لأول مرة لعظة مؤثرة، فارتعب جداً. وصرخ فى وجه الرئيس، وقال ماذا يصنع الخاطئ؟ فقال الرئيس: إن باب التوبة مفتوح، «ليترك الشرير طريقه والأثيم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا فإنه يكثر الغفران» (إشعياء ٥٥: ٧) فصرخ موسى: إنى أريد أن أتوب معترفاً بخطاياى. فأشار إليه الرئيس بيده أن ينتظر ريثما يفرغ من عظته ويختتم بالصلاة. ولكن موسى - وقد انتظر قليلاً - لذعه ضميره، فصاح يقول: ربما أموت الآن، إنى أريد أن أعترف الآن بخطاياى. فأنهى الرئيس العظة واختتم الصلاة، واختلى بزعيم اللصوص. وأخذ موسى يبكى وهو يسرد خطاياه جميعاً الواحدة بعد الأخرى.

وأفضى أحد الرهبان القديسين بعد ذلك إلى أب الدير برؤيا رآها مرأى العين. قال إنه بينما كان موسى الأسود يعترف بخطاياه أبصرت ملاكاً على مذبح الكنيسة ممسكاً بيده ورقة سوداء، وسوادها فاحم. وكلما ذكر موسى شيئاً من اعترافاته كان الملاك يمر بأصبع من يده الأخرى على جزء من الورقة السوداء فيصير لونه أبيض. وهكذا أخذ الملاك يمر بأصبعه من أول

الصفحة جزءاً جزءاً حتى فرغ موسى اللص من اعترافاته، فإذا الورقة السوداء قد صارت كلها بيضاء نظيفة ثم اختفى الملاك.

وكان هذا معناه أن موسى زعيم عصابة اللصوص قد اعترف بجميع خطاياه، فغفرت له جميع خطاياه، وانطبق عليه قول الرب «إنه ولو كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، ولو كانت حمراء كصبغ الدود تصير كالصوف» (إشعياء ١ : ١٨) ، (مزمور ٥٠ : ٧).

ولما كان الاعتراف بجميع الخطايا ضرورياً لتمام الغفران، لذلك يجب أن يلجأ الخاطئ التائب إلى الكاهن الذى يتخذه له أباً، فى وقت مناسب حيث يكون لدى الكاهن فسحة من الوقت يسمع فيها اعترافاته جميعاً ويصغى إليه إصغاءً كاملاً من دون عائق.

على أنه ليس المقصود من الاعتراف الشامل بجميع الخطايا أن يسرد المعترف وقائع كثيرة بتفصيلات لا لزوم لها، وإنما يكفى أن يسرد خطاياه من دون الدخول فى تفريعات، ما لم يطلب الكاهن منه ذلك، لأسباب روحية وعلاجية.

٣ ـ كم من الوقت بين اعتراف وآخر؟

ويسأل أحد المسيحيين :

كم من الوقت يجوز أن يمر بين الاعتراف والآخر؟

الجواب:

ليس هناك وقت مرسوم. إن الخاطئ الذى تاب توبة شاملة عن حياة الخطيئة، وأدار وجهه عن سلوك الشر، يلزمه فى سيرته الجديدة أن يمارس التوبة يومياً عن كل تصرف وقول وفكر يخطأ فيه. ولذلك فإنه ـ فى بدء طريق التوبة ـ يلزمه الاعتراف بتواتر. **وقد يحتاج إليه فى كل يوم.** وكلما تقدم فى حياة التوبة وسار بسهولة فى طريق الفضيلة متخلصاً من كثير من عاداته السابقة يقل احتياجه إلى قرب فترات الاعتراف. وقد يكتفى بمرة فى كل أسبوع، وأحياناً يكتفى بمرة كل أسبوعين، مع حاجته إلى طلب الحل الكهنوتى عند التقدم إلى المائدة الربانية، ولو كان يتناول منها فى كل يوم.

٤ـ هل يذكر التفاصيل؟

ويسأل أحد المسيحيين:

«هل يكفى أن أعترف بأننى زنيت، أو يجب أن أقول التفاصيل فأذكر مع من زنيت، وكيف تم ذلك إلى غير ذلك؟

وهل يكفى أن أعترف بأننى سرقت أو يجب أن أصف نوع السرقة، وكيف تمت، ومتى، واسم الذى ارتكبت ضده فعل السرقة؟

وبالإجمال هل يكفى أن أعترف بأننى كسرت الوصية الخاصة بالزنى أو القتل أو السرقة، أو هل من الضرورى أن أذكر التفصيلات الخاصة بارتكاب الخطيئة؟

الجواب:

لا يليق بمن يعترف أن يذكر اسم شخص آخر، لأن الاعتراف بالخطيئة فعل من أفعال التوبة يقوم به المعترف، لخلاص نفسه، وليصالح بينه وبين الله، ويرد إلى ذاته سلامه المفقود.

ولكن الاعتراف الصحيح يقتضى أن يذكر المعترف بعض المعلومات التى لها أهمية خاصة فى تقييم فعل الخطيئة.

ففيما يتصل بالمُساء إليه فى الخطأ الذى ارتكبه الخاطئ يجب أن يشير المعترف إلى مركز المُساء إليه بالنسبة إليه، ومدى قرابته، وسنه، وجنسه، ودينه، وما إلى ذلك من معلومات...

فمن يشتم غريباً ليس كمن يشتم أباه أو أمه.

ومن يضرب إنساناً يصغره فى السن أو المقام ليس كمن يضرب شخصاً يكبره فى سنه أو مقامه.

ومن يسرق من فقير ليس كمن يسرق من غنى.

ومن يزنى بغريبة ليس كمن يزنى بقريبة تربطه بها قرابة جسدية أو روحية.

كذلك بالنسبة إلى **مكان الفعل وزمانه:**

فمن يسكر فى أماكن أعياد القديسين ليس كمن يسكر فى خمارة أو فى بيت.

ومن يسرق أو يزني أو يقتل في زمن الأصوام أو الأعياد المقدسة ليس كمن يفعل هذه الأفعال في أوقات أخرى.

وهكذا يتغير وزر الخطيئة بحسب الظروف والمناسبات التي صنعت فيها، وبحسب مركز الشخص الذي أسئ إليه ومكانته الاجتماعية والعلمية ومركز قرابته وعلاقته بالمسئ.

فلئن كان المعترف لا يذكر اسم الشخص الذي أساء إليه بخطيئته لكنه يجب أن يشير إلى الملابسات التي تظهر الخطيئة في ظروفها الحقيقية،فيقول مثلاً: إني شتمت أبي، أو سببت أمي، أو سرقت من أستاذي، أو ضربت أخي الأكبر، أو زنيت مع ابنة عمي. ومما يضاعف من شرّي أنني فعلت هذا الشر الأثيم في يوم الأحد أو الجمعة أو في الصوم الكبير.. وفعلته في البيت أو في هذا المكان أو ذاك... إلخ.

وهناك أمور أخرى يجدر بالمعترف أن يذكرها، محدداً الأسباب الحقيقية التي دفعته إلى الفعل من دون أن يحاول تبرير ذاته، فيقول مثلاً: إنني لم أرتكب الخطيئة تحت تأثير إغراء من جانب شخص آخر وإنما أنا الذي سعيت إلى الخطيئة راغباً فيها، طامعاً في لذة حسية أو كسب مادي...

وعليه أن يذكر **كيفية الفعل**، فيقول مثلاً إنني فعلت الخطيئة حراً مختاراً ولم أكن مقهوراً .. وإنني أشركت معي غيري فيها.. وإنني لجأت إلى الحيلة والمكر والتغرير والخداع في سبيل تحقيقها، وإنني فعلتها مسروراً بغير ضجر أو ضيق.. إلخ .. إلخ...

٥ ـ هل يكفى مجرد الشعور بالإثم؟

ويسأل أحد المسيحيين قائلا:

هل من الضرورى أن نذكر ـ ونحن نعترف ـ جميع خطايانا بتفاصيلها، أم يكفى مجرد شعورنا بأننا خطاة دون داعٍ إلى الدخول فى تفاصيل الخطيئة، لاسيما أن كثيرين ـ يحجمون عن الاعتراف حينما يطلب منهم أن يعترفوا بخطاياهم بدقائقها وتفاصيلها؟ نريد رداً حاسماً.

الجواب:

إن شعور الإنسان بخطاياه لا يكفى. فالشعور بالانسحاق والندامة هو شرط من شروط التوبة، وهناك ثلاثة شروط أخرى للتوبة: هى العزم الصادق على تجديد السيرة، والرجاء الذى لا يخيب فى ربنا يسوع المسيح بقبول الخاطئ، وأخيراً الاعتراف العلنى أمام الله على يد الكاهن المؤتمن على سماع الاعتراف والموكول له أن يمنح الغفران لمن يستحقه ـ بالسلطان الموهوب له من الله ـ إذا ثبت له أن الخاطئ قد تاب فعلاً توبة صادقة غير غاشة.

وحقاً إن للاعتراف مرارة، ولكنها ضرورية للخلاص من الخطيئة وعبئها ومسئوليتها وعقوبتها الأبدية، كما أن الاعتراف بالخطيئة لازم من حيث هو شكوى النفس من النفس، وفى الشكوى تنفيس عن الآلام، كالقئ الذى يريح من يشكو تخمر الطعام فى معدته. وفى الاعتراف أيضاً علاج، لأنه كشكوى المريض التى لابد منها حتى يستدل بها الطبيب على أصل الداء، فيشخص المرض قبل أن يصف الدواء.

ولكن الاعتراف لا يتطلب أن يذكر المعترف التفاصيل التى لا داعى لها مما لا يفيد. ويكفى أن يسرد المعترف خطاياه وضعفاته ونقائصه مع ذكر الملابسات الضرورية التى لابد منها لتقييم الخطيئة والوقوف على مدى مسئوليته فيها، ولمعرفة الدوافع الحقيقية والبواعث الدفينة و الظروف المصاحبة.

وكما أنه فى حالة الأمراض الجسدية يترك الطبيب الفرصة للمريض حتى يشكو ألمه، محاولاً أن يستنبط من رواية المريض ما يعينه كطبيب فى مهمته الإنسانية، كذلك يفعل الكاهن وهو هنا الطبيب الروحانى بالنسبة للخاطئ التائب. فإذا لم يستطع المريض أن يشكو ألمه شكوى جيدة تفيد الطبيب فى مهمته، اضطر الطبيب أن يوجه إلى المريض أسئلة من عنده لعله يجد فى إجابة المريض ما يعينه على فهم علة الداء. كذلك قد يضطر الطبيب الروحانى إلى أن يسأل المعترف أسئلة موجهة ليستعين بها فى مهمته كمرشد روحى وأب نصوح، وطبيب معالج، يقود ابنه وتلميذه إلى ميناء الخلاص.

٦ ـ هل يغفر لمريض مشرف على الموت ؟

ويسأل أحد المسيحيين :

«مريض بمرض شديد، بحيث أشرف على الموت، جاءه الكاهن بالقربان الطاهر، وقربه منه، ولكنه لم يتمكن منه سماع اعترافه لشدة مرضه، فهل غفرت له خطاياه ؟»

الجواب :

لا يمكن الحكم فى هذه الحالة :

إن هناك بضعة أسئلة بالنسبة لهذا المريض، تفتقر إلى إجابة.

أولها : هل هذا المريض إنسان سالك فى طريق الصلاح والفضيلة وله ماض فى حياة النعمة والكمال المسيحى، أم هو إنسان بعيد عن الله، منقطع عن شركة الكنيسة وممارسات الأسرار المقدسة ؟

وثانيها : هل سبق لهذا المريض أن اعترف بخطاياه من قبل، أم لم تسبق له توبة واعتراف. فمن الناس من أهمل التوبة والاعتراف كل أيام حياته أو فترة طويلة منها ثم جابهه المرض واشتد عليه قبل أن يعتزم على التوبة أو يسعى إليها. ومن الناس من تاب توبة شاملة أو كان يسلك فى حياة التقوى منذ طفولته، وقد اعترف بخطاياه مراراً كثيرة وتقدم إلى الأسرار المقدسة ثم انقطع ـ بسبب المرض ـ عن الكنيسة، ومرت فترة طويلة أو قصيرة لم يتقدم فيها إلى المائدة الربانية، ولابد أن صدرت منه أخطاء أو خطايا إرادية أو غير إرادية. بمعرفة أو بغير معرفة.

وثالثها: ماذا كان يجرى فى باطن هذا المريض من أفكار ومشاعر وإحساسات، وإن كان عاجزاً عن الاعتراف والتصريح بخطاياه ؟ فالناس يختلفون فى دخائلهم اختلافات كثيرة بقدر اختلافهم فى شخصياتهم وعقولهم ونفسياتهم.

كل هذه وغيرها أسئلة ليس من السهل الإجابة عنها، بالنسبة للمريض. والإجابة عنها تختلف فى كل حالة من إنسان إلى آخر بحسب ماضيه وحاضره وما انتواه فى مستقبل الأيام لو طالت حياته. وطالما أن المريض لم يعترف ولم يصرح بشئ، فأمره سيظل مجهولاً، ولا يعرفه إلا الله الذى يفحص الدخائل والأعماق.

ولكن بصفة عامة يمكن أن نقرر أن تناول المريض من الأسرار المقدسة وهو مشرف على الموت. لا يغفر له خطاياه ما لم يكن مستحقاً لذلك، وإلا لما حدثنا الكتاب المقدس عن امتحان النفس قبل أن يتقرب الإنسان من المائدة الربانية. فقال: «فأى من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بغير استحقاق يكون مجرماً إلى جسد الرب ودمه. فليختبر الإنسان نفسه، وهكذا فليأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس. فإن من يأكل ويشرب بلا استحقاق إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه إذ لم يميز جسد الرب. من أجل هذا فيكم مرضى كثيرون وسقماء، وكثيرون يرقدون» . (١ . كورنثوس ١١ : ٢٧ - ٣٠) .

أما إذا كان المريض من الأتقياء المواظبين على ممارسة وسائط النعمة والخلاص، وفاجأه المرض الشديد، ولم يستطع أن يعترف ـ فى الفترة الأخيرة بخطاياه فحل الكاهن ينفعه، وسر التناول ينفعه، فإذا مات، فإنه أيضاً يجد منفعة بما يعمل بعده من صلوات وقداسات وأعمال التوزيع والرحمة كقول الكتاب عمن له خطايا عرضية غير مميتة، من السهوات والهفوات «إن رأى أحد أخاه يخطأ خطيئة ليست للموت فليسأل فيعطيه حياة أى للذين يخطأون خطيئة ليست للموت» (١ . يوحنا ٥ : ١٦) .

٧ - هل يجوز الاعتراف بالمراسلة ؟

ويسأل أحدهم قائلاً:

هل يمكن الاعتراف بالمراسلة والرسائل؟

الجواب:

نقول لا. إن هذا لا يجوز، أولاً لأن الاعتراف الصحيح هو الذى يحتمل فيه الإنسان المعترف مرارة مواجهته للكاهن المؤتمن على الشريعة ورسول رب الجنود (ملاخى ٢ : ٧) وهذه المرارة - بإقرار جميع آباء الكنيسة - ضرورية للشفاء لأنها البرهان الصحيح على صدق ندامة المعترف وخلوص نيته، واعتزامه على تغيير سلوكه.

قال العلامة ترتليانس من آباء القرن الثالث «إن كثيرين ينتبهون إلى الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من هذا العمل (وهو الاعتراف) سترة لهم، أو يؤخرونه من يوم إلى يوم كمن أصابه مرض في الأعضاء المستحى منها، فأخفى على الأطباء مرضه فيباد بخجله .. فإذا أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس، هل تخفى على الله؟ وهل الأولى لنا أن نهلك وذنوبنا مخفية من أن نحل وهى مكشوفة فى التوبة؟».

قد يكون الاسترشاد بالمراسلة، ولكن فرق بين طلب الإرشاد وبين الاعتراف.

وإن سر الاعتراف طب روحانى، ولم يسمع عن أحد عالجه طبيب بالمراسلة. لابد للمريض أن يأتى إلى الطبيب، ويشكو ألمه للطبيب، بفمه ولسانه، ويضع نفسه تحت تصرف الطبيب الذى يكشف عليه فى كل عضو من أعضائه مهما كان هذا العضو خفياً ويلزم ستره عن جميع الناس.

وثانياً - لا يجوز الاعتراف بالمراسلة، لأن الاعتراف سر، والسر يجب أن يبقى مكتوماً بين التلميذ ومعلمه فى الاعتراف. والاعتراف بالمراسلة يجعله عرضة للإفشاء، نظراً لاحتمالات كثيرة لا يمكن معها ضمان سرية الاعتراف.

٨ - هل يجوز الاعتراف بالتليفون؟

ويسأل آخر:

هل يجوز الاعتراف بالتليفون للكاهن نفسه فى منزله فى حالة عدم وجود وقت عند الكاهن؟

الجواب:

هذا أيضاً لا يجوز، لأنه يخرج سر الاعتراف عن الوقار اللائق به. إن الاعتراف بالخطيئة يجب أن يتم بروح الصلاة والخشوع والتذلل أمام الله، والحضور شخصياً أمام الكاهن، والإنحناء أمامه للحصول على الحل الكهنوتى والبركة. وهذا كله لا يتوافر بالتليفون.

قد يمكن أن تتم الاستشارة أو الاسترشاد بالتليفون. أما الاعتراف فلابد فيه من مثول المعترف أمام الكاهن وبين يديه.

هنا نذكر قصة فتاةعذراء - كانت تشكو مرضاً خفياً مؤلماً وأراد أهلها أن يعرضوها على الطبيب، ولكن الفتاة العذراء أبت فى إصرار أن تسمح للطبيب أن يكشف عليها، وأخذت تبكى وهى متألمة، فاتصل أحد أفراد أسرتها بالطبيب تليفونياً يستشيره فى علاج الفتاة فغضب الطبيب جداً وقال كيف يمكننى تليفونياً أن أصف الدواء دون أن أكشف على الفتاة لأعرف مرضها؟ قال قريب الفتاة، إنها فتاة عذراء ويمنعها حياؤها أن تسمح للطبيب أن يكشف عليها. قال الطبيب فى إصرار: لا تضيع وقتى، إننى لا أستطيع بتاتاً أن أصف الدواء ما لم أعرف الداء، ولا يمكننى أن أعرف أصل الداء ما لم تحضر الفتاة أمامى وأراها بنفسى.

إن هذه القصة تسمح أن تكون جواباً مقنعاً وسديداً لم يزعم إنه يمكنه أن يمارس اعتراف خطاياه باعترافه على الكاهن تليفونياً.

٩ - الاعتراف بالكتابة ؟

وتسأل إحدى السيدات قائلة:

هل يجوز أن أعترف بخطيئة مخجلة صنعتها وذلك بكتابتها على ورقة وتقديمها للكاهن بنفسي ولكن دون أن أنطق بها؟

الجواب:

يجوز ذلك مبدئياً، لكن السيدة لا بد أن تجيب على أسئلة أخرى مهمة فى تقييم خطيئتها، وهذا يضطرها إلى الإفصاح مع مرارة النطق بفعلتها.

فالكاهن لا يقدر أن يمنح الحل الكهنوتي للخاطئ إلا بعد أن يتثبت من صدق توبته، لأنه وكيل مؤتمن على وكالة. وليس له أن يمنح الحل إلا لمن يستحقه. وكيف يعرف استحقاق إنسان ما لم يلمس ندامته الحقيقية وتوبته. وإثبات الندامة لا يكون بالخجل وحده، بل بتحمله مرارة الاعتراف بالخطيئة، هذه المرارة التى لابد منها حتى لا يعود إلى الخطيئة مرة أخرى.

على أن الكاهن لكى يتثبت أيضاً من صدق توبة الخاطئ، يفرض على الخاطئ التائب بعض الواجبات الروحية كالصلوات والمطانيات والأصوام، وبعض التضحيات الأخرى وأعمال الندامة والتوبة، وهى ما يعرف اصطلاحياً بالتأديبات الكنسية.. والتأديبات الكنسية ليست أعمال تكفير لكنها علاجات دوائية لازمة ولا سيما بالنسبة للخطايا الكبرى المعروفة بالكبائر وما يتصل بها.

وكيف للكاهن أن يعرف الدواء المناسب ما لم يعرف:

أولاً - الخطيئة نفسها ونوعها: فخطيئة الزنى غير القتل غير السرقة.

ثانياً - كيفية الفعل: فمن يفعل بالفكر غير من يفعل بالعمل. ولا شك أن الخطأ بالعمل شر من الخطأ بالفكر من حيث نتيجة الفعل وأثره وامتداده من شخص فاعله إلى غيره.

ومن يفعل مجبراً أو مقهوراً غير من يفعل حراً مختاراً. وهذا يتضح خصوصاً فى خطيئة الزنى بالنسبة إلى المرأة مثلاً.

ومن يفعل سهواً وبغير انتباه ليس كمن يفعل عمداً وبقصد وانتباه. ومن يفعل ببساطة وبراءة ليس كمن يفعل خبثاً وغدراً.

ومن يفعل جاهلاً بالنتائج المترتبة على فعله ليس كمن يفعل وهو عالم بكل ذلك.

ومن يفعل بلذة ورضى وسرور ليس كمن يفعل بتململ وتضجر وتبرم.

ومن يفعل الشر فى الخفية وهو خائف مستوراً ليس كمن يفعل الشر علانية وجهاراً وهو لا يخشى أحداً.

ومن يفعل الشر بوحى من نفسه ليس كمن يفعله بالاشتراك مع غيره.

ومن يفعل الشر بمفرده ليس كمن يشرك معه غيره فيه.

ومن يفعل الشر بصراحة ليس كمن يفعله بتغرير وخداع ومداهنة.

ومن يفعل الشر بطريق مباشر غير من يفعله بطريق غير مباشر.

ثالثاً ـ أسباب الفعل: وهى البواعث التى شدّت الخاطئ إلى الخطأ والدوافع التى حملته عليه.

فهناك من يقتل دفاعاً عن نفسه لأن لصاً أو عدواً هاجمه وأراد قتله. وهناك من يقتل دفاعاً عن شرفه. ومنهم من يقتل رداً لفعل مسئ إليه كمن يقتل قاتل أبيه أو أخيه أو قريبه.

ومن الناس من يزنى بتحريض من صديق، أو مجاراة له، أو انسياقاً لبيئة شريرة. ومنهم من يزنى إثر إغراء عارض للخطيئة. ومنهم من يزنى مندفعاً بشهوة شريرة...

رابعاً ـ المفعول به، ومركز قرابته، وسنه، وجنسه: فامرأة تقع فى شر مع قريب لها قرابة جسدية أو روحية أو معنوية غير من تقع فى نفس الشر مع غريب عنها.

خامساً ـ مكان الفعل: أين صنع الخاطئ خطيئته.

سادساً ـ زمان الفعل: متى صنع الخاطئ خطيئته.

لابد للكاهن أن يجد إجابة من المعترف على كل هذه الأسئلة، لأنه تبعاً لهذه الإجابات تتحدد مسئولية المعترف فى خطيئته، وتبعاً لذلك يضع الكاهن عليه التأديب الكنسى الذى يناسبه.

لهذا كله كان التصريح بالخطيئة أمراً لا مفر منه.

١٠ - هل يُحال القاتل إلى القضاء؟

ويسأل أحدهم:

هل يجوز للكاهن أن يأمر الخاطئ التائب الهارب من العدالة بأن يقدم نفسه أمام القاضى؟

الجواب:

أن يأمر الكاهن الخاطئ التائب الهارب من العدالة بأن يقدم نفسه للعدالة ليس جائزاً فقط، بل هو الواجب الذى تحتمه على الكاهن مهمته الكهنوتية والراعوية والروحية. وليس للكاهن أن يمنح الحل لمثل هذا الهارب من العدالة إلا بعد أن يسلم نفسه للقضاء. وخضوع الهارب من العدالة لأمر الكاهن هو برهان على شعور الخاطئ باستحقاقه للعقاب، واستعداده لتحمل نتائج خطيئته، وهذا دليل التوبة الحقيقية الصادقة.

وفى نفس الوقت يجب على الكاهن أن يثير ضمير الخاطئ الهارب من العدالة حتى يندم من أعماق قلبه وشعوره على أنه أغضب الله بتصرفه الأثيم ويقنعه بأن يعزم عزماً صادقاً على تجديد سيرته وتغيير سلوكه لو أتيحت له فرصة للحياة، ولا يغفل الكاهن أن يفتح أمام الخاطئ الهارب من العدالة باب الرجاء فى مراحم الله الذى «لا يسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا» (حزقيال ٣٣ : ١١) «وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل بأن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ . بطرس ٣ : ٩).

١١ ـ مؤهلات أب الاعتراف

سؤال من أحد أبناء الكنيسة:

كيف يختار الإنسان أب اعترافه؟

الجواب:

لقد وضعت الكنيسة شروطاً أربعة يجب توافرها فيمن يصلح أن يكون مرشداً وأباً للاعتراف.

الأول: أن يكون على درجة من التقوى والروحانية مرتفعة كثيراً عن درجة من يتخذونه لهم أباً.

الثاني: أن يكون عالماً بالشريعة متفقهاً فيها، حتى يمكنه أن يفتى فى شئون الدين، ويحكم بين الحلال والحرام، وبين الصواب والخطأ، حكماً صائباً أميناً، ويجيب على أسئلة تلميذه فى الاعتراف إجابة سديدة.

الثالث: أن يكون حاذقاً متدرباً فى أمور الروحانيات، وله خبرة فى قيادة النفوس وإرشادها بحكمة وحسن تصرف.

الرابع: أن يكون فى سن الوقار، ضماناً لثبات الشخصية وقوتها ووضوح الإتجاه. فلا يحل اليوم أمراً أبرمه بالأمس عن تسرع واندفاع.

إذا توافرت هذه الشروط الأربعة في كاهن، أمكن أن يتخذه الإنسان أباً لذمته . وذلك يمكن للمؤمن أن يتبينه مما يلمسه بنفسه فى الكاهن، ومما هو معروف عن الكاهن فى أوساط المؤمنين الراسخين.

ومما هو جدير بالنظر أن لكل كاهن سلطاناً على منح الحل الكهنوتى طالما قد رسم رسامة قانونية وتسلم كهنوته من خلافة رسولية، لكن ليس لكل من رسم كاهناً أن يسمع اعترافات المؤمنين ما لم يأخذ من أسقفه تفويضاً بذلك.

وقد اطلعنا على وثيقة قديمة، كتبها أسقف إلى كاهن يخوّل له أن يصبح أب اعتراف لشعب الكنيسة بعد سيامته كاهناً بعشرين سنة، وذلك بعد وفاة كاهن شيخ كان هو المفوض لسماع اعترافات الشعب. فلما توفى الكاهن الشيخ، كتب الأسقف تلك الوثيقة للكاهن الجديد ـ بعد عشرين سنة من تاريخ سيامته ـ يفوضه بسلطانه الرسولى أن يصير بديلاً عن الكاهن الشيخ.

١٢ - هل يجوز تغيير أب الاعتراف ؟

سؤال من السيد/ نبيل إبراهيم بشارة:

هل من الجائز للإنسان أن يغير أب اعترافه برغبته الحرة ؟

الجواب:

نعم يجوز، إذا كان هناك ما يبرر هذا التغيير. إن أب الاعتراف هو طبيب روحاني. ومن النافع أن يكون للإنسان طبيب بعينه يكاشفه بما فى نفسه ويعرض عليه مشكلاته وأسئلته، ويكون له أباً ومرشداً ومعلماً وطبيباً. أما الذى يتخذ له فى كل يوم طبيباً، إنما يقع فريسة للاضطراب والحيرة والقلق ولن يحصل على الفائدة المرجوة كما يحصل عليها من يخضع ذاته فى ثبات واستقرار لطبيب واحد بعينه، يدرسه دراسة فاحصة متابعاً حياته متابعة تاريخية روحية، مما يتيح له فهم شخصيته ومعرفة أصل الداء، فيشخص له المرض ويصف له الدواء. ويتابع سلوكه خطوة أثر خطوة، فيتبين فيه أسباب القوة وأسباب الضعف، ويقف على ما أدركه من تقدم ومن تأخر، وتبعاً لذلك يغير ويبدل من أساليب التطبيب والعلاج التى اتبعها معه.

ومع ذلك أباحت الكنيسة لكل مؤمن أن يبحث بنفسه عن طبيب روحانى يثق هو فيه ويخضع ذاته لمشورته. ومعنى ذلك أن الكنيسة تسمح للمؤمن أن يغير أب ذمته إذا لم يجد عنده الفائدة الروحية التى يتطلع إليها. وذلك ليس من السهل على المؤمن أن يتبينه من مرة أو مرتين. فالحكم السريع عرضة للخطأ. كما أن الميل إلى التغيير يحمل أحياناً الميل إلى الهرب من أب اعتراف صارم دقيق.

لذلك فإننا نبيح تغيير أب الاعتراف عند الاقتضاء، ولكننا ننصح بأن يكون لكل مؤمن أب وطبيب روحانى، ثابت، ولا يلجأ لغيره إلا للضرورة، وبعد أن يتبين له أنه لم يعد نافعاً له.

١٣ ـ ظروف تغيير أب الاعتراف

سؤال من أحد المسيحيين : إنى غيرت أب اعترافى بسبب ظروفى ، فبينى وبينه مسافة كبيرة يجب أن أقطعها حتى أصل إليه، وهذا يضطرنى إلى أن أصرف جهداً ووقتاً طويلاً لا يتوافران لى دائماً. ومع ذلك لا أستطيع أن أتقابل معه نظراً لمشغولياته الكثيرة. فاتجهت إلى كاهن آخرليصير أب ذمتى بدلاً من الأول. وهو قريب منى أكثر من الأول. فهل أخطأت فى ذلك؟ أو هل أعود إلى أب الاعتراف الأول متحملاً المتاعب بسبب ظروفى؟

الجواب :

إذا كانت ظروفك الجديدة صارت تباعد بينك وبين أب اعترافك الأول، كذلك ظروف الكاهن ومشاغله المتعددة، فلا خطأ فى اتخاذك أباً آخر يسمح له وقته أن يتخذك ابناً وتلميذاً له.

ومع أنه يجمل بالمسيحى أن يختار أباه الروحى على أساس ما يتصف به هذا الأب من صفات الأبوة الروحية البانية للنفس، لكنه من المستحسن أيضاً أن يكون هذا الأب قريباً إلى تلميذه فى كل وقت يحتاج فيه إليه.

١٤ ـ هل يعيد الاعتراف ؟

ويسأل أحدهم :

هل يجب ـ إذا تغير أب الاعتراف ـ أن يعترف الخاطئ بجميع الخطايا التى سبق له أن اعترف بها على أب الاعتراف الأول؟

الجواب :

لا يجوز ذلك. فكل خطيئة صنعها المؤمن وتاب عنها واعترف بها ونال عنها الحل الكهنوتى، فقد غفرت. ولا يجوز إعادة الاعتراف بها، لأن إعادة الاعتراف بخطيئة سبق غفرانها يحمل شكاً فى حقيقة مغفرتها. إلا إذا كررها صاحبها وسقط فيها من جديد. وحينئذ تكون التوبة وفعل الندامة والاعتراف عن خطيئة جديدة وإن كانت من نوع الخطيئة الأولى.

فإذا رأى أب الاعتراف الجديد أن يسأل تلميذه ما إذا كان سبق له أن وقع فى هذه الخطيئة من قبل، ففى هذه الحالة يجيبه ابنه عن ماضيه، ولكن لا يعد هذا اعترافاً من جديد، بل تعريفاً بحالته السابقة حتى يكون الكاهن على بينة من أمر هذا المعترف، وبذلك يمكنه أن يعالجه على أساس سليم. مثله فى ذلك مثل الطبيب الذى يهمه أن يطلع على ماضى المريض من حيث أن هذا المرض ينفعه فى تشخيص الداء ووصف الدواء.

١٥ - هل للراهب أن يسمع الاعتراف؟

ويسأل بعضهم:

هل يجوز للراهب أخذ اعترافات؟ ولماذا؟

الجواب:

نعم يجوز للكاهن الراهب أن يسمع اعتراف راهب نظيره، أو من هو فى حكم الرهبان من المتبتلين (١)، وهذا ما يجرى فعلاً فى أديرة الرهبان فالرهبان يعترفون على كهنة من الرهبان (٢).

ويجوز للكاهن الراهب إذا كان شيخاً أو فى سن الوقار أن يسمع اعتراف غير المتزوجين من المدنيين (المعروفين بالعلمانيين).

ولكن يحسن كثيراً - إلا للضرورة القصوى - أن يسمع اعترافات المتزوجين كاهن متزوج، لأنه بصفته هذه يكون أكثر فهماً لهم وقريباً بذهنه إلى ظروفهم ويعرف مشكلاتهم ولا يضيق بها، كما يكون - بحكم خبرته - أكثر عطفاً عليهم، وأنفع لهم من الكاهن الراهب.

---

(١) المتبتل من نذر البتولية دون أن يتقيد بمبدأ الاعتزال فى الدير. فالمتبتل قد يبقى فى العالم، وقد يعتزل العالم إلى الصحراء، وفى هذه الحالة الأخيرة يصير المتبتل راهباً.

(٢) وفى عصور الرهبنة الأولى، لم يكن بين الرهبان كهنة، فكان الرهبان يعترفون على كهنة متزوجين أو متبتلين، كانوا يكلفون بذلك من قبل أساقفة المدن بناء على طلب الرهبان، كما يتضح من قوانين الأنبا باخوميوس أبى الشركة.

١٦ ـ هل يجوز تأجيل الاعتراف إلى ما بعد التناول ؟

ويسأل أحدهم:

هل يجوز التناول قبل الاعتراف، على أن يتم الاعتراف بعد ذلك عند أول لقاء بأب الاعتراف؟

الجواب:

يجوز التناول من دون اعتراف أحياناً، إذا لم تكن هناك خطيئة مانعة. فمن الخطايا خطيئة للموت، وخطيئة ليست للموت (١. يوحنا ٥: ١٦، ١٧) والخطيئة المميتة هى كل خطيئة صنعها صاحبها بإرادة حرة، والخطيئة غير المميتة هى كل مخالفة صنعها صاحبها سهواً وغفلة وعن غير عمد. ومع أن السهوات «السهوات من يشعربها» (مزمور ١٨: ١٢)، (التكوين ٤٣: ١٢)، (١. صموئيل ١٤: ٢٧) والهفوات هى أيضاً خطايا يجب أن يندم عنها فاعلها ويعترف بها إذا علم بها وتنبه لها، إلا أنه يكفى عند الضرورة القصوى أن يندم صاحبها عنها، ويطلب من الكاهن الحل عنها من دون أن يعترف بها صراحة إذا لم يكن الوقت مسعفاً للمؤمن أو للكاهن الذى يقوم بالتقديس، مرجئاً الاعتراف بها إلى وقت آخر.

يقول الرب «وإن أخطأ رئيس فعمل سهواً واحداً مما نهى الرب الإله عن فعله فأثم. ثم أعلم بخطيئته التى أخطأ ، فليأت بقربانه.. ويكفر عنه الكاهن خطيئته فيغفر له..»

«وإن أخطأ أحد من عامة الأرض سهواً، وعمل واحدة مما نهى الرب عن فعله، فأثم، ثم أعلم بخطيئته التى أخطأ، فليأت بقربانه.. ويكفر عنه الكاهن فيغفر له...».

«وإن سهت جماعة.. كلها وخفى الأمر على عيون المجمع، وعملوا واحدة مما نهى الرب عن فعله، وأثموا. ثم عرفت الخطيئة التى أخطأوها، فليقرب المجمع.. ويكفر عنهم الكاهن، فيغفر لهم...» (اللاويين ٤: ٢٢- ٣١، ١٣- ٢٠).

ويقول الرب أيضاً:

«وإن حلف أحد وفرطت شفتاه لإساءة أو إحسان من جميع ما يفرط الإنسان به فى اليمين، وخفى عليه ذلك، ثم عرف، فهو آثم بشئ من ذلك. فإذا أثم بشئ من ذلك فليعترف بما أخطأ به. وليأت. بذبيحة إثمه للرب عن خطيئته التى أخطأها ... فيكفر الكاهن عن خطيئته...»

«أى إنسان خالف مخالفة وأخطأ سهواً فى شئ من أقداس الرب، فليأت بذبيحة إثمه للرب.. فيكفر الكاهن عن خطيئته.. فيغفر له. وأى إنسان أخطأ ففعل شيئاً مما نهى الرب عن فعله، ولم يعلم بأنه قد أثم، فقد حمل وزره. فيأتى إلى الكاهن.. فيكفر عنه الكاهن سهوته التى سها ولم يعلم بها، فيغفر له» (اللاويين ٥: ٤ – ١٨) ، (العدد ١٥: ٢٢ – ٣٠).

ومعنى هذا أن السهوات هى أيضاً خطايا يجب أن يعترف بها صاحبها عندما يعلم بها.

فإذا تقدم أحد من المؤمنين إلى سر التناول، وكانت عنده خطيئة مانعة سواء من الخطايا التى صنعها بإرادة حرة (وهى الخطايا الإرادية) أو الخطايا التى صنعها سهواً وعن غفلة وتفريط (وهى الخطايا غير الإرادية) وقد علم بها، فيجب أن يؤجل تقربه من الأسرار المقدسة حتى يعترف بخطاياه وينال عنها الحل الكهنوتى.

أما الخطايا غير الإرادية التى لم يعلم بها صاحبها، ولا يخلو منها أحد، فيصفح عنها بالحل الكهنوتى، ويكفر عنها بدم المسيح فى سر القربان الذى يناله المؤمن لغفران الخطايا. (متى ٢٦: ٢٨).

١٧ ـ هل يجوز إخفاء خطيئة أثناء الاعتراف ؟

ويسأل غيره:

هل يجوز لشخص أن يتناول، بعد أن اعترف بخطاياه لكنه ـ لفرط خجله ـ أخفى خطيئة منها مؤجلاً الاعتراف بها إلى فرصة أخرى بحجة أنه اعترف بخطايا أخرى كثيرة.

الجواب:

إذا خجل شخص من الاعتراف بخطاياه أو بخطيئة منها، فإن خجله سيعوقه عن خلاص نفسه. والخجل عن الاعتراف بالخطيئة علامة سيئة على الكبرياء الخفية، ودليل مضمر على الرغبة فى العودة إلى الخطيئة من جديد، لأنه لو كان الخاطئ قد ندم حقيقة على خطيئته وعزم عزماً صادقاً على تجديد سلوكه وسيرته لما تأخر عن أن يعترف بخطيئته علامة استعداده لتحمل تبعة الخطيئة، ومنها الخجل ومرارة الاعتراف.

من أخبارالقديسين أن واحداً من الكهنة الروحانيين كان مكشوف العينين، فكان يرى أحيانا خطاياً المعترفين على يديه. ومرة جاءته سيدة باكية نادمة على خطاياها، وقد اعترفت بخطاياها، ولكنه رأى أن المرأة قد خبأت عنه خطيئة كبيرة ذلك أنه أبصر حية تطل من فم المرأة ثم تغلق المرأة فمها فتدخل الحية وتختبئ فى باطنها. وسأل الكاهن المرأة إذا كانت قد فرغت من الاعتراف بجميع خطاياها، فأجابت بالإيجاب. قال الكاهن بل هناك خطيئة أخرى كبيرة لم تعترفى بها، أراها بمنظر حية تطل من فيك. كلما فتحت فمك. فذهلت المرأة، ولما لم تجد سبيلاً إلى الإنكار أقرت بخطيئتها بمرارة وصراحة. وبعد ذلك اختفت الحية من فمها، فعلم الكاهن أن المرأة قد اعترفت له بكل شئ، ولم يجد مانعاً من أن يقربها إلى الأسرار المقدسة.

إن خطيئة واحدة يتعلق بها القلب تكفى لهلاك النفس وحرمانها من فردوس النعيم ومن الدخول فى ملكوت الله.

ولذلك يجب أن لا يخجل الإنسان من أن يندم على خطاياه معترفاً بها جميعاً أمام الله على يد الكاهن «فمن كتم معاصيه لم ينجح، ومن اعترف بها وأقلع عنها يرحم» (الأمثال ٢٨ : ١٣).

١٨ - الاعتراف والنسيان

ويسأل غيره:

قد يتذكر الإنسان - بعد الاعتراف والتناول من الأسرار المقدسة - خطيئة نسى أن يعترف بها، فهل يعترف بها بعد التناول، أو يعتبر أنها قد غفرت؟

الجواب:

ما دام المعترف قد أغفل اعترافه بتلك الخطيئة عن نسيان وليس عن قصد، فاعترافه صحيح، وكذلك تناوله من الأسرار المقدسة. وقد شملت استحقاقات دم المسيح تلك الخطيئة مع غيرها مما ندم عنه واعترف به خاصة وإن الكاهن قد أعطاه الحل عن خطاياه التى صنعها «بعلم أو بغير علم أو بجزع القلب، بالفعل أو القول أو الفكر».

ومع ذلك فلراحة ضميره يعترف عنها بندامة أمام الكاهن، حتى لا يكون إغفاله تلك الخطيئة - ولو عن نسيان وغير قصد - مشجعاً له على الاستهتار والاستباحة واستمراء الإثم وعدم الاكتراث به، الأمر الذى قد يقود إلى ضعف الحاسة الروحية، وتخدر الضمير.

١٩ ـ هل يلزم الاعتراف دائماً قبل التناول؟

ويسأل أحدهم:

«هل يلزم الاعتراف قبل كل مرة يتقدم فيها الإنسان من الأسرار المقدسة؟»

ويقول غيره: اعترفت وتناولت من الأسرار المقدسة، ثم أردت ـ بعد مضى أسبوع أو أكثر ـ أن أتقدم إلى سر القربان، ولم أكن قد ارتكبت فى هذه الفترة أية خطيئة، فهل يجوز لى التقدم إلى المائدة الربانية من دون اعتراف؟

الجواب:

إذا كانت هناك خطيئة فيلزم الاعتراف بها، وإذا لم تكن هناك خطيئة فيمكن التقدم إلى الأسرار المقدسة من غير حاجة إلى الاعتراف. ولكن هل حقاً يوجد إنسان يجرؤ أن يقول إنه لم يرتكب خطيئة من أى نوع؟ «إن قلنا إنه ليس فينا خطيئة فإنما نضل أنفسنا وليس الحق فينا.. وإن قلنا إننا لم نخطأ نجعله كاذباً ولا تكون كلمته فينا» (١ ـ يوحنا ١: ٨، ١٠).

قد لا يكون الخطأ بفعل الإرادة الحرة، وإنما عن تفريط أو سهو أو نسيان. وقد لا يكون الخطأ بالفعل، وإنما بالفكر أو بالشعور، فلا يخلو أحد من خطأ ولو كان خطأ عارضاً.

فإذا لم يجد الإنسان خطأ واضحاً يتوب عنه ويعترف به، فليقر أمام الله وبين يدى الكاهن أنه خاطئ، وبكل تواضع وخشوع يردد «اللهم ارحمنى أنا الخاطئ» (لوقا ١٨ : ١٣). ثم يطأمن ويخضع ويطلب الحل الكهنوتى.

٢٠ - فرق بين المرشد الروحي وأب الاعتراف

سؤال من السيد أ. ج. م. ملوى.

هل من حق الخادم والمرشد الروحي أن يطلع على تداريب المخدومين والتي تشتمل على مقياس الحياة الروحية، ومنها أنواع الخطايا وعددها والفضائل الروحية أم يطلع على الإجابات فقط؟

الجواب:

إن الخادم والمرشد الروحي الذي يسمح لنفسه بالاطلاع على تداريب المخدومين الروحية ومنها كما تقول أنواع الخطايا وعددها.. إلخ قد تجاوز حدود اختصاصه كخادم ومرشد روحي، إلى اختصاص الكاهن وأب الاعتراف.

يجب ألا يتجاوز عمل الخادم والمرشد التوجيه العام، وليس للمرشد أن يعطي تداريب،ولا أن يطلع على خطايا المخدومين وعددها بل إن هذا التصرف ضار بعمل الإرشاد، ويفسد حكمة الكنيسة في جعل أمثال هذه الأمور مقصورة على كاهن الاعتراف، علماً بأن نظام الكنيسة الأصيل أن لا يعطي حق سماع الاعتراف لأي كاهن بل لكاهن ذي صفات خاصة، ويفوضه الأسقف رئيسه بذلك ويتلو عليه صلاة خاصة مسجلة في كتاب الرسامات، ويمنحه وثيقة بذلك تخوّل له أن يكون الكاهن المؤتمن على أسرار نفوس المؤمنين الذين يتخذونه أباً خاصاً لهم، يطلعونه على أسرارهم ويطلبون إرشاده وتوجيهه والصلاة من أجلهم ومنح الحل لهم ليتقدموا إلى الأسرار المقدسة بغير عائق.

٢١ ـ الاعتراف على يد الكاهن هو المرحلة الأخيرة من مراحل سر التوبة

سؤال من فتاة.

كيف يكون الاعتراف كاملاً ومفيداً؟

الجواب :

رداً على تساؤلك بخصوص الاعتراف، أنصح لكِ يا ابنتى بأن تضعى سر الاعتراف فى مفهومه الصحيح باعتباره جزءاً أخيراً، وعنصراً رابعاً من عناصر التوبة. إن الاعتراف ليس سراً قائماً بذاته. إنه جزء من سر التوبة. والتوبة عناصرها أربعة.

أولها ـ الندم على الخطيئة.

ثانياً ـ العزم الصادق على تجديد السيرة وتصحيح المسيرة.

ثالثاً ـ الرجاء فى المسيح وأبوته، وإنه يفرح بنا وبعودتنا إليه.

رابعاً ـ الاعتراف بالقلب وباللسان لله على يد الكاهن.

على أن التوبة نوعان: التوبة الشاملة لكل الحياة وثانياً: التوبة اليومية للسائرين فى طريق السماء.

وحيث أنكِ ابنة متدينة منذ طفولتك، فالتوبة التى تناسبك هى النوع الثانى لا الأول، فالتوبة الأولى لمن سار فى طريق الرذيلة وشرد بعيداً عن الإيمان والفضيلة. أما أنتِ فتوبتك هى التوبة اليومية، والمبنية على مراقبة النفس كل يوم ومحاسبتها على أخطائها يوماً بيوم. وضعى فى اعتبارك أن الغفران لا يتم باستحقاق اعترافك، وإنما يتم بدم المسيح فى سر القربان المقدس. إن سر التوبة به يعود الخاطئ إلى المسيح، ولكن سر القربان هو دم المسيح الذى فيه نغتسل فتغفر خطايانا. وليست التقوى والتدين والاعتراف إلا دلائل طاعتنا لله ولشريعته، لكن الغفران يتم بدم المسيح فى سر القربان. لذلك اطمئنى فإنكِ طالما أنتِ لا ترتكبين خطيئة مانعة من سر التناول، فإن خطاياكِ تغسل تماماً فى دم المسيح فى سر القربان. والاعتراف هو برهان طاعة للشريعة ودليل على عدم التشبث بالخطيئة، وعدم محبتها. فإذا نسيت ذكر خطيئة فلا تنزعجى، طالما أن النسيان لم يكن بقصد إخفائها. وحينما يعطى الكاهن الحل الكهنوتى فهو يعطيه عن الخطايا

التى بعلم، وبغير علم، بالفعل أو بالقول أو بالفكر. المهم أنها جميعاً تغفر لا بحق الاعتراف بل بحق دم المسيح فى سر القربان، لأن دم المسيح يطهرنا من كل خطيئة. يقول الكتاب المقدس «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا» (١. يوحنا ٢ : ١، ٢) إذن الغفران هو بحق دم المسيح، لأنه ليس بأحد غيره الخلاص. فليس اعترافك هو الذى يعطيك الغفران، إن الاعتراف هو برهان طاعتك وعدم عنادك، وبرهان على خضوعك للشريعة، أما الغفران فهو استحقاقات دم المسيح.

٢٢ ـ للاعتراف على يد الكاهن شق إلهى وشق إنسانى

سؤال من أحدهم:

هل من علاقة بين الاعتراف على الكاهن والتحليل النفسى؟

الجواب:

إن الاعتراف يتألف من شقين، شق إنسانى وشق إلهى. والشق الإنسانى يقوم على عنصرين هما الشكوى والعلاج، أما الشق الإلهى فيختص بالاعتراف كسر دينى مقدس.

ويهمنا هنا الجانب الإنسانى فى سر الاعتراف من حيث كونه شكوى ومن حيث هو علاج، وهو الجانب الذى استرعى انتباه العالم النفسانى «فرويد» ورأى أنه يستحق الدراسة وفحص نتائجه العملية فى حل المشكلات والعقد النفسية.

وجانب الشكوى أن يشكوى الإنسان نفسه، ويصرح بأخطائه على حقيقتها من دون أن يحاول تبرير هذه الأخطاء. ولا شك أن فى التصريح بالألم تنفيساً عنه وراحة للنفس شأن من يشكو بألم فى معدته نتيجة اختمارات لبقايا الأكل، فإذا تقيأ، ارتاح من ألمه.

كاهن حاذق:

ويشترط فى الكاهن الذى يتلقى الاعترافات أن يكون قادراً على الإصغاء الجيد بشئ كبير من العطف والاهتمام. فمجرد الإصغاء لشكوى المريض يريحه نفسياً، كما أن عليه أن يوجه إليه الأسئلة ليستطيع الكاهن أن يعرف الداء ويصف الدواء، لاسيما وإن بعض المرضى لا يسهل عليهم التعبير عما فى نفوسهم.

العلاج:

بعد ما يعرف الكاهن الشكوى، يجئ دوره فى علاج صاحبها، وهو يستطيع بمهارته وخبرته معرفة أسرار علة المريض فيعمل على راحته، وفى الوقت ذاته يحل العقد النفسية التى تكون قد غاصت إلى أعماق نفسه من دون أن يشعر بها أو يذكرها:

والكاهن بحكم طبيعة عمله وما يجب أن يتوفر فيه من مؤهلات وصفات، ومعرفة بأحوال الناس وأمزجتهم وميولهم، يستطيع أن يرشد المعترف إلى الوسائل المناسبة التى تقاوم نزعاته وتشفيه من دائه سواء بالنسبة لنفسه أو بالنسبة لغيره. فهو يعلمه كيف يتسامى بغرائزه ويعلو بها ويحاسب نفسه على أفعالها حتى لا يعود إليها، ومن جهة أخرى، عليه أن يصحح عملياً ما أحدثته خطيئته من أضرار بالغير، فمن سرق شيئاً أو ظلم شخصاً، عليه أن يعرف أنه لا مغفرة تعطى له إلا إذا أعاد الشئ المسروق لصاحبه، وأن يرفع الظلم عمن أوقعه به، وبهذا تتحقق التوبة الصادقة حتى يكون التائب قد أثبت صدق توبته بتحمله تبعات أخطائه عملياً.

٢٣ ـ الاعتراف لله على يد الكاهن

سؤال من ن. ع. ف.

هل من ضرورة للاعتراف على الكاهن؟ وأين يكون الاعتراف؟

الجواب:

الاعتراف بالخطيئة فى حقيقته (اعتراف لله على يد الكاهن) باعتباره الممثل للسلطة الدينية «لأن شفتى الكاهن تحفظان معرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود» (ملاخى ٢ : ٧) ... قال يشوع بن نون لعخان بن كرمى: «يا ابنى اعطِ الآن مجداً للرب.. **واعترف له واخبرنى** الآن ماذا عملت. لا تُخف عنى» (يشوع ٧ : ١٩).

ولما كان الاعتراف طقساً دينياً **فينبغى أن يمارس فى الكنيسة. ولا يمارس فى البيت إلا للمريض** الذى لا يستطيع أن يغادر فراش المرض إلى الكنيسة، كما هو الحال بالنسبة إلى سر مسحة المرضى الذى لا مفر من مباشرته فى بيت المريض بسبب مرضه وملازمته للفراش. وكذلك الحال فى المعمودية لا تجوز مباشرتها فى البيت إلا لمن هو فى خطر الموت. فيما عدا ذلك، أى فيما عدا حالة المرض، يلزم أن تباشر طقوس الكنيسة ومباشراتها، ومن بينها الاعتراف بالخطيئة فى الكنيسة.

ومن حيث المبدأ **يجب أن يكون أب الاعتراف شيخاً متميزاً بالروحانية، عالماً بالشريعة، محنكاً ومختبراً، ولا تقل سنه عن الخمسين ... ولا يكون أب الاعتراف راهباً إلا بالنسبة للرهبان.** أما بالنسبة لعامة المؤمنين فترتيب الكنيسة يتطلب فى الكاهن أن يكون من المتزوجين، لتكون له خبرة الحياة الزوجية، حتى يمكن أن يوجه المتزوجين وغير المتزوجين. وهذا هو السبب فى أن **الكنيسة تتطلب فى الكهنة الذين يرعون العائلات فى العالم أن يكونوا من بين المتزوجين.**

٢٤ ـ إذا حدث خلاف بين المعترف والكاهن هل يجوز الاعتراف بالمراسلة ؟

سؤال من أحد المسيحيين :

إذا كان هناك سوء تفاهم بين المعترف وبين الكاهن. ويصر كل منهما على رأيه .. ويُحس المعترف بأنه فى اعترافه هذا كأنه لم يكن ؟هل يمكنه أن يعترف بالمراسلة ؟

هذا السؤال لمن هم فى بلاد المهجر.

الجواب :

إذا كان سوء التفاهم بين المعترفين وبين الكاهن هو فى موضوع الاعتراف، أى فى الموضوعات التى يدور حولها الاعتراف، فليس ثمة مبرر لوقف الاعتراف، **لأن الاعتراف فى حقيقته هو شكوى النفس من النفس أمام الله على يد الكاهن** ولا مجال للخلاف، بين الكاهن والمعترف فى هذا الأمر، لأن دور الكاهن هو الإصغاء باهتمام لشكوى المعترف ممثلاً فى هذا صدر الأب الحنون وهو الله «الذى لا يشاء موت الخاطئ بل يرجع عن طريقه ويحيا» (حزقيال ١٨ : ٢٣-٣٣)، (١. تيموثيئوس ٢ : ٤)، (٢. بطرس ٣، ٩).

وفى الاعتراف بعد الشكوى، **علاج**، وهو النصائح التى يسديها الكاهن للمعترف، وما يدخل تحت نطاق النصائح من قوانين توبة يفرضها الكاهن على المعترف. وهذه القوانين وتلك النصائح يلزم أن يتقبلها المعترف بالإذعان والطاعة حتى لو رأى بفكره ومنطقه أنها لا تناسبه أو لا تفيده. ولا يليق أن يجعل من هذه النصائح أو قوانين التوبة مجالاً لسوء التفاهم فيما بينه وبين الكاهن المرشد فى الاعتراف.

أما إذا كان سوء التفاهم بين المعترف وبين الكاهن يرجع إلى أسباب أخرى لا تتصل بموضوع الاعتراف.. فننصح للمعترف بأن يفصل فصلاً تاماً بين موقفه كخاطئ يطلب رحمة الله لينال الخلاص من خطاياه، وليرث الحياة الأبدية، وبين سوء التفاهم بينه وبين الكاهن حتى لو كان سوء التفاهم لأسباب عامة ولبواعث الخير العام والصالح العام.. خاصة إذا لم يكن فى البلدة التى يقيم فيها المعترف غير هذا الكاهن بالذات.. وإلا حرم المعترف نفسه بسبب سوء

التفاهم هذا من سر التناول كما من سائر الأسرار الأخرى كالزيجة، إذا لم يكن متزوجاً، ومسحة المرضى، إذا كان مريضاً، فضلاً عن ممارسة الأسرار الأخرى لأبنائه مثل المعمودية والميرون وغيرهما. ومن تعاليم كنيستنا الأرثوذكسية إن **فاعليات الأسرار تقوم على استحقاقات المسيح الكفارية، لا على صلاح الكاهن**. فمفاعيل سر المعمودية هى بعينها سواء كان الكاهن صالحاً أو خاطئاً، لأنها قائمة على استحقاقات المسيح الكفارية، وليس الكاهن إلا واسطة لعمل الروح القدس.

أما الاعتراف بالمراسلة، فلا نقره من جهة المبدأ، وقد يجوز فيما لو كان المعترف فى مدينة لا كاهن لها.

٢٥ ـ هل للمرشد الروحى من غير الكهنة أن يفرض تأديبات كنسية ؟

سؤال من الشماس المحامى الأستاذ/ ميلاد شحاته عبد الملاك ـ أرمنت.

الجواب :

لا يجوز للمرشد الروحى إذا كان أخاً من عامة الشعب أن يفرض تأديبات كنسية لأن هذا من اختصاص الأب الكاهن وحده. والإرشاد الروحى لا يغنى بالمرة عن الاعتراف بالخطايا على الأب الكاهن. ومن الأفضل طبعاً أن يكون الاعتراف بالخطايا، والإرشاد الروحى، كلاهما على يد شخص واحد وهو الأب الكاهن. ولكن إذا تعذر على الكاهن القيام بمسئولية أو مهمة الإرشاد الروحى، فينبغى أن يقدم له المعترف اعترافاً كاملاً بخطاياه، لينال الحل والغفران عنها جميعاً. أما الإرشاد الروحى لحل المشاكل الروحية والنفسية، فيكون عن طريق شخص ناضج مختبر حكيم ومتواضع أيضاً بحيث لا يزيد دوره عن تقديم التوجيه الروحى السليم والمساهمة فى الإرشاد لحل المشكلات المختلفة. هذا هو فقط دور وواجب المرشد الروحى ـ إذا كان علمانياً ـ فى حالة الضرورة.

٢٦ - روح الأبوة فى أب الاعتراف

سؤال من فتاة:

عما إذا كان يجوز لها أن تختار لاعترافها كاهناً آخر؟

الجواب:

فى سؤالك بخطابكِ شكواك الصريحة من إنك لا تحسين فى أب الاعتراف الحالى بالأبوة الحانية. وإننى أفهم مشاعرك، وأوافقك على أن أبوة أب الاعتراف ضرورية.

لذلك أرى أنه يجوز لكِ أن تبحثى عن أب اعتراف آخر تتوافر فيه الأبوة التى تنشدينها بحق.

وإنى أنصح لكِ أن تتخذى لكِ أباً شيخاً من شيوخ الكهنة ممن **تتوافر فيه الروحانية والعلم والحذق، وسن الوقار، فلا تقل سنه عن الخمسين.**

وقد يلزم أن يكون فى المنطقة حيث تسكنين أو فى غيرها من أحياء المدينة.

لكن لابد من أب اعتراف تثقين فيه. **إن عنصر الثقة له أهميته القصوى فى تدبير النفس تدبيراً ناجحاً.** وإذا كان عنصر الثقة ينبغى أن يتوافر فى المريض نحو الطبيب، وإلا فلا جدوى على الإطلاق من العلاج، فبالأحرى ينبغى أن تتوافر هذه الثقة بدرجة أعظم فى دائرة سر الاعتراف بين التلميذ أو التلميذه وأب الاعتراف.

٢٧ ـ هل يجوز الاعتراف بالمراسلة من بلد بعيد؟

سؤال من السيد ر. ر. ت. :

يسأل إذا كان يجوز له أن يعترف على يد الكاهن معلمه فى الاعتراف وأبى ذمته، بالمراسلة، حيث أنه يقيم الآن مغترباً فى بلد بعيد ليس فيه كاهن؟

الجواب:

الاعتراف بالخطيئة من حيث المبدأ هو الحلقة الأخيرة من حلقات أربع منها يتألف فعل التوبة. **هذه الحلقات هى:**

١ ـ الندم وتبكيت النفس.

٢ ـ العزم الصادق على تجديد السيرة.

٣ ـ الرجاء فى مراحم الله وعدم اليأس.

٤ ـ الاعتراف الجهارى بالفم واللسان بمرارة من القلب.

والاعتراف بالخطيئة هو اعتراف لله على يد الكاهن بصفته رجل الله «رسول رب الجنود» (١) (ملاخى ٢ : ٧) لذلك **يلزم أن يمارس الاعتراف بالحضور فى الكنيسة، والمثول شخصياً أمام الكاهن.**

هذا من حيث المبدأ. ولكن حيث أنك تقيم ـ على قولك ـ مغترباً فى بلد بعيد ليس فيه كاهن، فليس بد من أن يكون اعترافك بالمراسلة. وهذا وضع مؤقت إلى أن تعود إلى بلدك، وتستأنف اتصالك المباشر بالأب الكاهن، المسئول عن تدبيرك الروحى.

---

(١) ملاخى ٢ : ٧.

٢٨ ـ لماذا لا يجوز الاعتراف بالتليفون ؟

سؤال من أحد المسيحيين:

يقول إن للاعتراف بالتليفون فوائد كثيرة منها: تشجيع الناس على الاعتراف، حيث أن الكثيرين يحجمون عن الاعتراف خجلاً، أو محافظة على أسرارهم وأسرار غيرهم. ولابد أن نضع فى الاعتبار قول المسيح له المجد عن الفريسيين أنهم يحمّلون الناس أحمالاً عسيرة ـ ثم أن التليفون أداة عصرية لم تكن معروفة فى أيام المسيح؟

الجواب:

قد يجوز الاسترشاد برأى الكاهن فى التليفون فى مشكلة خاصة مما لا يدخل فى دائرة الاعتراف بالخطيئة بمعناه المحدود أو الضيق.

فمن كان على عجل، أو على أهبة سفر، أو ليس لديه وقت أو فرصة لمقابلة الكاهن شخصياً ليسأله عما إذا كان يجوز له أن يفطر فى يوم صوم بناء على تعليمات الطبيب، أو ليسأله عما إذا كان يجوز لقريب أو صديق أن يتزوج بالتوكيل، أو ليسأله ما إذا كان يجوز له أو لغيره أن يتعاطى جرعة من دواء أو حقنة منه قبل أن يذهب إلى الكنيسة ويتقرب من الأسرار المقدسة .. وما إلى ذلك من استشارات روحية أو كنسية.

فى تلك الأمور وفى نظائرها يجوز استشارة الكاهن تليفونياً إذا تعذرت مقابلته شخصياً.

أما الاعتراف بالخطيئة، فلا يكفى أن يباشره المسيحى بالتليفون.

ذلك أن الاعتراف بالخطيئة هو عنصر واحد من عناصر التوبة الأربعة، بل هو العنصر الأخير أو الحلقة الأخيرة من التوبة، وتسبقه عناصر ثلاثة: هى الندم والانسحاق القلبى، ثم العزم الصادق على تجديد السيرة، ثم الرجاء فى الخلاص ـ وبعد ذلك يأتى الاعتراف لله على يد الكاهن.

هذه العناصر الأربعة لابد أن تجتمع معاً فى التوبة الحقيقية، ومن دونها لا تكون توبة صادقة، ولا يكون الاعتراف مجدياً.. ولا يكفى التليفون للتثبت منها.

ثم أن الاعتراف ذاته يقوم على عناصر ثلاثة:

فهو أولاً: **شكوى النفس من النفس، ثم علاج، ثم حل**، ينطق به الكاهن بعد أن يتثبت من صدق توبة المعترف.

وإذا جاز أن يشكو الإنسان نفسه بالتليفون أو يتلقى بالتليفون إرشاداً من الكاهن ونصحاً وعلاجاً، فلا يكفى أن يتلقى بالتليفون الحل الكهنوتى، **لأن الحل الكهنوتى نُطق يلفظ به الكاهن لإنسان معروف، معين ومحدد، ولا يجوز أن يلقى به فى الهواء لإنسان مجهول، هارب من مواجهة الكاهن.** فالكاهن مسئول أمام الله مباشرة عن الحل الكهنوتى، لأنه لا يعطيه من عنده، بل من عند سيده. والكاهن لا يملك أن يمنح الحل كمصدر أصيل، ولكنه مجرد وكيل، مثله مثل أمين المخازن، أو مثل صراف البنك أو المصرف أو صراف البريد أو صراف الخزينة فى مصلحة حكومية أو شركة.. كل مبلغ يصرفه، لا يعطيه من ماله، ولكن من مال الدولة أو الشركة أو الهيئة، فهو ليس أصيلاً فى العطاء، لكنه وكيل، مجرد وكيل. وعلى الوكيل أن يتثبت من استحقاق كل من يتقدم إليه للمبلغ الذى يعطيه له، وإلا كان مسئولاً عن المبلغ المدفوع، بغير وجه حق، فضلاً عن تقصيره فى مقتضيات وظيفته ومتطلبات مهمته أمام الأصيل الذى ائتمنه على وظيفته ومهمته.

ولكى يطمئن المؤمن المسيحى على حفظ أسراره، فقد خولته الكنيسة الحق، فى أن يتخذ أميناً لأسراره، الكاهن الذى يطمئن هو إليه ويثق فيه. فإن الثقة يجب أن تتوافر فى الكاهن المعرّف الذى يسمع الاعتراف. ولهذه الثقة أهمية بالغة فى فائدة الاعتراف وجدواه. ومثل الكاهن فى ذلك مثل الطبيب. فكما أن المريض يتوجه بنفسه إلى الطبيب الذى يثق هو فيه، وعلى الثقة يتوقف العامل النفسى فى الشفاء، كذلك يجب أن تتوافر الثقة فى الكاهن الذى يسمع الاعتراف.

أما الخجل فلا يكون عائقاً عن المكاشفة. ألا يكشف المريض نفسه للطبيب ويعرى جسده أمامه، حتى يتمكن الطبيب من تشخيص المرض ووصف الدواء؟ وإلا كيف يمكن للطبيب أن يمارس مهمته لو خجل المريض من أن يعرى نفسه أمامه؟ هكذا يجب أن لا يخجل المؤمن التائب من أن يعترف بخطيئته أمام الكاهن أبى ذمته، ويكشف ذاته أمامه بلا خجل، حتى يتمكن الكاهن من أن يعرف علته، ويصف له الدواء، وأخيراً أن يمنحه الحل الكهنوتى بعد أن يتثبت من صدق توبته.

وبهذه المناسبة، وضماناً لعنصر الثقة، لا يجوز لكاهن حديث عهد بالرسامة الكهنوتية أن يسمع اعترافات المؤمنين ما لم يأخذ تصريحاً خاصاً من أسقفه بذلك.

فمجرد الرسامة الكهنوتية لا تبيح له مباشرة حق سماع الاعتراف، ما لم يعطه الأسقف نطقاً صريحاً يخوّل له مباشرة سماع اعترافات الشعب. وفى الأحوال العادية لا ينال الكاهن هذا الحق إلا بعد رسامته كاهناً بسنوات، يكون الكاهن قد أثبت فيها جدارة وكفاءة تخوّل له أن يتولى هذه المسئولية الخطيرة التى تتطلب أهليات ومواصفات.

٢٩ - لا يبيح الكاهن سر فتاة لخطيبها

سؤال :

«ما قولكم فى فتاة عاملة سقطت أكثر من مرة فى خطيئة الزنا مع رئيسها ثم ندمت وتابت واعترفت على الكاهن بخطيئتها وتيقنت من بشاعة جرمها ثم طلب يدها شاب متدين وهو يثق فى أخلاقها ولا يعلم بأمر سقوطها مع رئيسها لأن الفتاة لم تحمل لاستخدامها حبوب منع الحمل. وقد عرضت الفتاة نفسها على الطبيب بأمل إجراء عملية ترقيع لغشاء بكارتها فأفتى الطبيب باستحالة العملية وعدم جدواها. فما موقف الكاهن إذا جاءه الشاب الذى يريد أن يخطب الفتاة علماً بأن الفتاة اعترفت على الكاهن بخطيئتها؟

الجواب :

أولاً - إن الكاهن كأب اعتراف وكاتم أسرار لا يمكن أن يبيح لا للشاب ولا لغيره بأمر هذه الفتاة وبأمر خطيئتها.

على أن الكاهن ينبغى أن يقنع الفتاة بأنها يجب أن تكون على استعداد لمصارحة الشاب الذى يطلب يدها بالأمر، حتى يكون الشاب على بينة بالموضوع قبل الزواج، وإلا فإذا اكتشف بعد الزواج أن فتاته ليست بكراً، فقد يتطور الأمر وقد تحدث نتائج ليس فى الإمكان التنبؤ بها. ومن الخير على كل حال أن يعلم الخطيب بموضوع الفتاة قبل الزواج بها حتى يكون على بينة من الموضوع.

ولابد للفتاة أن تواجه بأنه من الخير لها أن يعلم من يتقدم لطلب يدها بالأمر، ولابد أن تعرف أن من علامات التوبة الصادقة أن يكون التائب الحق على استعداد أن يتحمل نتيجة خطيئته ولا يهرب منها.

ويمكن أخذ تعهد على الشاب بعدم إباحة الأمر الذى سيُفضى به إليه قبل أن يصارح بموضوع الفتاة. ونحن لا ننصح بتاتاً بإنكار حقيقة موضوع الفتاة على الشاب الذى يتقدم لطلب يدها فإن للإنكار نتائج ضارة بعيدة المدى لجميع الأطراف على أن تقبل الفتاة أن تُصارح فتاها بخطيئتها التى تابت عنها لعله يقبل الزواج منها.

٣٠ ـ ننال الغفران بحق دم المسيح

سؤال من الآنسة س. ن. ب. .

إن مشكلتي هي عذاب من تأنيب ضميري الذي يبكتني على كل كبيرة وصغيرة. إنه يدعوني إلى التدقيق في كل شئ، ويكاد يقتلني الحزن والألم على كل خطيئة وعلى كل خطأ بحيث أعيش في عذاب متصل. وعندما أذهب لمقابلة مرشدي في الاعتراف، وأعود إلى البيت، وأرى أنني نسيت أن أعترف بخطيئة ما، يعاودني الألم النفسي الممض، ويزاولني الشك فيما إذا كنت قد نلت الغفران كاملاً، فهل هذا الشعور مجرد وسواس، وهل طريقتي في الاعتراف خاطئة؟

الجواب:

إننا ننصح لهذه الابنة أن تضع سر الاعتراف في مفهومه الصحيح باعتباره جزءاً من سر التوبة، وعنصراً من عناصر أربعة للتوبة الحقيقية. فالتوبة تقوم على أربع خطوات تكمل بعضها البعض:

وأولها ـ الندم على الخطيئة والانسحاق القلبي وتأنيب الضمير.

وثانيها ـ العزم الصادق على تجديد السيرة، وتصحيح المسيرة.

وثالثها ـ الرجاء في الله والثقة في أبوته الرحيمة وأنه يسر بعودة الخاطئ، ويفرح بخلاص الخاطئ وتوبته.

ورابعها ـ الاعتراف بالقلب والفم لله على يد الكاهن.

والتوبة نوعان:

توبة شاملة من كل الحياة الفاسدة والشريرة، ثم التوبة اليومية.

أما التوبة الشاملة فهي لمن سار في طريق الرذيلة طويلاً، وشرد بعيداً عن الإيمان وعن الفضيلة.

وأما التوبة اليومية فهي توبة السائرين فعلاً في طريق السماء. وهذه التوبة اليومية هي الناتجة عن مراقبة النفس كل يوم ومحاسبتها على أخطائها يوماً بيوم، والاستغفار عن كل

خطيئة وخطأ أولا بأول، ومواصلة العبادة ووسائط الخلاص من صلاة وقراءة فى الكتب الروحية، وصوم وتأمل واعتراف وتناول من الأسرار المقدسة.

وعلى المؤمن السائر فى طريق التوبة أن يتبين أن الغفران لا يتم باستحقاق الاعتراف، وإنما يتم باستحقاق دم المسيح فى سر القربان المقدس. إن بسر التوبة يعود الخاطئ إلى المسيح ويتوب إلى الله، ولكن سر القربان هو دم المسيح الذى فيه يغتسل الخاطئ التائب فينال غفران خطاياه. وليست التقوى والتدين وكل ضروب العبادة إلا أعمال طاعات ودلائل على احترامنا لله ولشريعته، لكن الغفران يناله الإنسان باستحقاقات دم المسيح فى سر القربان المقدس.

لذلك ثقى أيتها الابنة أنك طالما أنتِ لا ترتكبين خطيئة تمنعك من التقدم إلى سر القربان، فإن خطاياكِ الفعلية تغسل يومياً فى دم المسيح بسر القربان «ودم يسوع المسيح.. يطهرنا من كل خطيئة» (١. يوحنا ١: ٧)، (العبرانيين ٩: ١٤). إن الاعتراف بالخطيئة برهان على طاعتك للشريعة، ودليل على عدم تشبثك بها وعلى عدم تعلقك بها. فإذا نسيت أو سهوت عن ذكر خطيئة ما، فلا تنزعجى ولا يستبد بكِ الشك، طالما أن النسيان لم يكن بقصد إخفاء الخطيئة. فالكاهن عندما يمنح للحل الكهنوتى بعد الاعتراف، فهو يعطيه عن الخطايا المقترفة بعلم وبغير علم، عن الخطايا التى صنعت بالفعل أو بالقول أو بالفكر. ومما هو جدير بالذكر أن جميع الخطايا ينال الإنسان عنها الغفران ليس بحق الاعتراف بل بحق دم المسيح فى سر القربان. يقول الكتاب المقدس «أيها الأبناء إنى أكتب إليكم بهذا لكى لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدكم فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا. وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله أيضاً» (١. يوحنا ٢: ١، ٢) فالغفران نناله إذن بحق دم المسيح «وليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال ٤: ١٢).

٣١ ـ هل يعترف الزوج أو الزوجة كل منهما للآخر؟

سؤال من أ. ن. م. بنى مزار.

يقول هل يعترف الزوج للزوجة، والزوجة للزوج، كاعتراف الإنسان لأب اعترافه؟ لقد استيقظت الساعة الرابعة صباحاً، وخطر لبالى أن أكتب لكم هذا السؤال.

الجواب:

إن الفرق هائل وعظيم بين اعتراف الزوج أو الزوجة كل منهما للآخر، وبين الاعتراف لله على يد الكاهن.

إن الاعتراف على يد الكاهن هو حلقة من حلقات سر التوبة، وهو من مراسم العبادة، وطقس دينى لينال به الإنسان غفران خطاياه بالحل الذى يتلوه الكاهن على رأسه بالسلطان الممنوح له من الله. كممثل للسلطة الإلهية. «لأن شفتى الكاهن تحفظان المعرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة إذ هو ملاك (رسول) رب الجنود» ؟ (ملاخى ٢ : ٧).

والاعتراف على يد الكاهن هو أولاً وبالذات **اعتراف لله على يد الكاهن**. ولذلك يلزم أن **يمارس فى الكنيسة ـ لا فى البيت** ـ إلا بالنسبة للمريض الملازم للفراش، **وينبغى أن يمارس بروح العبادة والخشوع والسجود.**

ثم أن الاعتراف على يد الكاهن **هو شكوى النفس من النفس لتعديها على الشريعة الإلهية.**

أما اعتراف الزوج للزوجة. واعتراف الزوجة للزوج، **فهو نوع من الاعتذار عن الخطأ أو الأخطاء التى ارتكبها أحدهما فى حق الآخر.. وهى عادة الأخطاء الظاهرة التى يعلم أن شريكه قد تأذى بها أو تألم منها.**

ولكن فى بعض الأحيان لا يكون من الحكمة أو من المفيد اعتراف الزوج أو الزوجة أحدهما للآخر بنوع معين من الأخطاء مما قد يخدش الصفاء الذهنى بينهما، أو قد يترسب فى ذهن أحدهما ويشكل سابقة لخلاف يشجر بينهما مستقبلاً أو قد يتخذه أحدهما سلاحاً ضد الآخر لو أنه حدث خلاف بينهما فى المستقبل.

وهذه هى بعض الأسباب فى أن يكون **الاعتراف على يد الكاهن**، ولا يكون على أشخاص آخرين إلا بالنسبة للخطأ الموجه إلى الشخص الآخر ليكون الاعتراف بمثابة اعتذار لتصفية الجو بين الاثنين إذا حدث بينهما خلاف أو شجار ظاهر. أما الاعتراف بخطايا الماضى أو الاعتراف بالمشاعر الحاضرة فإن الإفضاء بها قد يضر، وفى أغلب الأحيان يضر.

وبهذه المناسبة، نحن ننصح لكل من الزوج والزوجة أن يكون لهما أب اعتراف واحد: أى يكون أب اعتراف الزوج هو أب اعتراف الزوجة، ليكون التدبير الروحى لحياة الزوجين تدبيراً واحداً، فلا يكون انقسام فى التدبير. فإذا أصغى الكاهن لشكوى الزوج من نفسه يمكنه أن يوجهه التوجيه المناسب والنافع له ولكيان الأسرة، باعتبار أن الكاهن هو أب اعتراف الزوجة، ويعرف طباعها ونفسيتها، فيوجه الزوج توجيهاً بانياً ونافعاً لكيان الأسرة. وكذلك عندما يصغى الكاهن لاعتراف الزوجة وشكواها من نفسها يمكنه أن يوجهها التوجيه المناسب النافع لها ولزوجها ولكيان الأسرة باعتباره أب اعتراف الزوج ويعرف طباعه وصفاته، وبذلك يوجه الزوجة التوجيه البانى والنافع لها ولزوجها وللأسرة كلها.

بل إننا ننصح أن يكون **الكاهن الذى يرتضيه الزوجان معاً أباً لذمتهما، ومرشداً روحياً لهما معاً هو بعينه أن يكون أباً روحياً ومرشداً كهنوتياً لجميع أولاد الزوجين بنين وبنات، أى بلغة أخرى يكون هذا الكاهن الشيخ طبيباً للأسرة كلها بما فيها الأب والأم وجميع أولادهما ذكوراً واناثاً**. إن فكرة الكاهن الواحد، أب الأسرة، وطبيب العائلة، فكرة روحية عملية فى غاية الأهمية.

وبهذه المناسبة أيضاً ينبغى أن يكون هذا الكاهن الشيخ من غير الرهبان أى من المتزوجين ممن له خبرة الحياة الزوجية حتى يمكنه أن يرشد ويوجه الأسرة التوجيه السليم. وهو المبدأ الذى سارت عليه الكنيسة الأرثوذكسية منذ الابتداء أن يكون الكاهن الراعى من المتزوجين لا من المتبتلين أو الرهبان، فالكاهن الراعى هو المناسب للافتقاد فى البيوت، وسماع الاعترافات. أما الكاهن المتبتل أو الراهب فيعفى من دخول البيوت، وسماع الاعترافات، وينقطع للصلوات والوعظ والتعليم والتدبير.

٣٢ ـ الرهبان يعترفون على الرهبان

سؤال من فتاة.

الجواب:

إجابة على أسئلتك بعد أن قرأت خطاباتك نفيد بالآتى:

أولاً: ـ إن من الخطأ الاعتراف على الرهبان. إن الراهب يعترف على الراهب. وفيما عدا هذا ليس للراهب أن يسمع اعتراف العلمانيين، لا الرجال ولا النساء.

إن كنيستنا الأرثوذكسية بها النظامان: نظام الكهنة المتزوجين ثم نظام الرهبان. **وآباء الاعتراف لجمهور المؤمنين فى العالم هم عادة من الكهنة المتزوجين.** أما الرهبان فإذا خدموا فى الكنيسة أو فى العالم فيعفون من سماع الاعترافات ومن افتقاد المؤمنين فى البيوت. وفيما عدا الاعترافات وزيارة البيوت، يمكن للراهب الكاهن أن يباشر الصلوات والقداسات.

لقد تكلمنا كثيراً، وكتبنا أيضاً فى هذا الموضوع: **أن الاعتراف يجب أن يكون على كاهن الرعية وكاهن الرعية هو الكاهن المتزوج.**

ثانياً: ـ من الخطأ أن تعرض على الكاهن فى سر الاعتراف أمور لا علاقة لها بالخطيئة. إن الاعتراف جزء من عملية التوبة، وهو آخر حلقة من حلقات التوبة.

فالتوبة:

أولاً ـ ندم على الخطيئة وانسحاق فى القلب بسببها، وتبكيت للضمير.

ثانياً ـ عزم صادق على تجديد السيرة.

ثالثاً ـ ثبات الرجاء فى المسيح يسوع بصفته الأب والراعى الذى من يقبل إليه بتوبة صادقة يقبله ولا يطرده.

رابعاً ـ الاعتراف لله على يد الكاهن.

والاعتراف:

أولاً: شكوى النفس من النفس.

ثانياً: علاج وتأديب.

ثالثاً: منح الحل بالغفران إذا تبين الكاهن صدق توبة تلميذه أو تلميذته.

والآن أيتها الابنة الشابة انصح لكِ بالآتى:

أولاً - لا تيأسى من رحمة الله. فهناك دائماً طريق للخلاص مادامت هناك توبة، ورغبة فى الخلاص، واستعداد حقيقى للخلاص، وعزم صادق على عدم العودة إلى الخطيئة ومسبباتها، ومادام لديك استعداد لأن تتحملى نتائج الخطيئة باتخاذ خطوات عملية إيجابية للخلاص، وللعودة إلى تصحيح المسار، والسير من جديد فى طريق السماء. إنى أنصح لكِ بأن تمارسى الصوم الانقطاعى وبعد ذلك أن تأكلى طعاماً نباتياً غير مقلى بالزيت، وأن تؤدى عدداً من المطانيات الكاملة كل يوم.

ثانياً - إنه يمكنك أن تتحولى إلى إنسانة فاضلة طاهرة، وأن تسلكى فى طريق الخلاص وسبيل المخلَّصين.

إننى أشكر الله من أجل أن ضميرك حىّ، وإن النعمة لم تفارقك، والدليل على ذلك هو عدم الرضى فى نفسك عن نفسك، واهتمامك بالسؤال، ورغبتك فى أن تستردى حياة العشرة مع الله.

ثالثاً - اتخذى لك أب اعتراف لا من الرهبان، فهذا لا يجوز إطلاقاً، ولكن ينبغى أن يكون شيخاً معروفاً بروحانيته وبعلمه وبحذقه فى فن قيادة النفوس.

رابعاً - ضعى فى اعتبارك أن تتقدمى إلى سر التناول مرة كل أسبوعين، ما لم يكن هناك مانع روحى أو جسدى.

خامساً - عودى إلى الصلاة وإلى قراءة الكتاب المقدس بانتظام (فصلاً واحداً أيام الدراسة) وقراءة صفحتين مثلاً فى كتاب روحى أو من سير القديسين.

سادساً - اطلبى دائماً خلاصك الأبدى، وأن يكون لك نصيب مع القديسين فى السماء وأن تسيرى فى حياتك كإنسانة عابرة فى طريق الأرض فى رحلة نهايتها الحياة الأخرى فى فردوس النعيم وملكوت السماوات.

٣٣ - لماذا لا نعترف على الله رأساً مكتفين من الكاهن بالحل الكهنوتى ؟

سؤال من أحد المسيحيين :

ألا يحق لنا أن نحتفظ بما عندنا من أسرار معترفين لله رأساً، مكتفين من الكاهن بسلطان الحل أو الربط أى قراءة التحليل، لاسيما وأن الإنسان لا يمكنه أن يعرف الكاهن التقى من غير التقى؟

الجواب :

لقد أباحت القوانين الكنسية للمؤمن أن يبحث عن كاهن خبير درب حاذق، وأن لا يلجأ إلا لمرشد ثقة يجد في قوله غناء، وفى علاجه شفاء، وقد اشترطت فيه غير ذلك أن يكون: وقوراً، عارفا بالشريعة عالماً بأدواء النفوس، وأن يكون شيخاً متقدماً فى السن. يقول يشوع بن سيراخ. «ما أجمل القضاء للشيب وحسن المشورة للشيوخ. ما أجمل الحكمة للشيوخ، والرأى والمشورة لأرباب المجد. كثرة الخبرة إكليل الشيوخ، ومخافة الرب فخرهم» (يشوع بن سيراخ ٢٥ : ٧، ٨).

وقد صار التقليد فى كنيستنا على أن لا يسند حق مباشرة سر الاعتراف لكل كاهن، وإنما لمن تتوافر فيه هذه الشروط، فيصدر له الأسقف راعى الإيبارشية تخويلاً بهذا، وقد اطلعنا أحد الآباء الكهنة فى إحدى مدن الصعيد على خطاب من أسقفه يخوّل له حق مباشرة سر الاعتراف بعد سيامته كاهناً بعشرين سنة. وذلك لأن الكاهن الأكبر سناً الذى كان يتولى مهمة سر الاعتراف فى هذه البلدة، قد انتقل إلى العالم الآخر، فكان لابد للأسقف أن يعين من يخلفه فى هذه المهمة، فبعث هذا الخطاب إلى أكبر كاهن فى البلد بعد ذلك الذى توفاه الله، وهو هذا الذى أطلعنا على خطاب الأسقف المشار إليه.

أما عن الاعتراف وهل يجوز أن يكون اعترافاً على الله فقط، فيتضح الجواب عليه من مراجعة هذه القضية على ضوء حوادث الكتاب المقدس، فلقد قرأنا كثيراً عن اعترافات على أيدى الكهنة والأنبياء والرسل.

فعخان بن كرمى اعترف على يد يشوع بن نون وأقر بأنه سرق رداء شنعاريا نفيساً ومائتى شاقل فضة ولسان ذهب، عندما سأله يشوع قائلاً: «يا ابنى اعطِ الآن مجداً للرب إله إسرائيل، واعترف له (١) واخبرنى الآن: ماذا عملت. لا تخف عنى» (يشوع ٧: ١٩). وهكذا اعترف داود الملك على يد ناثان النبى حين أقر بخطيئته (٢. صموئيل ١٢: ٧– ١٤)، وهكذا كان يفعل كل إسرائيلى يخطئ فإنه كان على ما فرضته الشريعة وأمر به الله، يقر للكاهن بخطيئته (اللاويين ٦: ٥ – ٧)، (التثنية ٢٦: ٣) فيحدد له الكاهن الذبيحة الملائمة للتكفير عن خطيئته، ثم أنه يقر بخطيئته أيضاً على رأسها قبل أن تذبح وتحرق، فإذا لم يكن ثمة اعتراف بالخطيئة فكيف كان يمكن للكاهن أن يحدد له الذبيحة المناسبة ليكفر بها عن خطيئته؟

وأما فى العهد الجديد فهكذا كان يفعل اليهود حين أتوا إلى النبى يوحنا المعمدان واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم (متى ٣: ٦) ومن ثم ينص لهم بالآداب التى يجب أن يلتزموا بها من توبة وندامة وعمل صالح (متى ٣: ٧ – ١٢)، (لوقا ٣: ٧ – ١٤). وبالمثل فعل الذين آمنوا بالمسيح مع الرسل الأطهار. وكان الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم، وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع (أعمال ١٩: ١٨، ١٩). ولقد سأل القديس بطرس رجلاً وامرأته (حنانيا وسفيرة) عما فعلاه، وقد كان هو بذاته يعلم من قبل الروح القدس بحقيقة سرقتهما واتفاقهما معاً على الشر، ولكنه أراد أن يمهد لهم بسؤاله فرصة الاعتراف بخطيئتهما، فلما أصرا على النكران سخط عليهما فنزل عليهما عقاب الموت فى الحال (أعمال ٥: ١ – ١١) «لأن من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يُرحم» (أمثال ٢٨: ١٣).

فلابد من الاعتراف لله على يد الكاهن، لا على الله فقط، لأن الله يعلم بقلوبنا. فليس بعد الاستغفار لله اعترافاً بالمعنى الدقيق، إذ الاعتراف معناه التصريح والإفصاح، وأن الله قد كان يمكنه فى شتى شئوننا الروحية أن يجعل صلته بنا مباشرة ولكنه لم يفعل ذلك بل إنه على العكس أراد أن يجعل للبشر سلطاناً على البشر، وأن يشعرنا بحاجتنا إلى ذوى المؤهلات والسلطان فينا لنتضع ونتحكم وننتفع ببعضنا بعضاً ، ولو أراد غير ذلك لما أرسل ملاكاً إلى كورنيليوس يخبره بأن يستدعى إليه سمعان بطرس فيخبره بكلام يخلص به هو وأهل بيته. فرجل تقى

---

(١) يلاحظ أن الاعتراف لله غير الاعتراف على الله ـ فالاعتراف لله هو تمجيده وحمده (راجع الكتاب المقدس ذى الحواشى).

يظهر له ملاك من السماء ينبئه بأن صلواته وصدقاته قد قبلت ثم يصمت فلا يرشده إلى
الخلاص بنوع من الإرشاد المباشر، بل يضطره إلى استدعاء القديس بطرس، يظهرنا على سياسة الله في كنيسته بأن مواهب الروح القدس وبركات السماء قد أعطيت لأشخاص وكُلّ إليهم أن يوزعوا على آخرين كما فعل الرب في معجزة الأرغفة الخمسة، وهكذا افتقر في القديم إبراهيم خليل الله إلى أن يحني هامته لملكي صادق فيباركه لأنه كان كاهناً لله العلي (التكوين ١٤: ١٨ – ٢٠)، (عبرانيين ٧: ١ – ٧).

هذا وإن الاعتراف في حقيقته شكوى، ثم علاج ثم غفران. أما الغفران فيناله التائب بتصريح الكاهن الذي وهب له السلطان أن يغفر الخطايا ويمسكها فينفذ صوته إلى السماء، ويثبت الرب من فوق ما يجريه الوكيل الأمين على الأرض «ويؤيد السيد رأي العبيد» كما يقول القديس يوحنا الذهبي فمه.

ولكن هذا الحل الكهنوتي والنطق بالغفران خطوة أخيرة تسبقها خطوات: من ندامة وانسحاق قلب، وعزم على تغيير السيرة وتجديد الذهن يختبرها الكاهن في التائب بمناقشته واستخباره وإعطائه إرشادات ونصائح عملية وتدريبات روحية تعرف اصطلاحياً بالتأديبات الكنسية، فإذا ثبت للكاهن صدق توبته علم بأنه مقبول أمام الله فيسمعه التصريح السمائي بأنه محلول من ذاته ، مغفورة له خطاياه، وأنه يمكنه أن يتقدم إلى سر التناول.

وإذن فالاعتراف غايته الغفران، ولكن لابد فيه من الشكوى، شكوىَ الخاطئ من نفسه. وفي الشكوى مرارة ولوعة، والتائب الحقيقي من يشعر باستحقاقه لهذه المرارة وهذه اللوعة، بل ويحس بنوع من الانتقام لنفسه من نفسه، فترضى بذلك نفسه لأنه أدبها فأحسن تأديبها، ولذلك يعينه الكاهن في هذا السبيل بأنواع من الواجبات والتكاليف يتممها ليقهر بها شهواته ويخضع أهواء قلبه.

٣٤ - عالجى النسيان بالكتابة

سؤال من فتاة.

الجواب:

من جهة شعورك بتفاهة نفسك وصغرك، هذا شعور نافع لأنه يقودك إلى الطموح وإلى تكميل نفسك وتصحيح أخطائها، وهذا خير لكِ من الغرور والعجب بالذات. فاستغلى هذا الشعور لبناء شخصيتك المستقبلية.

ومن جهة نسيانك لما يجب أن تقوليه لأب الاعتراف، استحسن أن تجمعى أفكارك قبل الاعتراف وتدونى فى ورقة صغيرة النقاط التى تريدين أن تتحدثى بها إلى أب الاعتراف. علما بأن الاعتراف فى حقيقته هو شكوى النفس من النفس. لذلك تجنبى أن تشكى فى الاعتراف أحداً آخر.

٣٥ - الفرق بين سلطان المسيح فى الغفران والسلطان الممنوح للكهنة

سؤال: ما الفرق بين سلطان المسيح على غفران الخطايا، وبين السلطان الممنوح للكهنة لغفران الخطايا وإمساكها؟

الجواب:

إن الكهنة لا يمارسون الغفران بسلطان أصيل، لكنهم بصلواتهم على رأس التائب يلتمسون له الغفران. وإذا نطقوا بالغفران فبتفويض من المسيح، صاحب السلطان الأصيل.

ومثال الحالة الأولى قول القديس بولس الرسول «ليرحم الرب بيت أونيسيفوروس.. **ليُنعم عليه الرب أن يجد رحمة من لدن الرب فى ذلك اليوم**» (٢. تيموثيئوس ١: ١٦، ١٧)...

ومثال الحالة الثانية قول ناثان لداود الملك بعد أن اعترف داود بخطيئته على يديه وقال قد أخطأت إلى الرب، قال ناثان لداود: «**الرب قد نقل خطيئتك عنك، فلا تموت**» (٢. صموئيل ١٢: ١٣).

ومن ذلك يتضح أن القديس بولس الرسول لم يجرؤ على أن يمنح الغفران لأونيسيفوروس، وإنما صلى وطلب من أجله لعل الله يمنحه الغفران. كما أن ناثان النبى لم يجرؤ على أن يمنح الغفران من عنده للملك داود، وإنما نسب ذلك إلى الله (**الرب قد نقل خطيئتك عنك**، فلا تموت).

وكذلك يصنع الكاهن بعد أن يسمع اعتراف المعترف، ويلتمس منه الحل الكهنوتى، فيصلى الكاهن عنه، ويقول فى صوت واضح «**اللهم انعم علينا بغفران خطايانا**. باركنا، طهرنا، حاللنا، وحالل عبدك (فلان)، وقومنا إلى إرادتك المقدسة الطوباوية..» ثم يقول المعترف: أخطأت حاللنى يا أبى، فيجيبه الكاهن قائلاً: «**الرب يحاللك (أى) فليغفر لك الرب**»!

بهذا المفهوم نفسر سلطان الحل والعقد الذى منحه المسيح له المجد لتلاميذه ورسله عندما «نفخ فى وجوههم، وقال لهم: اقبلوا روح القدس، من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتم عليهم خطاياهم تمسك عليهم» (يوحنا ٢٠ : ٢٢، ٢٣).

فالرسل والكهنة من بعدهم لا يغفرون خطايا المؤمنين بسلطان أصيل، ولكنهم ينطقون بالحل الكهنوتى كوكلاء أسرار الله (١ كورنثوس ٤ : ١)، (٩ : ١٧)، (تيطس ١ : ٧).

أما المسيح له المجد فهو صاحب السلطان الأصيل فى غفران الخطايا، فإذا منح الغفران، منحه بصفته كائناً مع الآب، وفى الآب، ومالكاً لكل ما للآب، وفيه يحل الملء كله (كولوسى ١ : ١٩). «أى أن الله كان فى المسيح» (٢ كورنثوس ٥ : ١٩). «فإنه فيه يحل كل كمال اللاهوت جسدياً» (كولوسى ٢ : ٩).

٣٦ - اصمدى ولا ترجعى إلى الوراء

سؤال من فتاة:

الجواب:

لقد قرأت يا ابنتى خطابكِ، وعرفت موضوعك وإنى أشكر الله معك على الانتقال الذى انتقلتهِ فى عشرة غنية وخصبة مع الرب فى كنيسته المقدسة. وجميل أن تشعرى بالفارق بين حياة بعيدة عن المسيح وحياة أخرى فى المسيح.

الآن أنت تصلين وتصومين وتقرأين فى الكتاب المقدس والكتب الروحية، ولكِ أب اعتراف، وتتقربين من الأسرار المقدسة فى فترات متقاربة.

أما عن القصة التى رويتها فى خطابك وأنت فى السنة السادسة الابتدائية، فقد كنتِ وقتها طفلة ربما لم يكن لك الإدراك الكافى لبشاعة هذا الخطأ. ولكنك لم تذكرى إذا كان الولد الذى يكبرك قد اعتدى عليك بالكامل، وهل فقدت بذلك بكارتك.

على كل حال، فما دمت قد تنبهتِ إلى هذه الخطيئة وأنتِ نادمة عليها، حزينة بسببها، وتسألين الغفران عنها، فاعترفى بها للكاهن، واذكرى له ظروفها لتنالى الحل، فيطمئن قلبك إلى الغفران الكامل عنها وعن غيرها من الخطايا التى ارتكبتها فى الماضى قبل توبتك، وتحوّلك.

على أن أنصح لك أن لا تنتظرى عودة أب اعترافك مادام مسافراً، حتى لا تتأخرى عن التقدم للأسرار المقدسة. يمكنك أن تتخذى كاهناً آخر أباً بصفة مؤقتة إلى حين عودة أبيك الأول.

أما اتجاهاتك الرهبانية، فينبغى أن تمتحنى نفسك عنها جيداً وتفحصى ذاتك مع الصلاة الدائمة حتى يكشف الرب لك حقيقة استعداداتك، وحتى لا تكون نيتك نحو الرهبنة فورة عاطفية لفتاة صغيرة لم تمتحن نفسها كما ينبغى.

وجميل أن تذهبى إلى الدير لخلوة صغيرة تكون بمثابة امتحان لرغبتك واستعدادك.

تشجعى، يا ابنتى، وسيرى فى طريق الخلاص ولا تعودى إلى الوراء، واثبتى على الطريق، وكونى فرحة بالرب الذى قبل توبتك، وهيأ لكِ وسائط الخلاص.

٣٧ ـ فى الاعتراف لا يشكو المعترف غير نفسه

سؤال : من فتاة شكت أختها إلى الكاهن وهى تعترف على يد الكاهن.

الجواب :

لقد أخطأتِ بشكواكِ من أختك. واعلمى أن فحوى الاعتراف هو شكوى النفس من النفس لا شكوى النفس من الناس. أما إذا أردت الشكوى من أختك، فأنت فى هذه الحالة تلجأين إلى الكاهن ليصالح بينكما، وحينئذ يستحضر أختك أمامك ويناقش معكما أسباب الشكوى، ليصالح بينكما. أما فى سر الاعتراف فشكواك ينبغى أن تنحصر فى نفسك، ومن نفسك، لا من أختك.

٣٨ ـ هل يعترف بالخطايا الماضية ؟

سؤال من أحد الشباب: عندى بعض الخطايا فعلتها منذ طفولتى ولم أعترف بها وقت فعلها، ولكنى تذكرتها الآن. فهل ممكن وجائز الاعتراف بها الآن على يدىّ أبى الكاهن أم هل ممكن أن أصلى إلى الله من أجلها وأكتفى بذلك؟

الجواب :

يجب أن تعترف للكاهن بكل خطيئة فعلتها طالما أنك لم تعترف بها من قبل مهما مضى عليها من زمن. ولا يزعجك الشك فى صدق توبتك الأولى إذا كنت قد غفلت عن ذكر خطيئة فى أثناء اعترافك وكان اغفالها من غير عمد. فإن الله الذى يفحص نواياك يعلم بصدق لهجتك وخلوص طويتك وإنك نادم بالحقيقة ومعتزم الرجوع إلى طريق الكمال من كل قلبك، وأنك لم تخبئ خطيئتك عن أب الاعتراف عن إصرار وتمنع بل لقد كنت على استعداد أن تعترف بها لو كنت قد تذكرتها. ولكن نسيانك للخطيئة أثناء الاعتراف لا يبرر عدم العودة إلى الاعتراف بها عندما تتذكرها، لئلا يحتسب ذلك منك استهتاراً بالخطيئة التى فعلتها.

نعم يجب أن نعترف حتى نؤدب أنفسنا على نسيانها فلا نعود إلى النسيان أو إلى الميل إليه، وحتى نزداد رقابة على أنفسنا فنكتسب بذلك عادة السهر واليقظة وفضيلة التدقيق عملاً بقول الرسول: «فتنبهوا لتسلكوا بالتدقيق لا كأناس تعوزهم الحكمة بل كأشخاص حكماء» (أفسس ٥ : ١٥).

٣٩ - دور الكنيسة في ميدان الصحة النفسية

الدين عموماً وهب للإنسان لا للحيوان، وهب له ليصير به أفضل مما يكون بدونه. فهو إذن هبة من الله لخير الإنسان، يعينه على الحياة السوية التى يبلغ بها إلى التحقق من الغاية من وجوده الحى الناطق العاقل. فهو ليس قيداً على حريته، وإنما هو الحق شكيمة للحيوان الكامن فيه والذى يشده بعيداً عن الهدف من وجوده الناطق. وهذه الشكيمة فى يده ومعه، خير له ومعوان للأنا الأعلى ليحفظ به توازنه، فلا يتردى فى هاوية تنزل به عن مستوى وجوده العاقل.

والإنسان هو الكائن الوحيد بين مخلوقات الله الذى ينفرد بهذا التركيب الغريب، من عنصر سماوى وهابط من علٍ، هو الروح التى خلقت على صورة الله ومثاله، ومن عنصر أرضى من تراب الأرض أخذ وهو البدن أو الجسم. وبطبيعة هذا التركيب صار الإنسان محطاً لصراع بين قوة هابطة من فوق تشده إلى أعلى من حيث جاءت، وقوة من تحت تشده إلى أسفل، إلى الأرض التى منها أخذ بدنه. وفى نظر الدين ليس خطأ أن تشتهى الروح ما للروح فهى تنهل من مصدرها الطبيعى. وليس خطأ أو شراً للجسد أن يشتهى الترابيات والحسيات والماديات لأنه من تراب الأرض أخذ. لكن الخطأ هو أن تنحدر الروح مع الجسد وتستسلم لقيادته، فيهوى بها معاً ليغترفا معاً من الترابيات والحسيات بغير ضابط وتنسى الروح ذاتها وتتلهى مع البدن فى شهواته ومطامعه، وتفقد معرفتها بأصلها ومنبعها ووظيفتها ونسبتها إلى العالم العلوى الذى منه هبطت وإلى العالم السفلى الذى إليه نزلت. ولما كانت الروح فى حقيقتها من الله فلن تجد راحتها الحقيقية إلا فى الله. ومهما تلهت بالحسيات والماديات وشهوات البدن الترابية فلن تشعر بشبع حقيقى يسد جوعها ويروى ظمأها، بل فى جهلها تنهم من شهوات الحواس البدنية ما وسعها، ومع ذلك لا تشبع ولا ترتوى، بل تظل جائعة ظمأى لأنها أكلت من غير طعامها وعبت شراباً ليس هو شرابها، فيدركها القلق وتصير نهباً لألم داخلى، سره شعورها بأنها غريبة فى غير بلدها، وبأنها تائهة شاردة لم تجد طريقها الحقيقى، وإنما ضلت السبيل، وسارت فى طريق مسدود لم يؤد بها إلى الغاية التى تسعى أصلاً إليها، وإلى الهدف من أصل وجودها فى البلد الذى هبطت إليه.

هذا هو سر الصراع الحقيقى فى هذا الكائن العجيب الذى ما زال مجهولاً، والذى نسميه الإنسان، الذى يعذبه التعارض والتناقض والتنازع بين الدوافع المتعارضة التى تبعثر قوى النفس، وتفتت وحدتها وتهد كيانها الواحد، فيصير اشلاء متناثرة، فتئن من ألم هذا الصراع،

وتصرخ بالقلق والاضطراب، ولن تجد راحتها وسلامها إلا إذا عاد كل عضو منها إلى موضعه الطبيعى، وتستكمل وحدتها وتناسقها وتكاملها. ولن يكون هذا ما لم ترتد الروح إلى فهم ذاتها، ومعرفة طبيعتها، والاهتداء إلى أصلها ومنبعها، والتعرف على الغاية من وجودها، وتفهم وظيفتها ونسبتها إلى البدن وهو زميلها فى رحلة الحياة الدنيا، وتعرف أنها بطبيعتها ووجودها هى العنصر الأسمى والأعلى، هى التى تقود البدن وتشده برفق وبغير عنف، فهى القائد لا المقود، وهى السائق لا المسوق، وهى التى تأخذ بيده لتدخله معها إلى عالمها، فيستنير بها إلى آفاق أعلى من وجوده الطبيعى الترابى، فيرتفع فوق الطبيعة ويسمو فوق المادة، ويصير متحداً بالروح منسجماً معها فى الغاية والهدف، فيصلان معاً متزاملين إلى غاية تتناسب مع غاية الطبيعة فى وجود هذا الكائن الإنسانى الذى قصد الله بوجوده أن يكون على مثال خالقه سيد الطبيعة وإله العالم، خالقاً أيضاً وخلاقاً أيضاً، مستشرفاً على المادة، سامياً رفيعاً، ينفث فى الدنيا من روحه وطبعه، يحيلها إلى وجود حيّ له معنى وله مغزى، دافق بالحياة والحركة والخلق والنمو المتصل إلى غير نهاية.

هذا هو الدين وهذه هى رسالته إلى الإنسان، يعرفه بنفسه ويعينه على نفسه ضد نفسه، ويقربه إلى نفسه التى بعد عنها تائهاً فى متاهات بعيدة لن يجد فيها راحته. رسالة الدين أن يعرف الانسان بنفسه، فيفهمها ويفهم ما فيها من خير، ومن شر، ويعرف مصدر الخير فيها وعلته ومصدر الشر فيها وعلته. وهذه المعرفة هى التى تقوده إلى أن يرد كل شئ إلى أصله، ويربط المسبب بالسبب والمعلول بالعلّة، وبالتالى يفهم دوافعه وبواعثه وأهدافه وغاياته، ويتعرف على قوى نفسه وضعفاتها. وهذه المعرفة ضرورية ومهمة ومفيدة لأنها تحل ما تشابك فى نفسه وما تعقد فيها، وأمسى التعقد والتشابك علة لأمراضه ومتاعبه.

وهنا يجئ دور رجل الدين المسيحى، فإنه يعين الفرد على فهم نفسه. فالإنسان عادة لا يعرف ذاته على حقيقتها، وحتى لو كان من طراز المستبطنين لنفوسهم فإنه قلما يزن نفسه بميزان دقيق، لأنه غالباً ما يتحيز لها ويعطف عليها ويدللها. فهو لذلك يكون أصدق فى حكمه على غيره من حكمه على نفسه. ولهذا أيضاً يحتاج إلى غيره ليعينه على نفسه، ويشاركه فى علاجها وحسن قيادتها. وهذا هو عمل رجل الدين المسيحى. إن الكاهن فى المسيحية ليس هو مجرد واعظ يدعو إلى التقوى بالموعظة الحسنة. وليس هو مجرد مصلح اجتماعى ينادى بالمبادئ الدينية الرفيعة والمثل العليا يشرحها ويفسرها ويبرهن على سلامتها وقوتها للنفس

البشرية. لكنه فوق هذا كله، طبيب يقوم بدوره الحقيقى فى سر الاعتراف عندما يخلو إليه المؤمن ويعالجه على انفراد. وفى سر الاعتراف شفاء للنفس المتعبة، علاج خاص مبنى على الفروق الفردية بين إنسان وآخر. من هنا كان دور الكنيسة مزدوجاً: دور يؤديه الكاهن على المنبر، ودور آخر لا يقل أهمية عن دور المنبر وهو كرسى الاعتراف. على المنبر توعية عامة ونصح وإرشاد وتوجيه وشرح وتفسير وبيان وتعليم ودرس عام ينتفع به أكبر عدد ممكن من الناس، يتعلمون فيه قضايا عامة تناسب الإنسان بصفته إنساناً خلق على صورة الله ومثاله. ولابد أن يكون هذا النوع من الوعظ مفيداً للناس جميعاً ولكل فرد، يأخذ منه ما ينفعه ويبنيه وما يصحح مفهوماته، ويزرع فيه مفهومات جديدة تغاير مفهوماته الأولى أو تباينها أو تكملها أو تتفاعل معها. وفى هذا النوع من الإرشاد العام يتقارب الناس ويجتمعون شيئاً فشيئاً على وعى دينى وحضارى واجتماعى وإنسانى يجعلهم أقرب إلى الله وإلى المثل العليا التى رسمها لهم رجل الدين بما يأخذه من الكتب المقدسة وسيرة السلف الصالح من القديسين والصديقين.

ومهما يكن من شأن الأمور التى يلتقى فيها الناس، ومهما كان من دور رجل الدين فى توعية عامة تصير الإنسان بصيراً بطبيعته الإنسانية وبالمثل العليا التى ينبغى أن يترسمها الإنسان فى سبيل بلوغ الكمال والمثل الأعلى. إلا إن بين الناس فروقاً فردية، وفى نفس كل إنسان متاعب ومشكلات لا يقوى على حملها منفرداً، ولا يجرؤ أحياناً على أن يكاشف بها قريباً أو صديقاً مهما بلغ من قرابته إليه. لذلك فإن سر الاعتراف نافع جداً لأن فيه يمكن أن يفضى الإنسان إلى رجل الله، إلى رجل الدين، بما لا يقوى على أن يفضى به حتى إلى أبيه أو أمه أو أخته أو زوجته أو إلى أحد آخر. وفى سر الاعتراف عناصر ثلاثة: فيه أولاً شكوى، وفيه علاج، وفيه غفران. أما الشكوى فهى شكوى النفس من النفس وفيها يفرغ المعترف متاعبه، ويتقيأ آلامه، وينفّس عن نفسه. ويجد فى الكاهن الأب الحنون الذى يصغى إليه فى اهتمام واشفاق. وحتى إذا لم يكن الشخص نفسه أى المعترف يجيد الشكوى أو يعرف أمراضه وعلله، يشجعه الكاهن على شكواه بإنصاته إليه، وحتى لو لم يعط الكاهن للمعترف علاجاً، يكفيه أن يكون مجيداً لفن الإصغاء. فالإصغاء باهتمام إلى المريض يريحه ويخفف عنه ويهدئ من روعه، ويشعره أنه يجد قلباً حنوناً يرعاه ويعطف عليه، ويتعاطف معه، ويشاركه آلامه، ولو بالإصغاء إلى شكواه. وأما العلاج فيقوم به الكاهن المعرّف على مرحلتين ـ مرحلة التشخيص للمرض، ومرحلة وصف العلاج– أما التشخيص فيتوصل إليه الكاهن نتيجة الإصغاء لشكوى المريض

باهتمام مع محاولة ربط المرض بعلته، ويفيد الكاهن خبرته وحنكته فى معرفة أدواء النفوس، كما يفيده كذلك استنباطه من شكوى المريض ما يعينه على معرفة علة المرض. وبتوجيه أسئلة جديدة يمكن أن يكشف بها ما لم يستطع المريض أن يكشفه من تلقاء ذاته. فإذا شخص الكاهن الداء وصف الدواء مما يعلمه من الكتب المقدسة، ومما درسه فى الكلية الإكليريكية اللاهوتية، ومما حصله من قراءاته ودراساته وخبراته الشخصية، وفى علاقاته مع الناس. والعلاج إما أن يكون نصحاً خاصاً وتوجيهاً وقيادة واعية، وإما أن يكون تدريبات دينية أو واجبات روحية أو ممارسات عملية يطلبها منه الكاهن. فإذا رآه متجاوباً مطيعاً ويتحقق من أنه قد انتفع بما قدمه له من نصائح وتدريبات استدل من كل ذلك على صدق توبته وعلى حسن استعداده لإصلاح سيرته، فيمنحه نطقاً كنسياً يطمئنه على أن توبته صادقة، وبالتالى مقبولة أمام الله ويصلى عنه ومن أجله يطلب له العون ليسير قدماً فى طريق النصرة والحياة الفاضلة الناجحة.

على أن الكنيسة تضيف إلى هذا كله وسيلة أخرى فى سبيل قيادة النفس البشرية وتقدمها وبنائها. وهذا هو توجيه التربية منذ الطفولة المبكرة. فالكنيسة تضع على الوالدين عند المعمودية مسئولية تربية ولدهما تربية مسيحية سليمة، وتأخذ عليهما التعهدات والضمانات، وتنذرهما بالعقوبة الأبدية التى تنتظرهما إذا هما أهملا هذا التعهد ولم يرعيا ولدهما بكل الرعاية المطلوبة للروح والنفس والعقل والبدن. ولا تتركهما عند هذا الحد بل الكاهن يجعل من أهم واجباته زيارة العائلة زيارة دورية، فضلاً عن المناسبات الطارئة. وفى زيارته يفحص وينذر ويدرس ويسأل ويتقصى عن كل ما يختص بالأسرة فرداً فرداً، ويلمس بنفسه احتياجاتهم، ويتعرف على مشاكلهم، ويكشف تقصيراتهم فى واجباتهم الدينية، ويقف على أخبارهم من كل الوجوه، فيتدخل بالنصح والإرشاد والتوجيه، ويعرف احتياجاتهم المادية ومشكلاتهم المعاشية، ويعاونهم على حلها بطريقة فردية أو جماعية. ومنذ أقدم الأيام عرفت الكنيسة ما علمه إياها السيد المسيح مؤسسها من أن واجب الكنيسة لا ينحصر فى أن تعلم وترشد وتنصح فقط، ولكن أن تطعم الجائعين وتكسو العراة، وتعاون فى حل المشاكل الاجتماعية، لذلك كانت منذ الابتداء الملاجئ والمستشفيات والمستوصفات ودور الإيواء إلى جانب دور العلم من رسالة الكنيسة، تدعو إليها، وتحث عليها، وتوحى بانشائها. وبهذا تسد الكنيسة فراغ الإنسان فى الروح والعقل والبدن وبعبارة أخرى إنها تعنى منذ الابتداء بالصحة النفسية وبالصحة البدنية.

٤٠ ـ التوبة وما بعد التوبة

سؤال من ت. ن.

الجواب:

رداً على خطابكِ لسنة ١٩٨٠، نقول إنه طالما أنتِ قد ندمتِ على الخطيئة من كل قلبك، وعزمت عزماً صادقاً على عدم العودة إليها، واعترفت لله على يد الكاهن، فكن مطمئناً إلى قبول الله لتوبتك، ولا تعد للتشكك فى هذا، فالرب يقول «من يقبل إلىّ لا ألقى به خارجاً» (يوحنا ٦ : ٣٧) والمعنى أن من أقبل إليه بتوبة صادقة، فلن يعود الرب يذكر له خطاياه، فقد محيت وصار قلبك من هذه الجهة أبيض. قال الرب «إنه ولو كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، ولو كانت حمراء كصبغ الدود تصير كالصوف» (إشعياء ١ : ٨).

على أن ما يتعب الإنسان بعد توبته هو آثار الخطيئة فى نفسه وفى جسده، خصوصاً خطيئة الجسد. فقد يترسب الميل إلى الخطيئة والانجذاب نحوها بالخبرة والذكريات السابقة، وما تتركه العادة من شدّ وجذب إليها. لذلك يلزمك بعد التوبة أن تقاوم الميل والذكريات وأثر العادة القديمة، بأن تهرب من المثيرات والأماكن والأشخاص الذين يجلبون لك تلك الذكريات والإثارات. واحرص على القراءة فى الكتاب المقدس والكتب المفيدة التى ترفع مستواك الفكرى، وتعطيك مادة حلوة وجميلة للتفكير، وللصلاة. واملأ وقتك بالعمل والأنشطة التى تسحب كل طاقتك الفكرية والعصبية لما يبنيك روحياً وذهنياً وعقلياً.

٤١ ـ هل بعد الموت توبة ؟

سؤال : من السيد جرجس شكرى ناروز ـ الأسكندرية.

يقول: إن من المسلم به أن توبة الميت لا تقبل منه، ولكن لماذا؟

فإذا كان السبب هو أنه فقد الاختيار، فما القول بالنسبة لإنسان فاجأه الموت وهو فى حالة خطيئة فتاب قبل الموت بثوان، فلماذا تقبل توبته مع أنه كان مرغماً على التوبة وقد فقد الاختيار؟

فى رأيى أن هذا الإنسان ينبغى أن لا تقبل توبته قياساً على عدم قبول توبة الخاطئ بعد موته، بسبب فقده حرية الاختيار، فما هو قولكم فى ذلك؟

الجواب :

ليس صحيحاً أن توبة الميت لا تقبل منه لأنه فقد الاختيار. ولكن لأنه هو لا يريد أن يتوب.

إذن حياة الإنسان بعد الموت هى امتداد لحياته قبل الموت.

وما اكتسبه من عادات وصفات فى حياته على الأرض لا يفقده، وإنما يتبعه فى حياته لأنه حصيلة حياته، مما رغب فيه ومال إليه، وما صنعه وبناه لنفسه وفى نفسه، بمحض اختياره ودون قهر أو الزام. يقول الكتاب المقدس «وأعمالهم تتبعهم» (الرؤيا ١٤ : ١٣).

واعلم أن الإنسان منا كائن حرّ، خلقه الله حراً. ولو لم يكن حراً لما أعطاه العقل نوراً. فالمعروف أن جميع المخلوقات العاقلة حرة، وجميع المخلوقات الحرة عاقلة. وما عدا ذلك جمادات أو نباتات أو حيوانات عجماوات، تحكمها الحتمية المطلقة، وتخضع لقانون طبيعتها خضوعاً كاملاً بغير تخلف.

فالملائكة والبشر جميعهم مخلوقات عاقلة، وهى لذلك حرة فى أفعالها الأدبية غير مقيدة وغير مسيرة. ومن هنا فهى مسئولة عن أفعالها التى لإرادتها فيها مدخل، وعلى ذلك فلها عن أفعالها الأدبية ثواب إذا أحسنت، وعقاب إذا أساءت. أما الجمادات والنباتات والحيوانات العجماوات فهى موجودات أو كائنات غير مسئولة، لا ثواب لها ولا عقاب، لأنها مسيرة

ومحكومة بطبيعتها وغريزتها وبقانون الغائية التي خلقت من أجلها، والتى تتحرك لتحقيقها مدفوعة بالطاقة المودعة فيها والمرسومة لها من خالقها فى طبيعتها.

ولهذا السبب، فإن من الناس أخياراً وأشراراً، ومن الملائكة أخيار وأشرار، لأنها كائنات حرة عاقلة مسئولة، ويمكن أن يحكم على أفعالها بالخير أو الشر. أما الكائنات والموجودات الجامدة وكذلك النباتات والحيوانات العجماوات فلا يحكم على أفعالها بخير أو بشر. وجميعها تتصرف تصرفاً واحداً إذا كانت من صنف واحد وفصيلة واحدة. أما الملائكة والبشر، فبين أفعالهم اختلاف أو اختلافات بقدر أعدادهم، ولكل منهم تصرفه الخاص به. وعمله الذى يختلف فيه عن غيره، ولو كان من نفس درجته وعمله وفهمه، ولو كان توأماً له وكان من نفس بيئته وأسرته وفصيلته. ذلك لأن معنى الحرية أن يكون للكائن قدرته على التصرف بحسب ما يحلو له، ووفقاً لإرادته.

من أجل هذا كان الحساب للملائكة والبشر حساباً لا بالجملة، بل **حساباً لكل واحد على حسب عمله. ولما كان لكل واحد عمله، بحسب ما صنع هو، فإن الجزاء سيكون جزاء متبايناً، جزاء لا بالجملة ولكن لكل واحد على حدة.**

يقول المسيح له المجد «لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله» (متى ١٦ : ٢٧).

ويقول «هانئذا آت سريعاً وجزائى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله» (الرؤيا ٢٢ : ١٢).

ثم إن الله قد خلق الإنسان على صورته ومثاله (التكوين ١ : ٢٦، ٢٧). ولما كان الله حراً، فالإنسان على صورة الله فى الحرية. فهو بالنسبة لأفعاله الأدبية من خير وشر، حر فيها، ومسئول عنها، ولذلك فإنه يجزى عنها على حسب ما له فيها من حرية واختيار.

ولما كان الإنسان حراً، فقد يحسن الاختيار وقد يسئ. ولأنه حر يمكنه أن يصحح مسار حياته بالتوبة. والتوبة من (ثاب يثوب، أى رجع). فالتوبة معناها الرجوع إلى الطريق الصحيح، والعودة إلى التعقل والالتزام، وسبيلها مفتوح أمام الإنسان.

ومع أن التوبة نادرة لكنها ممكنة. ومفتاحها بيد الإنسان نفسه، فهو الذى يملك بإرادته واختياره أن يثوب إلى رشده، ويصلح مساره. وليس أحد يقهره على ذلك. وما عمل الوالدين والناصحين والمصلحين والواعظين ودعاة الفضيلة من رجال الدين إلا إرشاد وتوجيه وتبصير، ولكنهم لا يملكون أن يقهروا أحداً على التوبة.

بل إن الله نفسه لا يقهر أحداً على التوبة. وإلا فلماذا كانت الكتب المقدسة، ولماذا كان الأنبياء؟ ولماذا كان عتاب الله على الخطاة الذين عوجوا طريقهم وأساءوا (إشعياء ٥: ٣، ٤).

ولقد صدق القديس أوغسطينوس فى مقولته «إن الله الذى خلقك من دونك لا يمكنه أن يخلصك من دونك».

فإذا لم يستفد الإنسان فى حياته من الامكانيات المتاحة له فى الأرض قبل الموت، ويصحح مساره، فذلك مرده إليه هو، لأنه رغب فى الشر، واستمرأه وارتضى لنفسه به حراً مختاراً.

فإذا مات بغير توبة، فلسوف لا يطلب هو التوبة بعد الموت، ليس لأنه فقد الاختيار، ولكن لأنه استمرأ الشر وأحبه.

ولا تظن أنه إذا خرج من الحياة الدنيا سيقهره أحد على التوبة، ولا تظن أنه سوف يتعظ، أو يندم لا لأنه ممنوع من الندم أو الاتعاظ، ولكن لأنه من فرط تشبعه بالشر وتعلقه به سوف لا يجد فى نفسه شعوراً بالندم على الخطيئة لأنه فى حياته، وبسبب استمرائه للشر ولذات الحياة الدنيا، يفقد الإحساس بمحبة الخير، وتموت فيه الرغبة فى الخير. وبالتالى لن يطلب التوبة من تلقاء ذاته لأنه فقد الرغبة فيها والإيمان بها.

وقد أعطانا الرب يسوع المسيح هذا المعنى فى حديثه عن الغنى ولعازر الفقير.

قال: «مات الغنى أيضاً ودفن. وفى الجحيم رفع عينيه وهو يقاسى العذاب، فرأى إبراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه» .. وبعد أن علم الغنى أنه لا يمكنه أن يجد الخلاص لنفسه مما يقاسيه من عذاب سأل إبراهيم قائلاً: «أتوسل إليك إذن يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبى، حيث لى خمسة أخوة، حتى ينذرهم لئلا يجيئوا هم أيضاً إلى مكان العذاب هذا. فقال له إبراهيم: إن لديهم موسى والأنبياء، فليستمعوا إليهم.

قال: كلا يا أبى إبراهيم، لكنهم إذا ذهب إليهم أحد الموتى يتوبون. فقال له: **إن كانوا لم يستمعوا إلى موسى والأنبياء، فإنهم وإن قام أحد الموتى لا يقتنعون** (لوقا ١٦: ٢٣ - ٣١).

والمعنى من هذا **أن التوبة فعل قلبى، يتحرك فى باطن الإنسان بعمل الإرادة الحرة والاقتناع الداخلى**، ولن يتم لا بالقهر ولا بالإلحاح من جانب الأنبياء والكتب المقدسة. إنه يتم بفعل الإحساس الداخلى والأشواق الباطنية. فإذا فقد الخاطئ الإحساس بسوء حاله، وفقد الرغبة فى التوبة، فلن يطلب هو التوبة ولن يسعى إليها لأنه فقد الرغبة فيها.

وهذا ما قاله الكتاب المقدس عن عيسو إنه «لما أراد أن يرث البركة رُفض إذ لم يجد للتوبة مكاناً، مع أنه طلبها بدموع» (العبرانيين ١٢: ١٧) والسبب فى أنه رُفض ورُذل ولم يقبل، أنه كان مستبيحاً، وأنه لأجل أكلة واحدة، أكلة عدس، باع بكوريته. وقد باع بكوريته لأنه احتقرها. «فاحتقر عيسو البكورية» (التكوين ٢٥: ٣٤). أما أنه بكى، فلم يكن بكاؤه ندماً على فعلته واحتقاره للبكورية، ولا كان بكاؤه حزناً على نفسه لأنه ارتكب شراً، بل كان بكاؤه من فرط غيظه من أخيه يعقوب. قال الكتاب المقدس «ورفع عيسو صوته وبكى» وبعد ذلك قال أيضاً «فحقد عيسو على يعقوب بسبب البركة التى باركه أبوه بها وقال عيسو فى نفسه: قربت أيام مناحة أبى، فأقتل يعقوب أخى» (التكوين ٢٧: ٣٨، ٤١).

ومما يساندنا فى أنه لا توبة للخطاة بعد الموت، وذلك بفعل من إرادتهم الحرة، ما جاء فى سفر الرؤيا «ثم صب الملاك الرابع جامه على الشمس، فأبيح لها أن تحرق الناس بنار. فاحترق الناس احتراقاً عظيماً، وجدفوا على اسم الله.. ولم يتوبوا ليعطوه مجداً» (الرؤيا ١٦: ٩). ويقول أيضاً «ثم صب الملاك الخامس جامه على عرش الوحش، فاظلمت مملكته وجعلوا يعضون على ألسنتهم من الوجع، وجدفوا على اسم إله السماء من أوجاعهم ومن قروحهم ولم يتوبوا عن أعمالهم» (الرؤيا ١٦: ١٠، ١١). وقال أيضاً «ثم صب الملاك السابع جامه على الهواء، فخرج صوت عظيم من هيكل السماء من عند العرش، قائلاً: قد تم. وحدثت أصوات ورعود وبروق، وحدثت زلزلة عظيمة لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض زلزلة بهذه الشدة.. ونزل من السماء على الناس برد عظيم نحو ثقل وزنه فجدّف الناس على الله لضربة البرد، لأن ضربته كانت عظيمة جداً» (الرؤيا ١٦: ١٧، ٢١).

والمعنى من هذا أن تلك الضربات كان يمكن أن تكون رادعة للناس، **فيتوبوا عن شر أعمالهم، ولكنهم مع ذلك لم يتوبوا، بل جدّفوا على اسم الله.**

* * *

أما سؤالك عن الذى يفاجئه الموت وهو فى حال الخطيئة فيتوب قبل الموت بثوان - مرغماً على التوبة تحت رهبة الموت - فاعلم أن الله وحده هو الذى يعلم إذا كانت هذه التوبة توبة صادقة، أم غير صادقة. **ولن تقبل من هذا المشرف على الموت توبة ما لم تكن توبة صادقة**. إن الله وحده هو فاحص القلوب والكلى (مزمور ٧: ٩) (إرميا ١١: ٢٠)، (١٧: ١٠)، (الرؤيا ٢: ٢٣). وإذا نجح الإنسان فى أن يضحك على نفسه أو يضحك على غيره، ببعض المظاهرالخادعة الكاذبة ولو كانت هى الدموع تحت تأثير الرهبة والخوف، فإن الله لا يُضحك عليه، وإنما على قول المزمور «الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آت» (مزمور ٣٦: ١٣).

أما إذا كانت التوبة صادقة، فسيكون الخاطئ التائب مقبولاً لأن المسيح يقول «ومن يُقبل إلىّ لا ألقى به خارجاً» (يوحنا ٦: ٣٧).

والتوبة الصادقة هى توبة من عمق الشعور والوجدان فيها الندم الحق على الخطيئة وحياة الشر، مصحوباً بالعزم الصادق على تجديد السيرة، بحيث لو شفي المريض وعاد إلى النشاط والحياة، فلا يعود إلى الخطيئة بل يسلك فى طريق السماء، ومنهج القداسة.

أما الذى يعلن أنه تاب بلسانه، بينما يعلم الله أن توبته غير صادقة، فلو عاد إلى الصحة والحياة، فسيعود من جديد إلى الخطيئة وإلى حماقته «كما يعود الكلب إلى قيئه» (أمثال ٢٦: ١١) «والخنزيرة إلى مراغة الحمأة» (٢. بطرس ٢: ٢٢).

٤٢ ـ التوبة المقبولة

سؤال من السيد أ. ن. س.

الجواب:

رداً على خطابكم المؤرخ ١٦/ ٧/ ١٩٨٠ أفيد:

أولاً ـ إننا نشكر الله ونحمده الذى منحكم فرصة مناسبة للتوبة الشاملة وتغيير مسيرة الحياة. وهذه نعمة ينبغى أن تشكر الله عليها، وأن تثبت فيها، وتتمسك بها، ولا ترخيها من بين يديك، فإنها تفتح لك باب الخلاص، وفردوس النعيم وملكوت السماوات.

ثانياً ـ واضح أن الحلم الذى رأيته تعبير عن قبول الله جلت قدرته لتوبتك. وبينة على أن الله يريدك للخلاص ولطريق السماء، وأنه يرعاك ويحبك، وأنه يحميك من الشر والأشرار. ولكن عليك أن تحتمى فيه، وتلجأ إليه، وتتحصن به، ولا تشرد عنه بعيداً. إنه يحبك ويريدك له، ويريد الخير الأبدى وخلاصك من الشيطان وعبودية الجحيم وجهنم.

والآن يعوزك الصمود والثبات، ويعوزك أن تعطى للعبادات وقتاً واهتماماً. والعبادات هى الصلوات اليومية والأصوام العامة، وقراءة الكتاب المقدس يومياً وبانتظام والقراءة فى سير القديسين والكتب الروحية والدينية التعليمية ثم ممارسة فحص الضمير والاعتراف بالخطيئة لله على يد كاهن تتخذه أباً لذمتك، والمواظبة على حضور القداسات مرة فى كل أسبوع على الأقل، والتناول من الأسرار المقدسة مرة كل أسبوعين بشرط أن لا تكون هناك خطيئة مانعة ـ ومهما يكن من أمر فلا تتأخر عن سر القربان أكثر من أربعين يوماً بحال ما.

٤٣ - لماذا لم يجد منفذاً لإبليس؟

سؤال من السيد/ عبد الملاك جريس برايا - شبرا مصر.

وجد الله مخرجاً لآدم ليرجعه إلى ملكوته، بواسطة إرسال ابنه الوحيد، الأقنوم الثانى، وصلبه.. إلخ، فلماذا لم يجد مخرجاً لإبليس الذى تكبر عليه، وجعله مسخوطاً منذ تكبر إلى الآن وإلى الأبد؟

الجواب:

السبب فى ذلك أن آدم، والإنسان عموماً، طلب الخلاص، واعترف بخطيئته، وندم عليها، وسأل التوبة. أما الشيطان فلم يتب، ولا طلب الخلاص، بل استمر مكابراً، عنيداً، مقاوماً لله، وعدوا للخير، حتى إن اسم إبليس نفسه كما سماه الكتاب المقدس مأخوذ من الكلمة اليونانية، διάβολος D IABOLOS وهى تعنى حرفياً «المفترى» كما يسمى أيضاً «الشيطان». واسم الشيطان مأخوذ من العبرانية שָׂטָן Shatan ومعناه «خصم» أو «عدو»، وذلك لأن الشيطان ارتضى لنفسه هذا الوضع أن يكون معانداً لله، ومقاوماً له، إنه لم يطلب التوبة ولم يسأل فى طلب الخلاص. وهذا هو الفارق الجوهرى بين الإنسان وبين إبليس أو الشيطان.

أما أن الإنسان طلب التوبة معترفاً بخطيئته، فهذا ما عبرت عنه البشرية فى كل تاريخها الطويل، ابتداء من الأب الأول آدم، بمختلف الوسائل، بالصلوات وبالطقوس والممارسات العملية.

فأبونا آدم وأمنا حواء عندما خالفا وصية الله وعلماً أنهما عريانان، خاطاً أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر (التكوين ٣ : ٧) . وهذه صورة من صور الخجل، وبالتالى، الندم، لأنهما كانا الإنسانين الوحيدين، وكانا زوجين، فكيف يصنعان لأنفسهما مآزر يستران عورتيهما ولم يكن هناك إنسان آخر غيرهما فى الجنة؟ فممن استترا؟ ما لم يكن استتارهما صورة من الخجل والندم والحزن والأسى، والشعور بالخزى، والإحساس بالخطأ.

ولما «سمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار، اختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة» (التكوين ٣ : ٨)، وهذا الاختباء صورة أخرى من صور الشعور بالخطأ والإحساس بالذنب أمام الله، وهو أول عناصر التوبة.

ثم إذ «نادى الإله آدم وقال له: أين أنت، قال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت» (التكوين ٣: ٩، ١٠).

وهذه الإجابة من آدم على صوت الرب الإله تنطوى على الإحساس بالخطأ، والشعور بالذنب، والاعتراف بأن العرى الذى صار إليه كان بسبب خطيئته ومخالفته للوصية.

وإذ عاد الرب يسأله: «من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها؟ قال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت» (التكوين ٣: ١١، ١٢). ولقد مهد الرب الإله له بسؤاله إياه سبيل الاعتذار. وصحيح أن آدم أحال الذنب على حواء، ولكن إجابته نفسها تنطوى على اعتراف بالجريمة. فهو لم ينكر أنه أكل من الشجرة المنهى عنها بل اعترف بجريمته صراحة إذ قال «فأكلت» كما أنه اعترف كذلك بأنه لان أمام امرأته وأمام إغرائها له بالأكل. فعلى الرغم مما يبدو فى قول آدم من إحالة المسئولية على حواء، لكنه اعتراف ضمناً وصراحة بأنه أكل، وخالف الوصية، وإنه تعرى نتيجة لذلك، ثم اختبأ من وجه الرب فى وسط شجر الجنة.

وإذ رأى الإله أن آدم أخطأ، ولكنه لم يكابر، ولم يعاند، ولم ينكر بل اعترف بخطئه، وخجل من نفسه، فتح له طريق الغفران بالوعد بالفادى والمخلص الذى سوف يجئ ويسحق رأس الحية (التكوين ٣: ١٥)، وأرشده إلى البديل المؤقت، وهو الذبيحة الحيوانية، كرمز إلى المخلص الحقيقى والفادى الحقيقى لم يأت زمانه بعد. ومن جلد تلك الذبيحة التى ذبحها آدم إطاعة لقول الله تعالى «صنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما» (التكوين ٣: ٢١)، رمزاً إلى البر الحقيقى بالمسيح الذى سيسترهما ويغطى خطيئتهما ويكفر عنها.

وهكذا صنع أولاد آدم من بعده، اعترفوا بخطاياهم وندموا عليها، ثم قدموا ما أمر به الرب ذبيحة من الحيوان تكفيراً عن خطاياهم.

فهابيل قدم ذبيحة للرب من أبكار غنمه ومن سمانها (التكوين ٤: ٤)، (العبرانيين ١١: ٤).

وبالمثل صنع نوح (التكوين ٨: ٢٠)، وإبراهيم (التكوين ١٢: ٩) واسحق، ويعقوب، وأيوب وموسى، وصموئيل، وداود وكل القديسين، اعترفوا بخطاياهم نادمين، وقدموا كفارة عن خطاياهم، ذبائح من الحيوان، طبقاً لأوامر الشريعة التى رسمت للإنسان سبيل الخلاص مؤقتاً إلى أن يأتى الذبيح الحق، والفادى الحقيقى، يسوع المسيح.

وحتى قايين عندما قتل أخاه هابيل، ولخطأ مجرماً إلى الله وإلى أخيه لم ينكر خطيئته بل اعترف بها، «وقال قايين للرب: ذنبى أعظم من أن يحتمل (أو يغفر)» (التكوين ٤: ١٣).

وإلى جانب الذبائح التى لم ينقطع تقديمها من أولاد آدم حتى جاء السيد المسيح وقدّم ذبيحته الكفارية، فإن الكتاب المقدس ملئ بنصوص الصلوات التى يعبر فيها أبناء آدم عن توبتهم وندامتهم على خطاياهم واعترافهم بها، وطلب الغفران عنها إلى الله.

ولعل سفر المزامير من أوضح الأسفار على ذلك، لأنه يشتمل على صلوات الاستغفار والاعتراف بالخطيئة والندم عليها والتوبة عنها. وكذلك صلوات الأنبياء الآخرين من أمثال إشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال وأسفار الأنبياء الصغار.

ناهيك عن سفر اللاويين، وما اشتمل عليه من أنواع الذبائح، وطرائق التكفير التى يكفر بها الإنسان عن خطيئته، فيقدم عنها الذبيحة الملائمة حسب نوع الخطيئة، والكهنة أنفسهم يقدمون ذبائح عن نفوسهم وعن الشعب..

كل تلك بينات على أن الإنسان لم يتوقف على مدى تاريخ البشرية، عن الاستغفار وطلب الرحمة عن خطاياه، والصلوات والذبائح التى قدمها كلها ناطقة بندامة الإنسان وتوبته واعترافه وطلب الخلاص.

على العكس من ذلك الشيطان الذى لم يرد عنه شئ، ينم عن ندم أو اعتراف بالخطأ، أو طلب للتوبة أو الغفران.. وإنما كان دائماً - ولا يزال - مكابراً معانداً، وكان دائماً - ولا يزال - داعية للشر، حتى وصفه المسيح له المجد، ذاك (إبليس) الذى كان منذ البدء قتالاً للناس، ولم يثبت قط على الحق أبداً، لأنه ليس فيه من الحق شئ. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما عنده،

لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يوحنا ٨ : ٤٤) . وقال عنه القديس يوحنا الرسول «من يفعل الخطيئة فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطئ» (١ . يوحنا ٣ : ٨)، ووصفه السيد المسيح بأنه عدو الخير وزارع الزوان في وسط الحنطة في حقل الله (متى ١٣ : ٢٥، ٣٩) .

والخلاصة أنه لو تاب الشيطان عن خطاياه توبة حقيقية واعترف بها ورجع عنها لما تأخر الرب عن قبول توبته، «فإن الرب كثير الرحمة ورءوف» (يعقوب ٥ : ١١) .

٤٤ ـ التوبة الصادقة ترفع العقاب الأبدى، لكنها لا تعفى من العقاب الزمنى

سؤال من السيد/ م. ح. ذ.

أنا الآن فى سن الثامن والعشرين، ولكن لما كنت فى الثامنة عشر من عمرى كانت أمى، وهى امرأة متدينة، تحنو علىّ، ومن خوفها علىّ، كانت تعاملنى معاملة من هو أقل من سنى، مما كان يضايقنى وكنت لذلك دائم الشجار معها، وكنت أشتمها وأسبها، ولا أسمع صوتها، ولا أقبل نصائحها، فكانت هى لضيقها تدعو علىّ أحياناً، ولكنها كانت تصلى من أجلى أحياناً أخرى، ثم توفيت أمى منذ ثمان سنوات، ونزل بى عقاب شديد من الرب، ورأيت عذاباً فى حياتى، ففشلت فى دراستى الثانوية، ومرضت مرضاً خطيراً، واشتغلت بالتجارة، وأفلست خمس مرات، واستدنت حتى افتقرت لرغيف الخبز.. ولقد ندمت كثيراً على سوء تصرفاتى وعلى أعمال طياشتى، ومنذ ست سنوات، وأنا أسكب الدموع حزناً وألماً على خطاياى وعلى إساءاتى وإهاناتى لوالدتى وأطلب رحمة الله علىّ وغفرانه لخطاياى، وأتمنى لو كان فى مقدورى الآن أن أراها وأقبل تراب قدميها، وأسألها السماح والمغفرة.. وعلى الرغم من ندمى واستغفارى، فما زلت أرى غضب الله مستقراً علىّ. ولقد تحققت من صدق قول الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن سيراخ «إن بركة الأب توطد بيوت البنين، ولعنة الأم تقلع أسسها» وأيضاً قوله «من خذل أباه فهو بمنزلة المجدف، ومن غاظ أمه فهو ملعون من الرب».

فهل هناك أمل فى أن يقبل الرب توبتى، ويرفع عنى البلية والعقاب، ويكفينى ما عانيته منذ ثمانى سنوات منذ وفاة والدتى، أم أن غضب الله سيلازمنى كل أيام حياتى وبعد مماتى، استجابة للعنة أمى ودعائها علىّ؟

الجواب:

إذا كانت توبتك عن أعمالك الأولى صادقة، فاطمئن إلى رحمة الله، ولا تفقد الرجاء فى غفران خطاياك. وعلى قول القديس يوحنا ذهبى الفم: ليست خطيئة بلا مغفرة إلا التى بلا توبة. أما العقاب الذى نزل بك، فكان نتيجة طبيعية لتصرفاتك السابقة. وحسناً قد أدركت صدق ما توعد به الرب كل ابن غير بار بوالديه، «فإن بركة الأب توطد بيوت البنين، ولعنة الأم تقلع أسسها» (يشوع بن سيراخ ٣ : ١١) . وأيضاً «من خذل أباه فهو بمنزلة المجدف، ومن غاظ أمه فهو ملعون من الرب» (سيراخ ٣ : ١٨) .

واعلم أن التوبة عن الخطيئة، إذا قبلها الرب، فإنه يرفع عقوبتها الأبدية. أما العقاب الزمنى فى الحياة الدنيا فيبقى، ولا يزول، حتى يذكر الإنسان خطيئته فلا يعود إليها، وحتى يتبين أن الله شديد العقاب، وأنه رسم للطبيعة قانوناً صارماً لا يتخلف: إن لكل فعل نتائجه. وقد قال الوحى الإلهى بفم القديس بولس الرسول «لا تضلوا. الله لا يُشمخ عليه، فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غلاطية ٦ : ٧) وإلا فكيف يتعلم الإنسان إن لم يحصد نتيجة تصرفاته. «كما قد رأيت أن الحارثين إثماً، والزارعين شقاوة يحصدونها» (أيوب ٤ : ٨).

لقد أخطأ أبونا آدم وندم وتاب، وجاء السيد المسيح، وبموته بديلاً عن الإنسان، وفادياً له، رفع العقوبة الأبدية، ومع ذلك لم يُعفَ الإنسان من العقوبة الزمنية، فلقد صدر الحكم عليه «ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها طوال أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تُنبت لك.. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها» (التكوين ٣ : ١٧ – ١٩)، وما زال هذا الحكم الزمنى قائماً على الرغم من توبة آدم، وعلى الرغم من أن الله عفا عنه وخلصه من الهلاك الأبدى. ومثل ذلك صنع الله مع حواء «وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليكِ» (التكوين ٣ : ١٦) وعلى الرغم من خلاص المسيح وعمله الكفارى الذى أعتق حواء من طلقات الموت الأبدى فى جهنم النار، لكنه بقى لها ولبنات جنسها من بعدها العقاب الزمنى، قائم كما هو، فما زالت المرأة تشقى فى حملها ووضعها للبنين. وقد قال السيد المسيح له المجد «المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت، ولكنها متى ولدت الطفل لا تعود تذكر ما كانت فيه من شدة...» (يوحنا ١٦ : ٢١).

وكذلك صنع الرب بداود الملك. لقد تاب داود عن خطيئته وقال نادماً لناثان النبى: «قد أخطأت إلى الرب» وأخذ يبلل فراشه بدموعه، فقبل الله توبته. وأرسل إليه ناثان يقول له: الرب أيضاً قد نقل خطيئتك عنك فلا تموت. ومع ذلك لم يعفه من العقوبة الزمنية كنتيجة حتمية لخطيئته، فقال له: «والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد، جزاء أنك ازدريتنى.. هكذا قال الرب: هأنذا أقيم عليك الشر فى بيتك.. أنت فعلت ذلك سراً، وأنا أفعل هذا الأمر أمام جميع إسرائيل، وأمام الشمس» (٢. صموئيل ١٢ : ١٠ – ١٢). وقد تم لداود كل ما قضى الله به عليه من عقاب، حرفياً، ولم يعفه من نتيجة خطاياه.

والخلاصة أن التوبة ترفع العقاب الأبدى بعد الموت، ولكنها لا تعفى من العقاب الزمنى، وذلك لكى يرتدع الإنسان، ويتبين نتيجة أفعاله، فلا يعود يخطئ، ويخشى الله.

وعلى ذلك، فما دمت أنت قد تُبت إلى الله بدموع، وندمت على تصرفك من نحو والدتك، ومن نحو الله خالقك، واعترفت لله بخطاياك على يد الكاهن، وغسلتها فى دم المسيح بتناولك من الأسرار المقدسة، فالله يرفع عنك العقوبة الأبدية، أما العقاب الزمنى فلا تهرب منه، بل كلما تألمت قل فى نفسك: إنى مستحق، فبهذا الاتضاع القلبى، تمتد إليك يد الرحمة. ويتحنن الرب عليك فيحوّل لك الشر إلى خير، ويخرج لك من الآكل أكلاً، ومن الجافى حلاوة (القضاة ١٤ : ١٤)، ويحسن الرب إليك، ويعطيك أكثر مما تسأل أو تفهم. واذكر قول الوحى الإلهى بفم القديس بولس الرسول «كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (العبرانيين ١٢ : ١١).

لا تنزعج بل اعمل بقول الرب «ادعنى فى وقت الضيق أنقذك فتمجدنى» (مزمور ٤٩ : ١٥).

٤٥ ـ هل يتزوج ابنتها ؟

سؤال من أحدهم:

يقول إنه زنى بامرأة ثم أراد أن يتزوج بابنتها بعد أن قدم الاثنان توبة أمام الله، فهل يجوز أن يتزوج بابنتها أم لا ؟

الجواب:

إننا ننصح لك بالزواج من امرأة أخرى لا تربطها بالمرأة التى زنيت معها رابطة بنوة أو أخوة.

لأنك إذا تزوجت ابنة المرأة التى زنيت معها فلسوف ترى أمها فيها، وتلاحقك الذكريات فلا تستطيع الهرب منها. وفى هذه الحالة إما أن تحب الابنة أو تبغضها.

فإذا أحببتها فلسوف ترى فيها أمها وعندئذ تكون زانياً بالفكر والقلب، وتكون توبتك التى زعمتها، توبة غير حقيقية وغير صادقة، لأن روح الزنى بذات المرأة لم يفارقك. كل ما هنالك إنك اتخذت ابنتها بديلاً عنها حسب الظاهر. إنما قلبك مازال متعلقاً بالمرأة التى زنيت معها أولاً.

أما إذا أنت أبغضت الابنة بعد أن صارت زوجتك، فلأنك ترى فيها صورة أمها التى زنيت معها، فتلاحقك بها ذكريات خطيئتك.

افحص ذاتك إذن، فحصاً حقيقياً صادقاً، ترى أن السبب الحقيقى لاختيارك هذه الابنة للزواج منها، إنك مازلت متعلقاً بأمها فيما تظن أنك وهى قدمتما أمام الله توبة.

التوبة الحقيقية تقتضيك أن تهرب بعيداً عن المرأة التى زنيت معها، وعن كل شخص أو شئ يتعلق بها أو يذكرك بها. وإلا ستصير معذباً بالفكر كل أيام حياتك.

٤٦ ـ لشاب يصارع الخطيئة

سؤال من السيد أ. و. ج.- بنى سويف.

يشكو من متاعب الخطيئة وإغراءاتها.

الجواب :

إن النصـر يولد نصـراً، والهـزيمة تلد هزيمة. لذلك احـرصْ على أن تحـرز النصـر على الخطيئة، ولا تنتظر أن النصر ينزل عليك دون أن تسعى إليه ودون أن تطلبه، وتبذل من جانبك جهداً للوصول إليه. لا تنتظر أن الرب يستخدم قوته فى أن يمنع فكرك من أن يجتر الخطيئة والتفكير فيها ما لم تكره أنت الخطيئة من قلبك. يقول الكتاب المقدس «كونوا كارهين الشر، ملتصقين بالخير» (رومية ١٢ : ٩) ويقول «الخطيئة خاطئة جداً» (رومية ٧ : ١٣) . فما لم تبد أمامك الخطيئة ذات رائحة كريهة عفنة، فلا تجد عندك شحنة عاطفية روحية بها تمج الخطيئة وتكرها وتطردها. إن الرب ينتظر أن يرى فيك رغبة صادقة وعزيمة حديدية للابتعاد عن الخطيئة وأسبابها ومثيراتها، وهو يتطلع إليك امتحاناً لإرادتك. فلا تلق الحمل والمسئولية كلها على الله كأنك جماد بلا إرادة ولا مشيئة. ينبغى أولاً أن تهرب من الخطيئة ومثيراتها. ولا تذهب إلى فراشك إلا وأنت متعب بحيث تنام مباشرة، ولا تدع فرصة للتفكير فى الخطيئة. ثم لا تمس بيدك مواضع حساسة من جسدك حتى لا يتحرك بالشهوة. واحشد ذهنك دائماً بأفكار صالحة بديلة. ولذلك يحسن أن تقرأ فى كتاب روحى قبل النوم ولو صفحة أو صفحتين ، وتجعل تفكيرك يدور حول معنى ما قرأت، مع التأمل فى السماء والحياة الأخرى، ولا تدع ذهنك يشرد فى أمور أثيمة خاطئة. لابد من أن تشاء الخير وتعمله بإرادتك، ولا تنتظر أن الرب يقهرك على الخير. إنه ينتظر منك ذلك امتحاناً لإرادتك.

واذكر قول الكتاب المقدس «وإن كان البار بالجهد (أى بالجهاد) يخلص فالخاطئ والفاجر أين يظهران» (١ . بطرس ٤ : ١٨) .

٤٧ ـ شاب يشكو ماضيه

سؤال من الشاب م.

الجواب :

قرأت خطابك المرسل بتاريخ ٢١ يناير ١٩٨٠ ، وساعدنى على ذلك خطك الجميل الواضح الذى أحييك من أجله، وأبارك الله من أجل هذه الموهبة فيك.

كذلك أعجبنى فيك أنك تشكو نفسك، بأسلوب يدل على فهمك لنفسك ومتاعبك، كما يدل على أنك موهوب عقلاً منظماً ومرتباً، فأنت تعرض شكواك من نفسك بصورة فيها ترتيب للأفكار، وتسلسل فى العرض، وفيها أيضاً منطق سليم.

إنى أكتب لك عما أكتشفه فيك من صفات يجب أن تشكر الله عليها، وهى يمكن أن تكون أساساً طيباً لبناء شخصيتك، فتصير إن شاء الله رجلاً متكامل الشخصية، يمكنك بعد ذلك بالتأمل، وبتهذيب إرادتك، وفحص ذاتك، أن تقود حياتك قيادة ناجحة، وبهذا تنفع نفسك، وتنفع آخرين ممن فيما بعد، يسألونك النصح، أو الإرشاد.

إنك تشكو من رواسب الماضى.. تشكو من طفولة مشاكسة وصراعات مع والديك، وما تركه كل ذلك فى نفسك من غضب وحقد وخوف، وكره، وتوتر فى العلاقات العائلية وقد امتدت الآثار إلى مرحلة الشباب والتلمذة فى المدارس وفى المرحلة الجامعية مع الزملاء والأصدقاء، وتمثل التعب عندك فى عقدة النقص التى تعذبك، والإحساس بالفشل فى العلاقات مع الناس، والتردد والترجح بين الأمل واليأس، بين العزم والنكوص، بين الانتصار والهزيمة.

قرأت فى خطابك كل هذا، ومع ذلك أرى فيك خيراً وأملاً، وأبشرك بأنك قد وضعت قدمك على أول الطريق الصحيح. وكل ما يلزمك الآن أن تتبين طريقك جيداً. وأن تتجه بجهد مقصود، وبإرادة صادقة، وحزم وعزم مع نفسك على بناء شخصيتك من جديد مستعيناً بما وهبك الله من صفات تكفل لك أن تسير فى طريق الترقى قدماً إلى الأمام، مستعيناً بخبرات الآخرين، وقبل ذلك وأثناء ذلك بما تقدمه لك الكنيسة من وسائط الخلاص، ووسائط النعمة والمعرفة.

أما الماضى، فلئن كان مؤلماً لك، وغير مرضى عندك وعند أهلك وأصدقائك، ولكنه الآن قد ترك فى عقلك وقلبك اقتناعاً واضحاً بما فيه من خطأ. هذا الاقتناع هو الخير وهو الدرس النافع

الذى استفدته من الماضى المؤلم، حتى تكون منتبهاً وصاحياً ضد أخطاء الماضى فلا تعود إليها لئلا يصيبك ما هو أسوأ.

لعلك أدركت قصدى من أن تحوّل النظر من الوجه القاتم لحياتك إلى ما يمكن أن يتحول إلى أمر نافع وبان لشخصيتك. فالحياة فيها السلبيات والإيجابيات. والإنسان بشر ذو نظر قاصر ولذلك يخطأ ويصيب. وهو ليس معصوماً من الخطأ. ولكنه عندما يخطأ ويعرف أنه أخطأ، ينبغى أن لا يفشل أو ييأس، بل يمكن أن يصحح المسار من جديد، مستفيداً من أخطاء الماضى، فنحن لا نتعلم ما لم نتألم.

أريد لك بعد هذا أن تبدأ من جديد، بأن تحزم أمرك وتجمع نفسك، على أن تقوّم شخصيتك بوعى مقصود، ولا تدع الظروف أن تحكمك، وإنما يحكمك الهدف السامى الذى تتخذه لحياتك تتطلع إليه وتحدق النظر فيه، وتُصوّب نحوه جهدك وقدرات نفسك وخواصها ومواهبها. ولا يردك عن هدفك خوف من فشل أو يأس بسبب عدم نجاح المحاولة مرة أو بضع مرات، إنما سر إلى الأمام وكرّر المحاولة إلى أن تنجح، ولسوف تنجح، وستجد أن الله سيكون عوناً لك، وسيسخر لك من وما يساعدك على الطريق. وسيسخر لك ملائكة وبشراً مثلك يساعدونك ويشحذون همتك، وسيسخر لك أحداثاً خاصة وعامة ترى فيها ومنها يد الله فى عونك.

صلّ وافحص ضميرك، واعترف لله على يد الكاهن بأخطائك حتى تلفظها وتتقيأها فتستريح بإدانتك لها، مجدداً عهودك مع الله، واستعن بكل وسائط الخلاص الممنوحة لك فى الكنيسة المقدسة بالروح القدس، ووثق علاقتك كغصن بالكرمة الحقيقية، وتناول نصيبك من شجرة الحياة الحقيقية الواهبة الحياة للروح والنفس والجسد.

ولا تنسَ الصوم الانقطاعى فإنه يهذّب إرادتك وينميها. ولا تنسَ أيضاً الغذاء النباتى فإنه يزودك بالدم الهادئ، المريح للأعصاب الثائرة، متأملاً فى الفارق بين طباع الحيوانات آكلات النباتات والحبوب، وطباع الحيوانات آكلات اللحوم، فتلك هادئة وديعة، وأما هذه فشرسة معتدية.

واذكر أن القراءة فى الكتب نافعة وبانية، مثلها للعقل والروح مثل الطعام للبدن. إن فيها لذة عقلية وتغذية روحية وفكرية. وما من أحد يبتغى الكمال يمكنه أن يكون فى غنى عن القراءة فى الكتب.

على أن عليك أن تنتقى من الكتب خيرها. ومن المتعذر إن لم يكن من المستحيل فى زماننا أن يقرأ الإنسان كل شئ، فلا مندوحة من أن يختار العاقل من الكتب أهمها، بحسب موضوعها، وبحسب شهرة مؤلفيها.

وإلى جانب القراءة فى الكتب، عاشر من يفضلونك فضيلة أو علماً لتأخذ منهم، فتريح لنفسك نتائج خبراتهم. اطلب المشورة والعلم والمعرفة ممن يملكونها مهما طال بك العمر، ولو بلغت سن التسعين أو المائة. وبلغة أخرى، كن تلميذاً مدى الحياة، لا يتوقف عن التعلم والاكتساب ممن يفضلونه فضيلة أو علماً أو خبرة، بالاتصال الشخصى أو بقراءة ما كتبوا.

وفى جميع الأحوال، ليتحول العلم إلى عمل. فلا جدوى من المعرفة النظرية إذا لم تتحول إلى ممارسة تتمثلها فى روحك ونفسك، كما يتمثل جسدك الطعام فيتحول إلى دم وإلى لحم. كل منفعة استفدتها من القراءة أو السماع، فلتتحول عندك إلى عمل تمارسه، وبالعمل يتحول الاقتناع إلى فضيلة. والفضيلة فى حقيقتها هى مجموعة عادات صالحة.

تشدد وتشجع ولا تستهن بنفسك، فإنك بالعزم والاهتمام تُجمِّل نفسك بالفضائل، وتصبح صورة واضحة جلية لمن خلقك في الأصل على صورته ومثاله، وفيك يتمجد الله، ويرى الناس فيك نور المسيح.

٤٨ ـ نصائح لشاب

سؤال من شاب:

الجواب:

أيها الابن، قرأت خطابك، وأنصح لك بالآتى:

أولاً ـ يلزمك أن تصوم صوما انقطاعياً طويلاً إلى الغروب فى كل يوم من أيام الصوم الكبير. إن الصوم الطويل الانقطاعى من أهم وسائط العلاج للانتصار على الحروب الروحية وخصوصاً فى الفترة الحاضرة التى تسمى بسن المراهقة.

ثانياً ـ عليك أن تتوقف عن خدمة مدارس الأحد وعن كل خدمة من هذا النوع لئلا يتقسى القلب بالغرور، ولئلا يفسد ضميرك.

ثالثاً ـ يلزمك أيضاً أن تمتنع عن التناول الآن حتى تتبين إنك سائر فى طريق المخلّصين بنجاح، مع المواظبة على تبكيت النفس والاعتراف لله على يد الكاهن أب ذمتك.

رابعاً ـ خصّص كل يوم وقتاً لقراءة فصل من الكتاب المقدس وبضع صفحات من كتاب روحى من طراز كتاب (طريق السماء) للقس منسى يوحنا وكتاب (يسوع المصلوب) لنفس المؤلف ـ وكتاب (الجسد) للأستاذ نجيب جرجس ـ ملوى.. وغيرها من أمثال هذه الكتب الروحية النافعة للشباب.

خامساً ـ عليك ـ كل ما أمكنك ذلك ـ زيارة مقابر الموتى ثم حضور الجنازات وتتأمل الموت وفناء الحياة الدنيا وزوال الشهوات واللذات والمسرات.

سادساً ـ امنع نفسك من كل ما يثيرك، ومن يثيرك، وعن كل مكان يذكرك بالخطايا أو يجذبك إليها (فالبعيد عن العين بعيد عن القلب).

سابعاً ـ إذا أمكن، فعجّل بزواجك من الفتاة التى ارتبطت بها أولاً ـ بشرط موافقة أسرتك وأسرة الفتاة، على أن تكمل دراستك بعد الزواج. وإذا أمكن توفير حياتكما المعيشية أثناء الدراسة، يفضل زواجكما الآن من أجل معالجة الحرب الفكرية.

ثامناً ـ لا تسمح لنفسك بالهزيمة، واذكر دائماً قول القديس يوحنا الرسول «كتبت إليكم أيها الشباب لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير، لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى

العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد، شهوة العيون، وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم، والعالم يمضى وشهوته. أما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١ . يوحنا ٢ : ١٤ – ١٧).

تاسعاً ـ لا تقل إنى لا أستطيع. فقد قال السيد المسيح له المجد: إن كنت تستطيع أنت أن تؤمن، فكل شئ مستطاع للمؤمن» (مرقس ٩ : ٢٢).

وقال القديس بولس الرسول «إنى أستطيع كل شئ فى المسيح يسوع الذى يقوينى» (فيلبى ٤ : ١٣).

إذا كان نقل الجبل من مكان إلى آخر ممكناً للمؤمن فكيف تقف أمام الإنسان شهوة مفسدة ومدمرة لحياته الحاضرة والآتية. (متى ١٧ : ٢٠، ٢١)!

لهذا، وبعد قراءة هذا الخطاب، اسجد لله فوراً واصرخ بدموع وحرارة وصدق وإخلاص. ومن كل القلب، اطلب الرحمة واسأل الغفران، وتضرع مستغيثاً بالمسيح أن يهبك القوة والغلبة، واستشفع بالقديسين. فإذا كنت مخلصاً فى الطلب، وصادقاً فى رغبتك، وأميناً لله ولنفسك، فستنال القوة وستحتقر الشهوة وتدوسها بقدميك.

الرب يقويك إذا كنت حقاً تطلب القوة من كل قلبك ومن كل قدرتك. الرب يعينك فى الجهاد.

٤٩ ـ الإنسان صانع مصيره

سؤال من ن. ل. ر.

إجابة على سؤالك: هل يستطيع الشيطان أن يدخل الهيكل وقت التناول من الأسرار الإلهية، ويحارب الإنسان المتقدم من الأسرار المقدسة، وخاصة إذا كان هذا الإنسان يتقدم للتناول لأول مرة؟

نفيد بالآتى:

لا حاجة للشيطان إلى دخول الهيكل لمحاربة الإنسان، فالإنسان تحاربه أفكاره الخاصة.

إننا نخطئ لو نسبنا الخطايا إلى الشيطان، وكأن لا دور للإنسان فى ذلك، أو كأنه كائن يساق بغير إرداته إلى الشر، كما لو كان مسلوب الإرادة، يقاد من غير وعى منه ولا حرية، شأنه شأن الحيوانات العجماوات التى لا حرية لها ولا إرادة!

ينبغى تركيز الانتباه فى دور الإنسان، فهو حر مختار، وليس مسيراً، وهو كائن حر مريد مناط أمره بيده، وهو صاحب القرار، وصانع القرار فى مصيره وأفعاله. وليس للشيطان أكثر من دور كائن آخر صديق، يغريه بالكلام ولكنه لا يقهره ولا يسيطر عليه بغير إرادته. كذلك كان شأنه مع حواء وآدم وهكذا شأنه مع المؤمنين الممسوحين بمسحة الميرون. إنه يحاربهم من الخارج ولكن لا قدرة له عليهم حتى يسوقهم إلى شئ لا يريدونه.

لذلك إذا هاجم الإنسان المتقرب من التناول فكر شرير من أى نوع فلا داعى لإتهام الشيطان بأنه دخل الهيكل أو المواضع المقدسة ليحارب الإنسان هناك. إنما هذه الحرب، حرب الأفكار، هى من الإنسان نفسه، لأن فكره لا يتوقف عن العمل. فإذا لم يكن فكر هذا الإنسان قد تطهر بعد، فيمكن لأفكاره وميوله المترسبة فى نفسه أن تحاربه. ولكن على الرغم من ذلك، له عليها سلطان أن يطردها متى شاء.

وقد قال الأنبا باخوميوس مؤسس الرهبانية الديرية «إننا لا نستطيع أن نمنع الطيور من أن تحوم فوق رءوسنا، ولكننا نستطيع أن نمنعها من أن تعشش فى شعور رءوسنا» .

يجب أن يكون تفكيرنا متوجهاً أولاً وبالذات إلى مسئولية الإنسان عن أفعاله لأنه كائن حر ذو إرادة، وهو له حرية الاختيار.

٥٠ - يشكو نفسه بأنه عصبى المزاج ويحقد على الناس

سؤال من السيد/ ن. ب. غ.

يشكو نفسه بأن أمه ماتت وهو فى سن الثانية عشرة، وقضى بعد ذلك حياة شقية مشحونة بالمنازعات، فأمسى عصبى المزاج حاد الطباع، يحقد على جميع الناس، ويشك فى كل أحد.

الجواب:

فيما يختص بك أنت شخصياً، فإن نشأتك، والظروف العائلية التى اجتزتم بها، وما عانيته فى حياتك منذ طفولتك، ثم وفاة والدتك، واضطلاعك بالمسئولية وأنت شاب صغير، وما لحق بك من متاعب - كل هذا لابد أن يترك أثره عليك، فأنت الآن تشكو من أنك حاد المزاج، عصبى، تغضب، وتتهور مع الآخرين، و فى نفس الوقت تحس باطنياً بضعفك وصغرك ونقصك، وهذا يولد فيك الحقد على الناس والمجتمع، كما أنك تنظر نظرة سوداوية إلى الآخرين، فتسئ الظن بهم وتدينهم.

والآن أريدك أن تضع فى اعتبارك أن هذه الصفات الضعيفة التى تشكو منها يمكن أن تتغير وتتبدل إلى صفات أخرى أجمل، بحيث تكون ظروفك القاسية التى مررت بها سبباً فى أن ترحم غيرك من الضعفاء وترثى لهم وتنتحل لهم عذراً فيما يخطأون، وتحاول بالتالى أن تساعدهم وتسندهم وتخدمهم. وبعبارة أخرى، لقد صارت لك بتجارب الماضى التى اجتزتها خبرة تنفعك فى إصلاح حياتك وفى نظرتك إلى غيرك من الناس، وفى معالجتك لصعوبات الحياة.

واعلم أيضاً أنك قد أخذت دروساً من الحياة نافعة.. فأنت الآن مثلك مثل الشوك الذى نبت فى الأرض الجرداء، يمكنه أن يتحمل يبوسة الحياة وقيظها، أفضل من النبات الرخو الذى لا قدرة له على أن يقف منتصباً، فيرتمى على غيره من نبات، متعلقاً به وعليه.

وإذن فينبغى أن تنظر إلى هذا الموضوع وتشكر الله الذى سمح بأن تكون لك مثل هذه الحياة الصعبة، حتى تخرج منها بعبر ودروس نافعة تشدّ أعصابك وتجعلك أقوى من غيرك فى مواجهة صعوبات الحياة ومشكلاتها.

إذا نظرت إلى ظروفك القديمة هذه النظرة، نظرة الشكر والعرفان ونظرة من صار بتلك الظروف عصامياً ومشدود الأعصاب، وأكثر خبرة، تنحل عقدتك، فلا تنظر إلى الآخرين بحقد وكراهية، وإنما بالأحرى ترحمهم وترثى لهم، وتحاول أن تخدمهم وتساعدهم، وتسهم معهم فى حل مشكلاتهم.

واعلم أن المشاركة الوجدانية لا تتوافر على الحقيقة إلا لمن عرك الآلام وتمرس فى التجارب وخبر الأحزان وعانى الصعوبات والمضايقات.

وأوصيك بأمرين رئيسيين: الأول أن ترفع قلبك دائماً إلى الله بالصلاة. ليس فقط فى مواعيدها، الصباحية والنهارية والمسائية ولكن أيضاً وفى أثناء اليوم، أى فى عملك، وفى الطريق، وقبل أن تُجيب على سؤال، وقبل أن تواجه موقفاً - قل يا ربى، ارحمنى وساعدنى، قونى - اسندنى فأخلص. نجنى من كل شر وشبه شر. دبر حياتى. وأعن ضعفى.

الأمر الثانى - اقرأ فى الكتاب المقدس يومياً، ثم اقرأ كتباً أخرى نافعة لك لبناء شخصيتك روحياً، وذهنياً، واجتماعياً، وليكن لك هدف من حياتك، هدف سام وعال، عالماً أن حياتنا الحاضرة مقدّمة لحياتنا الآتية. وأن طريق التقدم مفتوح إلى غير نهاية. وأنك بالتقوى وبالقراءة والعلم تنتقل من مرحلة نفسية وذهنية إلى مرحلة أخرى أرقى فى طريق صاعد وإلى الأمام، فنحن قد وعدنا المسيح له المجد بالحياة الأبدية. وإذن فنحن لم نخلق لنموت أو نفنى، وإنما خلقنا لحياة لا نهاية لها، حياة مع الله إلى الأبد.

فلا تنزعج لضعفاتك. إنها دروس تتعلم منها ما ينفعك لبناء شخصيتك وتقويمها. ولا تضيع وقتك، فهو ثمين، وإنما عليك أن تحشده بأعمال التقوى، بالدرس المستمر، وبالأعمال الصالحة لخدمة المجموع الإنسانى.

٥١ - للعادة السرية مضارها العصبية والبدنية

سؤال من الطالب الجامعى م. ف . - القاهرة

يشكو العادة السرية ويطلب الإرشاد والتوجيه.

الجواب:

وصلنى خطابك غير المؤرخ بتاريخ، وفيه تشكو من مرارة العادة السرية وتسلطها عليك.

فإذا كنت مقتنعاً بشرها وسوء عواقبها فهذه أول خطوة على طريق الانتصار. ولكن يلزمك أن تكون حازماً وقوى الإرادة. واعلم أن كل انتصار يفيدك، ويولد انتصاراً آخر. وكل هزيمة تلد هزيمة بل هزائم. لذلك اهرب من المثيرات التى ترد إليك ذكريات هذه العادة المدمرة لطاقتك العصبية والذهنية وهى فى حقيقتها زنى وأكثر من زنى، فإن الجهد العصبى الذى تقتضيه يزيد كثيراً - على ما يقال - عن الجهد العصبى الذى تقتضيه العملية الجنسية الطبيعية لإنسان متزوج. ثم إن هذه العادة تضر الطاقة الجنسية وتضعفها، وتستهلكها قبل الزواج. ولذلك فإن نتائجها ضعف فى النسل كما أنها تكون سبب تعاسة للزوجة، لأن من يخضع لهذه العادة، تتبعه إلى داخل الحياة الزوجية.

لذلك قاوم هذه العادة «قاوموا إبليس فيهرب منكم» (يعقوب ٤ : ٧) واهرب منها، ولا تسمح لنفسك أن تلمس بيدك جسمك فى منطقة حساسة لئلا يثيرك اللمس ويهيج الشهوة فى جسدك.

وضع فى قلبك أنه فى إمكانك أن تنتصر. وقل «أستطيع كل شئ فى المسيح يسوع الذى يقوينى» (فيلبى ٤ : ١٣) واذكر قول المسيح له المجد «كل شئ مستطاع للمؤمن» (مرقس ٩ : ٢٢).

يلزمك، الثبات وعدم التردد، والعزم الصادق من أعماق القلب على كراهة هذه الخطيئة ومقاطعتها.

٥٢ ـ هذه المتاعب من معاكسات الأرواح الشريرة

سؤال من السيد/ ص. أ. ص.

يقول: إني أعاني من ظاهرة غريبة، بدأت عندي بإحساس يخامره الشك في أن الآخرين يقرأون أفكاري، ثم تطور الأمر إلى أنني صرت أسمع في غرفة نومي أصواتاً تنطق أحياناً بأغاني مبتذلة وكلمات بذيئة. ويصحب هذا إحساس بتيار كهربائي ضعيف يبدأ من عند قدمي وينتقل شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى الحنجرة، فأحس بعد ذلك باختناق وبقبضة على الحبال الصوتية ويتحكم فيها بالضم والفصل. وتطور الحال معي فصرت أسمع أصواتاً من خلال حنجرتي وعن طريق استخدام حبالي الصوتية، فأرى بنفسي وأسمع أصواتاً تتكلم من حنجرتي بينما أنا صامت ساكن، ويحدث لي أحياناً شلل في المخ ومراكز التفكير، وأسمع أحياناً تهديدات وإنذارات وتوعدات بتدمير حياتي ـ ثم انتقلت إلى حال جديد فصرت أرى على الحائط، وفي فضاء الحجرة أفلاماً ملونة ـ وبلغ الأمر بي أن صارت الأصوات تتكلم على لساني، ومن غير إرادتي، كلاماً سبب لي متاعب كثيرة وأوقفني مواقف محرجة مع رؤسائي ومع شخصيات أخرى محترمة. والواقع أني في عذاب وآلام، أحس أحياناً بآلام في الزور، وضغط على القفص الصدري ومنطقة البطن وجميع مفاصلي، فإذا بمفاصلي تتفكك وأعصابي ترتجف لساعات. وأسمع في أذني ثرثرة وشوشرة متواصلة بالليل والنهار. ولقد تدهورت صحتي وأمسيت غير قادر على النوم ولا على تركيز الانتباه والتفكير، ولا على التذكر. إني الآن أرجو رحمة الله عليَّ، وأطلب المشورة وحلاً لمشكلتي التي تعقدت وساءت بسببها صحتي حتى صرت مثل هيكل عظمي، كما إني فقدت فرص العمل وصرت أيضاً في ضنك شديد على الرغم من دراساتي في مصر وفي الخارج مدة تزيد على العشرين عاماً.

الجواب:

لقد قرأنا خطابك بإمعان، وتأثرنا بالغ التأثر لآلامك. ويبدو لنا:

أولاً ـ أن هذه الآلام حقيقية، ولست مبالغاً فيها، وهي ليست في أكثرها أوهاماً، لكننا نعزوها إلى معاكسات ومحاربات من الشياطين والأرواح النجسة. والأرواح النجسة ليست كلها شياطين، لكن منها أرواحاً بشرية شريرة.

ثانياً ـ ربما أن تكون أنت في وقت ما قد تعاملت بصورة ما مع هذه الأرواح الشريرة، بقصد

ساذج أو بقصد الإضرار، ولربما دخلت في تجربة مع السحر والسحرة، أو مع العرافة والعرافين، وكلهم عملة مع الشياطين والأرواح النجسة والشريرة. وقد تكون قد اقحمت ذاتك في هذه الدائرة سواء بقصد الدراسة أو بالإشتراك مع غيرك من هواة هذا الطريق المؤدى إلى الهلاك... ويكون هذا هو السر الحقيقى وراء متاعبك، أنك أعطيت سبيلاً للأرواح الشريرة أن تجرؤ عليك وأن تسيطر على فكرك وبالتالى على جسدك.

ثالثاً ـ ربما أن تكون أنت قد استهواك هذا الطريق واستمرأته وسمحت لنفسك أن تمتد فيه ـ ولو بالفكر ـ وحتى تصل إلى نتيجة ما وقد يكون أنك استملحت ذاك الطريق، ورغبت فيه، أو اقتنعت به على الأقل، وقد يكون غمرك به إحساس سار بإنك توصلت إلى كشف جديد، أو حصلت على موهبة خاصة غير عادية، بدت لك أنها موهبة نافعة، إذا صقلتها وأنميتها بلغت بك مرحلة يمكنك فيها أن تعرف أمور غيرك، وتستطيع أيضاً التأثير فيهم والتغلب عليهم.

إننا هنا نذكر لك بعض الاحتمالات، ونترك لك مراجعة نفسك لعلك تقف بنفسك على الأسباب الجذرية التى جعلت هذه الأرواح الشريرة والنجسة تتجاسر عليك، وتستغلك، وتسيطر على فكرك ثم على جسدك.

والمعروف عند الخبراء الروحانيين أن الشياطين والقوات الشريرة، ملائكية أو بشرية، تجول حولنا وتحاول أن تنال منا، ولكن الكتاب المقدس ينبهنا قائلاً: «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين فى الإيمان، عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين فى العالم» (١. بطرس ٥: ٨، ٩) ويقول الوحى الإلهى أيضاً «فاخضعوا إذن لله، وقاوموا إبليس فيهرب منكم. اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. طهروا أيديكم أيها الخطاة ونقوا قلوبكم يا ذوى الرأيين» (يعقوب ٤: ٧، ٨) ويقول كذلك «استمع فأخبرك من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوى عليهم .. الذين يتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لا فهم لهم، أولئك للشيطان عليهم سلطان» (طوبيا ٦: ١٦، ١٧).

رابعاً ـ اعلم أن لكل داء دواء، ولكل مرض علاجاً، ولكل مشكلة حلاً. وثق تماماً أن لمشكلتك حلاً، بعضه على الأقل فى يدك أنت.

إن مشكلتك كما يبدو من تفاصيل خطابك جذورها روحية قبل أن تكون عصبية أو عقلية. وكثيراً ما تكون الأمراض العصبية والعقلية متسببة عن أمراض روحية سابقة. والإنسان روح قبل أن يكون جسداً، أو هو روح ساكنة في جسد. فإذا مرضت الروح مرض الجسد تبعاً لها. ومع مرض الروح يمرض الذهن وتمرض الأعصاب ويمرض كل كيان الإنسان.

قد يقال لك إنك مريض فى أعصابك، وأن علاجك هو فى الصدمات الكهربائية فى المخ، أو فى حبوب مهدئة مخدرة.. ولكننا نعتقد أن وراء هذا كله مرضاً روحياً، والمرض الروحى لا تفيده الصدمات الكهربائية، ولا تقضى عليه الحبوب المهدئة والمنومة، والمخدرة، وهذه كما يقول علماء الطب لها أخطارها على القلب فضلاً عن أنها ليست علاجاً جذرياً .. المرض الروحى يظل صامداً متمنعاً ما لم تشف الروح أولاً...

وشفاء الروح والنفس هو بتصحيح مسارها، وذلك يكون بإعلان توبة صادقة بإيمان من القلب، ومرارة فى الروح، وعزم صادق على تصحيح المسار، وأن يبدأ الإنسان فى طريق الخلاص.

لذلك أنصح لك أيها العزيز بأن تطرح نفسك أولاً أمام الله، وتطلب منه العفو والخلاص، وأن تختلى بنفسك، تراجع حياتك، وتحاسب ذاتك، وتحاكمها، وتعرف أخطاءك وخطاياك.

ثم بعد هذ ا ابحث عن كاهن شيخ وقديس، اكشف له ذاتك واعترف للرب وإليه، بكل ماضيك، تقيأ ماضيك تسترح، واعلم أن الاعتراف على يد الكاهن برهان على صدق توبتك، وأنك حقاً تريد الخلاص. والاعتراف السليم هو شكوى النفس من النفس .. لا تشكو غيرك، وإنما عليك أن تشكو نفسك، ولا تبرر ذاتك ـ ولا تدافع عن تصرفاتك، ولا تتملق ذاتك، ولا تداهنها، ولا تتحيز لها، وإنما كن صارماً على ذاتك وأنت تعترف.

وعلاجك هو فى توبتك، وعلاجك هو فى الصلاة الهادئة العميقة.. صلاتك أنت أولاً، لأنها برهان رغبتك فى الخلاص، ثم صلوات الكاهن الشيخ القديس على رأسك.. دعه يرفع الصليب على رأسك ويصلّى، ويستحدر قوة الله على رأسك ومنها على جسدك.. واطلب أن يكون ذلك على مرات.. وقد يحتاج الأمر إلى عدد من المرات، فى كل مرة يشحنك بالصلاة بقوة علوية تطرد منك سلطان الأرواح الشريرة التى تصادقت معك وتجاسرت عليك، وربما عقدت معك عهداً، وربما رابطت فيك أو بالقرب من قلبك وعقلك، وربما تلامست معك، ولمست شيئا منك،

أو ربما ربطت شيئاً فيك.. فبقدر ما تلامستْ معك تحتاج إلى جهد مضاعف لطردها عنك، وذلك يقتضي رغبتك الصادقة في الخلاص ثم صلوات الكاهن الشيخ على رأسك، بعد أن تكون اتخذته لك أباً لذمتك، وطبيباً روحياً يرشدك ويعالجك. ولا تنس أخيراً أن تختلي إلى أماكن القديسين الكبار من أمثال الشهيد مارجرجس المعروف بسلطانه على الشياطين والأرواح النجسة، فإن ترددك على هذه الأماكن الطاهرة ينفعك، ويزدوك بسلاح من نار.

وأخيراً، ننصح لك بأن لا تقترب من القربان المقدس إلا بعد أن تكون قد تخلصت من سلطان الأرواح الشريرة عليك، لئلا يصيبك ما هو أسوأ.

وأما من جهة الغذاء، فيناسبك أن تتجنب أكل المقليات بأنواعها فإنها ضارة بمن هو في مثل حالتك، وتجنب المشروبات المثيرة مثل القهوة والشاي والكوكاكولا. وسائر المكيفات... واقبل على المأكولات الغنية بالفسفور، ومنها البيض المسلوق، والسمك (مسلوقاً أو مشوياً)، واللبن بكافة صوره.. ثم الفاكهة بأنواعها، والخضروات النيئة الطازجة بأنواعها.. وعسل النحل، والعسل الأسود وغير ذلك من المأكولات الطبيعية، وبصورتها الطبيعية أو القريبة من الطبيعة.

هذه بعض نصائح وتوجيهات في الموضوع. ولكننا لا نهمل أن نلح على ضرورة الكاهن الشيخ والقديس، وأهميته كطبيب روحي يدرس الداء، ويصف الدواء.

٥٣ ـ التوبة عزم صادق على تجديد السيرة

سؤال من شاب.

الجواب :

رداً على خطابك نفيد بأنك فى حاجة إلى شجاعة مع نفسك، وقرار حاسم بإرادة صادقة بأن تمتنع امتناعاً كاملاً عن كل فعل جنسي وشبه جنسي وأن لا تسمح لنفسك حتى بما يبدو لك أنه لهو برئ، لأنه مدخل ناعم إلى الخطيئة. ثم ضع فى قلبك أنك أيضاً بتصرفك تثير الفتاة، وتعرضها للخطيئة، وأنت تعلم قول المسيح الرب بالويل لمن يعرض للخطيئة أحداً من الصغار وغير الصغار. فاترك هذا اللهو بعزيمة صادقة، وامنع نفسك عن ذلك منعاً. واعلم أن كل نصر يولد نصراً وكل هزيمة تولد هزيمة.

ثم قل فى نفسك كيف أبيح لنفسى هذا وأنا أتقدم إلى الأسرار المقدسة، ثم كيف أسمح لنفسى بهذا وأخطئ إلى الله.

العادة تبدأ خيوطاً حريرية ولا تلبث أن تتحول إلى قيود حديدية. لذلك فإن مقاومتك للعادة التى تسلطت عليك يحتاج إلى إرادة قوية وإلى عزم وحزم وحسم مع نفسك.

وقل لنفسك: كيف أسمح لنفسى أن أصنع فى الخفاء أمراً أخجل من فعله أمام أهل البيت.

واعلم أن الإرادة تتقوى بالصوم أولاً وبالصلاة.

٥٤ ـ ننصح لك بالزواج

سؤال من الشاب ث. ف. ى.

الجواب:

بناء على ما فهمته من خطابك، ومما تتعرض له من حروب شبابية، أنصح لك بالزواج، إذا أمكن، فإن الزواج بامرأة صالحة سينفعك كثيراً ويدفع عنك شروراً، ويغلق أمامك باب حروب من بعض النواحى على الأقل.

ولا يتعارض زواجك مع ما تؤمله وترجوه من إتمام دراستك بكلية الحقوق أو غيرها، فقد تستطيع مستقبلاً أن تجمع بين هذا وذاك. وقد تمكن من قبلك آخرون من المتزوجين من متابعة الدراسة والحصول على الدرجات العلمية التى يريدونها. ولعلك قرأت أو سمعت عن رجل يدرس وهو وابنه الشاب فى وقت واحد فى مستويين متقاربين من الدراسة. فلا تيأس من المحاولة طالما أن لك طموحاً وآمالاً، وطالما أن لك عزيمة صادقة، وعلى قول الشاعر:

شباب قُنَّعٌ لا خير فيهم

وبُورِكَ فى الشباب الطامحينا

وقد قال السيد المسيح له المجد «إن كنت تستطيع أنت أن تؤمن فكل شئ مستطاع للمؤمن» (مرقس ٩: ٢٢) وقال الرسول القديس بولس «أستطيع كل شئ فى المسيح يسوع الذى يقوينى» (فيلبى ٤: ١٣).

على أننى حزين لما علمته منك، عن فتورك فى حياتك الروحية، وإهمالك فى واجباتك الدينية. ألا تعلم بما قاله رب المجد يسوع المسيح «ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الإنسان عوضاً عن نفسه» (متى ١٦: ٢٦)، (لوقا ٩: ٢٥)؟!

إن خلاص النفس الأبدى أهم ما ينبغى أن يسعى إليه المؤمن السائر فى طريق السماء. واعلم أن هذا السعى لا يتعارض مع العمل وقيامك بواجبك فى تجارتك ودراستك أيضاً. بل إن مسيرتك مع الله تدفعك إلى الاهتمام بعملك والقيام به بأمانة واتقان، وتكون هى الرقيب على قلبك وعقلك وسلوكك فتكون تاجراً نظيفاً طاهر اليد والنفس من كل ما يخدش طهارة الإنسان ونظافته.

ولا تهمل الذهاب إلى الكنيسة فى يوم الأحد من كل أسبوع، فهو يوم الرب، وليس من حقك أن تحوله ليكون يوم عمل للناس أو للعالم. اعطه كله لله، ولكل أنشطة الخدمة للآخرين وللقريب.

ولابد لك فى غير هذا اليوم المقدس للرب، أن يكون لك فى صباح كل يوم، ومسائه، فرصة عبادة، تسجد لله وتصلى، و«وتطلب ملكوت الله وبره» (متى ٦: ٣٣)، وأن تكون لك فرصة لقراءة فصل من الكتاب المقدس، وبضع صفحات قليلة من كتاب روحى منعش أو كتاب من سير وتراجم القديسين.

وبعد رجوعك من عملك، ارفع أيضاً صلاة وطلبة. وإذا أمكنك أيضاً أن ترتل ترنيمة روحية منعشة. وإذا كان لك أن تستيقظ مبكراً حتى تقوم بواجباتك الروحية قبل أن تخرج لعملك، فمن حقك أن تنام مبكراً لتأخذ نصيبك من راحة الجسد، فى حدود ثمانى ساعات يومياً.

وأما عن متاعبك الصحية من الجيوب الأنفية فعالجها ولا تهملها. اذهب إلى الطبيب الأخصائى واعمل بنصائحه. ولعله يرشدك إلى بعض النصائح الطبيعية بأن تأخذ نصيبك الأوفر من الطبيعة أكثر مما تأخذه من المركبات الكيميائية.

وأخيراً، ننصح لك بالتناول بتواتر من القربان المقدس، مرة كل أسبوعين، ومهما يكن من أمر فإن أقصى مدة لا ينبغى أن تتجاوزها هى أربعون يوماً، ما لم يكن عليك حكم كنسى بسبب خطيئة مانعة.

والمهم والضرورى والعاجل أن تجعل نفسك تحت تدبير كاهن شيخ فاضل وعالم ومحنك، تتخذه أباً روحياً ومرشداً، ويتخذك ابناً له يرعاك ويدبرك.

أما الصوم، **فضرورى ونافع لك**. إن الصوم نافع جداً ومهم للشباب على الخصوص. فإنه سلاح للنصرة على خطايا الشباب، **وهو أول تمرين عظيم لتقوية الإرادة**. والإرادة هى قوام الحياة الشبابية الناجحة.

والصوم لا يتعارض مع الصحة، بل على العكس إن الصوم ضمان للصحة الشاملة.

إذا عرفت أن تصوم صوماً سليماً، فسيوفر لك الصوم، إلى جانب الصحة الروحية، صحة البدن، وصحة الذهن.

والصوم فى مفهومه السليم بما يحقق جميع أغراضه الروحية والبدنية والذهنية هو بالامتناع التام عن الطعام فترة كافية يأكل بعدها الصائم طعاماً نباتياً طازجاً (كالفاكهة والخضروات الطازجة) أو مطبوخاً بالماء.

وعند الأكل تصب عليه شيئاً من الزيت وشيئاً من عصير الليمون. هذا هو الطعام المثالى بعد فترة الانقطاع التام، وهو يناسب صحة السليم والمريض بأى نوع من الأمراض، بل هو الطعام الوحيد المناسب لجميع المرضى بكل أنواع المرض.

ومعنى ذلك أن يتجنب الصائم المقليات بصورها المختلفة، ويتناول الطعام غير مقلى بالزيت، ثم يضيف إليه كما قلنا الزيت النيئ.

هذه النصائح والتوجيهات لا جدوى منها ما لم تمارسها. وهكذا كل نصيحة تقرأها أو تسمعها يجب أن تتحول عندك إلى ممارسة وإلى عمل، إذا أردت أن تسير فى خط صاعد وإلى الأمام لحياة ناجحة في الدنيا والآخرة.

٥٥ ـ الصوم نافع لك ثم الهرب من المثيرات

سؤال من شاب .

الجواب:

رداً على خطابكم بتاريخ ٣/ ١٢/ ١٩٧٩ بخصوص الشهوة التى تحاربك وهى على ما تقول شهوة الشذوذ الجنسى.

ننصح **أولاً** ـ أن تقرأ كل ما يتصل بالموضوع فى الكتاب المقدس ولا سيما سفر رسالة رومية، الأصحاح أو الفصل الأول.

ثانياً ـ يجب أن تفرض على نفسك صوماً انقطاعياً طويلاً أى تصوم إلى الغروب كل يوم ثم تأكل طعاماً نباتياً مسلوقاً عليه شئ قليل من الزيت النيئ والليمون مع تجنب البقول الجافة والزيت المقلى والمخللات والشطة.

ثالثاً ـ لا تذهب إلى الفراش إلا إذا كنت متعباً جداً، حتى تنام فوراً وبدون أن تعطى فرصة للأفكار.

رابعاً ـ اهرب من جميع المثيرات التى تثيرك للخطيئة سواء كان شخصاً أو شيئاً أو مكاناً.

خامساً ـ تجنب أن تنفرد بشخص على حدة.

سادساً ـ امتنع مؤقتاً عن التناول من سر القربان إلى أن تحصل أولاً على الانتصار.

سابعاً ـ اقرأ كثيراً فى الكتاب المقدس والكتب الدينية لتعطيك مادة للصلاة وللتفكير.

ثامناً ـ لا تسمح لنفسك أن تلمس بيدك جهازك التناسلى، اعتبره قدس أقداس جسدك.

تاسعاً ـ اعلم أن النصر يولد نصراً، والهزيمة تولد هزيمة. فكلما انتصرت أضاف هذا إلى رصيدك فى الانتصار.

عاشراً ـ اتخذ لك أب اعتراف من شيوخ الكهنة المتزوجين.

٥٦ - اشغل وقتك بالعمل دائماً

سؤال من شاب.

الجواب:

قرأت خطابك المؤرخ ١٣/ ٧/ ١٩٧٩ وانصح لك لكى تمر فى فترة المراهقة التى تجتازها الآن، بسلام، بأن تقرأ إلى جانب الكتاب المقدس.

١ - كتاب (طريق السماء) للقس منسى يوحنا. اقتن هذا الكتاب فإنه نافع لك. وكثيرون استفادوا منه فى فترة الشباب.

٢ - كتاب (يسوع المسيح) للقس منسى يوحنا.

٣ - كتاب (الجسد) للأستاذ نجيب جرجس.

هذه الكتب إذا لم تتمكن من شرائها يمكنك أن تستعيرها من مكتبة الكنيسة ومدارس التربية الكنسية.

ثانياً - يعوزك أن تحضر الجنازات فإن التأمل فى الموت خير معلم يعلم الإنسان الزهد واحتقار أباطيل العالم.

ثالثاً - إذا رأيت امرأة عجوزاً، تأملها لترى فيها بطلان الشهوات، وتتحقق من زيف الشهوة والرغبات الجسدية.

رابعاً - قلل من أكل اللحوم، ومن الأطعمة المقلية بالسمن - وأكثر من الخضروات والفواكة، ولا تنم بعد الأكل مباشرة، وانعش قلبك بالترانيم والتراتيل المؤثرة التى تحبها، واشغل وقتك بالقراءة المفيدة، وبالاندماج فى اجتماعات الكنيسة، ولا تظن أن الفترة التى تجتازها الآن أنها ستبقى معك. إنها فترة محدودة بسبب خبرتك المحدودة. ولكنها سوف تزول لأنك ستجد أموراً أخرى ستحتل تفكيرك أهم من هذه التى تحاربك الآن.

خامساً - لا تستسلم للأفكار المثيرة، بل اطردها وانهض فوراً وتحرك، وغيّر مكانك، واعمل عملاً ما، فالشاب الذى يشتغل يحاربه شيطان واحد أما الذى لا يشتغل فتحاربه شياطين كثيرة.

سادساً - يلزمك الصمود مع الصلاة، وعدم الاستسلام للأفكار الشريرة. وصلّ عندما تحارب بهذه العبارة القصيرة «يا ربى يسوع المسيح، أعنى».

سابعاً - العب فى الصباح بعض الألعاب الرياضية، أمام نافذة مفتوحة، والعب مع بعض الزملاء الأتقياء بعض الألعاب الأخرى مثل البنج بونج، أو كرة السلة أو غيرها - فإن الألعاب البدنية تصرف الطاقة الشبابية الزائدة، وتنفس عن الطاقة المحبوسة. وهذا خير لك يساعدك على أن تنتصر على الأفكار الشريرة.

وخذ حماماً بارداً فإنه ينعشك وهذا أيضاً ينفعك ويقويك، وإذا أمكن فليكن هذا الحمام البارد يومياً.

ولا تنس أخيراً أن تمارس التوبة فى كل يوم، وأن تمارس الاعتراف والتناول من الأسرار المقدسة.

وأن تملأ وقتك بالقراءة، والترنيم، والصلاة والعمل، ولا تترك نفسك دقيقة واحدة عاطلاً.

٥٧ ـ الصديق يسقط سبع مرات ويقوم

سؤال :

ما هو المقصود بقول الجامعة: «الصديق يسقط سبع مرات ويقوم» (أمثال ٢٤ : ١٦) ؟

الجواب :

المفهوم من السقوط هنا سقوط الزلل (ميخا ٧ : ٨)، (أيوب ٥ : ١٩)، (مزمور ٣٣ : ١٩). أما السقوط العمد فهو سقوط لا عن جهل أو توان أو تفريط، ولكن عن حب فى الخطيئة وتعلق بها.

على أن العدد ٧ هنا ليس مقصوداً لذاته وإنما هو عدد من أعداد الكمال. يكنى به عن أى رقم فى عدد الزلات.. وهذا يفتح باب الرجاء خصوصاً أمام الإنسان فى المراحل الأولى للتوبة، فإن الإنسان عند ذاك يكون عرضة لكثرة الزلل لأن قدميه ليستا ثابتتين بعد، ولأن الأرض من تحته زلقة.

٥٨ ـ يجب أن يمارس فعل الندامة والتوبة

سؤال:

عن رجل متزوج ترك دينه المسيحي وندم على تصرفه، ورغب في العودة إلى دينه، أفهل تعاد معموديته عند عودته؟ وما هو موقف الزوجة في الحالتين؟ وما موقف الكنيسة منه ؟

الجواب:

إذا كان الرجل قد نال العماد من قبل، فلا تعاد معموديته عند توبته ورجوعه إلى المسيحية. فالمعمودية تطبع سمة في النفس لا تُمحى، ولذلك لا يجوز إعادتها، ونحن نقول في قانون الإيمان: «نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا».

أما الزوجة فهي زوجته. كانت وما زالت زوجته ولا يحتاج إلى أن يعقد عليها من جديد، بعد عودته إلى المسيحية.

كنسياً وروحياً يجب أن يمارس الرجل فعل الندامة والتوبة عن خطيئته بخيانته للمسيح، ويقبل تأديباً كنسياً من الكاهن. فإذا كانت توبته صادقة يمنحه الكاهن الحل ثم يناوله من الأسرار المقدسة ليباشر حياته المسيحية كمؤمن سائر في طريق السماء.

أما الزوجة فإذا خرج زوجها عن دينه المسيحي، فلا تسرع بالزواج من غيره، وإنما تنتظر عودته، محاولة من جانبها أن تزيل أسباب الجفوة التي أدت به إلى ترك دينه والتي ربما يكون لها دور فيها، وتصلي من أجله وتطلب الرحمة له ولنفسها.

فإذا تبينت بعد مرور فترة كافية تقررها الكنيسة أنه لا أمل في عودته فيمكنها أن تطلب من الكنيسة التصريح لها بالزواج.

٥٩ - تراوده الأفكار فى الحمام

سؤال من شاب:

إنسان تراوده الأفكار الشريرة دائماً فى الحمام.. هل يحل له تلاوة بعض المزامير والترانيم حتى يتغلب على هذه الأفكار؟

الجواب:

أقول: نعم، إن ذلك يحل، وأقول أيضاً أنه مفيد ونافع. وهو صورة من الهذيذ فى كلام الله حتى ينصرف الذهن عن الأفكار الشريرة، إلى المعانى الروحية التى تنطوى عليها نصوص المزامير والترانيم. ولربما يكون من الخير أيضاً تلاوة المزامير والترانيم بأنغامها الحلوة، فإن الترتيل يثير العاطفة الدينية ويغذيها، ويذكيها.

على أنه يلزم أن يكون الترتيل، والتلاوة، كلاهما مصحوباً بذهن يتأمل المعانى الروحية، ويجترها، فيذوق حلاوتها، فكلما كان الذهن يتفكر فى معانى الكلمة والقلب يتحسسها ويتلامس معها، كان الترتيل وترديد المزامير مطهراً للفكر، طارداً للشر من قلب الإنسان وفكره، ويشد انتباهه إلى السمائيات والروحانيات.

يقول الرسول القديس بولس «أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضاً أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً» (١. كورنثوس ١٤: ١٥)، (أفسس ٥: ١٩)، (كولوسى ٣: ١٦).

ثم أن الترتيل والهذيذ فى كلام الله يطرد الشياطين والأرواح النجسة، ويجذب الملائكة والأرواح المقدسة. فقد قال الكتاب المقدس إن شاول بغته روح شرير، فكان داود يأخذ العود ويضرب بيده، «فكان يرتاح شاول ويطيب، ويذهب عنه الروح الشرير» (١. صموئيل ١٦: ٢٣).

٦٠ - هل يجوز للمغلوب من طبيعته أن يتناول من الأسرار المقدسة

يسألون عما إذا كان يمكن لمن يُغلَبون من ضعف طبيعتهم أن يتقدموا للأسرار المقدسة؟

الجواب:

نقول إنه لا يجوز للكاهن أن يقرب للأسرار المقدسة شخصاً أخطأ خطيئة مانعة. فإنه حينئذ يكون تناوله من غير استحقاق، وبالتالى يصير مجرماً إلى جسد الرب وإلى دمه. (١. كورنثوس ١١: ٢٧).

٦١ - حرب الأفكار

سؤال من شاب.

الجواب:

رداً على خطابك المؤرخ ١٩٨٠/٥/٢٤ أفيد بالآتى:

أولاً: إن حرب الأفكار هى ناجمة عن العادة السرية التى كنت تباشرها لمدة سنتين على ما تقول - فالعادة - أى عادة - تبدأ خيوطاً حريرية، فلا تلبث بعد حين أن تصبح قيوداً حديدية تشد من ارتبط بها زمناً ما إلى أن يتخلص منها ومن آثارها بعد فترة من الصمود والمقاومة.

لذلك يلزمك أن تصمد، ولا تلين إذا شدتك الرغبة إلى ممارستها. فإذا نجحت فى الثبات ولم تخر، فإنك بعد مدة ستنساها، ويسقط عنك أثرها فى نفسك.

فلا تسمح لنفسك أن تميل إليها أو تفتر عن الصمود أمامها، وإنما يلزمك الثبات فى حياة الفضيلة، ومواصلة الجهاد. وقد تحتاج إلى الجهاد فى الصلاة وإلى الصوم الانقطاعى الطويل.

فإذا كانت أخطاء المؤمن عرضية أى من قبيل السهو أو التوانى، فيمكن إذا قدم عنها توبة أن يغتسل منها فى دم المسيح فى سر التناول. أما إذا كانت خطاياه من نوع تعلق بها قلبه، فيجب أن يمنعه أبوه الكاهن إلى فترة تأديبية يمتحن فيها ذاته. فإذا تقدم فى الحياة الروحية، سمح له بالتقدم إلى الأسرار المقدسة.

٦٢ - قد يُسلِّم الخاطئ للشيطان لهلاك الجسد، ولكن لكى تخلص الروح

سؤال من أ. ش.

هل يفهم من (١ . كورنثوس ٥ : ٥) أن المؤمن الزانى يخلص ويرث السماء، إذ يقول الرسول «أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم ربنا يسوع المسيح» ؟

الجواب:

كلا، لأن هذا الحكم الذى أصدره الرسول على هذا الزانى إنما هو عقوبة تأديبية حتى إذا تاب، كان له الخلاص فى يوم الدين.

على أن هذه العقوبة شملت ناحيتين: إحداهما روحية اجتماعية والأخرى جسدية مادية.

أما العقوبة الروحية، فهى الحكم عليه أن يعزل من وسط المؤمنين (١. كورنثوس ٥ : ١٣) وأن يحرم من مخالطتهم، والاجتماع بهم فى الكنيسة، وخارجها، ومن مؤاكلتهم، ومعاملتهم بالكلية، كما يتضح من قول الرسول: «نقوا منكم الخميرة العتيقة .. لا تخالطوا الزناة .. لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا .. اعزلوا الخبيث من بينكم (١. كورنثوس ٥ : ٧، ٩، ١١، ١٣) . وهذا هو قرار «الحرمان من شركة الكنيسة» الذى أصدره القديس بولس غيابياً على هذا المؤمن الزانى، ليقضى بتجريده وقطعه من شركة الكنيسة، بموجب السلطان الرسولى الذى ناله كرسول للمسيح، فقد قال السيد المسيح لرسله الأطهار: فإن رفض (المخطئ) أن يسمع للكنيسة، فليكن بالنسبة إليك كوثنى وعشار. الحق أقول لكم إن كل ما تربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحلونه على الأرض يحل فى السماوات (متى ١٨ : ١٨)، (متى ١٦ : ١٨) «كما أرسلنى الآب كذلك أرسلكم أنا. قال هذا ثم نفخ فى وجوههم. وقال لهم: اقبلوا الروح القدس: من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتموها عليهم تمسك عليهم» (يوحنا ٢٠ : ٢١ - ٢٣) .

ولا شك أن المؤمنين فى كورنثوس خضعوا للسلطان الرسولى، وقطعوا شركتهم بهذه الرجل، واعتزلوه، ولم يخالطوه أو يؤاكلوه أو يشاربوه أو يعاملوه، وقد أثمر هذا التأديب فى نفس الخاطئ وأتى بنتائج طيبة، حتى أصابه حزن شديد، وكاد أن يبتلع من الحزن المفرط ولذلك كتب الرسول إلى كنيسة كورنثوس مرة أخرى فى رسالته الثانية يفيدهم بأنه كما حكم عليه بالحرمان

كذلك يحكم له بالغفران بعد أن ثبت له أنه قد تاب توبة صادقة، وأمرهم أن يُعيدوه إلى شركة الكنيسة وأن يمكنوا له الحب، لئلا يختطفه الشيطان إذا يئس من رحمة الله ومن عودته إلى شركة الكنيسة به، قال «يكفى هذا الرجل ذلك العقاب الذى من الأكثرين، حتى إنه أحرى لكم بالعكس، أن تسامحوه وتعزوه لئلا يبتلع مثل هذا من فرط الغم. فأناشدكم أن تؤكدوا له المحبة.. لئلا يطمع فينا الشيطان فإننا لا نجهل أفكاره» (٢. كورنثوس ٢ : ٦ - ١١).

وهذا هو السلطان الذى عناه الآباء الرسل حين أمروا الأسقف فى الدسقولية «إذا رأيت واحداً لا يتوب، بل ... بقساوة تمرد يدمن على جهله، فأخرجه وأقطعه من الكنيسة بألم قلب وحزن لأن عضواً لم يقبل العلاج» .. «إذا وجدتم إنساناً.. قاسياً سئ الخلق.. فانتهروا الظالم وأخرجوه، واحكموا عليه.. وإذا ندم وتاب فاقبلوه..» (١).

وأما العقوبة الثانية، وأعنى بها العقوبة الجسدية والمادية، فهى أن يُسلم ذلك الزانى للشيطان فيصيبه فى جسمه بأمراض، وفى أمواله بخسران، حتى يفيق من ضلاله، ويدرك شر أفعاله.. ومع أن هذه الآلام المادية والجسدانية، قد أصابت الرجل بالسلطان الرسولي الإلهى، لكن أمر تنفيذ الشرور يقوم به الشيطان الذى يفرح بهذه الفرص التى تتخلى فيها عناية الرب عن الإنسان:

١ ـ والمثل على أن الشيطان يصيب الإنسان بشرور الأمراض والبلايا، أيوب الصديق الذى أسلمه الله إلى الشيطان فترة ما ليجعل منه عينة على الصبر، «فقال الرب للشيطان: ها إن كل شئ له فى يدك، ولكن إليه لا تمدد يدك» (أيوب ١ : ١٢) ففرح الشيطان بهذه الفرصة، وأصاب أيوب فى كل أمواله وفى كل عياله، ولم يقنع بهذا كله إلى أن سمح الله له بأن يصيبه بالأمراض والقروح «فقال الرب للشيطان ها إنه فى يدك، ولكن احفظ نفسه (أو حياته) .. فخرج الشيطان من حضرة الرب، وضرب أيوب بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته..» (أيوب ٢ : ٦، ٧).

٢ ـ وبولس الرسول نفسه يشهد عن شر أصابه من قبل الشيطان ولكنه كان لخيره لأن الله هو الذى سمح به «ومخافة أن أتكبر بسمو المكاشفات، أعطيت شوكة فى جسدى: ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أتكبر. ولهذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى...»

---

(١) الدسقولية ـ الباب ٨.

(٢ . كورنثوس ١٢ : ٧ ، ٨) ولعل هذه الضربة كانت قروحاً أصيب بها فى جسده «حتى إنهم كانوا يأخذون عن جسده مناديل أو مآزر إلى المرضى، فتزول الأمراض عنهم، وتخرج منهم الأرواح الشريرة» (أعمال ١٩ : ١٢) وقد أشار هو إليها مرة أخرى قائلاً: «وتجربتى التى فى جسدى لم تزدروا بها ولا كرهتموها، بل قبلتمونى كملاك من الله، كالمسيح يسوع» (غلاطية ١٤ : ١٤).

٣ ـ ومثل ذلك أيضاً ما أورده داود النبى فى مزاميره منبئاً عن يهوذا الاسخريوطى: «فأقم أنت عليه شريراً، وليقف شيطان عن يمينه.. إذا حوكم فليخرج مذنباً، ولتكن صلاته خطيئة. لتكن أيامه قليلة واسقفيته ليأخذها آخر» (مزمور ١٠٨ : ٦ ، ٧).

٤ ـ ومثله كذلك، ما قاله السيد المسيح نفسه عن امرأة كان بها روح ضعف ثمانى عشرة سنة «وهذه ابنة ابراهيم وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة..» (لوقا ١٣ : ١٦).

٥ ـ ومثل ذلك أيضاً ما يرويه النبى العظيم زكريا «وأرانى يهوشع الكاهن العظيم واقفاً أمام ملاك الرب، والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه» (زكريا ٣ : ١).

٦ ـ ومثله كذلك فى العهد الجديد ما يشير إليه القديس بولس فى رسالته الأولى إلى تلميذه تيموثيئوس «أستودعك هذه الوصية أيها الابن تيموثيئوس على حسب النبوات .. لكى تحارب فيها المحاربة الحسنة، ولك إيمان.. الذى نبذه قوم فانكسرت بهم السفينة.. الذين منهم هيميناس والإسكندر اللذان **أسلمتهما إلى الشيطان لتأديبهما** حتى لا يجدفا» (١ . تيموثيئوس ١ : ١٨ – ٢٠).

ولا شك أن التأديبات الجسدية والمادية تفعل فعلها فى أصحاب المشاعر الحساسة، فيثوبون إلى رشدهم. وقد سمح الرب بها لكثيرين غير من ذكرناهم مثل عليم الساحر الذى أصيب بالعمى بدعاء القديس بولس (أعمال ١٣ : ٩ – ١١)، ومثل حنانيا وسفيرة اللذين سقطا ميتين بدعاء القديس بطرس (أعمال ٥ : ٥ – ١٠)، ومثل بعض المؤمنين الذين يتناولون من السرائر المقدسة بغير استحقاق فتصيبهم شرور جسدية كثيرة «لأن من يأكل ويشرب وهو على خلاف الاستحقاق إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه إذ لم يميز جسد الرب. **ولذلك فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون**، لأننا لو كنا ندين أنفسنا، لما كنا ندان. ولكن إذ قد حكم علينا يؤدبنا الرب لكى لا ندان مع العالم» (١ . كورنثوس ١١ : ٢٩ – ٣٢).

ومازلنا إلى اليوم نشهد بين الحين والآخر، تأديبات قاسية ومريرة يعانيها بعض الناس ممن يدعو عليهم كاهن أو قديس. فيصابون بخسائر مادية أو أمراض جسدية، أو يقعون في مصائب متنوعة، وهى تصيبهم بسماح من الله لتأديبهم. ولكن الذى يصيبهم هو الشيطان لأنه هو المشتكى على إخوتنا، الذى يشتكى عليهم عند إلهنا نهاراً وليلاً، (الرؤيا ١٢: ١٠).

فالخطاة إذن يسلمون للشيطان عندما يخطئون إلا أن الرسول قد أبان أن هذه التأديبات ـ جسدية كانت أو مادية ـ هى لخير الخاطئ، حتى إذا ما أفاق وتاب، غفر له، وحل من خطاياه، فتخلص بذلك روحه في يوم الرب يسوع، أى في يوم الدينونة والحساب.

٦٣- التدخين خطيئة وجريمة قتل
الوصية السادسة (لا تقتل)

سؤال من الأب المحترم القس متى وديع سامى - الكاهن بسفلاق - ساقلته.

هل يجوز لمدخن السجائر أن يتناول من الأسرار المقدسة؟

الجواب:

فى وقت مضى كنا ننظر إلى مدخن السجائر كما ننظر إلى من يحتسى الشاى أو القهوة، فكان الكاهن يسمح له بالتناول من الأسرار المقدسة بشرط أن يكون ممتنعاً عن التدخين بوقت كاف قبل التناول بتسع ساعات على الأقل، وكان يجب أن يمتنع عن التدخين بعد التناول بعدد مماثل من الساعات، حيث لا يجوز بعد التناول أن يدخل شيئاً فى فمه ثم يخرجه، لأن الفم واللعاب فيه صار مقدساً بسر القربان المقدس.

أما وقد ثبت لنا اليوم ببراهين قاطعة وأدلة دامغة أن التدخين ضار بصحة الإنسان ومدمر لجسده، وأنه يوذى كل عضو من أعضائه: فيضر بالعينين، والأذنين، والزور، والحبال الصوتية، والحنجرة، والمرئ، والمعدة، والصدر، والقلب، والشرايين، والجهاز الدموى، والجهاز التنفسى، والجهاز الهضمى، والجهاز الغدّى، والجهاز البولى، والجهاز التناسلى ثم أيضاً الجهاز العصبى.

أما وقد ثبت بالبرهان القاطع مسئولية التدخين عن سرطان الرئة، وسرطان الفم...

أما وقد ثبت علمياً شر التدخين أيضاً على بذور الرجل المتزوج، فيضر نسله، فينشأ نسله ضعيفاً متخلفاً، صحياً وذهنياً - قليل المناعة ضد الأمراض، وبذلك يمتد أثره الضار إلى أجيال آتية.

أما وقد ثبت قطعياً ضرره على الجنين إذا كانت الأم أيضاً مدخنة، وعلى الرضيع إذا كانت الأم أثناء فترة الرضاعة تدخن السجائر.

بعد كل هذا الذى ثبت علمياً، والذى صارت هيئة الصحة العالمية تنادى به محذرة من التدخين وأضراره.

وبعد أن صارت بعض الدول والحكومات تلزم شركات السجائر أن تسجل على علب السجائر هذه العبارة «التدخين يدمر صحتك»، تنبيهاً وتحذيراً للناس من ويلات التدخين - ومن بين هذه

الدول انجلترا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وهولندا وبعض الدول العربية مثل الكويت.

وبعد أن منعت بعض الدول ومن بينها بلاد الاتحاد السوفيتى التدخين فى الأماكن العامة.

بعد كل هذا ينبغى على الكنيسة أيضاً أن تنبه أبناءها إلى خطر التدخين، وتحذرهم من شروره.

وتكرر لهم بأن التدخين قاتل، وإن الرجل الذى يدخن يقتل نفسه، ويقتل أولاده، ويقتل زوجته.

وإن المرأة المدخنة قاتلة: تقتل نفسها، وتقتل الجنين فى أحشائها، وتقتل الرضيع الذى ترضعه من لبنها المسمم بالنيكوتين الذى فى السجائر.

يقول الخبراء إن كمية النيكوتين الموجودة فى سيجارة واحدة بيضاء تكفى لقتل رجلين لو حقنا بها فى الوريد، أى أن كمية النيكوتين الموجودة فى نصف سيجارة واحدة بيضاء تكفى لقتل رجل لو حقن بها فى الوريد.

يقول الدكتور إبراهيم فهيم فى كتابه «عش سليماً بغير مرض» إن مادة النيكوتين التى فى التبغ «فى حالة التركيز تعد من أقوى السموم المعروفة. فنقطة مركزة واحدة منه توضع على لسان خنزير، أو فوق جلد أرنب فى موضع أزيل منه الشعر تكفى لأن تقتلهما» (١)

وإذا كانت الوصية السادسة تقول «لا تقتل» (الخروج ٢٠ : ١٣).

فالتدخين إذن مخالفة لوصية كبيرة من الوصايا العشر. والمدخن إنسان يرتكب خطيئة كبيرة، وهى خطيئة القتل.

وقال الكتاب المقدس أيضاً «لم يبغض أحد جسده قط، بل يقوته ويربيه» (أفسس ٥ : ٢٩) لأن الجسد وكالة وأمانة.

هذا عن أضرار التدخين لصحة الإنسان. ولكن له أضراراً أخرى اقتصادية ففيه إتلاف للمال، والمال أمانة، والمدخن يحرق بالنار مالاً هو مؤتمن عليه، وهو من حق الله أولاً، ومن حق عياله وبيته، وهذه جريمة أخرى ضد الله وضد مال الله وضد الأسرة والأهل، وضد المجتمع.

---

(١) كتاب (عش سليماً بغير مرض) للدكتور إبراهيم فهيم صفحة ٨٤، ٨٥.

والمدخن لا يضر فقط نفسه وأولاده وزوجته وصحته وماله، ولكنه أيضاً يضر كل من يكون إلى جانبه من غير المدخنين، لأنه يضطره إلى أن يستنشق النيكوتين فيدخل النيكوتين إلى رئتيه عن طريق التنفس. ولقد تبين علمياً أن غير المدخن يناله ضرر بالغ لو أنه جلس إلى جانب إنسان مدخن. يقول الدكتور أسامة سليمان أستاذ مساعد جراحة الأورام بمعهد السرطان بجامعة القاهرة عن التدخين «إنه يؤثر على المحيطين بالمدخن نفسه. فالمواد الناتجة عن الدخان تؤدى إلى إصابة المحيطين بالمدخن بسرطان الرئة».

لهذه الأسباب جميعها، اجتمعت الأدلة على إدانة المدخن، وعلى أنه قاتل ومرتكب خطيئة كبيرة.

لذلك كان ينبغى أن يُمنع المدخن عن التناول من الأسرار المقدسة كما يُمنع القاتل والسارق سواء بسواء.

ولكن نظراً لأن كثيرين من عامة الناس ليس لهم وعى كاف بأضرار التدخين، ومدى ما فيه من جريمة ومدى ما ينطوى عليه من خطيئة ومخالفة لوصية مهمة من الوصايا العشر.

لذلك نرى أن يتولى الكاهن على منابر الوعظ وفى البيوت، توعية شعب الكنيسة بأضرار التدخين ومدى ما فيه من مخالفة لوصية إلهية، وبعد فترة كافية من التوعية الدينية، يتولى آباء الاعتراف مساءلة كل من يعترف لله على أيديهم ما إذا كان المعترف يدخن. فإذا كان يدخن يفرض عليه الكاهن مرشد الاعتراف تأديباً كنسياً قوامه أساساً منعه من التناول، وتدريبه على الإقلاع عن التدخين، فإذا نجح سمح له بعد ذلك بالتناول من الأسرار المقدسة.

٦٤ ـ صلاة الأشرار غير مقبولة

سؤال من السيد/ مرزوق سليمان ـ القاهرة ـ عين شمس.

هل صلاة الخاطئ مكرهة أمام الرب؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتفق هذا مع ما نعلمه من أن الله جاء من أجل الخطاة، وأن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب؟

الجواب:

نعم إن صلاة الخاطئ مكرهة للرب. وقد قال الكتاب المقدس «**ذبيحة الأشرار مكرهة الرب**، وصلاة المستقيمين مرضاته» (الأمثال ١٥ : ٨) وأيضاً «**ذبيحة الشرير مكرهة، فكم بالحرى حين يقدمها بغش**» (الأمثال ٢١ : ٢٧).

أما أن المسيح له المجد قد جاء من أجل الخطاة فهذا أيضاً حق. قال له المجد «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى.. فما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة للتوبة» (مرقس ٢ : ١٧)، (متى ٩ : ١٢، ١٣)، (لوقا ٥ : ٣٢).

وأما أن السماء تفرح بعودة الخاطئ إلى الله وتوبته عن طريقه الرديئة فهذا يؤيده قول المسيح له المجد «إننى أقول لكم: إنه هكذا يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر مما يكون بتسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة» (لوقا ١٥ : ٧) وقوله «إننى أقول لكم إنه هكذا يكون فرح أمام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» (لوقا ١٥ : ١٠)، (متى ١٨ : ١٣).

على أنه ليس بين كل تلك النصوص تعارض. فالسماء تفرح بالخاطئ إذا تاب «فإنها ليست مشيئة أبيكم الذى فى السماوات أن يهلك أحد» (متى ١٨ : ١٤) «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١ . تيموثيئوس ٢ : ٣، ٤) «وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ . بطرس ٣ : ٩). وقال الرب على فم حزقيال النبى «حيّ أنا يقول السيد الرب إنى لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع ويحيا» (حزقيال ٣٣ : ١١).

أما إذا كان الخاطئ مصراً على خطيئته، غير نادم عليها، فخطيئته باقية، وبالتالى تكون صلاته مرفوضة وذبيحته مكروهة، لأن قلبه غير مستقيم أمام الله. وكأنه يحاول أن يرتضى الله بقلب غاش فهو يخدع قلبه، ظاناً أنه يضحك على الله. قال المسيح له المجد لليهود «أتيت أنا دينونة للعالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون. فسمع هذا قوم من الفريسيين

... فقالوا له: ألعلنا نحن أيضاً عميان؟ قال لهم يسوع: لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطيئة، ولكنكم الآن تقولون إننا نبصر، فخطيئتكم لهذا باقية» (يوحنا ٩: ٣٩ ـ ٤١).

وقال الرب على فم حزقيال النبى «أقليل لبيت يهوذا عمل الرجاسات التى عملوها هنا، لأنهم قد ملأوا الأرض ظلماً ويعودون لإغاظتى.. فأنا أيضاً أعامل بالغضب لا تشفق عينى ولا أعفو. وإن صرخوا فى أذنى بصوت عال لا أسمعهم» (حزقيال ٨: ١٧، ١٨).

وجاء فى سفر نبوءة زكريا «هكذا قال رب الجنود قائلاً: اقضوا قضاء الحق واعملوا إحساناً ورحمة، كل إنسان مع أخيه. ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير. ولا يفكر أحد منكم شراً على أخيه فى قلبكم. فأبوا أن يصغوا وأعطوا كتفاً معاندة، وثقلوا آذانهم عن السمع.. لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين. فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود. فكان كلما نادى هو فلم يسمعوا كذلك ينادون هم فلا أسمع قال رب الجنود..» (زكريا ٧: ٨ – ١٣).

والخلاصة أنه إذا تاب الإنسان توبة صادقة قبله الرب بفرح. أما إذا كان مصراً على خطيئته فصلاته غير مقبولة وذبيحته مكروهة.

٦٥ ـ الاعتراف ركن من أركان التوبة (١)

العزيز الابن مدحت وفقى توفيق ـ أسيوط.

سلام ونعمة وبركة.

رداً على أسئلتكم خاصة بسرّ التوبة والاعتراف، نقول إن الاعتراف على يد الكاهن بالخطيئة أو الخطايا التى صنعها المؤمن التائب هو ركن واحد من أركان التوبة الأربعة.

وأول ركن فى التوبة هو الندم على الفعل وانسحاق القلب وتبكيت الضمير.

والركن الثانى فى التوبة هو العزم الصادق على تغيير السيرة. وإذا كان فعل التوبة هو من (تاب ـ يتوب ـ توبة إلى الله أى رجع عن معصيته إليه)، فلا يحسب قد تاب توبة حقيقية من عاد إلى خطيئته مرة أخرى حتى لو اعترف بها وأقر للكاهن بأنه نادم عليها.

والركن الثالث من أركان التوبة **هو الرجاء فى الغفران من الله.** أما من ينقطع رجاؤه، فلا توبة له، لأن انقطاع الرجاء من رحمة الله هو جحود وإنكار لرحمة الله التى تتسع للغفران إذا كانت هناك توبة صادقة، ومن القلب. وقد قال المسيح له المجد تعبيراً عن رحمته الواسعة «ومن يقبل إلىّ لا أُلقى به خارجاً» (يوحنا ٦ : ٣٧). وهذا هو السبب فى أن يهوذا الإسخريوطى الذى خان معلّمه لم تكن له توبة على الرغم من أنه ندم على خطيئته واعترف بها قائلاً: «إنى قد خطئتُ إذ سلّمت دماً بريئاً» (متى ٢٧ : ٤) ذلك لأنه فقد رجاءه ومضى و شنق نفسه (متى ٢٧ : ٥).

والركن الرابع من أركان التوبة **هو الاعتراف الصريح بالفم على يد الكاهن، بصفته ممثلاً للسلطة الإلهية.** فالاعتراف بالخطيئة فى سر التوبة هو **اعتراف لله على يد الكاهن.** (يا ابنى اعطِ الآن مجداً للرب... **واعترف له وأخبرنى الآن ماذا عملتَ لا تخفِ عنى»** (يشوع ٧ : ١٩).

أما الكاهن فهو بصفته خادم الله ووكيل أسراره (١ . كورنثوس ٤ : ١) **فمخوّل له باسم الله أن يمنح الحلّ والغفران للمؤمن التائب بشرط أن يتثبّت من صدق توبته، فهو أمين المخازن، له حق التصرف فى حدود إرادة موكّله وإلا فإنه إذا منح الحِل لمن لا يستحقه كان مسئولاً أمام سيده، وسيحاسب عن تصرفه.** ومن هنا كان

(١) كتب فى ١٢ من مايو ١٩٨٩م ـ ٤ من بشنس ١٧٠٥ ش.

من حق الكاهن ومن واجبه أن يؤجل منح الحل حتى يتثبت من استحقاق المؤمن التائب للحل والغفران.

فإذا كان المؤمن لا يستحق الغفران، ومع ذلك منحه الكاهن الحِل، فليس معنى هذا أن المؤمن قد نال الغفران كاملاً عن خطاياه. إنما حل الكاهن يعطيه الحق في التقدم إلى المائدة الربانية، **ولا يعطيه الغفران كاملاً عن خطاياه إلاّ إذا كان مستوفياً شروط التوبة بأركانها** الأربعة، «لا تخدعوا أنفسكم، فإنّ الله لا يسخر منه» (غلاطية ٦ : ٧). فإذا كانت توبة المؤمن صادقة أمام الله، فإنّ توبته تؤهله لأن ينال الغفران الحقيقى بدم المسيح فى المائدة الربانية «لأن ليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال ٤ : ١٢). أمّا صوت الكاهن بالحلّ، فهو صوت الله «لأن شفتّى الكاهن تحفظان العلم، ومن فمه يطلبون الشريعة، إذ هو ملاك رب الجنود» (ملاخى ٢ : ٧) هكذا بقوله له «إن الرب قد نقل خطيئتك عنك فلا تموت أنت» (٢ . صموئيل ١٢ : ١٣).

وعلى ذلك فالغفران الكامل والحق، يتم بدم المسيح فى المائدة الربانية. أما حلّ الكاهن فهو إقرار بصوت مسموع باستحقاق المؤمن التائب للغفران، فإن الكاهن هو حارس الشريعة، المؤتمن على المخازن الإلهية، والمسئول عن منح البركة لمستحقيها. ونعمة الرب تشملكم.

٦٦ - أب الاعتراف مرشد يلزم طاعته فى الروحيات

الابنة الشابة....

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

إجابة على خطابك، أفيد بأن أب الاعتراف هو مرشد، يلزمك طاعته فيما يتصل بالروحانيات والعبادات. أما فيما يتصل بالدراسة العلمية فهو ناصح لك. فإذا كان لك رأى آخر يمكنك دراسته معه، فتنفيذ النصيحة من الناحية العلمية يكون فى حدود قدرتك، وهو لا يلزمك فى هذا كأنه أمر إلهى.

ونعمة الرب تشملك.

٦٧ ـ هل غفرت خطاياى؟ (١)

سؤال : بعث إلينا أحد الإخوة يقول:

كنت فى القديم خاطئاً جداً، ولكنى الآن رجعت وندمت، ولكن لازالت تأتينى أفكارى الأولى، وتقول لى إن خطيئتك باقية ولن تغفر أبداً، فلا تتعب نفسك؟!

الجواب :

إذا كنت قد رجعت إلى الله بندامة وانسحاق، واعترفت بخطاياك على الكاهن واعتزمت عدم العودة إلى الخطيئة، وصممت على تجديد السيرة، فيلزمك بعد ذلك أن تتكل على نعمة الله ومراحمه فإنها متسعة لتقبل الخاطئ. إذا كان حقاً قد تاب توبة صادقة: فقد قال السيد المسيح «من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً». وقال الوحى أيضاً «ليترك الشرير طريقه، و رجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب، فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران» (إش ٥٥ : ٧).

وقال أيضاً «اغتسلوا، تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى، كفوا عن فعل الشر، تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة، هلم نتحاجج يقول الرب، إن كانت خطاياكم كالقرمز، تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف» (إش ١ : ١٦ – ١٨). وقال «قد محوت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك ارجع إلىّ لأنى فديتك» (إش ٤٤ : ٢٢).

وقال كذلك «فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها، وحفظ كل فرائضى، وفعل حقاً وعدلاً، فحياة يحيا، لا يموت، كل معاصيه التى فعلها لا تذكر عليه، فى بره الذى عمل يحيا» (حز ١٨ : ٢١، ٢٢، ٢٧)، (حز ٣٣ : ١٦).

«من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يقر بها ويتركها يرحم» (أم ٢٨ : ١٣).

«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١ . يو ١ : ٩).

وقال القديس كبريانوس «فأطلب إليكم أيها الأحباء أن تعترفوا بخطاياكم، ما دمتم فى الحياة الحاضرة، حيث الصفح عن الخطايا الممنوح من الكهنة. مقبول ومرضى عند الله أيضاً» (فى الساقطين).

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة ٦ ـ عدد ٢ ـ فى فبراير ١٩٥٢م.

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم «أخطئت؟ فادخل الكنيسة وامح خطيتك.. كلما خطئت تب عن الخطية، ولا تيأس من ذاتك. وإن خطئت ثانية، فتب توبة ثانية أيضاً، ولا تسقطن من الرجاء بالخيرات الموعود بها سقوطاً كاملاً بسبب إهمال.. وإن كنت فى غاية الشيب وخطئت، فادخل واندم. لأن هذا المكان (الكنيسة) هو مستشفى وليس محكمة، وهو لا يطلب مجازاة على الخطايا» (فى التوبة ٣ : ٤).

وإذن فهناك غفران. وغفران تام، عن كل الخطايا مهما عظمت، طالما تاب الخاطئ عنها واعترف بها بندامة حقاً. فلا تيأس، ولا تدع الشيطان يشككك فى مواعيد الله، واعلم أنه ما أكثر القديسين الذين نلتمس اليوم بركاتهم لعلو ما بلغوه من مراتب التقوى، وكانوا قبلاً خطاة ومجرمين، تابوا فغفرت خطاياهم.

٦٨ ـ أب الاعتراف يجب أن يكون حيث يكون ابنه أو تلميذه

العزيز الابن جورج حلمى لطف الله.

سلام لك أيها الابن، ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لك من كل قلبى كل صحة وكل توفيق وكل خير.

قرأت أيها الابن خطابك أكثر من مرة، وأحسست بمشكلتك ومشكلة الأقباط الذين يقيمون فى الكويت بعيداً عن بغداد. وفى نفس الوقت أقدر موقف الكاهن ومسئوليته عن ألوف وربما عشرات الألوف من أبناء الكنيسة فى بغداد، والموصل، وكركوك والسلمانية، وغير ذلك. فإن العبء ثقيل جداً على كاهن واحد يقوم بكل الخدمات والقداسات والعماد، والمصالحات، والاعترافات لعدد كبير وفى مدن متباعدة.

ويبدو لنا أنها مشكلة معقدة، وليس من السهل إبداء رأى قاطع فيها، لأنها متشابكة، ولأنها مرتبطة بظروفكم من جهة حيث تقيمون بعيداً عن بغداد وبالتالى عن الكنيسة مسافة كبيرة تقتضى أيضاً وقتاً كبيراً، ووقتكم مرتبط بظروف العمل.

ومع أن ممارسة الاعتراف، يجب من حيث المبدأ أن تكون على يد الكاهن ممثلاً للسلطة الإلهية، وفى مبنى الكنيسة، بيت الله، ولذلك فإن الاعتراف بالمراسلات لكاهن فى بلد بعيدة عن إقامة المعترف، أمر غير طبيعى وغير كافٍ، وإن كان الاسترشاد بالمراسلة مقبولاً. قلت الاسترشاد وليس الاعتراف. وقال الكتاب المقدس «لكم ربوات من المرشدين فى المسيح، لكن ليس آباء كثيرون» (١ـ كورنثوس ٤: ١٥).

إن أب الاعتراف يجب، من حيث المبدأ، أن يكون حيث يقيم ابنه وتلميذه لذلك نرى أنه يجب عرض المشكلة على الأب المحترم القمص ميساك، ليتصرف بما يراه، فقد يرى أن يحدد لكم أنتم الذين بالكويت ـ بعيداً عن بغداد ـ موعداً خاصاً ويبدأ بكم قبل الآخرين المقيمين بصفة ثابتة فى بغداد، أو يحدد موعداً لزيارتكم بالكويت ـ إذا أمكنه ذلك. ولا مانع من أن تطلع الأب المحترم القمص ميساك على خطابى هذا، فإنى أثق باهتمامه، وأثق أنه يمكنه أن يرتب لكم موعداً، ولو فى فترات متباعدة.

---

(١) كتب فى ٢٦ من يونيه ١٩٨٩م ـ ١٩ من بؤونه ١٧٠٥ش.

إنى أقول هذا مع كل تقدير، لظروفكم ولظروف الكاهن، فإنه حقاً مثقل بواجبات كثيرة ومسئول عن أعداد غفيرة من الأقباط.

ومهما يكن من أمر، فإننى أرجو أن يكون هناك حلّ لهذه المشكلة.. ولو كان حلاً جزئياً، على الأقل.

ونعمة الرب تشملكم. وتحيات البركة للابن عماد ميلاد جرجس ـ كما أطلب توصيل تحياتى وإعزازى للأب المحترم القمص ميساك.

٦٩ ـ أب الاعتراف يجب أن يكون كاهناً شيخاً مشهوداً له (١)

سؤال: من الابنة الآنسة/ ت. ا. س.

فيما إذا كان يمكنك اختيار أب اعتراف آخر غير أب اعترافك الحالى الذى كما تقولين أنك لا تستفيدين منه كما ينبغى.

الجواب:

إن الكنيسة تجيز وتبيح لك ذلك، ولا داعى لمواجهة أب الاعتراف بذلك لما يسببه ذلك من الحرج له ولك.

ونصيحتى لك أن ـ تتخذى لسماع الاعتراف **كاهناً شيخاً (ولا يكون من الرهبان)** على أن يكون أيضاً من **المشهود** له فى تقواه وفضيلته ـ على أن يكون أيضاً فى المدينة التى تقيمين فيها (أى الأسكندرية) ولكن يمكن أن يكون من غير الحى أو القسم الذى تقيمين فيه، أى يمكن أن يكون فى سيدى بشر أو فى غير سيدى بشر من أحياء الأسكندرية.

تماماً كما أن من حق المريض أن يذهب إلى الطبيب الذى يثق فيه بناء على شهرته وسمعته فى فنه، كذلك تبيح الكنيسة للمؤمن أن يتخذ أى كاهن شيخ أباً لذمته طالما أنه تتوافر فيه الشروط التى تجعله موضع ثقة ابنه أو ابنته.

ونعمة الرب تشملك .

(١) كتب فى ٩ من مارس ١٩٨٣م ـ ٣٠ من أمشير ١٦٩٩ش.

٧٠ ـ أخطاء الماضى يمكن بالتوبة تغتسل منها بدم المسيح (١)

الابن ا. ث.

سلام ونعمة وبركة.

رداً على خطابك أرى أنك طالما أنت مهتم بخلاص نفسك، وقد وضعت نصب عينيك أن تهتم بحياتك الأبدية، وأن تحفظ نفسك من دنس الجسد والروح، فأنت لست بعيداً عن ملكوت الله. لذلك يلزمك أن تصون نفسك من كل ما يدنس قلبك وفكرك وجسدك. وأن تجاهد حتى ترتفع فوق الميول الحسية والشهوات البدنية، وأن تحرص على طهارتك.

إن أخطاء الماضى يمكن بالتوبة الصادقة أن تغتسل منها فى دم المسيح بالتناول من الأسرار المقدسة. ولا تهمل القراءة فى الكتاب المقدس يومياً حتى لو كان ما تقرأه إصحاحاً أو نصف إصحاح. فهو خير من عدم الالتزام بالقراءة اليومية، ثم إن القراءة فى الكتب الروحية المناسبة لمستواك وقامتك الروحية تعطيك مادة لتصحيح الفكر، ولشغل الفكر بما يفيدك ويبنى حياتك الروحية على أساس سليم.

أما عن الزواج، فاجتهد أن تتزوج بفتاة تجد أنه يتوافر فيها التوافق النفسى والفكرى بينكما، فالزواج المسيحى شركة حياة. فما لم يتوافر التوافق الفكرى والنفسى بين الفتى والفتاة لا تدوم الحياة الزوجية السعيدة.

طالما أنت قد اعترفت بخطاياك وتناولت من الأسرار المقدسة، يجب أن تنسى الماضى، وانظر إلى ما يبنى حياتك بالإيجابيات النافعة. فالحياة الشخصية كأنها عمارة تبنى مدماكاً مدماكاً، طابقاً فوق طابق إلى أن تصير بناء شامخاً.

الرب يقويك، ونعمته تشملك...

---

(١) كتب فى ٢٣ من أبريل ١٩٨٧م ـ ١٥ من أغسطس ١٧٠٣ش.

٧١ ـ الحِل الكهنوتى لمن يعترف لله على يد الكاهن (١)

سؤال : من الابن يوحنا لبيب حناوى ـ جرجا.

يقول : هل إذا اعترفت بخطاياى إلى الله على يد الكاهن أب اعترافى ومنحنى الحِلّ بموجب السلطان الممنوح له من الله كوكيل للأسرار المقدّسة، أفهل أطمئن إلى أن الله بالفعل قد غفر لى خطاياى، وأنه محاها محواً تاماً، فلا أُدان عنها؟

الجواب :

نعم، إن الكهنة بإقامتهم فى درجة الكهنوت صار لهم الاختصاص أن يقبلوا توبة التائبين، ويسمعوا اعتراف المعترفين، بوصفهم خدّام المسيح ووكلاء أسرار الله (١ . كورنثوس ٤ : ١)، ولهم لذلك سلطان الحل والعقد، كقول المسيح له المجد ، من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتموها عليهم تُمسك عليهم، (يوحنا ٢٠ : ٢٣)، (متى ١٦ : ١٩)، (١٨ : ١٨)، (١ . كورنثوس ٥ : ٤، ٥).

فالكاهن بصفته ،وكيلاً لأسرار الله،، عليه أن يمارس خدمة كرامته فى حدود إرادة موكّله، ولا يتجاوز مشيئة سيّده، وإلا استحق فى يوم الحساب غضب ربّه وسيّده، لأنّه لم يكن صالحاً للوكالة، وخان الأمانة ولم يحفظ الوديعة، فيشطره نصفين، ويجعل نصيبه مع المرائين (متى ٢٤ : ٥١).

لذلك وجب على الكاهن قبل أن يمنح الحِلّ للتائب المعترف أن يتثبّت من صدق توبة الخاطئ واستحقاقه للحِلّ والغفران. وللتوبة الصادقة علاماتها. وكما لا يجوز لصرّاف البنك أو البريد أن يصرف لشخص مبلغاً من المال، ما لم يتقدم هذا الشخص بما يثبت استحقاقه للمبلغ، وإلا كان الصراف فى البنك مطالباً بالمبلغ الذى صرفه لمن لا يستحقه، فضلاً عن أنه يُعدُّ مُهملاً فى مقتضيات وظيفته التى توجب عليه أن يكون دقيقاً فى عمله ولا يتسامح أو يتساهل فى شئ لا يخصّه شخصياً، وإنما يخصّ الدولة أو الهيئة التى أقامته للعمل ممثلاً لها.

من هنا يجب على الكاهن أن لا يُسرع بمنح الحل الكهنوتى قبل أن يفحص الخاطئ ويستوثق من استحقاقه للحل الذى يمنحه للخاطئ، لا بصفته الشخصية، وإنما بصفته ممثلاً للسلطة الإلهية.

---

(١) كتب فى ٥ من يوليو ١٩٨٨م ـ ٢٨ من بؤونه ١٧٠٤ش.

فإذا تثبّت الكاهن من صدق توبة ابنه فى التوبة، وتبين ندامته وعزيمته فى الرجوع عن خطيئته، وإصلاح طريقه، وقبوله بكل الرضى والاتضاع التأديبات التى يفرضها عليه الكاهن أبوه فى الاعتراف كبرهان على شعوره بخطئه وإقراره بخطيئته، ثم منحه بعد ذلك الحل، يجب على الابن فى الاعتراف أن يطمئن إلى أنه قد غُفرت له خطيئته، لأن الذى منحه الحلّ عنها صاحب حق فى ذلك.

ولا يليق به بعد ذلك أن يعاود الاعتراف بتلك الخطيئة مرة أخرى إلا إذا كان قد سقط من جديد فى خطيئة مماثلة.

وعلى وجه الإجمال، فإنّ الحل مسئولية الكاهن. وأمّا الخاطئ التائب فعليه أن يكون صادقاً وأميناً، فإنه إذ يعترف بخطيئته إنما يخاطب الكاهن بصفته «كاهن الله العلى» (التكوين ١٤ : ١٨). واعترافه بخطيئته هو «**اعتراف لله على يد الكاهن، بصفته ممثلاً للسلطة الإلهية**»: «يا ابنى اعطِ الآن مجداً للرب.. **واعترف له واخبرنى الآن: ماذا عملت؟ لا تخف عنى**» (يشوع ٧ : ١٩).

ولما كان الاعتراف بالخطيئة كنسياً هو فى الحقيقة **اعتراف لله على يد الكاهن** بصفته «خادم الله ووكيل أسرار الله»، **فإن الاعتراف لذلك ينبغى أن يُمارس فى الكنيسة بيت الله**، إلا فى حالة المريض الملازم الفراش، كما هو الحال فى ممارسة خدمة سر مسحة المرضى أو القنديل - ولكن فيما عدا ذلك **يجب أن يُباشر الاعتراف بالخطايا فى مبنى الكنيسة بيت الله**.

وفى الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية يلتحف الكاهن بزىّ الخدمة وهو (الصُدارية) (الصُدرة - الصُدريّة) على الأقل، وهو يسمع الاعتراف، وذلك برهاناً على أنه يُمارس عملاً كنسياً وبصفته الكهنوتية.

٧٢ ـ شروط أب الاعتراف (١)

سؤال: من الابن يوحنا لبيب حنّاوى ـ جرجا.

يقول: أريد أن أعرف ما هى شروط أب الاعتراف؟

الجواب:

من تعاليم الكنيسة أن أب الاعتراف أو مرشد الاعتراف ينبغى أن تتوافر فيه على الخصوص أربعة شروط أساسية:

الشرط الأول: أن يكون تقياً، وروحانياً. فهو معلّم الفضيلة ومرشد فى الحياة الروحية. (وفاقد الشئ لا يعطيه). قال المسيح له المجد «ليس التلميذ أرفع من معلمه» (متى ١٠: ٢٤)، (لوقا ٦: ٤٠).

إن الكاهن المرشد هو من تميّز بالتقوى والفضيلة والسلوك الذى «يزيّن تعليم مخلصنا الله فى كل شئ» (تيطس ٢: ١٠) بحيث يصير لتلاميذه الذين يتبعونه نوراً يضئ لهم الطريق (متى ٥: ١٦)، (فيلبى ٢: ١٥).

وللمؤمن أن يختار مرشده الروحى ويبحث عنه أين هو، كما يبحث المريض عن الطبيب. فلا يستفيد المريض من طبيبه ما لم تتوافر ثقة المريض فى الطبيب بحيث يجد فيه ما لا يجده فى نفسه.

وما لم يتوافر فى أب الاعتراف رصيد غنى من التقوى والفضيلة، فإنه سريعاً ما يفتقر ويُفلس، لأنّ من يعطى وليس له رصيد يفقد ما عنده. وخدمة الاعتراف فيها الكثير من الفقد.

الشرط الثانى: أن يكون الكاهن المرشد، أب الاعتراف، **عالماً بالشريعة.** والعلم المقصود هنا هو العلم بحقائق الديانة وتراث الكنيسة، فإذا أرشد تلميذه فى الاعتراف أرشده عن دقةعلم، وسعة معرفة بالكتاب المقدس، وتعاليم الكنيسة. وإذا سأله ابنه فى الاعتراف عن أمر، أجابه عن علم راسخ.

والشرط الثالث فى أب الاعتراف أن تكون له خبرة وحذق فى القيادة الروحية. وهنا معنى **الذكاء الروحانى** ـ وهو يختلف عن الذكاء العقلى، أو قل هذا هو **ذكاء القلب والروح**، وهو غير ذكاء الذهن والفكر.

(١) كتب فى ١٢ من يوليو ١٩٨٨م ـ ٥ من أبيب ١٧٠٤ش.

والخبرة هنا نتيجة لممارسات طويلة للحياة الروحية مع النفس، وبملاحظة الأغيار من الناس.

وهى حاسة روحية يمكنه بها أن يفهم تلميذه فى الاعتراف، وأن يُشخّص أمراضه كما يُشخص الطبيب المرض، وأن يصف له العلاج المناسب، لحالته.

وحقاً إنه يختلف الأطباء فى التشخيص، وبالتالى يختلفون فى التوجيه والعلاج، لكن لبعض الأطباء حاسّة طبية يتميزون بها، كما يتميز بعض الناس بأذن موسيقية، وغيرهم بحاسة فنية كما هو الحال عند الشعراء والرسّامين والنحاتين ومن إليهم، وكذلك الأمر فى آباء الاعتراف، فمنهم من يتميز بحاسة روحية يدرك بها على نحو واضح سر المرض، وطرق العلاج.

وطالما أن أب الاعتراف يجب أن يتميز بالخبرة، **فلا يصلح أب الاعتراف لمؤمن متزوج أن يكون راهباً**، لسبب بسيط هو أن الراهب، وهو غير متزوج، ليست له خبرة الحياة الزوجية، فكيف يصلح مرشداً فى أمر لا خبرة له فيه كافية.

وفى الكنيسة الأرثوذكسية، من حيث المبدأ، الكهنة نوعان: كهنة بتوليون أو رهبان، وكهنة متزوجون. وفى الكنائس الأرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى كهنة بيض وكهنة سود، والكهنة المتزوجون هم كهنة الرَعية ومنهم آباء الاعتراف للرجال والنساء، للشبان والشابات. أما الكهنة البتوليون والرهبان فيعفون من سماع اعترافات الرعية، ولكن فى الأديرة يمكن أن يكون منهم آباء الاعتراف للرهبان.

الشرط الرابع - هو أن يكون أب الاعتراف فى سن الوقار:

وسن الوقار فى المصطلح الكنسى بالنسبة لآباء الاعتراف هو الخمسون وما فوقها. ولسن الوقار حكمته وفائدته، لأب الاعتراف نفسه، ولتلميذه فى الاعتراف أيضاً.

سن الخمسين وما فوقها هو السن المناسب للقيادة الروحية فى مجال الاعتراف بالذات، بل كلما كان أب الاعتراف مُسناً كانت سنه الكبيرة أنسب وأصلح له شخصياً ليقوم بمهمته بنجاح، وأنسب وأصلح لتلميذه فى الاعتراف، لأنه بتقدم السن تزداد الحكمة والخبرة والحنكة والحذق والعلم والعرفان، فتكون الكلمة الواحدة أفضل من ألف.

«قلة الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة» (أيوب ٣٢ : ٧).

* * *

وهنا يجدر بنا أن نقرر بكل الوضوح أنه **ليس كل كاهن بمجرد رسامته يصلح أن يكون أباً للاعتراف..**

إنه بحق رسامته كاهناً يمكنه أن يُعمّد وأن يمسح بالميرون، وأن يخدم القداس، وأن يعقد الزواج، وأن يمارس سر مسحة المرضى أو القنديل، وغير ذلك من الخدمات الكنسية.

أما بالنسبة لسماع الاعتراف للرعية فلابد أن تمر فترة كافية بعد رسامته تتوافر له فيها شروط أب الاعتراف الذى يمكنه أن يسمع اعترافات الرعية.

ومن تقاليد الكنيسة وتراثنا الروحى أن **أسقف الإيبارشية هو المسئول الأول عن تعيين آباء الاعتراف فى كل قرية ومدينة تتبعه، يختارهم من بين الكهنة الذين يتميزون بالأشراط التى ينبغى أن تتوافر فى أب الاعتراف لتكون الخدمة الروحية بلا لوم، ويمنحهم تفويضاً كتابياً بذلك.**

وقد كان الآباء الأساقفة فى الإيبارشيات منذ القديم يسلّمون للكهنة الذين تتوافر فيهم شروط أب الاعتراف، براءة بذلك مكتوبة وممهورة بتوقيع أسقف الإيبارشية.

هذه البراءة (أو الإجازة) المكتوبة أو الوثيقة الرسمية من أسقف الإيبارشية تخوّل للكاهن أن يمارس سماع الاعتراف، وأن يكون مرشداً لمن يشاء من المؤمنين أن يتخذه أباً لذمته، دون ضغط لا من الكاهن ولا من الأسقف. **فلكل مؤمن أن يختار أب اعترافه، أو أب ذمته، كما يختار المريض طبيبه.** فمن دون ثقة المريض فى الطبيب لا جدوى من عمل الطبيب، كذلك لابد أن تتوافر ثقة التلميذ فى الكاهن الذى يختاره أباً لذمته دون قهر أو إلزام من أحد.

٧٣ - ليكن أب اعترافك فى البلد التى تقيم فيها (١)

العزيز الابن منسى حبيب صداق.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم موفور الصحة والتوفيق.

رداً على سؤالكم بخصوص أب الاعتراف، أقول حيث أنكم الآن تقيمون فى العراق، وبكنيستنا القبطية فى بغداد كاهن، فنحن دائماً ننصح فى مثل هذه الأحوال أن يتخذ المسيحى المقيم فى بلد، أب ذمته فى البلد التى يقيم فيها. وأمّا الكاهن الأول فى القوصية فلا تقطع صلتك به. وليكن لك أيضاً مرشداً، خصوصاً لو أنك عدت إلى القوصية. أما الآن فاتخذ كاهن كنيستنا فى بغداد أب اعترافك فهو القريب إليك. ومنه تتخذ قاعدة التصرف. فما ينصح به لك، اعمل به. ولست أجد فى النظام الذى رسمه لك الأب ميساك ما يتعارض مع ما رسمه لك كاهن القوصية. إنه وضع لك نظاماً أكثر تقدّماً، يتناسب مع تقدمك الروحى.

أمّا عن العمل بالعراق، فإننى أعلم أنك ستجد إن شاء الله عملاً مناسباً فالعراق من أفضل البلاد العربية تشجيعاً للأقباط. وعليك السعى والبحث والاستشارة من أصحاب الاختصاص.

ونحن نصلّى أن يباركك الرب ويوفقك بالخير ويدبر أمورك وأمور والديك المسنين، ويحفظكم بموفور الصحة والسلامة.

مع تحياتى للأب المحترم القس ميساك ولمن يسأل عنا وندعو للجميع بالخير والبركة،،،

---

(١) كتب فى ١٤من أكتوبر ١٩٨٨م - ٤ من بابه ١٧٠٥ش.

٧٤ ـ عدم الراحة بعد التوبة مرده للذكريات المؤلمة (١)

الابن العزيز أ. ن.

سلام لك أيها الابن، ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح أرجو لك النمو في معرفة ربّنا يسوع المسيح.

قرأت خطابك وفرحت بتوبتك، وبعد ٢٢ عام من مسالك الخطيئة وجدت من قادك إلى التوبة والاعتراف وتجديد السيرة.

واعلم أيها الابن أنه من محبة الله لك أن أتاح لك هذه الفرصة، ووجدت هذا الصديق الذي قادك لطريق الخلاص.

إني أشكر الله من أجلك، وأنت أيضاً يجب أن تشكر الله على أنه سمح أن تطول حياتك إلى هذا الوقت، ولتطلب الخلاص، وقد وضعت قدمك على العتبة الأولى في الطريق المؤدي بك إلى الحياة الصالحة والأبدية.

أما أنك ينتابك شعور بالخوف والتعب والقلق فهذا مرده إلى شعورك بالإثم الذي ارتكبته، وهو أحد عناصر التوبة.

إن عناصر التوبة على وجه الإجمال أربعة ـ الأول تبكيت الضمير، وانسحاق القلب والندم.

الثاني: العزم الصادق على تجديد مسيرة الحياة.

الثالث: الثبات والرجاء في محبة الله وطول أناته.

الرابع: الاعتراف والإقرار على يد الكاهن بصفته الممثل للسلطة الإلهية.

وأما عدم الراحة فمرده إلى الذكريات المؤلمة. فإنّ مخ الإنسان أعظم (ريكوردر) وأدق مُسجّل. كل شئ يصنعه الإنسان، بل كل ما تراه العين، وكل ما تسمعه الأذن، وكل انفعال وعاطفة وكل حدث من أحداث الحياة، يطبع في المخ أثراً وآثاراً لا تُمحى. فهذه الذكريات القديمة تتحرك، أمامك، فتُسبب لك القلق وعدم الراحة وربما أيضاً تثيرك عاطفياً، وهذا مردّه إلى سلطان العادة. فالعادة كالتدخين مثلاً أو شرب الخمر وما إليها من عادات ضارة ومن بينها العادة السرية، وأفعال النجاسة، تبدأ كما يقولون خيوطاً حريرية وتنتهي إلى قيود حديدية.

---

(١) كتب في ١٣ من نوفمبر ١٩٩١م ـ ٣ من هاتور ١٧٠٨ش.

لذلك يلزمك أيها الابن، الثبات على ما قد صرت إليه، لا ترجع إلى الوراء، ولا تستسلم لأفكار الشر، ولا تخف، «فإنه بثباتكم تكسبون أنفسكم» (لوقا ٢١ : ١٩) فاثبت فى الرب بعزم القلب ولا تدع الشك أو الخوف يرتد بك إلى الوراء.

وإن الله الذى دعاك ورعاك منذ طفولتك سيقويك ويسندك بيمينه. فقط يلزمك أن تثبت، وأن تقرأ فى الكتاب المقدس وفى الكتب الروحية والتاريخية وتشغل فكرك بالروحيات، وتصلى وتصوم وتتناول من الأسرار المقدسة.

ونعمة الرب تشملك إلى الأبد،،،

٧٥ ـ شروط التوبة الصادقة (١)

الابنة و. س.

إجابة على سؤالك هل يقبل الرب توبتك عن خطيئة فعلتها، وندمت عليها، ولكنك لم تعترفى بها على يد الكاهن ـ فهل يكفى الندم بدون اعتراف؟

أقول إن الندم شرط أساسى وجوهرى للتوبة الصادقة.

ثانياً ـ لابد من العزم الصادق على ترك الخطيئة وتجديد السيرة.

ثالثاً ـ لابد من أن يكون لك رجاء فى مراحم الرب القائل «من يقبل إلىّ لا ألقى به خارجاً» (يوحنا ٦) .

إن يهوذا الإسخريوطى، ندم، وردّ الثلاثين من الفضة ثم **اعترف** قائلاً: أخطأت إذ سلّمت دماً بريئاً ولكنه لم يجد للتوبة مكاناً لأنه فقد رجاءه ومضى وخنق نفسه يأساً من مراحم الله.

رابعاً ـ لابد من الاعتراف العلنى **على يد الكاهن**.

والاعتراف على **يد الكاهن** هو فى حقيقته اعتراف لله، ولكن **على يد الكاهن بصفته الممثّل للسلطة الإلهية** وفى الكتاب المقدس أمثلة على ذلك ، فقد جاء فى الإنجيل أن أهل أورشليم وكل اليهودية وكلّ الأرجاء المحيطة بالأردن خرجوا إلى يوحنا المعمدان (معترفين بخطاياهم) (متى ٣ : ٦) ، (مرقس ١ : ٥).

كذلك مبدأ الاعتراف مقرر كما جاء فى سفر يشوع بن نون (٧ : ١٩) ـ وكذلك اعترف الملك داود بخطيئته على النبى ناثان وقال له: أخطأت إلى الرب، فقبلت توبته وأعطاه النبى الحِلّ بقوله: «الرب نقل عنك خطيئتك فلا تموت» (٢ . صموئيل ١٢ : ١٣) .

نعم، قد يكون الخجل منعك من الاعتراف على يد الكاهن، ولكن كما يقول الآباء الروحانيون لا تدعى الخجل يمنعك من التصريح للكاهن بصفته (رسول رب الجنود) المؤتمن على منح الحلّ، ممثلاً للسلطة الإلهية.

ونعمة الرب تشملك.

---

(١) كتب فى ٢٣ من فبراير ١٩٩٤م ـ ١٦ من أمشير ١٧١٠.

٧٦- مرارة الخجل فى الاعتراف جزء من العلاج

سؤال: من الابن هـ . ف.

يقول: إنى أحسّ وأنا اعترف أنّى فى خجل مع أنى قرأت عن الاعتراف، وكيفية الاعتراف. وفى بعض الأحيان أنفّذ هذه التعاليم، لكنى أجد أب اعترافى غير متمشى معى، فيجعلنى أخجل من نفسى، وأنا أعترف أمامه، وأحياناً أقوم من أمامه دون إتمام الاعتراف - فماذا أفعل كى أصل بنفسى إلى الاعتراف الكلى؟

الجواب:

إن مرارة الخجل جزء من العلاج، فلا تحزن لهذا الخجل، فإن الخجل مطلوب ليكون رادعاً لك حتى لا تعود إلى الخطأ أو الخطيئة. ولابد لك إذا كنت تائباً على الحقيقة من أن تكون مستعداً لهذا الخجل، ولا تهرب منه، **فإنه دواء مفيد ونافع.** ألا ترى إلى أن الإنسان المريض يكشف للطبيب الأعضاء المستحى منها، وهو يضطر إلى ذلك لكى يجد عند الطبيب العلاج لمرضه. ولو امتنع بسبب الخجل عن أن يكشف جسده للطبيب، فكيف يتسنّى للطبيب أن يشخّص الداء، وبالتالى أن يصف له الدواء المناسب لحالته؟

لقد قال آباء الكنيسة، لا يليق بالخاطئ أن يمنعه الخجل من أن يكاشف الكاهن مرشده فى التوبة والاعتراف بأمراضه وأدوائه، إذا كان حقاً راغباً فى الشفاء منها. وبدون ذلك لا يكون هذا الخاطئ جاداً فى توبته.

واعلم أيها الابن أن الاعتراف فى سر التوبة ليس هو اعترافنا على إنسان بصفته الشخصية، **إنما الاعتراف فى مفهومه الصحيح، هو اعتراف لله على يد الكاهن، بصفته ممثلاً للسلطة الإلهية لا بصفته الشخصية.**

وإذا كنت تشكو من أن الكاهن (غير متمشى معك) على حد تعبيرك فلربما يكون السبب فى ذلك أنك تتحدث مع الكاهن فى أمور لا تتصل بالتوبة. لذلك أريدك أن تفهم أن **الاعتراف الصحيح هو شكوى النفس من النفس**، فلا تنتهز فرصة وجودك مع الكاهن لتشكو إليه شخصاً آخر حتى لو كان أباك أو أمك أو أخاك - **يجب أن تقتصر فى الاعتراف على شكواك من نفسك.**

أمـا إذا أردت أن تشكو إلـى الكاهن شخصاً آخر غير نفسك. فـفى هذه الحـالة يكون وضع الكاهن قضائياً. وعندئذ لابد له كقاضٍ أن يستدعى الشخص الآخر، ويسمع منك ومنه، حتى يمكنه أن يحكم بعدل وحقٍ بينكما.

أما فى ممارسة سر التوبة والاعتراف، **فيكفى فيه أن تشكو نفسك ولا تشكو غيرك.**

كذلك فيما يختص بسؤاليك الأخيرين الواردين فى خطابك، عن لاهوت المسيح ننصح لك بقراءة الكتب الآتية، وهى من منشورات أسقفية البحث العلمى:

- أنت المسيح ابن الله الحىّ - تسعة أجزاء أو حلقات.

- موجز الاعتقاد فى وحدانية الإله.

- عيد التجلى.

هذا بالإضافة إلى كتب أخرى فى الموضوع بأقلام مؤلفين آخرين تجدها فى المكتبات العامة أو مكتبات الكنائس.

أما عن الفتاة التى أحببتها وأحبّتك وهى جارة لك، ولكنها ليست من دينك كما تقول، فاحذر من هذا المنزلق الخطير الذى يمكن أن يقودك إلى خطايا وأخطاء تذهب بك إلى الجحيم وإلى جهنم. إن هذه العلاقة يجب أن تقف فوراً، فإنها رأس الحبل الذى يمكن أن يجرّك به الشيطان، بعيداً عن المسيح وعن الكنيسة إلى الهلاك الأبدى. أذكّرك بما قاله الرب قديماً لقايين يحذره قبل أن يسقط فى جريمته «إن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة وإليك اشتياقها، وأنت تسود عليها» (التكوين ٤ : ٧) أى على الرغم من اشتياقك إليها، فأنت يمكنك أن تمتنع عنها، لو أردت، وهذا فى سلطانك.

ونعمة الرب فلتشملك.

القيم الروحية في سر مسحة المرضى

القيم الروحية فى سر مسحة المرضى

القيم الروحية
فى سر مسحة المرضى

سر مسحة المرضى، ويسمى أيضاً «سر الزيت المقدس» أو «سر القنديل» من بين أسرار الكنيسة، ومن مواهب الروح القدس فيها، القائمة على استحقاقات دم المسيح الفادى، وعمله الكفارى - يمارسه الكهنة **للمرضى بالأمراض الجسدانية المتسببة عن علل روحية ونفسية**، بالصلاة على الزيت، فيتقدس باستدعاء الروح القدس، ثم يمسحونهم بالزيت المقدس لشفائهم روحاً وجسداً.

قال الوحى الإلهى:

هل فيكم مريض؟ «فليدع كهنة الكنيسة وليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص المريض، والرب ينهضه. وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له» (يعقوب ٥: ١٤، ١٥).

وقال الإنجيل إن مخلصنا أمر تلاميذه بعد أن أقامهم رسلاً وليكونوا معه: «اشفوا المرضى» (متى ١٠: ٨)، (مرقس ٣: ١٣، ١٥)، (لوقا ٩: ٢، ٦)، «وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم.. اشفوا المرضى الذين فيها...» (لوقا ١٠: ٨، ٩).

وقد فعل الآباء الرسل كأمر معلمهم وسيدهم «ومسحوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم» (مرقس ٦: ١٣).

وظيفة سر مسحة المرضى واختصاصه:

أما أن هذا السر قد رتب في الكنيسة **لشفاء الأمراض الجسدانية المتسببة عن العلل الروحية**، فهو ما يتضح من قول الكتاب المقدس «وصلاة الإيمان تخلص **المريض، والرب ينهضه**» (يعقوب ٥: ١٥)، وقوله عن الرسل «مسحوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم» (مرقس ٦: ١٣). أما شفاء الروح المرتبط بالمرض الجسدانى فيتبين من قول الوحى الإلهى «وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له» (يعقوب ٥: ١٥).

فإذا لم يشف من مرضه الجسدانى كان ذلك مرده إما إلى عدم استحقاق المريض أو إلى عدم الإيمان، بدليل قول الوحى الإلهى **«وصلاة الإيمان تخلص المريض»**.

والجميل فى أمر هذا السر، «سر مسحة المرضى، أنه يجعل شفاء الروح أساساً لشفاء الجسد، وذلك بحكم الرابطة القوية بين الروح والجسد. فإذا مرضت الروح مرض الجسد معها لارتباطهما الوثيق معاً، وبالتالى لا يشفى الجسد إلا إذا شفيت الروح أولاً. وأما مرض الروح فهو الخطيئة، فإن الخطيئة تفعل فى الروح فعل القنبلة، إنها تفتت قوى النفس وتبعثر قدراتها، فتفقد سلامتها وراحتها، فتمرض، وقد يشتد بها المرض فتمسى وكأنها فى حكم الموتى، ألم يقل الكتاب المقدس عن الخطيئة إنها «طرحت كثيرين جرحى، وكل من قتلته كان من الأقوياء. إن بيتها طرق الجحيم، محدرة إلى أخادير الموت» (الأمثال ٧: ٢٦، ٢٧)؟ ألم يقل عن المدينة الخاطئة الشريرة: «ليس قتلاك هم قتلى السيف، ولا موتى الحرب» (إشعياء ٢٢: ٢)؟ ألم يرثى إرميا النبى أورشليم قائلاً: «من لرأسى بمياه وعينى بينبوع دموع، فأبكى نهاراً وليلاً على قتلى بنت شعبى» (إرميا ٩: ١).

لذلك يتطلب الرب من هؤلاء المرضى الذين حصدوا فى أجسادهم نتائج خطاياهم، فمرضوا فى أجسادهم، أن يتوبوا أولاً عن خطاياهم، لشفاء الروح قبل أن تشفى أجسادهم، لذلك يأمرهم صراحة بالاعتراف على الكاهن. **والاعتراف المطلوب هو شكوى النفس من النفس أمام الله، على يد الكاهن باعتباره ممثلاً للسلطة الإلهية.**

يقول الوحى الإلهى، فى صدد بيان سر مسحة المرضى، «**اعترفوا بعضكم لبعض بخطاياكم**، وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا» (يعقوب ٥: ١٦) ولا شك أن المقصود هنا **هو الاعتراف على يدى الكاهن**. يقول القديس أوغسطينوس فى تفسير هذا النص: «ليس المقصود أن يعترف الكهنة على العلمانيين كما يعترف هؤلاء لهم. فإن هذه العبارة لا توجب دائماً حصول المشاركة بين كل من الطرفين، أى لا يلزم منها اعتراف الكهنة للشعب، بل هى على حد قولك: علموا بعضكم بعضاً، وعالجوا أحدكم الآخر، وليسعف الواحد منكم صاحبه، بمعنى أن العالم يعلم الجاهل، والطبيب يعالج المريض، والقوى يشدد الضعيف، وقس على ذلك...، فقوله إذن اعترفوا بعضكم لبعض، أى ليعترف كل منكم لمن له سلطان الحل على الخطايا، وهم الكهنة (يوحنا ٢٠: ٢٢، ٢٣).

ومن هنا، فقد نص كتاب الكنيسة الخاص بترتيب مسحة المرضى، على وجوب توبة المريض واعترافه بخطاياه، قبل أن يمارس الكهنة له سر مسحة المرضى، ومسحه بالزيت.

والعلاقة الوثيقة بين الخطيئة وبين المرض، وبين التوبة والشفاء قد أوضحها الرب يسوع المسيح فى أكثر من مناسبة.

فعندما شفى الرجل العليل منذ ثمان وثلاثين سنة والمطروح مخلعاً على بركة بيت حسدا، قال له: ها أنت قد برئت، فلا تعد إلى الخطيئة لئلا يصيبك ما هو أسوأ» (يوحنا ٥: ١٤)، مما يدل على أن مرض الرجل مرده إلى خطيئته، أى أنه سلك طريق الإثم والفساد، ونتيجة لذلك تدمر جسده وأصابه المرض. فأنذره المسيح له المجد بأنه إذا عاد إلى الخطيئة عادت إليه نتائجها فى روحه وجسده معاً.

وعندما جاءوا إليه ـ له المجد ـ بمخلع دلوه أمامه من سقف البيت الذى كان الرب يعلم فيه الجماهير المزدحمة عليه، قال له ـ وهو يعلم أنه قد ندم على خطيئته التى جرت عليه كل هذا البلاء والشقاء: «اطمئن يا بنى، مغفورة لك خطاياك» ثم أعقب ذلك بقوله للمفلوج: «لك أقول قم، احمل فراشك واذهب إلى بيتك» (متى ٩: ٢، ٦)، (مرقس ٢: ٥، ١١)، (لوقا ٥: ٢٠، ٢٤). وبذلك كشف الرب يسوع عن العلاقة بين مرض هذا الرجل وبين خطيئته، كما كشف أيضاً هذه الحقيقة أنه لابد من شفاء الروح بالتوبة قبل شفاء البدن من المرض، مادام أن مرض الجسد متسبب عن مرض الروح بالخطيئة.

ونفس الحقيقة توكدت فى حادثة شفائه ـ له المجد ـ للمرأة المصابة بمرض منذ ثمانية عشر عاماً جعلها منحنية الظهر حتى لم تكن تستطيع أن تنتصب البتة، فلقد قال الرب يسوع عنها «هذه ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة» (لوقا ١٣: ١٦) مبيناً بهذا أن مرض المرأة فى ظهرها يرجع إلى علة روحية هى سيطرة الشيطان عليها، وربطه لظهرها.

وهكذا صنع المسيح بالأعمى والأخرس، فبمجرد أن أخرج الشيطان منه، «أبصر وتكلم» (متى ١٢: ٢٢)، (لوقا ١١: ١٤) مؤكداً العلاقة بين مرض الروح ومرض الجسد.

من أقوال الآباء عن سر مسحة المرضى:

يقول **العلامة الأسكندرى أوريجينوس** (١٨٥ – ٢٥٤)م فى بيان وظيفة سر مسحة المرضى وأهميته وقيمته (١) وهنا يتم ما قيل من يعقوب الرسول: «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة، فيضعوا عليه الأيدى، ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص

---

(١) مقال ٢: ٤.

المريض، والرب ينهضه. وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له». وفى قول أوريجينوس «فيضعوا عليه الأيدى» بيان للعادة الجارية منذ القديم وإلى اليوم فى تتميم سر الزيت المقدس وهى وضع الكاهن يده على المريض حين يصلى عليه.

ويقول **القديس كيرلس الأورشليمى** (٣١٥ - ٣٨٦) (١): «أما أنت فإذا كنت موجعاً فى أجزاء جسدك، وآمنت بالحقيقة أن دعاءك باسم رب الصباؤوت وسائر أنواع الدعاء التى ينسبها الكتاب الإلهى لله بحسب طبيعته تحل مصيبتك، فصلّ هذه الكلمات، وادع بها عن نفسك، لأنك تعمل عملاً أفضل من أولئك المؤمنين بالسحر.. وإننى لمتذكر الكتاب الإلهى حيث يقول: «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص المريض، والرب ينهضه. وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له».

أما **القديس غريغوريوس** فيشرح فى كتابه (فى الأسرار) كيفية تتميم سر الزيت مع كل صلواته وتراتيله، ويذكر أن الكاهن يمسح المريض بالزيت على اسم الآب والابن والروح القدس، ويقول له «لا يبق فيك الروح النجس مختفياً، بل فلتسكن فيك قوة المسيح الإله والروح القدس لكى تشفى بتتميم هذا السر وبمسحة الزيت المقدس وبصلواتنا بقوة الثالوث القدوس، وتعود إلى الصحة التامة». (٢).

ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** (٣٤٧ - ٤٠٧)م: «وأما هؤلاء (الكهنة) فكثيراً ما خلّصوا نفساً مريضة وقريبة من الهلاك.. لأن سلطانهم فى غفران الخطايا لا ينحصر فى البرهة التى يلدوننا فيها بالمعمودية، بل يمتد إلى ما بعدها أيضاً. لأنه يقول: «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة، وليصلّوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تخلص المريض. والرب ينهضه. وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له» ... لكن الكهنة يسترضون لهم لا رئيساً ولا ملكاً أرضياً، بل الله ذاته الذى يغضبونه مراراً كثيرة» (٣).

ويقول موسهيم المؤرخ البروتستانتى: إن المسيحيين الأولين عندما كانوا يمرضون مرضاً مخطراً، كانوا يدعون شيوخ الكنيسة (أى الأساقفة والقسوس). وبعد أن يعترف المريض بخطاياه يستودعه الشيوخ لله بالتضرعات الخشوعية، ويدهنونه بالزيت» (٤).

---

(١) فى كتابه «فى العبادة بالروح والحق». كتاب ٤.
(٢) الجزء ٣: ٢٣٥.
(٣) فى الكهنوت، خطاب ٣: ٦.
(٤) الفصل ١: ف ٢ قسم ٤.

ابتهال

أيها الرب، ربى ومخلصى، أمام عظمتك أركع وأسجد وأخضع، بقلبى وفكرى وروحى وبدنى وكل ما فى باطنى وظاهرى، ممجداً وشاكراً ومبتهلاً، فإن رحمتك معى أوسع من السماوات، وأرحب من الكون. ومحبتك لى غمرتنى وغطتنى وشملتنى، كلاً وجزءاً، حتى غرقت بها وفيها، فلم أعد قادراً على أن أزيح عن نفسى شعورها بالخجل، إذا حاولت أن تقيس محبتها لأبوتك بإزاء محبتك أنت أيها الحب الخالص، والخير المطلق، والحق الكامل.

سيدى وخالقى وربى، هل أستطيع أن أحصى أو أعدد أو أردد دلائل عنايتك بى، ورعايتك لى، دون أن أقهر كبشر بعجزى عن التذكر الشامل الجامع عن أن أحصى جميع أو حتى بعض احساناتك لى: لقد قال واحد من رجالك وهو يردد ويذكر حتى لا ينسى، فألفى نفسه أخيراً عاجزاً بالحقيقة، فأنشأ يخاطب نفسه قائلا: «باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى ليبارك اسمه القدوس. باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته» (مزمور ١٠٢: ١، ٢).

ها أنا يا سيدى، ويا فادى روحى وكيانى، أهتف بما هتف به أحد قديسيك وأقول مثل ما قال: «صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك» (التكوين ٣٢: ١٠).

أنا أيضاً دون أن أستحق جميع ما صنعت إلى عبدك من المراحم والوفاء. فاغفر لى ضيق نفسى الضحلة وجهلى ونسيانى وقلقى، وفتور إيمانى. لأننى لو كنت حقاً جديراً بك، وجديراً بمحبتك، لكنت دائماً منسحق القلب أمام هذه المحبة التى لا توسع وهذه الرعاية الكاملة التى لا تتقيد بوفاء الإنسان أو جحوده ... أنا يا ربى أسيرك وعبدك فاحسبنى أهلاً لحبك وحدبك حتى لو كنت ترانى ـ كما أرى نفسى ـ دون أن أستحق جميع ما صنعته بى وما لا تزال تصنعه بى من المراحم والألطاف.

* * *

لقد قلت ما قلت من ابتهال، وأنا أتأمل ما صنعت معى من خير ومن إحسان فى منحى سر المعمودية الذى به اغتسلت من خطاياى السابقة (أعمال ٢٢: ١٦) وتطهرت (العبرانيين ١٠: ٢٢) وبه ولدت ثانية ولادة من فوق، ولادة من الماء والروح (يوحنا ٣: ٣، ٥)، وبه مت عن إنسانى العتيق، ولبست الجديد، الرب من السماء «لأنكم كلكم الذين اعتمدتم فى المسيح قد لبستم المسيح» (غلاطية ٣: ٢٧) «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الإنسان الجديد، ذلك

الذى يتجدد فى المعرفة على صورة خالقه» (كولوسى ٣ : ٩ ، ١٠) . نعم، بالمعمودية قد لبست «الحلة الأولى» (لوقا ١٥ : ٢٢) وتجلببت بـ «ثوب العرس» السماوى (متى ٢٢ : ١٢)، فصار لى، بفضلك أنت يا مخلصى، حق الدخول إلى ملكوت السماوات، كابن للملكوت.. ابن لا بحق الطبيعة، وإنما بفضل التبنى (رومية ٨ : ١٥)، (أفسس ١ : ٥) . هذا فضلك أنت يا سيدى، وأما أنا فيلزمنى الجهاد الروحى، وأن أظل حارساً لثيابى نظيفة غير مدنسة، وأن أبقى أميناً إلى الممات حتى أنال أكليل الحياة الأبدية (الرؤيا ٢ : ١٠) .

* * *

ولم تكتف يا سيدى بهذا، إذ أنت تعلم ضعفى كإنسان وتعرف عدم قدرتى على الثبات طويلاً كبشر، فخفت على أن أفقد ما منحتنى إياه، فأسرعت ومنحتنى فيضاً جديداً من فيوضات روحك القدوس، ليسند ضعفى، لكى أثبت فى نعمتك، ولا أتزعزع، وبعد أن أبرأتنى من دينى لا أعود فأستدين من جديد. فأمرت لى بمسحة مقدسة من روحك، فضمخ كهنتك جسدى فى طفولتى بدهن مقدس، هو الميرون، لأمتلئ بروح القدس (أعمال ٩ : ١٧)، (٢ : ٤)، (٨ : ١٧)، وبه تدشنت أعضائى وتقدست، وتكرست لك ربى، وصار حراماً على أن أدنسها لأنها صارت «أعضاء المسيح» (١ . كورنثوس ٦ : ١٥)، وأصبح الجسد كله للمسيح (كولوسى ٢ : ١٧) «أما الجسد فليس للزنى، بل هو للرب. والرب للجسد» (١ . كورنثوس ٦ : ١٣) .

هذا فضلك أنت يا سيدى، وأما أنا فيلزمنى كإنسان، الجهاد الروحى «لأضرم» (٢ . تيموثيئوس ١ : ٦) بالعبادات موهبة الله التى نلتها فى هذا السر وأذكيها وأشعلها وأوقدها، «ولا أطفئ الروح»، (١ . تسالونيكى ٥ : ١٩)، ولا أخمدها. فإذا أنا أضرمت وألهبت بالعبادات موهبة الروح، أقوى ولا أضعف، أمتلئ بالروح ولا أفرغ، فيشتعل النور فى قلبى وروحى، فلا يحجبه عنى جسدى، ويزداد النور وضوحاً فى حياتى، فيضئ لى (الماضى) «فيذكرنى» بكل شئ (يوحنا ١٤ : ٢٦)، ويضئ لى (الحاضر)، «فأتعلم» به (يوحنا ١٤ : ٢٦)، علماً من السماء (١ . يوحنا ٢ : ٢٧ ، ٢٠) ويضئ لى (المستقبل) «فيخبرنى بأمور آتية» (يوحنا ١٦ : ١٣) هذا فضلاً عن توليده لمواهب الإيمان الذى بلا فحص، والرجاء الذى لا يخيب، والمحبة التى بغير حدود، ثم مواهب أخرى كثيرة هى مواهب الروح (رومية ١٢ : ٦)، (١ . كورنثوس ١٢ : ٤ ، ٢٨)، (العبرانيين ٢ : ٤) .

* * *

لكنك يا مخلصى، أيها الحب الخالص، أردت بى شيئاً آخر، فضلاً زائداً عن كل ما صنعت معى. أردتنى أن أثبت فيك ثبات الغصن فى الكرمة (يوحنا ١٥: ١، ٢، ٤، ٥، ٦)، خفت علىّ من الجوع والعطش، فكفلت لى غذاء دائماً لا ينضب. وليس هذا الغذاء الروحانى إلا منك أنت: من جسدك ودمك: «فجسدك يتحد بجسدى، ودمك يصب فى عروقى»، فيضمن لى «أن أحيا ولا أموت» ... (يوحنا ٦: ٥٥ – ٥٨).

يا لعظمة حبك يا رب! من من الناس، ملكاً كان أو أباً أو راعياً يغذى عبيده أو أبناءه أو رعيته من جسده ودمه!. لقد كان السادة من الرومان قديماً يغذون السمك الذى يقيمونه فى بيوتهم من لحوم عبيدهم: يذبحون العبيد: ويقطعون لحومهم، ويقدمون للسمك وجبات من لحوم العبيد.. أما أنت يا سيدى، فمن جسدك تطعمنى ومن دمك تسقينى، فأى حب أعظم من هذا؟ وأى ضمان لدوام شبعى وارتوائى أكبر من هذا الضمان الكفيل بأن يجعلنى لن أجوع، ولن أعطش أبداً ما دمت آخذ من خبز الحياة (يوحنا ٦: ٣٥، ٥١)؟!

يتحدثون عن «نقل الدم» إلى من يحترق دمهم بفعل سرطان الدم أو بغير ذلك من أمراض، وها أنت يا سيدى تقدم لى دمك تعويضاً عما احترق فىّ من طاقة روحية بسبب حروب الجسد، أو حروب الناس، أو حروب الشياطين. وها إنك فى سر القربان المقدس، سر التناول والشركة، هو «سر الأسرار» «دمك يصب فى شراييني، وجسدك يتحد بجسدى»، وأنت كلك تشرفنى وتباركنى، «تدخل تحت سقف بيتى» (متى ٨: ٨)، (لوقا ٧: ٦)لا.. فبماذا أرد لك من أجل كل حسناتك لى». (مزمور ١١٥: ١٢)؟!...

هل لى أن أستحق هذا الشرف؟ وهل لى أن أتصور مقدار خطيئتى إذا استقبلتك فى بيتى بغير ما أنت جدير به من حب خالص نقى، وروح طاهر، وفكر طاهر، وجسد طاهر؟ لقد قال أحد قديسيك (الأنبا فريج - رويس): إن من يتقدم إلى سر المائدة الروحانية ينبغى أن يكون أولاً فى طهارة مريم العذراء عندما حل الله الكلمة فى أحشائها.

* * *

وإذ أنك تعلم بضعفى أمام الحروب غير المنظورة فضلاً عن المنظورة مما أحتاج معه إلى تصحيح المسار إذا أخطأت وانحرفت عن جادة الصواب وتغافلت عن وصاياك، فقد أعددت لى «سر التوبة» الذى يرد إلىّ «بهجة خلاصك» (مزمور ٥٠: ١٢)، وبدموع التوبة يغتسل ثوبى، لا

باستحقاق ندامتى ولا بإصرار عزيمتى، وإنما باستحقاقاتك أنت يا مخلصى، يعود إلىّ ثوبى، فأسترده أبيض ناصعاً كما لم يمسسه قذر خطاياى.. إنه بعينه «الحلة الأولى»، وهو بعينه «ثوب العرس» لم يتغير، وهذا فضل نعمتك أيها الفادى.

* * *

فإذا مرضت، مرضاً روحياً وجسدياً، فلا تنسانى، ولا تتركنى لنتائج خطاياى، وتجاوزاتى للقوانين الإلهية، فأحصد فى جسدى (١ . كورنثوس ٦ : ١٨) ما زرعته بيدى (غلاطية ٦ : ٨) من تعديات وتحديات وإهمال وكسر لنواميس الحياة والصحة... رتبت لى سراً آخر هو «سر مسحة المرضى» يمسح به جسدى بعد أن أتوب معترفاً بخطاياى. فلهذا السر فعالياته القوية لأنه فيه تنحدر نعمة الروح القدس فتنسكب على الزيت المقدس «لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة» (١ . تيموثيئوس ٤ : ٥) فيتم به الشفاء من الأمراض الجسدية المتسببة عن العلل الروحية والخطيئة.

إذن أنت يا سيدى، ويا ربى، مع أنك «روح» (يوحنا ٤ : ٢٤) لكنك ترعانى روحاً وجسداً.. ليس إذن جسدى شيئاً تافهاً، لكنه ذو قيمة فى ذاته لأنه خليقتك، وبه وفيه اشترك أنا مع سائر الكائنات الجسدانية من الحيوانات العجماوات والحشرات والنباتات، وسائر الجمادات والموجودات المادية وكل الكون بما فيه من نجوم وكواكب وأقمار.

هذا الجسد منك لأنك أنت الذى خلقته وجبلته من تراب الأرض (التكوين ٢ : ٧)، وتراب الأرض هو أصلاً من السماء .. كان من النور ثم احترق، ونزل إلى الأرض.. ثم نزلت أنت من السماء (يوحنا ٦ : ٣٣، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١)، واتخذت منه جسداً (١ . يوحنا ٤ : ٢)، (٢ . يوحنا ٧) اتحد بلاهوتك، فصار هذا الجسد شريكاً للطبيعة الإلهية (٢ . بطرس ١ : ٤)، إذ «قد حل فيه كل ملء اللاهوت» (كولوسى ٢ : ٩) ولم يفارق لاهوتك لحظة واحدة ولا طرفة عين، حتى عندما دفن فى القبر (أعمال ٢ : ٢٧، ٣١) ولم يلبث أن قام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وبه ظهرت بعد قيامتك المجيدة مدة أربعين يوماً، ثم صعدت به إلى السماء، وجلست به على العرش.. فتمجد بك وفيك جسدى هذا الذى من التراب، واكتسب باتحاد اللاهوت به مجداً وشرفاً حتى جلست به فى السماء وجاءت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعت (١ . بطرس ٣ : ٢٢)، (أفسس ١ : ٢٢) وسجدت أمامك.. هذا الجسد الذى به صار الإنسان أقل من الملائكة (مزمور ٨ : ٥) تمجد إذ اتحد بلاهوتك، وأصعدته إلى السماء، وأجلسته على العرش السماوى، فصرنا نحن فيك جالسين الآن على العرش. (أفسس ٢ : ٦).

من هنا صار لجسدنا كرامة مضاعفة لأنه صار جسدك واتحد بلاهوتك فتكرم، وتقدس، وصرنا به «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ . بطرس ١ : ٤) .

فإذا مرض، تحزن معى لمرضه، وإذا تألم وتضايق، تتضايق معى فيه (إشعياء ٦٣ : ٩) ، ولا ترضى به مريضاً، بل تريد له الشفاء، ومن أجله رتبت هذا السر من بين أسرار الكنيسة «سر مسحة المرضى» .

فشكراً لك يا إلهى، شكراً بغير حدود، فأنت المعتنى بأرواحنا وأنفسنا وأجسادنا، وأنت تريد أن نكون مقدسين تقديساً كاملاً، وأن تكون «أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا سالمة بغير لوم عند مجئ ربنا يسوع المسيح» (١ . تسالونيكى ٥ : ٢٣) .

لك المجد والسجود دائماً أبدياً أمين .

القيم الروحية
فى سر مسحة المرضى

موضوعات وإجابات على أسئلة

موضوعات وإجابات على أسئلة

١ ـ ليس بالطب البشرى وحده يشفى المريض
الدين والطب يتعاونان ولا يتعارضان

سؤال: من السيد ـ نبيل لبيب سعيد.

يقول ما هى نظرة المسيحية للطب والأطباء؟ وهل للمريض أن يصلى طالباً الشفاء من رب المجد بدلاً من أن يذهب إلى الطبيب؟

الجواب:

١ ـ **الطب علم وفن وروح.** ومن حيث هو علم، **هو علم من علوم الطبيعة. هدفه رد الإنسان إلى حالته الطبيعية السليمة** التى خلقه الله عليها. ومن هنا كان معنى اسم **(الطبيب) هو الإنسان المختص أو الأخصائى فى طبيعة الإنسان** Physician.

٢ ـ **والطب طب للروح والنفس والبدن.** فليس من الطبيعى أن نفصل بين مكونات الإنسان. إن الإنسان كلٌ واحد: روح ونفس وبدن.

والطب علاج للمرض وللمريض.

والمرض مرض للروح والنفس والبدن. والمرض عادة يصيب الروح والنفس قبل أن يصيب البدن.

والعلاج الحقيقى علاج للإنسان ككل، علاج للروح والنفس والبدن.

ومن هنا كان العلاج الطبيعى والناجح للإنسان المريض هو **شفاؤه روحياً ونفسياً وبدنياً.**

ولما كانت الروح أقوى من البدن، وأهم منه.

كان الشفاء للمريض هو **شفاء للروح قبل أن يكون شفاء للبدن، فإذا شفى المريض روحياً، صار من السهل شفاء البدن، بتأثير الروح على البدن.**

لذلك كان من المتعذر شفاء البدن إذا لم تشف الروح والنفس أولاً. ولذلك يطول الأمر بوسائل العلاج للبدن ما لم يبدأ الإنسان بعلاج الروح والنفس أولاً.

يقول الفيلسوف أفلاطون: إن أكبر أخطاء الأطباء أنهم يحاولون علاج الجسد دون العقل (أو النفس)، فى حين أن العقل (أو النفس) والجسد وجهان لشئ واحد. فلا ينبغى أن يعالج أحد الوجهين على حدة أو يفصل بين النفس والبدن.

فكم من مريض يعالجه الأطباء سنوات طويلة ويستخدمون كل وسائط العلاج، ومختلف أنواع الأدوية ولا يتقدم نحو الصحة خطوة واحدة، لأن روحه ونفسه لم تشف أولاً. بينما تفلح أبسط الوسائل عند مريض آخر، مرتفعة روحه المعنوية، لأنه قد بدأ بعلاج الروح والنفس أولاً.

٣ ـ وليس معنى هذا أن جميع أمراض الإنسان روحية أو متسببة عن علل روحية. فهناك بلاشك **أمراض بدنية بحتة** كتلك الأمراض الناجمة عن الإصابات والحوادث، ومنها الكسور لعضو أو أكثر، ثم الأمراض العضوية البحتة الناجمة عن استهلاك القوى الطبيعية والإجهاد البدنى والعصبى.

على أن العامل الروحى والنفسى له أثره فى سرعة العلاج أو تعطيله.

وقد يكفى بالنسبة للأمراض العضوية البحتة، أو تلك الناجمة عن استهلاك القوى الطبيعية والإجهاد البدنى والعصبى ـ مجرد الراحة والتوقف عن بذل الجهد، والاسترخاء، والنوم، وتوافر الهواء النقى، والسكون، والمناظر الطبيعية من خضرة وماء وجبال وأنهار وبحيرات ـ إن مجرد الراحة والاسترخاء والسكون والنوم تعمل على استرداد البدن صحته، أحياناً من دون دواء، طبقاً للمبدأ القائل عن البدن «**ما أعجبها آله ترمم نفسها بنفسها**».

٤ ـ أما إذا كان المرض البدنى متسبباً عن علل روحية، وهى الخطيئة فى أية صورة من صورها الظاهرة أو الخفية، أو علل نفسية وأخصها الخوف والقلق، فلا علاج للبدن قبل أن تشفى الروح والنفس أولاً.

لهذا رأينا المسيح له المجد قال للمفلوج المدلى من السقف «يا بنى مغفورة لك خطاياك» قبل أن يقول له «لك أقول قم، احمل فراشك واذهب إلى بيتك» لأنه يعلم أن علة مرضه كانت الخطيئة. ولما رآه، بواسع علمه الإلهى، نادماً وتائباً توبة صادقة، قَبِل منه توبته وغفر له

خطاياه بما له من سلطان إلهي على أن يغفر الخطايا، ثم شفاه بعد ذلك من مرض جسده (مرقس ٢ : ١ – ١٢)، (متى ٩ : ١ – ٨)، (لوقا ٥ : ١٨ – ٢٦).

ولهذا أسس المسيح له المجد سر مسحة المرضى، وأعطى لتلاميذه ورسله وللكهنة السلطان أن يشفوا المرضى، وقد باشر التلاميذ ذلك في وجود سيدهم ومعلمهم «ودهنوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم» (مرقس ٦ : ١٣)، وقد صار هذا السر، سر مسحة المرضى، من بين أسرار الكنيسة السبعة «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تخلص المريض، والرب ينهضه، وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له» (يعقوب ٥ : ١٤، ١٥).

هذا عن الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية مما يدخل في اختصاص سر مسحة المرضى.

٥ ـ لكن هناك أمراض جسدية بحتة أو متسببة عن استهلاك طبيعي للطاقة البدنية من فرط الإجهاد الجسمي والبدني والذهني والعصبي. فلهذا النوع من الأمراض ينبغي استشارة الطبيب البشرى للعلاج، والطبيب البشرى يحاول بخبرته الطويلة في هذا النوع من الأمراض وخبرة الأجيال المتجمعة في الدراسات الطبية والمراجع العلمية التي درسها الطبيب، أن يرد الجسم إلى طبيعته، فيأمر المريض أولاً بالراحة والتوقف عن العمل، والاسترخاء والنوم، وأن يأخذ نصيبه من الغذاء المناسب له، وأن يحيطه بالرعاية وأسباب الهدوء والنظافة ـ وأن يقدم لجسده ما ينقصه من الفيتامينات والأملاح المعدنية التي تلزمه.

يقول الكتاب المقدس «المرض الشديد يذهبه النوم» (يشوع ابن سيراخ ٣١ : ٢) ويقول «السهاد والهيضة والمغص للرجل الشره. رقاد الصحة لقنوع الجوف. يقوم باكراً وهو مالك نفسه» (سيراخ ٣١ : ٢٣، ٢٤) «لا تشره إلى كل لذة، ولا تنصب على الأطعمة. فإن كثرة الأكل تهيض الآكل، والشره يبلغ إلى المغص. كثيرون هلكوا من الشره. أما القنوع فيزداد حياة» (سيراخ ٣٧ : ٣٢ – ٣٤) «رأس ما تحتاج إليه حياة الإنسان: الماء والنار والحديد والملح وسميذ الحنطة والعسل واللبن ودم العنب والزيت...» (سيراخ ٣٩ : ٣١).

٦ - على أن الطبيب النطاسى هو من يعامل مريضه معاملة إنسانية خاصة قبل أن يصف له العلاج، فيبتسم فى وجهه، ويحنو عليه، ويهتم به، ويصغى إلى شكواه فى اهتمام، ويعطيه من وقته وهدوئه ما يجعل المريض ينطلق فى حديثه معه على سجيته، يشكو إليه متاعبه، والطبيب ينصت إليه بغير تبرم، ويسأله، والطبيب يجيبه.

إن الطبيب الذى يدخل على مريضه بهذا الأسلوب وبهذه الروح ينفعه أكثر مما يفيده بالدواء مهما كان هذا الدواء. وكم من مرضى اختفى مرضهم كله أو أكثره بزيارة الطبيب الإنسان قبل أن يستخدموا الدواء الذى وصفه لهم. وهذا بينة على أثر العوامل الروحية والنفسية فى صحة الجسم والبدن، لأن الإنسان روح ونفس قبل أن يكون بدناً، أو قل هو روح ونفس تسكن فى بدن.

٧ - من ثم فلا تعارض بتاتاً بين الدين والطب، ولا تعارض بين علاج الروح والنفس وعلاج البدن. إنهما يسيران معاً فى خط واحد.

فليس خطأ أن يلجأ الإنسان إلى الطبيب البشرى ويستشيره فى علاج مرضه، وينتفع بعلمه وخبرته، وخبرة الأجيال كلها متجمعة فى علم الطبيب وخبرته.

ولكنه من منطلق الإدراك لقيمة العوامل الروحية والنفسية وأثرها فى صحة البدن، ينبغى للمريض أن يتجه أولاً إلى علاج روحه وإلى شفاء نفسه، بالصلاة، وممارسة التوبة والاعتراف ووسائط الخلاص المرتبة فى الكنيسة لمنفعة الإنسان روحاً ونفساً وبدناً - وبعد ذلك يلجأ إلى الطبيب البشرى لينتفع بخبرته وعلمه ونصائحه.

٨ - وقد جاء فى الكتاب المقدس ما يفيد بمدح عمل الطبيب، وما يشجع المريض على الذهاب إلى الطبيب.

يقول المسيح له المجد «**لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى**» (متى ٩ : ١٢)، (مرقس ٢ : ١٧)، (لوقا ٥ : ٣١).

وقديماً قال الرب على فم النبى إرميا «أليس بلسان فى جلعاد أم ليس هناك طبيب، فلماذا لم تعصب بنت شعبى» (إرميا ٨ : ٢٢).

وقد اختار المسيح له المجد أحد رسله السبعين طبيباً، وهو لوقا الطبيب، وكان يمارس الطب فى أنطاكية سورية، على ما يقول يوسابيوس القيصرى (١)، والقديس إيرونيموس أو جيروم (٢). وقيل عنه إنه قبل تلمذته للمسيح كان تلميذاً لأكبر علماء الطب فى زمانه ومن المعروف أنه لم يكن يسمح لأحد أن يمارس مهنة الطب فى عهد الرومان قبل أن يجتاز امتحانات على جانب كبير من الصعوبة والدقة. وقيل في سبب اهتدائه إلى المسيح إنه سمع بأنباء ظهوره فى بلاد فلسطين، وبأنه يشفى جميع الأمراض بغير دواء أو عقار، فظن فى مبدأ الأمر أن ذلك وهم وخداع، فقصد إلى حيث المسيح ليتحقق الخبر بنفسه، فرأى المسيح وآمن به، وتتلمذ عليه، وبعد أن صار رسولاً وتلميذاً للمسيح ورفيقاً للقديس بولس الرسول فى خدمته وأسفاره، لم يحرمه الرسول بولس من لقبه كطبيب، فقد ذكره صراحة فى رسالته إلى أهل كولوسى بأنه «**لوقا الطبيب الحبيب**» (٤: ١٤)، بل إننا نرى أنه لابد أن يكون القديس لوقا الطبيب وراء النصائح الطبية التى أوردها الرسول بولس فى بعض رسائله، ومنها قوله إلى القديس تيموثيئوس الرسول: «لا تكن فيما بعد شراب ماء، بل اشرب قليلاً من الخمر، من أجل معدتك وأمراضك الكثيرة» (١ . تيموثيئوس ٥: ٢٣)، وقوله «فإن الرياضة البدنية فيها بعض النفع» (١ . تيموثيئوس ٤: ٨).

وورد فى الكتاب المقدس عن يعقوب أبى الأسباط أنه بعد أن توفى حنطه الأطباء: «وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه. فحنط الأطباء إسرائيل. وكمل له أربعون يوماً، لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين» (التكوين ٥٠: ٢، ٣).

٩ ـ وهكذا ترى أنه لا تعارض بين الطب والدين. والإنسان التقى يصلى لله ثم يستدعى الطبيب.

جاء فى الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن سيراخ: «**أعط الطبيب كرامته لأجل فوائده**، فإن الرب خلقه. **لأن الطب آت من عند العلى**.. علم الطبيب يعلى رأسه.. **الرب خلق الأدوية من الأرض، والرجل الفطن لا يكرهها ... إن العلى ألهم الناس العلم**

---

(١) يوسابيوس القيصرى فى كتابه «تاريخ الكنيسة»، الجزء الثالث فصل ٤، ٦.

(٢) مجموعة منىMigne للآباء اللاتين المجلد ٢٦ عمود ١٨.

لكى يمجد فى عجائبه. بتلك يشفى ويزيل الأوجاع، ومنها يصنع العطار أمزجة، وصنعته لا نهاية لها. فيحل السلام من الرب على وجه الأرض. يا بنى إذا مرضت فلا تتهاون بل صل إلى الرب فهو يشفيك. أقلع عن ذنوبك، وقوم أعمالك، ونق قلبك من كل خطيئة، قرب رائحة مرضية وتذكار السميذ واستسمن التقدمة كأنك لست بكائن. ثم اجعل موضعاً للطبيب فإن الرب خلقه، ولا يفارقك، فإنك تحتاج إليه. إن للأطباء وقتاً فيه النجح على أيديهم. لأنهم يتضرعون إلى الرب أن ينجح عنايتهم بالراحة والشفاء لاسترجاع العافية. من خطئ أمام صانعه فليقع فى يدى الطبيب» (يشوع بن سيراخ ٣٨: ١ – ١٥).

١٠ - ثم إن الطبيب التقى يصلى لله قبل أن يمارس عمله كطبيب، يلتمس من الله الفهم والإرشاد حتى لا يخطئ فى تشخيص المرض، وحتى يلهمه الله الرشاد فى وصف العلاج ثم لكى يصحب الله بنعمته وسائط العلاج فيباركها الرب، فتؤتى ثمرها بالنجاح والتوفيق والشفاء. لأنه إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناءون، وإن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس» (مزمور ١٢٦: ١).

يقول الكتاب المقدس: «إن للأطباء وقتاً فيه النجح على أيديهم، لأنهم يتضرعون إلى الرب أن ينجح عنايتهم بالراحة والشفاء لاسترجاع العافية» (سيراخ ٣٨: ١٤).

١١ - وملاك القول أنه لا المريض يرتكب خطأ أو خطيئة باستشارة الطبيب، ولا الطبيب بممارسته عمله وخبرته يرتكب خطأ يتعارض مع الإيمان بالله وقدرته.

أما المريض، فإذا صلى لله أولاً ومارس التوبة ووسائط الخلاص الروحية لشفاء الروح والنفس، ثم لجأ بعد ذلك إلى الطبيب البشرى، لم يرتكب بلجوئه إلى الطبيب خطأ يتعارض مع إيمانه بالله، لأن الطبيب ليس هو الذى يشفى المريض، إنما هو الله الطبيب الشافى الحقيقى، لكن الطبيب البشرى يعرف بعلمه وخبرته وخبرة الأجيال ما لا يعرفه المريض من وسائط طبيعية يسترد بها الجسم نشاطه ويجدد حيويته، ويحصل على ما كان ينقصه، ويعود إليه ما يعوض به ما استهلكه البدن من قوته بالإجهاد البدنى أو العصبى أو بحرمانه من الغذاء المناسب المتكافئ الذى يلزم لقيام الجسد بعمله فى صحة كاملة.

جاء في الكتاب المقدس عن حزقيا الملك وقد كان ملكاً تقياً، وكان من خير الملوك تديناً، واستقامة قلب أمام الله:

«في تلك الأيام مرض حزقيا للموت. فجاء إليه إشعياء ابن آموص النبي، وقال له: هكذا يقول الرب: أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش. فوجه حزقيا وجهه إلى الحائط، وصلى إلى الرب، وقال: آه يا رب، اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم، وفعلت الحسن في عينيك. وبكى حزقيا بكاء عظيماً.

«ولم يخرج إشعياء إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلاً: ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي، هكذا قال الرب إله داود أبيك. قد سمعت صلاتك، قد رأيت دموعك. ها أنذا أشفيك. في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب. وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة...» (٢. الملوك ٢٠: ١ – ٦)، (إشعياء ٣٨: ١ – ٢٠).

ومع أن الرب قبل صلاة حزقيا الملك، واستجاب لدموعه، ووعده بأن يشفيه وأن يضيف إلى أيامه خمس عشرة سنة ـ لكنه أمر له **بعلاج طبيعي للقرحة التي كان يعاني منها** والتي بسببها تعرضت حياته للموت. قال الكتاب المقدس «وكان إشعياء قد قال: **ليأخذوا قرص تين ويضمدوه على الدبل فيبرأ. فأخذوها ووضعوها على الدبل فبرئ**» (إشعياء ٣٨: ٢١)، (٢. الملوك ٢٠: ٧)، (٢. أخبار الأيام ٣٢: ٢٤).

١٢ ـ **بيد أنه يخطئ المريض إذا لجأ إلى الطبيب البشري قبل أن يلجأ إلى الله**، كما فعل حزقيا الملك بالصلاة. **ويخطئ المريض إذا جعل اعتماده على الطب والأطباء**، جاحداً بقلبه الله وقدرته، ظاناً أن شفاءه بيد الطبيب كما لو كان الطبيب البشري ذا قدرة على الخلق والشفاء.

في هذا الخطأ الجسيم وقع الملك آسا من ملوك يهوذا، ومع أنه كان صالحاً ومستقيماً، لكن لقد غضب الرب عليه لحماقته وتعديه أوامر الرب ووصاياه عن طريق نبيه حناني الرائي، فمرض، **وفي مرضه طلب الأطباء ولم يطلب الرب**، فلم ينفعه الأطباء شيئاً فمات مغضوباً عليه من الله والناس. قال الكتاب المقدس «ومرض آسا في السنة التاسعة والثلاثين من ملكه في رجليه، حتى اشتد مرضه. **وفي مرضه أيضاً لم يطلب الرب بل الأطباء**. ثم اضطجع آسا مع آبائه ومات» (٢. أخبار الأيام ١٦: ١٢، ١٣)، (١. الملوك ١٥: ٢٣، ٢٤).

كذلك المرأة المصابة بنزف دم منذ اثنى عشر عاماً، قبل أن تأتى إلى الرب يسوع وتلمس طرف ردائه «قد عانت كثيراً من أطباء كثيرين، فلم يستطع أحد شفاءها، وأنفقت كل ما تملك على الأطباء، فلم تجد أى فائدة، وإنما بالأحرى ازداد حالها سوءاً» (مرقس ٥: ٢٥، ٢٦)، (لوقا ٨: ٤٣).

كذلك الطبيب يخطئ إن ظن فى نفسه أنه ذو العلم العليم، متكلاً على معرفته، مستنداً بقلبه إلى طرائق الطب المادية، والعقاقير والوصفات الطبية، مغروراً بأبحاثه وعلمه وخبرته، صادفاً بقلبه عن الله.

ألا ليت المريض والطبيب، كل منهما، يعلم، أنه **ليس بالطب البشرى وحده يشفى المريض، وأن شفاء الروح والنفس هو الفاعل فى شفاء البدن.**

٢ - سر مسحة المرضى ينبغى أن يمارس كاملاً

سؤال: من الأب المحترم القس متى وديع سامى - الكاهن بسفلاق - ساقلته - أخميم.

يقول: إن صلوات سر مسحة المرضى، (القنديل) كما هى مدونة فى كتاب طقس القنديل سبع صلوات. ولما كان الكاهن يدعى لإقامة هذا السر فى عدة منازل، فهل يجوز نظراً لضيق وقت الكاهن واستجابة لرغبة الكثيرين، أن يكتفى الكاهن بالصلاة الأولى والأخيرة؟

الجواب:

لكى نجيب على هذا السؤال يجب أن تكون هناك توعية لشعبنا بما يأتى:

أولاً: إن سر مسحة المرضى سر أسسه المسيح له المجد لشفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية، فقد أمر تلاميذه القديسين أن يشفوا المرضى (متى ١٠ : ٨)، (لوقا ١٠ : ٩)، (مرقس ٣ : ١٥)، (لوقا ٩ : ١) وحدث فعلاً أن تلاميذ المسيح ورسله «مسحوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم» (مرقس ٦ : ١٣).

وعلى ذلك فلا ينبغى أن يباشر هذا السر إلا إذا كان هناك مرض حقيقى. إن لكل سر من أسرار الكنيسة السبعة اختصاصاً وعملاً يتميز به، ووظيفة تختلف عن وظيفة غيره. وإلا فلماذا كان لهذا السر اسم خاص به؟

فسر مسحة المرضى هو السر الخاص **بشفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية.** فإذا لم يكن هناك مرض جسدى، فلماذا يطلبون مباشرة هذا السر؟

إن كثيرين من شعبنا يدعون الكاهن لا سيما فى موسم الصوم الكبير لإقامة سر مسحة المرضى، لا لأن هناك مريضاً بالفعل، بل من أجل أن ينال بركة الصلاة فى بيته.. لكن يجب أن يعرف شعبنا أن **لتبريك المنازل صلاة خاصة،** وهى غير صلوات مسحة المرضى. أما صلوات مسحة المرضى فينبغى أن تباشر عندما يكون هناك مرض حقيقى.

قال الكتاب المقدس «هل فيكم مريض، فليدع كهنة الكنيسة وليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب» (يعقوب ٥ : ١٤).

ثانياً: طالما أن مسحة المرضى سر لشفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية، فقد ترتب عليه أنه إذا كان هناك مرض روحى، فالسر المختص بالشفاء من الأمراض الروحية هو سر التوبة والاعتراف، ويتبعه سر التناول من الأسرار المقدسة.

وإذا كان هناك مرض جسدى بحت فلا يدخل هذا النوع من الأمراض الجسدية البحتة فى اختصاص سر مسحة المرضى. فمن أصيب فى حادث فانكسر ذراعه أو قدمه، فعلاجه عند الطبيب المختص بجبر الكسور. ومن دخلت فى عينه حصاة، فليذهب إلى الطبيب الأخصائى لإخراج الحصاة من عينه، وهكذا قل عن كل مرض عضوى أو جسدى بحت.

ومع ذلك فلا غنى لإنسان عن الصلاة، ولا غنى لمريض بمرض جسدانى عن الصلاة. لكن الصلاة هنا هى غير صلوات مسحة المرضى التى هى سر خاص له وظيفة خاصة واختصاص ينفرد به وهو الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية، ومنها مثلاً أكثر أنواع الحميات. ولعل من بين الأمراض المذكورة فى الإنجيل مرض الفالج أو الشلل الذى كان مصاباً به المفلوج المدلى من السقف (مرقس ٢ : ١ – ١٢) والمفلوج الآخر الذى كان مطروحاً على بركة بيت حسدا (يوحنا ٥ : ١ – ٩) فإن هذا المرض فى هذين الرجلين كان متسبباً عن الخطيئة، بدليل أن المسيح له المجد قال لمفلوج بركة بيت حسدا «ها أنت قد برئت، **فلا تعد إلى الخطيئة** لئلا يصيبك ما هو أسوأ» (يوحنا ٥ : ١٤). وقال للمفلوج المدلى من السقف «اطمئن يا بنى **مغفورة لك خطاياك**» (متى ٩ : ٢)، (لوقا ٥ : ٢٠)، (مرقس ٢ : ٥). قبل أن يقول له «لك أقول قم، احمل فراشك واذهب إلى بيتك» (متى ٩ : ٦)، (مرقس ٢ : ١١)، (لوقا ٥ : ٢٤).

وعلى ذلك فإذا تبين لشعبنا **أولاً أن سر مسحة المرضى ينبغى أن يباشر أولاً لمريض بمرض حقيقى، وثانياً أن يكون المرض مرضاً جسدياً متسبباً عن علل روحية ونفسية**، فإن الكاهن:

١ ـ سوف لا يستدعونه ليباشر مسحة المرضى بهدف تبريك البيت أو أهله، **وإنما لأن فى البيت مريضاً معاقا بالفعل وملازماً الفراش ولا يستطيع أن يذهب إلى الكنيسة.**

٢ ـ وسوف لا يستدعون الكاهن ليباشر مسحة المرضى لمريض بكسر فى ذراعه أو قدمه أو ظهره أو عينه أو أذنه وما إليها من أمراض عضوية وجسدية بحتة.

٣ ـ وسوف لا يستدعون الكاهن لإجراء مسحة المرضى فى البيت لإنسان متعب نفسياً أو روحياً من غير مرض جسدانى، إذ أن هذا يدخل فى اختصاص آخر وهو سر التوبة والاعتراف.

بناء عليه إذا اقتصرت مباشرة سر مسحة المرضى على مرض جسدانى حقيقى تسبب عن علة روحية ونفسية، ويسببه لازم المريض الفراش فى بيته لا يستطيع أن يغادره، ففى هذه الحالة يجب على الكاهن أن يباشر طقوس السر وصلواته السبعة كاملة، ولا يجوز له أن يجتزئ منها أو يقتطع البعض دون البعض الآخر، فإن هناك ضرورة ملحة فى عدم إهمال شئ من الصلوات حتى تؤدى ثمارها ونتائجها المرجوة كاملة. ولا ننسى أن الرقم ٧ هو من أعداد الكمال. فكمال صلوات مسحة المرضى، وكمال فعالياتها، يقتضى أن تباشر الصلوات السبعة جميعاً، ولا يهمل منها شئ، لأنه ليس عبثاً رتبت الصلوات سبعة فى مسحة المرضى، على قول الوحى الإلهى **«سباعيات سهام كلمتك»** (حبقوق ٣ : ٩) وقال المسيح له المجد فى وجوب اللجاجة فى الصلاة «ينبغى أن يصلوا كل حين ولا يفتروا» (لوقا ١٨ : ١)، (١١ : ٥)، (٢١ : ٣٦)، ويقول الرسول القديس بولس «مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة» (أفسس ٦ : ١٨)، (رومية ١٢ :١٢)، (كولوسى ٤ : ٢)، (١ . تسالونيكى ٥ : ١٧).

٣ ـ هل يلزم أن يكون المريض والكاهن صائمان قبل ممارسة سر مسحة المرضى؟ وهل تقال الصلوات السبع جميعاً؟

سؤال: من أحد الكهنة يسأل عن سر مسحة المرضى ويثير مسألتين، الأولى: هل يلزم أن يكون الكاهن صائماً قبل إجراء سر القنديل؟ وما هو القول بالنسبة للمريض نفسه، هل يلزم أن يكون هو الآخر صائماً عند إتمام السر؟

والثانية: هل يلزم أن تقال الصلوات السبع جميعاً، أم يمكن أن يكتفى بصلاة واحدة كما يفعل البعض؟

الجواب:

لمباشرة كل سر من الأسرار السبعة يلزم أن يكون الكاهن صائماً، وكذلك المؤمن الذى يقبل السر المقدس. والصوم هنا امتناع عن الطعام فترة لبضع ساعات، خصها القانون الكنسى فيما يتصل بمباشرة سر القربان المقدس بتسع ساعات، وعند المرض بست ساعات. والغرض منه إعداد الجسد فى حالة من الجوع تتناسب مع جوع النفس للبر، تطبيقاً لقول المسيح له المجد «سعداء هم الجياع والعطاش إلى البر، فإنهم سيشبعون» (متى ٥ : ٦) إذ لا يليق بالمؤمن أن يتقدم إلى سر من الأسرار المقدسة وهو فى حالة شبع من الطعام، لا توافق الأشواق الروحية والجسدية التى ينبغى أن تتوافر فى قابل السر.

لذلك ينبغى أن يراعى الكاهن عند إجراء سر مسحة المرضى أن يكون ممتنعاً عن الطعام لفترة بضع ساعات. ومن المعروف أن الوقت الأكثر مناسبة لإجراء هذا السر هو الصباح الباكر.

ومن جهة المريض، يراعى من حيث المبدأ أن يكون ممتنعاً عن الطعام فترة ست ساعات. ويمكن تخفيضها عن ذلك للضرورة، بحل من الكاهن.

أما عن المسألة الثانية، فمن المقرر أن يصلى الكهنة جميع الصلوات السبع المنصوص عليها فى كتاب طقس القنديل. والعدد ٧ من أعداد الكمال، بل لعله أهم وأبرز أعداد الكمال جميعاً، وهذا واضح فى أسفار الكتاب المقدس جميعاً، وواضح أيضاً فى نظام الطبيعة جميعاً. وليس يليق بنا أن نخطأ بتجاوزنا عن حكمة الترتيب الإلهى فى هذا السر، كما نصّت عليه كتب الكنيسة.

ولعل الإهمال الحاضر فى مباشرة الصلوات السبع جميعاً، عند بعض الناس، مردّه إلى خطئين أساسيين:

الخطأ الأول: هو خلط عدد من الناس اليوم بين سر مسحة المرضى، وبين صلوات تبريك البيوت والمنازل.

إن سر مسحة المرضى أسسه الرب يسوع المسيح لشفاء الناس من أمراضهم. أما تبريك البيوت فله صلوات أخرى. لكن كثيرون من بين شعبنا صاروا يدعون الكهنة ليباشروا فى بيوتهم سر مسحة المرضى لا لأنهم مرضى بالفعل، بل لأنهم يريدون من الكهنة أن يباركوا بيوتهم وأعضاء أسراتهم. وهذا خلط واضح يقع فيه كثيرون. والمفروض أن الكهنة لا ينساقون وراء رغبات الناس، بل يجب أن يقوموا بتوعية كافية للناس، حتى لا يطلبوا إجراء سر مسحة المرضى إلا عندما يكون هناك مريض يحتاج إليه. وقد قال الكتاب المقدس «هل فيكم مريض؟، فليدع كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص المريض، والرب ينهضه. وإن كان قد فعل خطايا تغفر له» (يعقوب ٥: ١٤، ١٥). أى أن سر مسحة المرضى ترتيب إلهى لشفاء المرضى، وليس لتبريك البيوت...

ويتبع هذا الخطأ، ويتفرع عليه، أن يكون عند بعض الناس موسم خاص لإجراء هذا السر فى بيوتهم، هو أيام الصوم الكبير، وخصوصاً النصف الأخير منه، مما يدل على أن هذا الطقس صار فى نظر البعض فرصة بركة يطلبها الناس لنفوسهم مرة فى العام، بغض النظر عما إذا كان هناك مرض يقتضى إجراء هذا السر..

وإمعاناً من هذا البعض فى تحويل هذا الطقس إلى غير مناسبة المرض، وأنه صار عندهم مجرد صلاة يقوم بها الكهنة فى بيوت المؤمنين على سبيل البركة لنفوسهم، أن بعضهم يستدعى الكاهن لمباشرة سر القنديل فى بيته فى يوم جمعة ختام الصوم، مع أنه هو اليوم الذى رتبت فيه الكنيسة إجراء مسحة المرضى فى الكنائس حتى يدهن بالزيت جميع المرضى ممن يمرضون فى فترة أسبوع الآلام إلى عيد القيامة. فمن مرض من المؤمنين فى هذا الأسبوع مسحوه بالزيت المقدس فى يوم جمعة ختام الصوم إذ قد منعت الكنيسة إجراء القنديل فى أسبوع الآلام، حتى تنصرف إلى صلوات الأسبوع الكبير، وتنقطع للتأمل فى آلام المسيح وبركات سر الفداء وعمل الخلاص. تماماً كما تقيم الكنيسة عقب قداس أحد الشعانين، تجنيزاً عاماً عن جميع الراقدين ممن يموتون فى فترة أسبوع الآلام.

والخطأ الثانى: الذى يقع فيه بعض المسيحيين هو إغفال الهدف الأساسى من مسحة المرضى، فيستدعون الكهنة لإجراء هذا السر فى بيوتهم، لأى نوع من المرض أيا كان. ويقولون

إن كان إنسان مريض. فلا يخلو أحد من أو نوع من المرض، سواء كان مريضاً بعينيه، أو بأذنيه، أو بأسنانه، أو بضعف عام وإنهاك، أو لأنه يشكو سوء الهضم أو الإمساك أو الإسهال... وما إلى ذلك من أمراض، حتى ليكاد أن يكون جميع الناس مرضى بنوع أو بآخر. وبناء على ذلك يجد هؤلاء الناس تبريراً لدعوة الكهنة لمباشرة سر مسحة المرضى فى بيوتهم، حتى لو كانوا يمارسون أعمالهم اليومية فى خارج بيوتهم، ويخرجون ويدخلون...

قلنا إن هذا خطأ آخر يقع فيه عدد من الناس، إذ يغيب عنهم الغرض الأساسى من إقامة هذا السر بين أسرار الكنيسة السبعة.

إن لكل سر من أسرار الكنيسة اختصاصاً قائماً بذاته يختلف عن الآخر.. وفى كل سر يعمل الروح القدس ويعطى لقابل السر نعمة أو هبة خاصة بهذا السر. وكما يقول الكتاب المقدس «فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد.. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه...» (١. كورنثوس ١٢: ٤ – ١١).

أما سر مسحة المرضى فقد رتبه الرب، أساساً للشفاء من الأمراض الجسدية المتسببة عن العلل الروحية والنفسية، وذلك للرابطة الطبيعية بين الروح والجسد. فإذا مرضت الروح مرض الجسد معها، لأن الروح والجسد مرتبطان معاً ارتباطاً طبيعياً، فما تنفعل به النفس ينفعل به الجسد تبعاً لذلك.

وقد أبان الرب يسوع فى كثير من المواقف، العلاقة بين مرض الروح - وهو الخطيئة - ومرض الجسد أو البدن...

فعندما شفى المفلوج الذى حمله أربعة رجال ودلوه من السقف أمامه، قال للمفلوج «اطمئن يا بنى مغفورة لك خطاياك»، قبل أن يقول له: «قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك» (متى ٩: ٢– ٦)، (مرقس ٢: ٣ – ٩)، (لوقا ٥: ١٨ – ٢٤). مما يشهد بالعلاقة الوطيدة بين مرض الروح بالخطيئة، ومرض الجسد.

كذلك عندما شفى المفلوج الآخر الذى كان مطروحاً على بركة بيت حسدا مريضاً منذ (٣٨ سنة) ثمانية وثلاثين عاماً، قال له الرب يسوع بعد أن شفاه: «ها إنك قد برئت. فلا تعد إلى الخطيئة لئلا يصيبك ما هو أسوأ» (يوحنا ٥: ١٤) مما يدل على أن الخطيئة كانت هى العلة الأساسية فى مرض الفالج الذى أصيب به ذلك الشقى.

ثم إن الكتاب المقدس ينص على هذه العلاقة بين الخطيئة والمرض، فى قوله بصدد سر مسحة المرضى: «هل فيكم مريض؟ فليدع كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تخلص المريض.. وإن كان قد فعل خطايا تغفر له. اعترفوا بعضكم لبعض بخطاياكم» (يعقوب ٥: ١٣ - ١٦). وإذن هذا النوع من المرض، الذى يباشر لشفائه سر مسحة المرضى، مرض يتصل بالخطيئة، ويقتضى الأمر أن يعترف المريض بخطاياه حتى يتم له الغفران، ثم يتم له الشفاء من مرضه الجسدى المتسبب عن مرض روحه بالخطيئة.

ولذلك أيضاً رتبت الكنيسة أن يباشر سر مسحة المرضى، بعد أن يباشر المريض عمل التوبة عن خطاياه التى سببت له المرض، ويعترف بخطاياه، فينال الحل عنها، كقول المسيح له المجد «مغفورة لك خطاياك» قبل أن يباشر له سر مسحة المرضى. تماماً كما غفر المسيح للمفلوج خطاياه، قبل أن يقول له: «قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك»...

ولقد نص كتاب (القنديل) الذى رتبته الكنيسة، على وجوب توبة المريض واعترافه بخطاياه، قبل إجراء سر مسحة المرضى والقنديل له.

وإذن عمل هذا السر هو بالنسبة للأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية. أما الأمراض الجسدية البحتة فلها علاج آخر.. على أن المريض فى حاجة دائماً إلى الصلاة، ولن يكون فى غنى عنها. ولكن الصلاة المطلوبة ليست دائماً هى ممارسة سر مسحة المرضى.

فمثلاً من أصيب فى حادث فانكسر ذراعه أو رجله أو بعض عظامه فليس لمثل هذا النوع من الأمراض رتب الروح القدس سر مسحة المرضى فى الكنيسة. وعلى المريض فى هذه الحالة أن يلجأ إلى الطبيب، مع الصلاة إلى الله.. وليكن من دون الحاجة إلى القنديل.

ومن سار فى الطريق فهبت عاصفة فأثارت التراب والغبار، فدخل فى عينيه وأذنيه شئ من ذلك.. فلا حاجة له ماسة إلى سر مسحة المرضى، بل إلى غسيل للعينين والأذنين والأنف والحلق... وقد يلزمه أن يذهب إلى الطبيب الأخصائى لإخراج ما عساه أن يكون قد دخل فى عينيه أو أذنيه من تراب وغبار وجسم غريب.

وهكذا نقول عمن أصابه مرض فى أسنانه أو جيوبه الأنفية أو لوزتيه.. أو سقط على جسمه ماء ساخن أو جسم ساخن فاحترق بالحرارة جلده.

نقول إن هذا أو ذاك من أمراض عضوية بحتة ينبغى أن يلجأ الإنسان فى علاجها إلى وسائل التطبيب المعروفة عند الأخصائيين. وليس لمثل هذه الأمراض العضوية تأسس سر مسحة المرضى، وإنما كما قلنا، للأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية...

ومع ذلك ففى جميع الأمراض يلزم للمريض أن يصلى، وأن يصلى عنه الذين يريدون له الشفاء.. وحتى الطبيب يلزمه أن يصلى قبل أن يمارس العلاج أو القيام بالعمليات الجراحية... ومن هنا التعاون بين الدين والعلم.. بين الكاهن والطبيب.. بين الوسائط الروحية - ومن بينها الصلاة - والوسائل الطبية العلاجية.

ويقول الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن سيراخ «اعط الطبيب كرامته لأجل فوائده، فإن الرب خلقه. لأن الطب آت من عند العلى.. الرب خلق الأدوية من الأرض، والرجل الفطن لا يكرهها.. يا بنى إذا مرضت فلا تتهاون، بل صل إلى الرب فهو يشفيك. اقلع عن ذنوبك، و قوم أعمالك ونق قلبك من كل خطيئة: قرب رائحة مرضية .. ثم اجعل موضعاً للطبيب، فإن الرب خلقه ولا يفارقك، فإنك تحتاج إليه. إن للأطباء وقتاً فيه النجح على أيديهم» (يشوع بن سيراخ ٣٨: ١ - ١٣).

أما الأمراض التى يلزم لشفائها سر مسحة المرضى، وقد أسسه الرب يسوع من أجلها، **فهى الأمراض الجسدية التى ترجع إلى أسباب روحية ونفسية**، وهى كثيرة جداً. وتزيد نسبتها كثيراً على نسبة الأمراض العضوية البحتة. إذ قد تبين للباحثين فى العلوم الإنسانية أن ٨٩٪ من الأمراض التى يظهر أنها جسدية متسببة عن علل روحية ونفسية، ومنها على الخصوص: الحميات بأنواعها.. وأمراض البول السكرى، وضغط الدم العالى والواطى أو المنخفض وتصلب الشرايين، وأمراض القلب... والقرح المعدية.. وغيرها، مما يسمونه بالأمراض النفس جسمية (سيكوسوماتيك).

جاء فى كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) (١): «اتضح من دراسة أكثر من ١٥,٠٠٠ مريض عولجوا من اضطرابات المعدة فى مستشفى (مايو) الشهير أن أربعة من كل خمسة مرضى ليس لمرضهم أساس عضوى على الإطلاق بل أساسه الخوف والقلق والبغضاء والأنانية المستحكمة، وعدم مقدرة الشخص على الملاءمة بين نفسه والحياة».

ومجمل القول: إن شعبنا تلزمه توعية كافية، ليتبين أن سر مسحة المرضى سر ذو اختصاص، وأن الرب يسوع قد أسسه فى كنيسته ليكون لشفاء الأمراض الجسدية الروحية أى المتسببة عن علل روحية.

---

(١) كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) لمؤلفه (ديل كارنيجى) الترجمة العربية صفحة ٥٨.

وبناء على ذلك، يجب لممارسة السر أن يكون هناك مرض حقيقى، وأن يرجع هذا المرض إلى علة روحية.

إذا تبين المسيحيون هذه الحقيقة، عرفوا أن لا يخلطوا بين سر مسحة المرضى وبين صلوات تبريك المنازل والبيوت .. وعرفوا أن لا يقتصروا فى استدعاء الكهنة لمباشرة القنديل فى أيام الصوم الكبير .. وإنما يستدعون الكهنة فى أى وقت، طالما أن هناك مرضاً حقيقياً، خصوصاً إذا كان هذا المرض ليس من الأمراض العضوية البحتة .. بل من الأمراض التى يحتمل أن ترجع لأسباب روحية، على أن يصحب ذلك توبة المريض، واعترافه بخطاياه، على ما يقول الوحى الإلهى فى الكتاب المقدس.

وإذا تبين المسيحيون هذه الحقيقة، لم يعد هناك ضغط على الكهنة فى أيام الصوم الكبير.. وأمكنهم فى الأحوال التى يكون فيها مرض حقيقى، أن يباشروا السر مباشرة كاملة، ويصلوا جميع الصلوات السبع المنصوص عليها فى كتاب القنديل، ولا يهملوا منها شيئاً، فتحل البركة على المريض «والرب ينهضه، وإن كان قد ارتكب خطايا، تغفر له».

٤ - مريضة بالاكتئاب النفسى

رداً على خطابك أرى أن حالة الاكتئاب النفسى الشديد الذى تشعرين به هو نتيجة لعوامل مختلفة بعضها شخصى وبعضها عائلى وبعضها روحى...

فتفكيرك فى مشاكلك الشخصية والعائلية، ومشاكلك فى العمل كمدرسة وعدم ترقيتك مع إحساسك بأنك مظلومة، ومسئوليتك نحو أولادك، وإحساسك بالندم على قسوتك مع أولادك، والندم على ما يصدر منك من تصرفات أو كلمات تنطلق منك بغير وعى كاف نحو من تعاملينهم من أقارب وأغراب ونحو رجال الدين، كل هذا زاد من عمق شعورك بمشكلتك التى أمست أمامك معقدة - ثم إنك غير سعيدة روحياً ويعذبك الشعور بالإثم لتقصيرك فى واجباتك الروحية وإحساسك بأنك فى حالة غير مرضية لله والناس وغير مرضية لك أنت أيضاً.

وحيث أنك عندما تصلين تتعبين، وكذلك عندما يصلى على رأسك كاهن تتعبين وتتلفظين بألفاظ خارجة - على حد تعبيرك - تندمين عليها كثيراً فيما بعد، ثم إذا تناولت من الأسرار المقدسة تمرضين أشد المرض على حد ما جاء بخطابك.

فيبدو أنه بسبب تفكيرك الشديد، وحزنك المفرط، فرح بك الشيطان فلمسك روح نجس.

على أننى أطمئنك أن لكل مشكلة حلاً، ولا يأس لإنسان راغب فى إصلاح حاله، ويطلب أن يصحح مساره، ويسلك فى طريق الصالحين.

أما أولاً - فمشكلتك تحل روحياً، وليس بالحبوب التى تتعاطينها والتى يقدمها لك الطبيب النفسانى. فأنت على حد تعبيرك تتعاطين هذه الحبوب منذ ٣ سنوات، وليس هناك تقدم. إن علاجك ليس فى الحبوب المنومة أو البرشام الذى تتناولينه منذ ٣ سنوات، وبه تنامين ساعات طويلة على ما تقولين.

وأؤكد لك أن هذه الحبوب أو البرشام لو أنك واظبت على أخذه واستمررت على تناوله فلسوف تصابين بالبلادة الروحية والنفسية والبدنية وأخيراً لسوف تؤثر هذه الحبوب على القلب. واعلمى أن هذه الحبوب التى يسمونها مهدئات هى فى حقيقتها (مخدرات)، ونتائجها عليك وخيمة، وستضرك أضراراً بليغة. ولسوف تضر أخيراً الجهاز العصبى والقلب بعد أن تكون قد أضرت جميع أجهزة الجسم.

ونحن ننصح بأن تنقصى الكمية التى تأخذينها بالتدريج إلى أن تتوقفى عنها نهائياً.

واستعيضى عنها بالغذاء الطبيعي وقوامه:

١ ـ نصيب وافر من الهواء النقى باستنشاقه من الأنف صباحاً أمام نافذة مفتوحة مع بعض الألعاب الرياضية الصباحية، ومثلها فى المساء قبل النوم.

٢ ـ كوب ماء يشرب صباحاً على الريق، وآخر مساء قبل النوم.

٣ ـ كوب زبادى صباحاً قبل الأكل وآخر مساء قبل النوم (فى غير أيام الصوم) مع تحليته بقليل من العسل الأبيض.

٤ ـ ابدئى كل وجبة من الوجبات الثلاثة بطبق سلطة خضراء كبير.

٥ ـ اهتمى بأن تتناولى نصيباً وافراً من الفاكهة الطازجة ويحسن أن تبدئى وجبتك بالسلطة وبالفاكهة وبعد ذلك الطعام الآخر.

٦ ـ تجنبى المقليات بأنواعها بالسمن أو بالزيت ـ وكلى جميع الوجبات مسلوقة بالماء ويمكنك أن تضعى عليها قليل من الزيت النيئ ثم عصير الليمون.

٧ ـ استخدمى كثيراً العسل الأبيض والعسل الأسود فى تحلية كل المشروبات بدلاً من السكر الأبيض.

٨ ـ تجنبى الخبز الأبيض بقدر الإمكان وليكن طعامك من الخبز الأسمر ـ وليكن الخبز مقدداً أى جافاً أو محمصاً ولا يكون طرياً.

٩ ـ أكثرى من شرب السوائل أثناء النهار، ولكن بعد الأكل بساعتين.

١٠ ـ تجنبى من السوائل: الشاى والقهوة والكوكاكولا وأخواتها.

١١ ـ خذى نصيباً من اللبن محلى بالعسل الأسود أو الأبيض.

١٢ ـ استخدمى خميرة البيرة من عند الخباز.

١٣ ـ استخدمى أيضاً بليلة القمح، وضعى عليها اللبن (فى أيام الفطر) مع تحليتها بالعسل الأسود.

١٤ ـ يعوزك من وقت لآخر رحلة إلى أماكن خلوية حيث الهدوء والخضرة والماء، أى اخرجى إلى حيث الطبيعة.

على أنك تحتاجين من الناحية الروحية ـ وهذه أهم من كل ما قلناه ـ إلى كاهن شيخ طويل الأناة يجيد فن الإصغاء، يسمع شكواك ويصلى على رأسك عدداً من المرات، وقد يلزمك زيارة بعض الكنائس حتى يطرد الروح الشرير الذى يعاكسك.

لا أنصح لك بالتناول من الأسرار المقدسة إلى أن تطمئنى إلى طرد الروح الذى يعاكسك.

فإذا عملت بهذه النصائح ولم تهمليها، فاطمئنى إلى أنه سيعود إليك سلامك، وتستردين بالتدريج صحتك الروحية والنفسية والبدنية.

٥ ـ يهملون أوشية المرضى

سؤال: من السيد/ حلمى إلياس عطية ـ بالمعادى.

لاحظت أن بعض الآباء الكهنة عند الصلاة على الموتى يهملون أوشية المرضى، وكذلك الشمامسة لا يتلون التسابيح الخاصة بصلاة التجنيز كما هو مدون بكتاب الصلوات المستعمل فى الكنائس القبطية الأرثوذكسية.

الجواب:

إهمال أوشية المرضى فى الصلاة على الموتى تقصير فى أداء الطقس على صورته الأصلية. إن تلاوة أوشية المرضى فى مناسبة الصلاة على الميت استغفار عن الأحياء لئلا يكون الموت فى الشعب صورة من صور الغضب الإلهى. قال الرسول القديس بولس «ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز، ويشرب من الكأس لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون. (١. كورنثوس ١١ : ٢٨ - ٣٠).

وفكرة الصلاة عن المرضى، فى وقت الموت فكرة مأخوذة من الكتاب المقدس:

«قال موسى لهرون: خذ المجمرة، واجعل فيها ناراً من على المذبح، وضع بخوراً، واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة، وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الموت. قد ابتدأ الوباء. فأخذ هرون كما قال موسى، وركض إلى وسط الجماعة، وإذا الوباء قد ابتدأ فى الشعب. فوضع البخور، وكفر عن الشعب. ووقف بين الموتى والأحياء، فامتنع الوبأ» (سفر العدد ١٦ : ٤٦ - ٤٨).

إن طقوس كنيستنا الأرثوذكسية مرتبة بالروح القدس، ترتيباً روحانياً عميقاً. فما أحوجنا إلى معرفة سليمة بطقوسنا، وأدائها بكل أمانة ودقة وروحانية، فإن ذلك يرفع أرواحنا إلى السماء، ويجلب علينا رضى الله ورحمته.